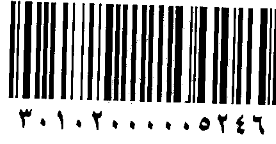
جـامعة صنعاء
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي





الحياة الاجتماعية للعلماء

فيما بين عامي (٥٠هـ/٦٧٠م و ١٥٠هـ/٧٦٧م)

من خلال كتابي سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ) والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

دراسة تاريخية

رسالة مقدمة لقسم التاريخ لنيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب
عبدالرحمن أحمد المختار

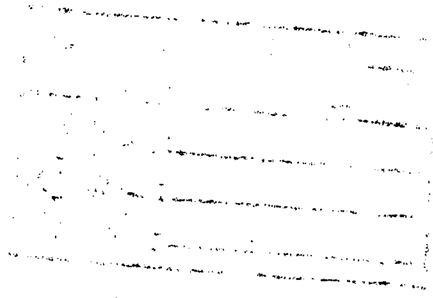
إشراف
الأستاذ الدكتور/عبدالرحمن عبد الواحد الشجاع

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أبي وأمي الذين ربياني
منذ الصغر وما زالا يقدمان
لي رعايتهما ويدعوان لي
أقدم هذا الجهد المتواضع .
سائلاً من اللّه تعالى أن يثيبهما
ويطيل عمرهما .
وأن يجزيهما خير الجزاء .



قال المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن المنعم بن أبي الدم الفقيه القاضي الحموي الشافعي :

" إنما الفائدة في التاريخ الإسلامي مع قربه من الصحة ، ذكره لعلماء هذه الأمة المحمدية وذكر محاسنهم وعلومهم ومواعظهم وحِكَمهم وسيرهم التي يستدل العامل بها في أموره ، ويتدبرها ويتفكر فيها ، فينتفع بما قالوه وعانوه وما يُنقل عنهم من المحاسن دنيا وأخرى " .

نقلاً عن كتاب السخاوي (الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٥٠)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين .

ثم أما بعد ،،،،

فإن من المسلَّم به أن التاريخ الإسلامي بمفهومه الشامل لا ينحصر في المجال السياسي ، ولا يهتم بأخبار الخلفاء والأمراء والحكّام أو بأخبار الأسر الحاكمة فقط ، ولكنه تاريخ الأمة بكافة فئاتها وشرائحها المختلفة ، كالعلماء والقادة والمصلحين والتجار والشعراء وعامة الناس .

ومن هذا لمنطلق فإن التاريخ الإسلامي هو تاريخ عطاء هذه الأمة المتجدد في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية .

لذلك كله فليس من الصواب في التاريخ الإسلامي التركيز على الجانب السياسي وإغفال الجوانب الأخرى ، كما أنه ليس من الصواب الاقتصار على أخبار الخلفاء والأمراء وترك أخبار العلماء والمجتهدين والمصلحين .

ولذلك فقد حرصت في البداية أن يكون موضوع بحثي في الجانب الاجتماعي لأهميته ولقلة الدراسات حوله . ثم بعد ذلك بحثت وقرأت وتلفّتُ يميناً وشمالاً كي أهتدي إلى موضوع مناسب في الجانب الاجتماعي ، فتوصلت إلى موضوع بعنوان (الحياة الاجتماعية للعلماء فيما بين عامي ٥٠ و ١٥٠هـ من خلال كتابي سِيَر أعلام النبلاء للذهبي والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ، دراسة تاريخية) .

وتتضح أهمية الكتابة عن هذا الموضوع من عدة وجوه :

أولاً : إنَّ العلماء هم أهم شريحة في المجتمع ، فهم صفوته وبالتالي فهم يمثلون القدوة لغيرهم من الناس لأنهم ورثة الأنبياء .

ثانياً : إنهم من أكثر الفئات تأثيراً على المجتمع سواءاً أكان تأثيراً سلبياً أم تأثيراً إيجابياً ، ولهذا فقد جاء في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " صنفان من أمتي

إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة السلطان والعلماء "[1] .

ثالثاً : الكتابة عن حياة العلماء وأخبارهم لها فوائد كثيرة تفوق أحياناً دراسة الفقه والحديث ، قال أبو حنيفة : " الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبّ إليّ من الفقه لأنها آداب القوم "[2] إضافة إلى ذلك فإن " في ذكر تراجم العلماء من أحوالهم ومناقبهم وأعصارهم – أي عصورهم – ومراتبهم فوائد نفيسة ومهمات جليلة منها طمأنينة القلب "[3] وفي نفس الوقت فقد قيل " إن معرفة الإنسان بأحوال العلماء رفعةٌ وزين وإن جهل طلبة العلم وأهله بهم لَوصمة وشين "[4].

أما اختيار الفترة من سنة ٥٠ إلى سنة ١٥٠ هـ فيعود إلى أهميتها أيضاً ، ويتضح ذلك من خلال الآتي :

أولاً : وقوع هذه الفترة بين فترتين تاريخيتين هامتين وهما فترة الصحابة رضوان الله عليهم والتي كانت قبل الخمسين هجرية ، وفترة الامتزاج والاختلاط بالحضارات التي انضوت تحت راية الدولة الإسلامية بعد المائة والخمسين هجرية ، ولذلك فإن العلماء الذين عاشوا في هذه الفترة يُعَدُّن بحق خير جيل بعد جيل الصحابة رضوان عليهم إذ هم حلقة الوصل التي عن طريقها انتقلت تعاليم الإسلام وشرائعه وآدابه من الصحابة وإلى من جاء بعدهم من الأجيال المتابعة إلى أن وصل إلينا .

ثانياً : إن دراسة فترة مائة سنة هجرية كاملة تجعلنا نتحرر – بعض الشيء – من تقسيم التاريخ بحسب العصور كعصر الخلفاء الراشدين ، والعصر الأموي أو تقسيمه بحسب الأسر الحاكمة كتاريخ الدولة الدولة الأموية أو العباسية . إذ أن هذه الفكرة في تقسيم التاريخ الإسلامي لم يكن يتّبعها المؤرخون القدماء كالطبري

---

(١) أخرجه ابن عبدالبرّ في كتاب جامع بيان العلم وفضله باب (ذم العالم على مداخلته السلطان الظالم رقم (١١٠٩) .

(٢) السخاوي : الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦١ ، تحقيق / فرانزروزنتال ، ترجمة د/صالح أحمد العلي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥٢ .

وابـــن الأثير وأمثالهما ؛ لأن تاريخ الإسلام تاريخ عام لكل المسلمين ويجب أن يدرس على أنه كذلك .

أما عن سبب اختياري لكتابي (سِيَر أعلام النبلاء ، والمنتظم في تاريخ الأمـــم والملوك)كأساس للدراسة فيرجع إلى أهميتهما بين المصادر وتميّزهما بالسعة والشمول[(١)] ولكونهما من أكثر المصادر التي تهتم بإيراد أكبر عدد من العلمـــاء وخاصـــةً علمـــاء الحديث ، إضافة إلى أنهما يتحدثان عن جوانب مهمة من حياتهم الاجتماعية .

ولما كانت هذه الشريحة – العلماء – بهذه الأهمية كان لا بد مـــن دراســـتها دراسة وافية من جميع الجوانب ولا سيما الجانب الاجتماعي وبحسب ما أعلم فإن هـذا الموضوع (الحياة الاجتماعية للعلماء فيما بين عامي ٥٠ و ١٥٠ هـــ) لم يدرس مـــن قبل اللهم إلا في بعض الدراسات التي تناولت حياة بعض العلماء بصورة فردية مثـــل عبدالله بن المبارك أو سعيد بن المسيب أو سفيان الثوري وفيها يتم دراسة الشـــخصية من جميع جوانبها العلمية و الاجتماعية والسياسية .

وأخيراً فإن هذا البحث (الحياة الاجتماعية للعلماء) قد يساهم في إبراز جـزء من الصورة الحضارية للمجتمع الإسلامي في قرونه الأولى ويجعل الجيل الحاضر يتطلـع إلى حياة مثل حياة أولئك ، فيسعى إلى أن يصل إلى بعض ما كانوا عليه مـــن خلـــق وسلوك وعقيدة .

* * *

أما المنهجيّة التي اتّبعتها في استخدام المصادر وبخاصة المصدرين اللذين اعتمدت عليهما في الدراسة فيمكن أن أحددها بالآتي :

أولاً : الأجزاء التي تم استخدامها هي الأجزاء من الرابع حتى الثامن عند الذهبي [(٢)]

---

(١) سنتحدث عن أهمية المصدرين وتوسعهما وشمولهما في التمهيد ص ١٨،١٩ .

(٢) الذهبي : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٨٤هـــ / ١٣٧٤م) سير أعلام النبلاء ج٤ تحقيق/مأمون الصاغرجي ط أولى ١٩٨١م ، ج٥ تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، ج٦ تحقيق/حسين الآسد ، ج٧ تحقيق/علي أبو زيد ، ج٨ تحقيق/محمد نعيم العرقسوسي ، ط الثانية ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان .

والسادس حتى التاسع عند ابن الجوزي[1] .

ثانياً : تم حصر العلماء الذين عاشوا في هذه الفترة من ٥٠ – ١٥٠هـ فبلغوا (٦٠٢) عالماً تقريباً عند الذهبي [2] و (٣٤٨) عالماً تقريباً عند ابن الجوزي [3].

ثالثاً : العلماء الذين تم الاعتماد على تراجمهم في الدراسة بلغوا (١٨٠) [4]عالماً تقريباً تم اختيارهم من المجموع السابق لكون المؤلفيْن تحدثا عن جوانب من حياتهم الاجتماعية ، وهؤلاء العلماء هم الذين ترجمنا لهم في الهامش وقد عاشوا في الفترة من ٥٠ – ١٥٠هـ وهذا يعني أننا أدخلنا في الدراسة بعض العلماء الذين توفوا في سنة ٦٠هـ أو ٧٠هـ فهم قد عاشوا في الفترة موضع الدراسة وكذلك أدخلنا في الدراسة العلماء الذين توفوا في سنة ١٦٠هـ أو ١٧٠هـ أو حتى ١٨٥هـ باعتبار أنهم قد عاشوا في هذه الفترة ، ولتوضيح ذلك نذكر مثلاً ، الإمام مالك ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ فهو قد عاش في هذه الفترة لمدة ٣٢سنة وبعد الفترة ٣١سنة أي أنه عاش أكثر من نصف عمره في الفترة ، وكذلك الليث بن سعد ولد في سنة ٩٤هـ وتوفي في سنة ١٧٥هـ أي أنه عاش في الفترة ٥٦سنة ، فهو إذن قد عاش أكثر من ثلثي عمره في الفترة وهكذا .

ولم نخرج عن هذه المنهجية إلا في حالات قليلة جداً مثل أن نذكر أحد العلماء ونذكر معه أحد طلابه ونضطر أن نترجم لهذا الطالب مثل عبدالرحمن بن مهدي الذي مرَّضَ سفيان الثوري أو مثل عبدالرزاق الصنعاني عند استقباله لسفيان الثوري أيضاً وعبد الرزاق لم يزل حينها طالباً .

هذا ومن المهم أن نشير إلى أن تحديد مصدرين رئيسين للبحث لا يعني عدم استخدام المصادر الأخرى ، وبخاصة في متن البحث ، ومن ثم فقد رجعنا للمصادر

---

(١) ابن الجوزي : عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٦، ج٧ ، ج٨ ، ج٩ تحقيق/محمد عبدالقادر عطا ، ومصطفى عبدالقادر عطا ، ط أولى ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

(٢) تم حصرهم من الجزء الرابع حتى الثامن ، أنظر أسماءهم في الملحق رقم (١) ص٢٩٠ .

(٣) تم حصرهم من الجزء السادس وحتى التاسع ولم نسجل أسماءهم في ملحق خاص نظراً لأن الذهبي قد أورد معظمهم وبالتالي فهم في الملحق رقم (١) .

(٤) أنظر أسماءهم في ملحق فهرس العلماء المترجم لهم في الهامش ص٣٠٥.

الأخرى في الحالات التالية :

١-عند ظهور نقص أو فراغ في فصل ما أو أي محور أو فقرة والسبب طبعا قلة المعلومات أو ندرتها عند الذهبي وابن الجوزي فيما يخص ذلك الفصل أو المحور ، ومن أمثلة ذلك استخدام كتاب طبقات بن سعد في الفصل الثالث وفي الفصل الثاني في موضوع تعدد الزوجات ، والسراري والجواري .

٢-تم استخدام مصادر كثيرة لتوثيق المعلومات التي وردت عند الذهبي وابن الجوزي وأهم هذه المصادر الطبقات الكبرى لابن سعد ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وكلها كما نلاحظ من كتب التراجم وهذه الكتب مليئة بكنوز من المعلومات الهامة التي لا يستغني عنها دارس التاريخ .

٣- من البديهي أن يتم الرجوع إلى المصادر التي تبين وتوضح ما لا بد من توضيحه وبخاصة تلك المصادر التي تتحدث مباشرة عن العلماء مثل مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لابن حبان ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ، وطبقات علماء الحديث لابن عبدالهادي الدمشقي ، وطبقات الحفاظ للسيوطي وغيرها وهذه تم استخدامها كثيرا للتعريف بالعلماء ، إضافة إلى ذلك فقد تم الرجوع إلى كتب معاجم اللغة والبلدان مثل كتاب لسان العرب لابن منظور ومعجم البلدان لياقوت الحموي وكذلك تم الرجوع إلى كتب الحديث وغيرها .

وفي آخر حديثنا عن المنهجية في استخدام المصادر لا تفوتنا الإشارة إلى أن الذهبي وابن الجوزي لم يتفقا في إيراد كثير من المعلومات إذ أن الذهبي كان متوسعا في حديثه عن العلماء أكثر من ابن الجوزي [١]ولهذا فقد جعلنا الذهبي المصدر الأول وابن الجوزي المصدر الثاني مع أن ابن الجوزي أقدم وفاة من الذهبي ، وعلى هذا كنت إذا اتفق المؤلفان على ذكر معلومة ما أسجل في الهامش الذهبي أولا ثم ابن الجوزي ، أما إذا ذكرت المعلومة عند واحد منهما فنذكر مصدره بمفرده.

---

(١) أنظر التمهيد ص ٢٩ .

أمـــا منهج البحث فيما يتعلق بالحديث عن العلماء فقد قمت بتتبع الروايات وكذا الأقوال والأخبار والأحداث والمواقف المتعلقة بحياة العلماء الاجتماعية ، ومن ثم دراستها وتحليل ما يمكن تحليله منها خاصةً وأن اتّباع أسلوب التحليل بكـثرة – إذا لم يكن نافعاً ومهماً – فإنه يفسد المعنى أو الرواية ولا يأتي بجديد .

أما بـــالنسبة لبعض المواقف أو الأفعال الغريبة أو المجانبة للصواب والتي حكى المصدران أنها صدرت من بعض العلماء فكنت أقف عند بعضها وأتثبت منـــــها مـــن خلال مقارنتها بغيرها وإيراد أكثر من رواية ، ثم أحاول أن أبين الحكم الشرعي فيــها إن كانت ترتبط بمسألة فقهية وذلك باختصار ، وشفيعي في ذلك أني أكتب في مجـــال التاريخ ولا أكتب في مجال الفقه ، ولذا كنت أحيل القارئ بعد ذلـــك إلى المصـــادر الخاصة بالقضية .

* * *

أما البحث فقد قمت بتقسيمه إلى مقدمة ،وتمهيـــد ،وستة فصول ، وخاتمة ثم أتبعت ذلك كله ببعض الملاحق ، ثم بقائمة بالمصادر والمراجع .

وفيما يلي تعريف مختصر بأقسام البحث :

المـــــقدمـــة

وقد بينت فيها الأسباب التي جعلتني أختار مثل هذا الموضوع ، ثم أوضحت أهمية البحث ومنهجه ثم التعريف بفصوله .

التمـــهـــــيد

أما التمهيد فقد جعلته للتعريف بابن الجوزي والإمام الذهبي وكذا التعريف بكتابيهما المنتظم في تاريخ الأمم والملوك وسير أعلام النبلاء وما لهذين الكتابين مـــــن أهمية ، ثم تحدثت عن منهج كـــلٍ منهما في الكـــتابة عن النواحي الاجتماعية لشـــريحة العلماء مبتدئاً بالذهبي قبل ابن الجوزي ؛ نظراً لتوسع الذهبي في الكتابة عن العلمـــاء ، وقد حرصت أن أذكر نواحي الاتفاق والاختلاف بينهما ، ثم أخيراً قمت بـــالتعريف بالفترة الزمنية للدراسة بشكل مختصر نظراً لكثرة الكتابات حول هذا الموضوع .

الفصل الأول اتساع حجم شريحة العلماء ومكانتهم في المجتمع

وفيه تحدثت عن اتساع حجم شريحة العلماء في العالم الإسلامي في تلك الفترة مبيناً ذلك من خلال أرقام وإحصائيات عن عدد العلماء بشكل عام وتوزّعهم على مختلف الأقطار ، ثم بينت العوامل التي أدت أو ساعدت على وجود هذه الشريحة ، ثم انتقلت إلى الحديث عن مكانة العلماء في هذه الفترة في المجتمع وتحدثت عن مكانتهم بين الناس ثم مكانتهم عند الخلفاء والأمراء ، ثم في الأخير كان لا بدمن ذكر العوامل التي جعلت للعلماء مكانة كبيرة في المجتمع .

الفصل الثاني : الحياة الأسرية للعلماء

أما الفصل الثاني فقد حرصت فيه على أن أوضح حياة العلماء الخاصة فتحدثت عن قضية الزواج عند العلماء : من أي الفئات كانوا يتزوجون ، ودورهم في تيسير الزواج وكذا عن تعدد الزوجات في حياتهم ، ثم تحدثت عن ظاهرة التَّسرّي واقتناء الإماء (ملك اليمين) وقد أوضحت ذلك من خلال جدول يبين تعدد الزوجات والسراري وعدد الأولاد ، ثم انتقلت إلى الحديث عن حياة العلماء مع أمهاتهم وزوجاتهم وأولادهم وكيف كانوا يعاملونهم ثم أوضحت الاهتمامات التربوية للعلماء (تربية الأولاد)،وأخيراً أوضحت كيف كان العلماء يقضون أوقاتهم في بيوتهم.

الفصل الثالث : المظاهر الاجتماعية للعلماء

وهذا الفصل خصصته للحديث عن المظاهر الاجتماعية وهي كثيرة في حياة العلماء ومن ثم كان هذا الفصل من أوسع فصول البحث ، فتحدثت فيه عن ملابس العلماء وزينتهم وطعامهم وشرابهم ومنازلهم وما يتبعها من الأثاث والأدوات أو الحدائق ، ثم انتقلت إلى المظاهر التعبدية وبخاصة ما يتعلق منها بالجانب الاجتماعي فتطرّقت إلى ارتباط العلماء بالمسجد وكيف كانوا يقضون معظم أوقاتهم فيه ، ثم تحدثت عن المظاهر العلمية أيضاً وأهمها حِلَق العلم والرحلة في طلب العلم ، وفي آخر الفصل تعرضت لذكر بعض الجوانب الترفيهية التي كان البعض من العلماء يمارسونها بهدف الترويح عن النفس كالمزاح والضحك ، وبعض الألعاب كاللعب بالنرد والشطرنج وكذا الغِناء .

الفصل الرابع : مصادر معيشة شريحة العلماء

أما الفصل الرابع فقد بينت فيه أهم المصادر التي كان العلماء يعتمدون عليها في معيشتهم وهي الحرف والتجارة ، والأعمال الإدارية ، ثم مصادر الدخل الأخرى المختلفة ، ولتوضيح بعض هذه المصادر فقد قمت بعمل جدول ضم أربعين اسماً من العلماء أوضحت أمام كل اسم العمل الذي يقوم به ، وقد أشرت في أثناء ذلك إلى الأخلاق التي تمتع بها العلماء في أثناء ممارستهم لهذه الأعمال الحرفية والتجارية وكذا العوامل التي جعلتهم يقدمون على مثل هذه الأعمال .

الفصل الخامس : العلاقات الاجتماعية للعلماء

وفيه تحدثت عن علاقة العلماء مع بعضهم البعض وأوضحت كيف كانت هذه العلاقة متميزة وترقى إلى أعلى مستويات التعامل الاجتماعي ، ثم تحدث بعد ذلك عن علاقة العلماء مع طلابهم ثم مع عامة الناس ثم مع الخلفاء والأمراء .

الفصل السادس : دور العلماء في المجتمع

أما الفصل السادس والأخير فقد بينت فيه دور العلماء في المجتمع وذلك من خلال اهتمامهم بما يلي : العطاء المادي ، وتلمس هموم أفراد لمجتمع وقضاء حوائجهم وحل مشكلاتهم ، ثم رعاية الأرامل والمحتاجين وعتق الرقيق ، ثم أخيراً دورهم من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واثر ذلك على المجتمع .

الخاتمة

أما الخاتمة فقد تحدثت فيها باختصار عن النتائج التي توصل إليها البحث أو التي ساعد في إثباها .

وأخيراً فقد ضممت إلى نهاية البحث بعض الملاحق التي من شأنها أن تزيده وضوحاً وتبياناً ،فقد وضعت ملحقاً بأسماء العلماء الذين ورد ذكرهم عند الذهبي والذين عاشوا في الفترة من ٥٠ – ١٥٠هـ أوضحت فيه اسم العالم وبلده وتخصصه العلمي ونسبه أو قومه (عربي أ م مولى) وقد تعذّرَ ذكر وفاة العلماء في هذا الملحق نظراً لكثرة الأسماء ولكون الذهبي لم يذكر وفاة البعض منهم .

ثم قمت بعمل خلاصة لهذا الملحق أوضحت فيها نسبة العلماء إلى المـوالي أو إلى العرب وتوزعهم على البلدان وكذا عدد العلماء نسبة إلى تخصصـهم العلمـي ، وإضافة إلى ذلك فقد تم عمل ملحق صغير تم فيه توضيح نسبة العلماء في كـل بلـد مقارنة بمن نزل في ذلك البلد من الصحابة رضوان الله عليهم .وأخيرا قمـت بعمـل ملحق(فهرس)للعلماء المترجم لهم في الهامش مرتب أبجديا ومبينا تاريخ الوفاة لكل عالم

هذا ولا يخلو أي بحث من صعوبات ولكن حب البحث والرغبة في التعلم كانا يخففان من تلك الصعوبات ، كما أن أي بحث لا يخلو من العيوب والأخطاء وأقر سلفا بتلك الأخطاء وأتمنى تلافيها مستقبلا إذ الكمال لله وحده .

ويطيب لي في خاتمة هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر والثناء والتقدير لأسـتاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع الذي كان لـه الفضـل الأكبر بعد الله سبحانه وتعالى في اكتمال هذا البحث وإخراجه في صورته النهائيـة ، ولا أنسى له أنه كان يزودني بالمصادر والمراجع فيحملها بنفسه من مكتبته إلى الجامعـة وهذا يدل على تواضعه وطيب أخلاقه ، هذا فضلا عن توجيهاته الدائمة ونصائحـه المستمرة وتقييمه للأخطاء بأسلوب تربوي نافع ، وأقر هنا بأنني قد استفدت من أدبـه وأخلاقه وتواضعه مثلما استفدت من علمه ، فجزاه الله خيرا وأطال الله في عمره .

كما لا أنسى في الأخير أن أسجل شكري وتقديري لكل الإخوة الذين تعاونوا معي في إكمال هذا البحث سواء بالرأي أوبالنصح والمشورة وغير ذلك ،وأخص منهم الاخوة مدير وموظفي مكتبة كلية الآداب وكذا المكتبة المركزية فشكرا لهم جميعا .

أسأل الله تعالى أن يسدد خطانا ويختم بالصالحات أعمالنا ، وآخر دعوانـا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

صنعاء ١٦/ربيع الأول/١٤٢٠هـ عبدالرحمن أحمد المختار

٣٠/يـونـيو/١٩٩٩م

التمهيد

العناصر:

- التعريف بابن الجوزي وكتابه المنتظم وأهميته .
- التعريف بالذهبي وكتابه السير وأهميته .
- منهج الذهبي وابن الجوزي في الكتابة عن النواحي الاجتماعية للعلماء .
- الأوضاع السياسية للفترة ما بين ٥٠ و ١٥٠ هـ .

التعريف بابن الجوزي وكتابه المنتظم وأهميته

اسمه ومولده :

هو عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، وينتهي نسبه إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبي بكر الصديق رضي الله عنه [١]، ويكنى بأبي الفرج ويلقب بجمال الدين [٢]، أما أقاربه فكانوا تجاراً في النحاس ، فكان ربما كتب اسمه عبدالرحمن بن علي الصفّار [٣].

وقد ولد ابن الجوزي في سنة ٥٠٩هـ وقيل ٥١٠هـ[٤] .

نشأته العلمية :

نشأ ابن الجوزي يتيماً ، فقد توفي أبوه وله من العمر ثلاثة أعوام فتولت عمته تربيته [٥] إذ يبدو أن أمه لم تكن تهتم بتربيته ، ويوضح ابن الجوزي ذلك فيقول :" إن أبي مات وأنا لا أعقل والأم لا تلتفت إليّ "[٦] ، " فلما ترعرع أخذته عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ ، فلزم الشيخ وقرأ عليه وسمع عليه الحديث " [٧].

وبالرغم من أن ابن الجوزي نشأ في أسرة غنية تشتغل بالتجارة ، إلا أنه انصرف كليةً إلى العلم منذ صغره ، حتى إنه لم يكن يلعب مع الصبيان [٨] ، كما هي عادة الكثير منهم ، ولم يكن يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة [٩]، فكان كل همه مُنصبّ على طلب العلم وتحصيله ، يقول ابن الجوزي عن هذه الفترة من حياته " لقد كنت في

---

(١) الذهبي : السير ج٢١ ص٣٦٥ – ابن كثير : الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٨٢م) البداية والنهاية ج١٣ ص٢٨ ، ط السادسة ، ١٩٨٥م ، مكتبة المعارف ، بيروت .

(٢) الذهبي : السير ج٢١ ص٣٦٥ .

(٣) المصدر نفسه : ج٢١ ص٣٦٧ – ابن كثير : البداية ج١٣ ص٢٨ .

(٤) الذهبي : السير ج٢١ ص٣٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ج٢١ ص٣٦٧ .

(٦) ابن الجوزي : صيد الخاطر ص٢٣٦ ، مكتبة العلم بجده ، مكتبة ابن تيمية القاهرة (بدون طبعة وتاريخ) .

(٧) ابن كثير : البداية ج١٣ ص٢٨،٢٩ .

(٨) المصدر نفسه : ج١٣ ص٢٩ .

(٩) المصدر نفسه : ج١٣ ص٢٩ .

حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو . كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث ، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتي لا ترى إلا تحصيل العلم " (١).

هذه الهمة في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله جعلت من ابن الجوزي أشبه ما يكون بموسوعة علمية ، فقد كان " له في العلوم كلها اليد الطولى ، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو " (٢) فهو إذاً قد " برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره " (٣) ، من العلماء ، ونتيجةً لذلك فقد أصبح له مكانة كبيرة ومنزلة عظيمة في المجتمع ، ويكفيه منزلة أنه كان يحضر مجالس وعظه " الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء ... وأقل ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون "(٤) ، ومن هنا استحق ابن الجوزي أن يطلق عليه : " الحافظ المفسر ، والإمام العلامة ، وشيخ الإسلام ومفْخر العراق " (٥).

شيوخه :

لما كان عصر ابن الجوزي زاخراً بالشيوخ والعلماء ، فقد ركز في اختياره لشيوخه على أمرين هامين هما :

١- الجلوس إلى الشيوخ والعلماء الذين عرفوا بكثرة العلم والفهم ، وفي هذا يقول :" كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم ، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم ، فكانت همتي تجويد العُدد لا تكثير العَدد " (٦).

---

(١) ابن الجوزي : صيد الخاطر ص٢٣٥ .

(٢) ابن كثير : البداية ج١٣ ص٢٨ .

(٣) المصدر نفسه : ج١٣ ص٢٨ .

(٤) المصدر نفسه : ج١٣ ص٢٩ .

(٥) الذهبي : السير ج٢١ ص٣٦٥ .

(٦) ابن الجوزي : مشيخة ابن الجوزي ص٦٠ ، تقديم وتحقيق / محمد محفوظ . الشركة التونسية للتوزيع ، (بدون طبعة وتاريخ) .

٢- مصاحبة العلماء العاملين ، حيث يقول :" لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة ، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه " [١].

ذكر ابن الجوزي[٢] في مشيخته كبار مشايخه فقال :" لما رأيت من أصحابي من يؤثر الإطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً " ثم ذكر في هذه المشيخه عدد شيوخه وهم سبعة وثمانون شيخاً ، وثلاث شيخات [٣].

مؤلفاته :

اتجهت همة ابن الجوزي إلى التأليف والتصنيف منذ وقت مبكر من عمره ، وقد اختلف الكتّاب والمؤلفون في عدد تصانيف ابن الجوزي التي تبلغ ما بين الثلاثمائة إلى الأربعمائة ، فالمؤرخ ابن كثير[٤] يقول : إن عدد مصنفاته بلغت " نحو من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلدة " وقال ابن الجوزي عن نفسه " بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلده "[٥] وقال الذهبي[٦] :" وجد بخطه قبل موته أن تواليفه بلغت مائتين وخمسين تأليفاً " وقد ذكر الذهبي منها (١٤٥) عنواناً [٧].

أما الكتّاب المتأخرون فقد أحصى بعضهم مؤلفات ابن الجوزي " فوصل في إحصاءاته إلى ثلاثمائة وأربعةٍ وثمانين كتاباً "[٨] وقال بعضهم : إن ابن الجوزي " واحد من بضعة نفر في التاريخ الإسلامي تزيد قائمة مؤلفاتهم على الأربعمائة كتاب ورسالة "منها ثلاثون مطبوعة ،ومائة وثلاثون المخطوط ،ومائتان وثلاث وثلاثون ضائعة " [٩].

---

(١) ابن الجوزي : صيد الخاطر ص١٤٣ .

(٢) مشيخة ابن الجوزي : ص٦٠ .

(٣) المصدر نفسه : ص٦٠ - ٢٠٩ .

(٤) البداية والنهاية ج١٣ ص٢٨ .

(٥) الذهبي : السير ج٢١ ص٣٧٠ .

(٦) المصدر نفسه : ج٢١ ص٣٧٠ .

(٧) المصدر نفسه : ج٢١ ص٣٦٨،٣٦٩،٣٧٤،٣٧٥ .

(٨) ذكر ذلك الأستاذ / عبدالحميد العولجي في كتابه مؤلفات بن الجوزي { د. الحكيم : حسن عيسى علي ، كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته ، ص٥٣،٥٤،ط أولى١٩٨٥م،عالم الكتب،بيروت}.

(٩) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ج٢ ص١٠٨،١١٠ ، ط الثالثة ١٩٨٧م ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان .

إن هذا الاهتمام الكبير من قبل ابن الجوزي بالتصنيف والتأليف وشغل معظم أوقاته به يعود إلى حبه له ورؤيته بأن فائدة التصنيف والتأليف أكثر من فائدة الجلوس في حِلَق العلم للتدريس ، ويكشف لنا ابن الجوزي ذلك فيقول " رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعلّم بالمشافهة ، لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد ، ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشائخهم " [1].

لقد كان ابن الجوزي مصيباً في رأيه إلى حد كبير ، فها هي ذي مؤلفاته ومصنفاته المطبوعة والمخطوطة والتي لم يكن مصيرها الضياع وعددها (١٦٠) باقية إلى اليوم ، من بعد موته بـ ٩٠٠ سنة ينتفع بها الناس ، وهي في شتى علوم المعرفة .

أما منهج ابن الجوزي في التصنيف فكان يقوم على ثلاثة أشياء: جمع ما تفرق في بطون الكتب ، أو ترتيب ما تشتت ، أو شرح ما أهمل[2] ، يقول ابن الجوزي :" فهذا هو التصنيف المفيد " [3].

كتابه المنتظم:

صنّف ابن الجوزي في جميع فروع العلم والمعرفة ومنها علم التاريخ ، ومن أهم الكتب التي صنّفها في هذا الجانب كتاب (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك) الذي يحوي ثمانية عشر جزءاً ، حرص فيها أن يذكر ما جرى من الحوادث من بداية الخلق وحتى عصره الذي عاش فيه ،فقد ابتدأ الكتاب بذكر الدليل على وجود الله تعالى ، ثم ذكر أول المخلوقات ، ثم ذكر آدم وأحواله وما جرى له والحوادث التي حصلت في زمانه ، ثم أتبع ذلك بذكر أولاده وما حدث في زمانهم [4]، وهكذا أخذ يسلسل الحوادث والسنين بحيث ضمّنها " ذكر الأنبياء والملوك والعلماء والزهاد والحكماء والفراعنة والنماردة ومن له خبر يصلح إيراده من العوام ، وما يحسن ذكره من الأمور

---

(١) ابن الجوزي : صيد الخاطر ص٢٢٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص٢٢٩ .

(٣) المصدر نفسه : ص٢٢٩ .

(٤) ابن الجوزي : مقدمة كتاب المنتظم ج١ ص١١٦ .

والحوادث " [1]، حتى إذا ما جاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر مولده وما جرى في سنة مولده من الأحداث ثم ما جرى في السنة الثانية من مولده وهكذا حتى وصل إلى سنة بعثته صلى الله عليه وسلم ، ثم " ذكر ما جرى في كل سنة من سني النبوة إلى سنة هجرته إلى المدينة "[2] ثم بعدها ذكر " ما كان في كل سنة من الحوادث المستحسنة والمهمة وما لا بأس بذكره ، وأضرب عن ما لا طائل في الإطالة به تحته مما يضيع الزمان بكتابته ، أما لعدم صحته أو لفقد فائدته "[3] وذلك حتى سنة ٥٧٤هـ.

أما الأمر الهام الذي ركز عليه ابن الجوزي في كتابه المنتظم فهو ترجمته لكل من توفى من الأكابر في كل سنة وذلك ابتداء من السنة الرابعة للبعثة [4] وحتى سنة ٥٧٤هـ[5] بحيث إنه كان يذكر السنة وما جرى فيها من الحوادث ثم يذكر في تلك السنة من توفى فيها من الأكابر مرتبا لهم على حروف المعجم ، وقد أراد ابن الجوزي أن يذكر في ترجمة كل شخص أخباره كلها ، ولكنه عدل عن ذلك وقال :" رأيت أن تخير الأوساط خير من الانبساط فأخذت في كف الكف عن التطويل " [6].

أهمية المنتظم :

أما أهمية كتاب المنتظم فهي تكمن في"خروجه عن المألوف في التدوين التاريخي الذي درج عليه كبار المؤرخين كاليعقوبي والطبري والمسعودي ومسكويه وغيرهم وذلك بجمعه على صعيد واحد بين السرد التاريخي لأهم الحوادث وبين تراجم الرجال الذين كان يطلق عليهم لفظ الأكابر" [7] ، هذا فيما يخص أهمية المنتظم من حيث منهجيته ، أما أهميته التاريخية فيمكن أن نلخصها فيما يلي :

إنه حفظ الكثير من النصوص التاريخية التي وردت في الكتب السابقة من

---

(١) ابن الجوزي : مقدمة كتاب المنتظم ج١ ص١١٦ .

(٢) المصدر نفسه : ج١ ص١١٦ .

(٣) المصدر نفسه : ج١ ص١١٦.

(٤) المصدر نفسه ج٢ ص٣٧٣ . وأول ترجمة ذكرها لورقة بن نوفل .

(٥) المصدر نفسه : ج١٨ ص٢٤٨ .

(٦) المصدر نفسه : ج١ ص١١٨ .

(٧) الحكيم : المنتظم لابن الجوزي ، دراسة في منهجه ص٥٤٩ .

الضياع ، هذا عدا الفترة التي عاصرها وكان هو مصدرها الوحيد ، فهو " قد حفظ لنا نصوصاً للخطيب البغدادي ، سقطت من تاريخ بغداد بقيت مواضعها فيه خالية ... وحفظ ابن الجوزي كذلك بعض النصوص التي استقاها من ابن إسحاق ولم نجدها في السيرة النبوية لابن هشام وأورد نصوصاً مقتبسة من ابن سعد عند ترجمته لبعض الأشخاص لم نجدها في الطبقات وحفظ لنا نصوصاً لمؤرخين فقدت تصانيفهم وبخاصة الذين تناولوا تاريخ بغداد كالصولي والصابي ، فلولاه لضاعت تلك النصوص ، وكذلك نصوص المؤرخين الذين عاشوا بعد الخطيب البغدادي وذيلوا على تاريخه وقد فقدت تصانيفهم كشجاع بن فارس الذهلي (ت ٥٠٧هـ) ، صاحب كتاب (تتمة تاريخ بغداد) وهبة الله السقطي (ت ٥٠٩هـ) الذي ذيل على تاريخ بغداد " [١].

٢- إن ابن الجوزي أورد كثيراً من النصوص التاريخية - انفرد بها وحده - ولم توجد عند أسلافه المتقدمين سواءً في قسم الحوادث أو التراجم والذي يؤخذ عليه في هذا الباب إهمال مصادره [٢]، وهذا يعني أن هناك كتباً تاريخية ضائعة "، والمهم في المنتظم إلى جانب ذلك احتواؤه على مجموعة كبيرة من أسماء الكتب التي لم تصل إلى علم ابن النديم والتي يصح أن يؤلف منها مستدرك أو ذيل على الفهرست " [٣].

٣- أخيراً تكمن أهمية المنتظم في كونه أورد " ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعين ترجمة لمختلف الشخصيات الاجتماعية من خلفاء وملوك ووزراء ونقباء وفقهاء ومحدثين وشعراء وأدباء ومؤرخين وفلاسفة وغيرهم وكان من بينها ترجمة أربع وثمانين امرأة لهنّ مشاركة فعلية في حقل من حقول المعرفة "[٤]. كما تكمن أهمية المنتظم في الأثر الذي تركه مؤلفه على المؤرخين الذين جاءوا من بعده ، حيث سلكوا نهجه في الجمع بين الحوادث والتراجم " وذلك واضح في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي والبداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الإسلام للذهبي ومرآة الجنان لليافعي وغيرهم إضافة إلى أن المنتظم

---

(١) الحكيم : المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه ص٥٥٠،٥٥١ .

(٢) المصدر نفسه : ص٥٥٣ .

(٣) المصدر نفسه : ص٥٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥٥٤،٥٥٥ .

كان مصدراً لمؤرخين آخرين وإن لم يتأثروا بمنهجيته كابن الأثير في الكامل وياقوت الحموي في معجم الأدباء " [1] ، وغيرهم .

التعريف بالذهبي وكتابه السيَّر وأهميته

اسمه ومولده :

هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز بن عبدالله التركماني الأصل الفارقي ثم الدمشقي ، المعروف بالذهبي[2] ويلقب بشمس الدين وكنيته أبو عبدالله [3] ، وينتمي إلى أسرة تركمانية الأصل – كما يبدو ذلك من اسمه – تنتهي بالولاء إلى بني تميم[4] .

وقد ولد الذهبي في اليوم الثالث من شهر ربيع الآخر سنة (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م). [5]

نشأته العلمية :

نشأ الذهبي في أسرة متدينة تهتم بالعلم ، وتُعلّمه أولادها ، فأبوه أحمد بن عثمان الذهبي الذي عُرف بصناعة الذهب المدقوق ،كان يطلب العلم وسمع صحيح البخاري من أحد الشيوخ سنة ٦٦٦هـ وحج في آخر عمره وكان يقوم الليل[6]، وعمته ومرضعته ست الأهل بنت عثمان (الحاجة أمّ محمد) كانت تروي الحديث ، وقد

---

(١) الحكيم : المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه ص٥٥٧ .

(٢) الحسيني : الحافظ أبو المحاسن الحسيني الدمشقي (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م) ذيل تذكرة الحفاظ ص٢٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (بدون طبعة وتاريخ) .

(٣) الكتبي : محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) فوات الوفيات والذيل عليها ج٣ ص٣١٥ ، تحقيق / احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (بدون طبعة وتاريخ) .

(٤) ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج٣ ص٣٣٦ ، دار الجيل ، بيروت (بدون طبعة وتاريخ) .

(٥) المصدر نفسه : ج٣ ص٣٣٦ .

(٦) الذهبي : معجم شيوخ الذهبي (المعجم الكبير) ج١ ص٧٥، تحقيق/محمد الحبيب الهيلة ، ط أولى ١٩٨٨م ، مكتبة الصديق ، الطائف ، المملكة العربية السعودية .

روى الذهبي عنها[1]، وكان خاله علي بن سنجر بن عبدالله الموصلي يطلب العلم،قال عنه الذهبي :" سمع معي ببعلبك – أي سمع الحديث – وكان ذا مروءة وكد على عياله وخوف من الله" [2] وقد روى عنه الذهبي . وكان زوج خالته فاطمة ممن يسمع الحديث ويرويه ، حافظاً للقرآن الكريم ، تالياً له[3] ،ويعود الفضل في رعاية الذهبي والاعتناء به علميا منذ مولده[4]إلى أخيه من الرضاعة الشيخ علاء الدين بن العطار[5] .

إذا فلا غرابة أن تعتني هذه الأسرة المتدينة ذات الاهتمامات العلمية بتعليم أولادها منذ صغرهم بل وتتوقع لبعضهم – ومنهم الذهبي – أن يصلوا إلى مرتبة العلماء الكبار ، والدليل على ذلك أن الشيخ علاء الدين العطار – أخو الذهبي من الرضاعة – قد استجاز[6] للذهبي في سنة مولده جملة من العلماء[7] ، ولا ندري هل هذه الإجازة تعني إجازة سنة مولده (أي معرفة سنة مولده) لاهتمام علماء الحديث بذلك ، أم أن ذلك يعني إجازته ليروي عنهم الحديث – عندما يكبر – من كتبهم ، والأرجح هو الرأي الثاني [8].

---

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ج١ ص ٢٨٤، ٢٨٥ .

(٢) المصدر نفسه : ج٢ ص٢٧،٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٤)ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٣٣٦ .

(٥) المصدر نفسه : ج٣ ص٣٣٦ .

(٦) استجاز من أجاز ، والإجازة : أن يأذن الشيخ لغيره بأن يروي عنه مروياته أو مؤلفاته ، قال ابن كثير :" والرواية بها جائزة عند الجمهور " وهي أربعة أنواع {ابن كثير : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص١١٩-١٢١ تأليف أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية بيروت (بدون طبعة وتاريخ)} .

(٧) ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٣٣٦ – الشوكاني : محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج٢ ص١١٠ ، دار المعرفة ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ). والعلماء الذين أجازوا للذهبي في سنة مولده : أحمد بن أبي الخير وابن الدرجي وابن علان وابن أبي اليسر وابن أبي عمر والفخر علي ، وجمع جم {ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٣٣٦} .

(٨) ذكر ابن كثير أن عالم الحديث لو قال لرجل :" أجزتك ولولدك ونسلك وعقبك رواية هذا الكتاب " أو " ما يجوز لي روايته " قال : فقد جوزها جماعة منهم – أي من علماء الحديث – منهم أبو بكر بن أبي داود ، وقد رجح الخطيب البغدادي صحة الإجازة للصغير ، قال : وهو الذي رأينا كافة شيوخنا يفعلونه ، يجيزون للأطفال من غير أن يسألوا عن أعمارهم { الباعث الحثيث ص١٢٠ } .

تلقى الذهبي تعليمه الأولي (القراءة والكتابة) في الكتّاب لدى المؤدب علاء الدين علي بن محمد الحلبي المعروف (بالبصبص) واستمر في مكتبه أربع سنوات ، وكان مؤدبه هذا من أحسن الناس خطا وأبرهم بتعليم الصبيان [١] ، ثم اتجه الذهبي بعد ذلك إلى الشيخ مسعود بن عبدالله الأغزازي حيث تعلم لديه تلاوة القرآن الكريم حتى إنه قرأ عليه أربعين ختمة تقريبا [٢].

وفي السنة الثامنة عشرة من عمره اتجه الذهبي إلى طلب علم الحديث[٣] ، فسمع في دمشق من كثير من المشايخ [٤]، ولم يكتف بشيوخ أهل بلده ، بل رحل إلى القاهرة والإسكندرية وبعلبك ، ومكة ، وحلب ، ونابلس[٥] ، ويضيف الصفدي[٦] بأنه رحل إلى حمص ، وحماة ، وطرابلس والرملة ، وبلبيس ، والقدس وغيرها .

وهكذا أخذ الذهبي ينتقل من بلد إلى بلد حتى " أتقن الحديث ورجاله ونظر في علله وأحواله " [٧]

وهذا لا يعني أن الذهبي لم يكن له اهتمام بالعلوم الأخرى ، بل كان له اهتمام بكثير من علوم عصره ومنها على سبيل المثال ، علم الفقه[٨] ، والتاريخ ، والقراءات حيث قرأ القراءات السبع على جماعة من مشايخ القراءات[٩] ، إلا أن الذهبي " قد

---

(١) الذهبي : معجم الشيوخ ج٢ ص٥٢ .

(٢) معجم الشيوخ : ج٢ ص٣٣٩ .

(٣) ابن قاضي شهبة : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨١٥هـ/ ١٣٩٨م) طبقات الشافعية ج٣ ص٢٠٨ ، علق عليه وصححه / الحافظ عبدالعليم خان ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ١٩٨٧م (بدون طبعة) — ابن العماد الحنبلي : عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٦ ص١٥٤ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، (بدون طبعة وتاريخ) .

(٤) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٦ ص١٥٤ .

(٥) المصدر نفسه : ج٦ ص١٥٤ — الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٤ .

(٦) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٤،١٦٥ ، ط الثانية ، دار نشر شتاينر ١٩٨١م .

(٧) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج٣ ص٣١٥.

(٨) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج٢ ص٢٠٨ .

(٩) ابن تغري بردي : يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج١٠ ص١٨٢ ، دار الكتب ، مصر ، (بدون طبعة وتاريخ) .

ملئ حباً للحديث وغلب عليه ، ومهر في فنه وجمع فيه المجاميع المفيدة الكثيرة" [١] حتى غدا "محدث العصر ، وخاتم الحفـــاظ ، القائم بأعباء هذه الصناعة ،وحامل راية أهل السنة والجماعة ، إمام أهل عصره" [٢] "وأحـــد الأذكيـــاء المعدوديـــن والحفـــاظ المبرِّزين" [٣] .

شيــــوخه :

كان للذهبي الكثير من الشيوخ الذين سمع منهم فقد " سمـــع ســـنة ٦٩٢هــــ مشيخة دمشق وسنة ٦٩٣هــ مشيخة بعلبك وسنة ٦٩٥ هــ مشيخة مصر ، ولـــه نحو ستمائة شيخ " [٤] وقال بعضهم إن عدد شيوخه يزيدون على ألـــف ومـــائتين [٥]، بالسماع والإجازة [٦]، وقال آخرون أنهم ألف وثلاثمائة شيخ [٧]، وبالرجوع إلى كتاب الذهبي نفسه (معجم الشيوخ) وهو جزءان نجد أنه حـــوى علـــى (٩٣٥)شـــيخا ، و(١٠٥) شيخات[٨] وذكر عن كل واحد منهم حديثا حديثا ، وبالتالي فـــإن عـــدد شيوخ الذهبي هم (١٠٤٠) شيخا وشيخة .

وبعد أن أنهى الذهبي السماع من الشيوخ استقر في دمشق ، وسمع منـــه الجـــم الغفير ورحل إليه الناس والطلبة من سائر البلاد [٩]، وتولى مناصب تدريسية كثيرة فقد "ولي مشيخة المدرسة الظاهرية قديـــما ، ومشيـــخة النفيسة والفاضلية والتنكرية أم

---

(١) الشوكاني : البدر الطالع ج٢ ص١١١،١١٠ .

(٢) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج٢ ص٢٠٩ .

(٣) الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٦ .

(٤) ابن القاضي : أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـــ/ ١٦١٦م) ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ج٢ص٢٥٦،٢٥٧، تحقيق / محمد الأحمدي أبو النـــور ط أولى ١٩٧١م ،دار الـــتراث، القاهرة .

(٥) الحسيني : ذيل التذكرة ص٣٥ — ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج٢ ص٢٠٨ .

(٦) الحسيني : ذيل التذكرة ص٣٥ .

(٧) ابن القاضي : ذيل وفيات الأعيان ج٢ ص٢٥٧ — الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٤ .

(٨) الذهبي : معجم الشيوخ ج١ من ص ٢٥ إلى ص٤٤١، ج٢ ص ٥ إلى ص٤٢٧ . الشيخات تم إحصاؤهن من فهرس الأعلام ص٤٥٤-٤٨٨ .

(٩) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٦ ص١٥٤،١٥٥ .

الملك الصالح "[1] وهذه كلها مدارس ودور للحديث .

مؤلفـــاته:

صنف الذهبي في كثير من فروع العلم المختلفة ومنها علم الحديث الذي " جمـــع فيه المجاميع الكثيرة المفيدة "[2] وصنف أيضا الكثير من المصنفات في علم التاريخ حـــتى قال عنه الشوكاني[3]: " فالناس في التاريخ من أهل عصره ، فمن بعدهم عيال عليه ولم يجمع أحد في هذا الفن كجمعه ولا حرر كتحريره " ، وصنف أيضا في العقيدة والفقـه والتراجم ، إضافة إلى ذلك فله الكثير مـــن المختصرات والرسائل والمنوعات وغيرها ، ومن هنا صدق ابن حجر[4] عندما قال عنه إنه :" من أكثر أهل عصره تصنيفا " .

ومن خلال الرجوع إلى المصادر نتبين أن مؤلفات الذهبي كثيرة ، فـــابن العمـــاد الحنبلي[5] قد أورد له (٦٧) مؤلفا ، وابن شاكر الكتبي[6] أورد لـــــه (٤٣) مؤلفـــا، والصفدي[7] (٤٥) ،وابن القاضي[8](٢٩)، والشوكاني[9](١٣)،وابن حجر[10](١٢). قال الحسيني[11]: "ومصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة " وهؤلاء ليسوا مختلفـين في عدد مؤلفاته وإنما كرر بعضهم ما ذكره الآخر ، وتفرد بعضهم بذكر ما لم يذكـــره غيره ، ولذلك وجدنا الحسيني – وهو الذي لم يذكر مؤلفاته بالاســـم – يذكـــر إن مؤلفاته تقارب المائة .

---

(١) الحسيني : ذيل التذكرة ص٣٦ – ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج٢ ص٢٠٩ .

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٣٣٧ .

(٣) البدر الطالع ج٢ ص١١١ .

(٤) الدرر الكامنة ج٣ ص٣٣٧ – الشوكاني : البدر الطالع ج٢ ص١١٠ .

(٥) شذرات الذهب : ج٦ ص١٥٥،١٥٦ .

(٦) فوات الوفيات : ج٣ ص٣١٦ .

(٧) الوافي بالوفيات : ج٢ ص١٦٣،١٦٤ .

(٨) ذيل وفيات الأعيان : ج٢ ص٢٥٧ .

(٩) البدر الطالع : ج٢ ص١١٠ .

(١٠) الدرر الكامنة : ج٣ ص٣٣٧ .

(١١) ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٥،٣٦ .

هذا ما ذكرته المصـــــادر المتقدمة – التي بين أيدينا– عن مؤلفات الذهبي ، أما المراجع الحديثة فقد تتبع بعـــض البـــــاحثين مؤلفــــاته ، فوصـــــل إلى عـــدد (٢١٥) مؤلفا [١] حيث ذكرها بالاسم ،بما فيها المختصرات والمنتقيـــــات والأجـــزاء الصغيرة[٢] .

وعليه فالذي يبدو لنا أن المصادر المتقدمة لم تكن تذكر الأجزاء أو المنتقيات مـــن ضمن المؤلفات القائمة بذاتها وذلك لصغرها ، والله أعلم .

من خلال ما سبق نستنتج أن مؤلفات الإمام الذهبي بلغت من الكثرة حداً كبيراً، الأمر الذي جعل أهل العلم ، من علماء وطلاب وغيرهم يقبلون على تداولها وقراءتها ونسخها في حياته وبعد مماته ، قال الشوكاني[٣] :" وله (تاريخ الإسلام)يزيد علـــــى عشرين مجلدا وقفت منه على أجزاء ، و(النبلاء) في نحو العشرين مجلدا وقفت منـــــه على أجزاء ، وجميع مصنفاته مقبولة مرغوب فيها رحل الناس لأجلها وأخذوها عنـــــه وتداولوها وقرءوها وكتبوها " هذا " وقد وقف الشيخ كمال الدين بن الزملكاني رحمه الله على تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الإسلام جزءا بعد جزء إلى أن أنهاه مطالعة وقال : هذا كتاب علم "[٤] .

هذا الاهتمام الواضح بكتب الذهبي والإقبال على اقتنائها وتعلمـــها مـــن قبـــل العلماء والطلاب كان له أثر كبير في انتشارها وتداولها في جميع بلاد الإســـلام حـــتى "سار بجملة منها الركبان "[٥] " وطارت في جميع بقاع الأرض "[٦] .

---

(١) بشار عواد معروف : الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام ص١٤٠-٢٧٦ ، ط أولى ١٩٧٩م ، مطبعـــة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة – تقديم كتاب سير أعلام النبلاء ج١ ص٧٥-٩٠ ، تحقيق /حسين الآسد ، ط الثانية ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٢) مثل (المنتقى من تاريخ أبي الفداء) والمنتقى من (معرفة الصحابة) لابن منده ، والأجزاء مثل (جـــزء مـــن حديث القز ويني المتوفي ٧٠٤هـــ) ، (وجزء من حديث أبي بكر المرسي المتوفي ٧١٨هـــ){ بشار عواد معـــروف : تقديم كتاب سير أعلام النبلاء ج١ ص٨٩،٩٠ } .

(٣) البدر الطالع : ج٢ ص١١٠،١١١ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٣ – ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج٣ ص٣١٥،٣١٦ .

(٥) الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٦ .

(٦) الشوكاني : البدر الطالع ج٢ ص ١١١

أما منهج الذهبي في التصنيف فلم يكن يعتمد على النقل والتقليد كما هو حال بعض علماء عصره ، وإنما اتخذ أسلوباً علمياً متميزاً يعتمد على " الجرح والتعديل والتصحيح والتعليل والاستدراك "[1] وإضافة إلى ذلك فلم " يكن عنده جمود المحدّثين ولا كودنة النقلة ، بل كان فقيه النظر،له دُربة بأقوال الناس،ثم إنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن وإظلام إسناد أو طعن في روايته " [2] . هذا في الحديث ، أما في التراجم أو الأعلام فله " لكل واحد مصنف قائم الذات مثل الأئمة الأربعة ومن جرى مجراهم لكنه أدخل الكل في تاريخ النبلاء "[3] فيكون بذلك " قد عرف تراجم الناس وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس "[4] وقد أقبل الذهبي على اختصار مصنفات من سبقوه – المصنفات الطويلة – ليستفيد منها هو وغيره ممن ليس لديهم الوقت لقراءة المطولات ، فيكون قد وفر بهذا الاختصار مؤنة التطويل [5]، وكان الذهبي يكتب كل تلك المؤلفات بلغة سهلة " فيها تعبيرات رائقة وألفاظ رشيقة، غالباً لم يسلك مسلكه فيها أهل عصره ولا من قبلهم ولا من بعدهم " [6].

وقد اتفق العلماء على أن أفضل كتب الذهبي وأطولها (تاريخ الإسلام) ، وبعضهم سمّاه(تاريخ الإسلام الكبير)[7] الذي " أربى فيه على من تقدمه بتحرير أخبار المحدّثين خصوصاً "[1] " أي لا باعتبار تحرير أخبار غيرهم فإن غيره أبسط منه " [2] ،

---

(١) الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٥ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٣ – ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١٠ ص١٨٢ . والكودنة من الكود كلما جمعته وجعلته كثيباً من طعام وتراب ونحوه { ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب المحيط ج٣ ص٣١١ ، إعداد وتصنيف/ يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٤ – ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج٣ ص٣١٦ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٣ – ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج٣ ص٣١٥ .

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٣ .

(٦) الشوكاني : البدر الطالع ج٢ ص١١١ .

(٧) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٦ ص١٥٥ .

وقد وصل فيه إلى سنة سبعمائة هجرية [1] ، قال عنه ابن تغري بردي[2] :"وهذا أجل كتاب نقلت عنه في هذا التاريخ " ، ومن أحسن كتبه أيضاً (ميزان الاعتدال في نقد الرجال)[3] ويأتي بعد ذلك في الأهمية كتاب سير أعلام النبلاء ، إذ إن المصادر تذكره مباشرة بعد كتاب تاريخ الإسلام[4] وتجعله كتابا مستقلاً عنه ، في حين نرى مصادر أخرى تذكره بعد تاريخ الإسلام ولكن كمختصر من مختصراته [5] وعليه فالذي يبدو لنا أن كتاب سير أعلام النبلاء من أهم كتب الذهبي .

كتابه السير :

اختلف المؤرخون في تسميته ، فقال الصفدي وابن شاكر الكتبي[6] (تاريخ النبلاء) وقال ابن قاضي شهبة ، وابن حجر ، وابن العماد الحنبلي[7] (سير النبلاء) أما سير أعلام النبلاء فلم يرد حسب ما توفر لدينا من معلومات إلا عند المؤلف نفسه، " حيث ورد مخطوطا على طرر المجلدات الموجودة في مكتبة السلطان أحمد الثالث ذوات الرقم (٢٩١٠) وهي النسخة الأولى التي نسخت عن المؤلف التي بخطه وكتبت في حياته في السنوات ٧٣٩هـ -٧٤٣هـ وهو العنوان الأكثر دقة وكمالا لذلك اعتمده محققو الكتاب"[8].

وكتاب السير كما هو واضح من عنوانه (سير أعلام النبلاء) كتاب تراجم ، أي يتناول فيه المؤلف سير الأعلام من " الخلفاء والملوك والأمراء والسلاطين ، والوزراء ، والنقباء ، والقضاة ، والقراء ، والمحدّثين ، والفقهاء ، والأدباء ، واللغويين

---

(١) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج٢ ص٢٠٩ .

(٢) النجوم الزاهرة : ج١٠ ص١٨٢ .

(٣) الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص٣٥ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٣ — ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج٣ ص٣١٦ .

(٥) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج٢ ص٢٠٩ — ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٣٣٧ — ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٦ ص١٥٥ — الشوكاني : البدر الطالع ج٢ ص١١٠ .

(٦) الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٣ — فوات الوفيات ج٣ ص٣١٦ .

(٧) طبقات الشافعية ج٢ ص٢٠٩ — الدرر الكامنة ج٣ ص٣٣٧ — شذرات الذهب ج٦ ص١٥٥ .

(٨) بشار عواد معروف : تقديم كتاب سير أعلام النبلاء ج١ ص٩١،٩٢ .

والنحاة ، والشعراء "[1] وغيرهم ، ومع ذلك فهو يكثر فيه من ذكر المحدثين والعلماء لما عرف عنه من ميل لعلم الحديث .

هذا وقد احتوى كتاب السير على (٥٩٢٥) ترجمة [2]، تبدأ بترجمة الصحابي الجليل أبي عبيده بن الجراح في المجلد الأول[3]،وتنتهي بترجمة السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن السلطان الملك المعز في المجلد الثالث والعشرين[4] . هذه التراجم كلها قد قسمها الذهبي في أربعين طبقة تقريبا [5] ويضاف إلى ذلك (١٠٥٨) ترجمة غير أصلية [6].

ولعل أهم ما يميز الذهبي في اختيار التراجم (الأعلام) هو حرصه على التوسع والشمول في النوع والمكان [7]، فتراجمه قد شملت فئات كثيرة من الناس كالخلفاء والأمراء والوزراء والقراء والعلماء وغيرهم وذلك من كافة أنحاء العالم الإسلامي .

أهمية السير :

لا شك في أن كتاب (السير) قد اكتسب أهمية كبيرة عبر القرون وذلك من ، القرن السابع الهجري وحتى اليوم ، حتى غدا من أهم الكتب التي يمكن أن يعتمد عليها الباحثون في دراسة الحياة العلمية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع

---

(١) بشار عواد معروف : تقديم كتاب سير أعلام النبلاء ج١ ص١١٠ .

(٢) تم احصاؤها من كتاب السير نفسه من الجزء الأول من ترجمة أبي عبيدة عامر بن الجراح وحتى الجزء الثالث والعشرين وآخر ترجمة هي ترجمة السلطان الملك المنصور نور الدين بن علي .

(٣) الذهبي : السير ج١ ص٥ .

(٤) المصدر نفسه ج٢٣ ص ٣٨١.

(٥) بشار عواد معروف : تقديم كتاب سير أعلام النبلاء ج١ ص٩٧،١٠٠ .

(٦) الذهبي : السير ج٢٥ ص١٧-٥٠٨ جزء الفهارس ، من (فهرس الأعلام المترجمين) للمحققين للكتاب ، وقد أشاروا إليها برسم نجمة قبل بداية كل اسم ، وهذه التراجم لم يورد لها الذهبي عناوين مستقلة مثل غيرها وإنما كان يذكرها في نهاية التراجم الأصلية ، ومثال ذلك أنه ترجم لحماد بن أبي حنيفة في آخر ترجمة أبي حنيفة فقال : وابنه الفقيه حماد ، وترجم له في سبعة اسطر { الذهبي : السير ج٦ ص٤٠٣ } وأحيانا يترجم للبعض تحت عناوين خاصة مثل (ومن شهداء يوم أحد) (وشهداء بدر) و (شهداء أجنادين واليرموك) ثم يورد تراجم مختصرة لبعض من استشهدوا في هذه الغزوات والمعارك ، ويبدو أن مثل هذا لا يوجد إلا في المجلد الأول { الذهبي : السير ج١ ص١٤٩،١٧٠،٣١٤ } .

(٧) بشار عواد معروف : تقديم كتاب سير أعلام النبلاء ج١ ص١١٠،١١١ .

خلال السبعة القرون الأولى .

ولما كان الكتاب قد شمل مجموعة كبيرة من التراجم يزيد عددها عن (٥٩٢٥) ترجمه بحيث شملت كافة الشرائح الاجتماعية ومن أجناس مختلفة ، وبلدان عديدة فإنه بهذا " صار واحدا من الكتب التي يقل نظيرها ويعز وجودها في تاريخ الحركة الفكرية العربية الإسلامية ، ونتيجة لذلك أصبح الكتاب مصورا لجوانب كثيرة من تاريخ الحركة الفكرية وتطورها عبر سبعمائة سنه لأن الإنسان هو العنصر الحاسم في هذه الحركة وبه تتحدد مميزاتها وسماتها "[١].

وإضافة إلى أهمية الكتاب الواضحة في دراسة الحياة العلمية والفكرية فإن له أهمية كبيرة في دراسة الحياة الاجتماعية ؛ ذلك لأنه يتجه نحو "تخليد المبرزين في المجتمع ولذا فهو في غاية الأهمية لدارسة أحوال المجتمع الإسلامي ومنها الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لمن عرفوا في التاريخ الإسلامي باسم العلماء "[٢] فهذا الكتاب يذكر عن العلماء معلومات كثيرة تتعلق بشخصياتهم سواء داخل منازلهم أو خارجها ، فيذكر تفاصيل عن هيئتهم ، وملابسهم ، وزينتهم ، وطعامهم وشرابهم ، ومنازلهم ، ثم أعمالهم ، وعلاقاتهم الاجتماعية ببعضهم ومع الآخرين ، وهذا كله يعطينا تصورا واضحا عن الحياة التي كانت سائدة آنذاك : كيف كانت ؟ وما هي اهتمامات الناس ، وما القيم التي كانت تحكمهم ؟.

وإضافة إلى ذلك فإن كتاب (السير) — من خلال تراجمه — يعطينا رؤية واضحة عن وضع المجتمع الاقتصادي ، فهو يذكر الحِرَف التي كان يمارسها هؤلاء الأعلام ، أو الأعمال التجارية أو الإدارية ، ويتحدث عن الأغنياء منهم وممتلكاتهم ، ويتحدث عن العطاء والثروة والأرزاق ، ويتحدث أيضا عن امتلاك الجواري ، وعن الخدم ، بل إنه أحيانا يدخل في تفاصيل دقيقة فيذكر دخل الفرد في السنة ونفقته ، وما ورثه من أبويه ... الخ ، وهذا يجعلنا نقف وكأننا أمام شخصيات حية تتحرك ، فنرى من خلالها الحياة كما كانت .

---

(١) بشار عواد معروف : تقديم كتاب سير أعلام النبلاء ج١ ص١٣٧،١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ج١ ص١٣٨ .

منهج الذهبي وابن الجوزي
في الكتابة عن النواحي الاجتماعية لشريحة العلماء :

العلماء يدخلون من ضمن (الأعلام أو الأكابر) الذين ترجم لهم كل من الذهبي وابن الجوزي في كتابيهما السير والمنتظم ، وبالتالي فإن منهجهما في الكتابة عن النواحي الاجتماعية لشريحة العلماء لا يختلف كثيرا عن منهجهما في الكتابة عن جميع التراجم التي وردت في كتابيهما ، وبدايةً فقد اتّبع الذهبي وابن الجوزي عند اختيارهما للتراجم بشكل عام المنهج الآتي :

١- الشهرة والشمول :

اقتصر الذهبي في كتابه (السير) على ذكر (الأعلام) " ليدل على المشهورين جداً بعرفه هو لا بعرف غيره ذلك أن مفهوم (العَلَم) يختلف من مؤلف إلى آخر استنادا إلى عمق ثقافته ونظرته إلى البراعة في علم من العلوم "[(١)]

أما ابن الجوزي فقد اقتصر في كتابه المنتظم على ذكر (الأكابر) ومن خلال ذلك نستدل على " أن ابن الجوزي لم يترجم إلا لطبقة المشهورين " [(٢)].

لم يقتصر الذهبي وابن الجوزي على ذكر المشاهير الذين ينتمون إلى فئة أو طبقة أو شريحة معينة في المجتمع ، وإنما شملت تراجمهم كثيرا من فئات الناس ، كالخلفاء والأمراء والوزراء والفقهاء والمحدثين والقضاة ، والأدباء والشعراء واللغوين والنحاة وغيرهم[(٣)] ، هذا مع ملاحظة أنهما كانا يخصان أهل الحديث بأكبر قدر من التراجم[(٤)] وهذا يعود إلى حبهما للحديث وتوسعهما في علمه وبخاصة الذهبي الذي عرف عنه " حبه لرواية الحديث وشغفه به ذلك الشغف العظيم الذي ملك عليه قلبه " [(٥)].

---

(١) بشار عواد معروف : مقدمة كتاب السير ج١ ص١١٠ .

(٢) الحكيم : المنتظم لابن الجوزي دراسه في منهجه ص٢٥٧ .

(٣) بشار عواد معروف : مقدمة كتاب السير ج١ ص١١٠ – الحكيم : المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه ص٢٥٨ .

(٤) بشار عواد معروف : مقدمة كتاب السير ج١ ص١١٠،١١١ – الحكيم : المنتظم لابن الجوزي في دراسة في منهجه ص٢٥٨ .

(٥) بشار عواد معروف : مقدمة كتاب السير ج١ ص١١١ .

٢- التوسع في الزمان والمكان :

وقد حرص الذهبي وابن الجوزي عند اختيار التراجم على ذكر الأعلام والأكابر في كل بلاد الإسلام الواسعة ، من الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر والمغرب والأندلس وخراسان وغيرها[1] ، إلا أن ابن الجوزي كان أقل تمكنا من الذهبي في ذلك "إذ جاءت كتاباته عن العراق وبخاصة بغداد أكثر من غيرها ، ولعل هذا نلتج عن كون العراق وبغداد مركز الخلافة العباسية ، واحتضان بغداد لأكبر عدد من العلماء الذين قصدوها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي " [2].

أما التوسع في الزمان فقد ترجم الذهبي للأعلام الذين عاشوا من بداية ظهور الإسلام بمن فيهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي أفرد له مجلداً كاملا (السيرة النبوية) وكذا الخلفاء الراشدين الذين أفرد لهم مجلداً أيضا (الخلفاء الراشدين)[3] ثم ابتدأ بعد ذلك بذكر (أبي عبيدة عامر بن الجراح) إلى أن انتهى بآخر ترجمة عاشت في عصره وكانت لـ (السلطان الملك المنصور نور الدين بن علي)[4] وترجم ابن الجوزي للأكابر المتوفين في كل سنة بداية من السنة الرابعة للبعثة [5] وحتى سنة ٥٧٤هجرية [6]، وبهذا نجد أن كلاً منهما قد غطى فترة زمنية كبيرة .

أما منهج الذهبي وابن الجوزي في الكتابة عن النواحي الاجتماعية للعلماء فكان يقوم على الآتي :

١- ذكر الاسم والكنية واللقب ، والشهرة :

وهذا غالباً ما يذكره الذهبي وابن الجوزي في معظم التراجم ، فالذهبي في معظم

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص١٦١، ١٨٧، ٢١٧، ٤٥٨، ٤٩٢، ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٤ ج٥ ص٣٨، ٥٠، ٧١، ٧٨ ج٦ ص٣٤٩ ج١٤ ص٥٦٩ - ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٩٢ ج٧ ص٥٧، ١٧٢، ٣٣١ .

(٢) الحكيم : المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه ص٢٥٨ .

(٣) ذكر الدكتور بشار عواد أن الذهبي قد جعل الجزء الأول والثاني من كتابه تاريخ الإسلام من ضمن كتابه السير، وأن الذهبي أمر النساخ أن يستنسخوهما من كتابه التاريخ الإسلام { مقدمة كتاب السير ج١ ص٩٣ } .

(٤) الذهبي : السير ج٢٣ ص٣٨١ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٢ ص٣٧٣ .

(٦) المصدر نفسه : ج١٨ ص٢٤٨ .

الحالات يُعَنّون للترجمة باللقب أو الكنية أو الشهرة [1]، وفي بعض الحالات يُعَنّون بالاسم ، لا سيما إذا اشتهر العالم صاحب الترجمة باسمه [2]،ثم تحت عنوان الترجمة يذكر الاسم أحيانا مفصلاً وأحياناً مختصراً [3]، ثم الكنية [4] إن لم يكن قد ذكرها في عنوان الترجمة ، ثم شهرته إن كان له شهرة [5].

أما ابن الجوزي فأنه يعنون للترجمة بالاسم كاملا مع الكنية واللقب [6]، ولكنه بعكس الذهبي يبدأ بذكر الاسم دائما ، ثم الكنية واللقب [7].

هذا الاهتمام بإيراد أسماء العلماء كاملة ومفصلة ، جعل إمكانية حدوث الخلط بين أسماء المحدثين والرواة نادرةً جدا ، ذلك أن هناك تشابه بين أسماء بعض العلماء [8]، ولا يتم معرفة أحدهم من الآخر إلا بذكر الاسم كاملاً مع اللقب والكنية .

٢- تاريخ الولادة :

يذكر كل من الذهبي وابن الجوزي تاريخ الولادة للعلماء[9] الذين تعدت شهرتهم

---

(١) مثل العَالم (ابن أبي ذئب) واسمه محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة ، وكنيته أبو الحارث { الذهبي : السير ج٧ ص١٣٩،١٤٠ } والعَالم (أبو الزناد) واسمه عبدالله بن ذكوان ، وكنيته أبو عبدالرحمن { الذهبي : السير ج٥ ص٤٤٥ } والعالم (أبو صالح السمان) واسمه ذكوان بن عبدالله ، واشتهر ببيع السمن ، { الذهبي : السير ج٥ ص٢٦ }

(٢) مثل مالك بن أنس عنون له باسمه (مالك الإمام) وكنيته أبو عبدالله ، وكذلك مثل (عبدالله بن المبارك) بأسمه وكنيته أبو عبدالرحمن { الذهبي : السير ج٨ ص٤٨،٣٧٨،٣٧٩ } .

(٣) مثل مسعر فصّل اسمه فقال :" مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث ، أبو سلمة الهلالي الكوفي " ومقاتل ذكر اسمه مختصراً فقال :" مقاتل بن سليمان البلخي " { الذهبي : السير ج٧ ص١٦٣،٢٠١ } .

(٤) مثل شعبة بن الحجاج ذكر كنيته فقال :" أبو بسطام الأزدي " { الذهبي : السير ج٧ ص٢٠٢،٢٠٣ } .

(٥) مثل خالد بن مهران قال عنه :" المشهور بالحذاء " { الذهبي : السير ج٦ ص١٩٠ } .

(٦) مثل عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، ويكنى أبا عبدالله { ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٩ } .

(٧) مثل عبدالله بن يزيد ذَكَر اسمه ثم ذَكَر كنيته فقال :" أبو قلابة الجرمي " { ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٩١ }

(٨) مثل العَالم (عمرو بن قيس) واسمه عمرو بن قيس بن ثور بن مازن ، أبو ثور السكوني { الذهبي : السير ج٥ ص٣٢٢ } والعالم (عمرو بن قيس) واسمه عمرو بن قيس الملائي السبزاز{ الذهبي : السير ج٦ ص٢٥٠ } وبالتالي فإن الذي يسمع الاسم الأول والثاني فقط ، قد يختلط عليه الأمر بين الاثنين فلا يستطيع أن يميز بينهما ، خاصة وأن الذهبي يعنون للترجمة هنا بالاسم الأول والثاني فقط .

(٩) مثل سعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن البصري ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري { الذهبي : السير ج٤ ص٢١٨،٢٩٥،٥٦٤، ج٥ ص٣٢٦ - ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣١٩ ، ج٧ ص٩٢،٩٣،١٣٦،٢٣١}

بلدانهم لتصل إلى البلدان المجاورة لهم ، أو ممن عمّت شهرتهم كل دار الإسلام ، بينما نجدهما يهملان ذكر ولادة العلماء الأقل شهرة من المحدثين أو الرواة وغيرهم[1] ، أو العلماء المحليين الذين لم يُذكر أنهم رحلوا في طلب العلم[2] ، ولعل ذلك يعود إلى اهتمام علماء الحديث بذكر تاريخ الوفاة أكثر من تاريخ الولادة [3].

٣- النسب أو الأصل الذي ينتمي إليه العالم المترجم له :

غالباً ما يذكر الذهبي وابن الجوزي نسب العالم الذي يترجمان له ، فإن كان من الموالي من الفرس أو غيرهم ذكرا ذلك ، وإن كان عربياً فإنهما ينسبانه إلى قبيلته مباشرة ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فيذكر الذهبي وابن الجوزي أن محمد بن سيرين ، وعطاء بن أبي رباح من الموالي [4]، أما سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير فقد نسباهما إلى قبيلتيهما[5] .

٤- البلد والمسكن :

يشير الذهبي دائما في معظم تراجمه للعلماء إلى بلدانهم وذلك بنسبتهم إليها بقوله: الكوفي أو البصري أو المدني[6] وذلك في نهاية ذكره للاسم ، فإذا فارق أحد العلماء

---

(١) مثل يونس بن عبيد ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وهشام الدستوائي { الذهبي : السير ج٦ ص٢٨٨، ج٧ ص١٤٩،٩٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧٢،١٨٨،٢٥ } .

(٢) مثل ثابت بن اسلم البناني ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم { الذهبي : السير ج٥ ص٣١٤،٣١٣،٢٢٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٨٨ – ٢٠٦ } .

(٣) قال سفيان الثوري :" لما استعمل الرواة الكذب ، استعملنا لهم التاريخ " أي تاريخ وفاة المحدث ، حتى قيل :" لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ يقال للشيخ كم ولدت ؟ فإذا أقر بمولده مع معرفتنا بوفاة الذي ينتمي إليه عرفنا صدقه من كذبه { السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ص٢٢،٢١ } .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٧٩،٧٨ ، ج٤ ص٦٠٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٥،١٣٨ .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٤٢١،٢١٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٣٣،٣١٩ .

(٦) مثل وهب بن منبه اليماني ، ومكحول الدمشقي ، وعبادة بن نسي الأردني ،وعون بن عبدالله الكوفي ،وحماد بن سلمة البصري ، وبكر بن مضر المصري ، وعبدالله بن المبارك المروزي ، وهكذا { الذهبي : السير ج٤ ص٥٤٤ ج٥ ص١٠٣،٣٢٣،١٥٥ ، ج٧ ص٤٤٤ ، ج٨ ص٣٧٨،١٩٥ } .

بلده وسكن بلداً آخر يذكر ذلك ويقول بأنه (نزيل)[1] ليوضح بأنه ليس من أهل البلد الأصليين وإنما نزلها وسكن فيها ، وأحياناً يشير الذهبي إلى بلدان العلماء بعد ذكره لألقابهم العلمية مثل عالم اليمن ، أو عالم الديار المصرية ، أو مفتي أهل المدينة ، أو شيخ واسط ، أو عالم أهل الشام [2].

أما ابن الجوزي فإنه لا يلم ببلدان العلماء والأماكن التي نزلوها مثل الذهبي وإنما يشير إلى ذلك أحيانا ، ويهمل أحيانا أخرى [3]، ومنهجه في ذلك قريب من الذهبي فهو يذكر اسم العالم ثم في نهايته يشير إلى بلده بقوله " البصري "[4] أو " الكوفي "[5] أو "اليماني "[6] وأحيانا يقول " كوفي الأصل "[7] و " فارسي الأصل "[8] للدلالة على أنه سكن بلدا آخر مثل قوله " القاسم بن مخيمرة الهمداني كوفي الأصل ثم نزل الشام"[9] و " معمر بن راشد البصري سكن اليمن " [10].

٥- الأوصاف الجسمانية :

قليلاً ما يشير الذهبي وابن الجوزي إلى الأوصاف التي خلق الله العلماء عليها ، مثل القامة أو الهيئة أو اللون وغير ذلك ، فقد كانا يخصان بذلك العلماء الكبار مثل عطاء بن أبي رباح الذي وصف بأنه أعور أفطس أشل أعرج أسود [11]، ومثل أبي

---

(١) مثل القاسم بن مخيمرة الكوفي نزيل دمشق ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني نزيل الشام ، ومعمر بن راشد البصري نزيل اليمن ، وابراهيم بن أدهم الخراساني نزيل الشام { الذهبي : السير ج٥ ص٢٠١،٣٢٦ ، ج٧ ص٥،٣٨٧ } .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٤٥٧ ، ج٥ ص٣٨،٤٤١ ، ج٧ ص١٠٧ ، ج٨ ص١٣٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ الصفحات التالية ٩٤،١٢٠،١٨١،١٨٤،١٩٦،٢٢٦،٢٧٤،٢٩١ وفيها أسماء العلماء الذين لم يذكر ابن الجوزي بلدانهم أو أماكن سكنهم .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧١ .

(٥) المصدر نفسه ج٨ ص٢٨٠ .

(٦) المصدر نفسه ج٧ ص١١٥ .

(٧) المصدر نفسه ج٨ ص٣٤٦ .

(٨) المصدر نفسه ج٨ ص٢٨٠ .

(٩) المصدر نفسه ج٧ ص٥١ .

(١٠) المصدر نفسه ج٨ ص١٧١ .

(١١) الذهبي : السير ج٥ ص٨٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٥ .

حنيفة الذي وصف بأنه ربعة من الرجال جميل الوجه تعلوه سمرة ، حسن الثياب [١]، وكذلك الإمام مالك وصف بأنه " من أحسن الناس وجهاً وأجلاهم عيناً وأنقاهم بياضاً وأتمهم طولاً في جودة بدن "[٢] وكان " جسيماً عظيم الهامة ، أشقر ، ابيض الرأس واللحية ، عظيم اللحية ، أصلع " [٣].

وأحياناً نجد الذهبي يذكر بعض صفات العلماء الأقل مكانة فيقول عن عبدالله بن أبي نجيح أنه كان " جميلاً فصيحاً حسن الوجه " [٤]مما يدل على احتمال أن ذكر الذهبي لأوصاف العلماء الجسمية كان بناءاً على ما توفر لديه من معلوماتهم عن ذلك .

٦- الزوجة والأولاد :

لا يهتم الذهبي كثيراً بذكر زوجات العلماء وأولادهم بشكل مباشر كأن يقول عن أحدهم وله من الأولاد فلان وفلان ، وأمهم فلانة ، وإنما يذكر ذلك أحياناً بشكل غير مباشر مثل قوله " روى عنه ابنه عبدالله "[٥] أو " حدث عنه ولده عبدالله "[٦] "وروى عنه شعيب بن الليث ولده "[٧] وهو بهذا لا يعطينا رقماً واضحاً عن عدد الأولاد .

أما الزوجات فهو يذكر أحياناً أنسابهن ومثال ذلك إشارته إلى زوجة سعيد بن المسيب بقوله " وجل روايته المسندة عن أبي هريرة كان زوج ابنته "[٨] وإشارته لزوجة عكرمة بقوله " تزوج عكرمة أم سعيد بن جبير"[٩] أما الإشارة إلى عدد الزوجات فقد كان يوردها الذهبي في الحالات الخاصة والعجيبة مثل قوله عن حماد بن سلمة " تزوج

---

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٣٩٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٢٩ .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ج٨ ص٦٩ .

(٤) المصدر نفسه ج٦ ص١٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ج٦ ص٢٧ .

(٦) المصدر نفسه ج٧ ص١٧٧ .

(٧) المصدر نفسه ج٨ ص١٣٨ .

(٨) المصدر نفسه ج٤ ص٢٢٤ .

(٩) المصدر نفسه ج٥ ص١٦ .

سبعين امرأة ولم يولد له ولد "[1] أما أمهات العلماء فهو يذكر أسماءهن في بعض الأحيان وبخاصة أمهات العلماء الموالي المشهورين أو الذين هم عرب وأمهاتهم من الموالي ، ومن أمثلة ذلك قوله عن محمد بن سيرين " وبلغني أن اسم أمه صفية ، مولاة لأبي بكر الصديق"[2] وقوله عن علي بن الحسين " وأمه أم ولد اسمها سلامة سلافة بنت ملك الفرس يزدجرد ، وقيل غزالة "[3].

أما ابن الجوزي فإنه لا يختلف عن الذهبي كثيرا ، فهو يذكر أولاد بعض العلماء وبشكل غير مباشر[4]،وكذلك الزوجات [5]،وكذلك يورد أسماء أمهات بعض العلماء[6].

٧- العمل :

كان الذهبي وابن الجوزي يهتمان بذكر/التي كان يمارسها العلماء ، كالأعمال الإدارية والتجارية والحرفية وغيرها ومن أمثلة ذلك عبارة "النجاري المدني القاضي" [7] أو عبارة "وولاة القضاء" [8] و "شريك بن عبدالله العلامة الحافظ القاضي" [9] و"ولي خراج الجزيرة وقضاءها " [10]و " استعمله على خراج الجزيرة " [11] و " أمير المدينة "[12] أو

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٤٥١ .

(٢) المصدر نفسه : ج٤ ص٦٢٢ .

(٣) المصدر نفسه : ج٤ ص٣٨٦ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٣٥ ، ج٧ ص١٨٤،٢٠٦ . وأحيانا يذكر الحالات القريبة مثل " وولد له ثلاثون ولد " أو " ورزق مائة ولد " { ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٠٥ ج٧ ص١٣٩ } .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢١ .

(٦) المصدر نفسه : ج٦ ص٣٢٦ ، ج٧ ص١٣٩ .

(٧) الذهبي : السير ج٥ ص٤٦٨ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٤٣ .

(٩) الذهبي : السير ج٨ ص٢٠٠ .

(١٠) المصدر نفسه : ج٥ ص٧٣ .

(١١) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٨٥ .

(١٢) الذهبي : السير ج٥ ص٣١٤ .

" ولاه إمرة المدينة " [1] أما التجارة فيشيرا إلى اشتغال كثير من العلماء بها وأمثلة ذلك ورود العبارات التالية عندهما " التاجر " [2] أو " فرأيته يتجر في الزيت " [3] وكذلك يشيران إلى اشتغال بعض العلماء بالحرف وذلك في نهاية ذكر الاسم أو داخل الترجمة مثل قول الذهبي[4] " النجار " وقوله عن داود أبي هند " كان صالحاً ثقة خياطاً " [5] وقول ابن الجوزي[6] " محمد بن سوقه أبو بكر البزاز " وقوله عن داود بن أبي هند " كان خزازاً"[7] وهكذا غير أن الذهبي يشير إلى اشتغال العلماء بالحرف والتجارة سواء في بداية الترجمة أم داخلها أكثر من ابن الجوزي.

٨- المظاهر العامة :

وفي هذا المجال نجد أن الذهبي أكثر اهتماماً من ابن الجوزي فهو مثلا يتحدث عن بعض ملابس العلماء وزينتهم في صفحة قائمة بذاتها من صفحات الترجمة [8]، وأحيانا بأسطر متتابعة [9]، وفي أحيان نادرة يفرد عناوين خاصة مثل قوله عن سعيد بن المسيب " ذكر لباسه "[10] ويتحدث الذهبي كثيراً في أماكن متفرقة من تراجم العلماء عن الطعام والشراب والمنازل والأثاث ووسيلة التنقل وغيرها من المظاهر الأخرى الهامة في حياة العلماء كحِلق العلم والرّحلة في طلبه والاجتهاد وفي العبادة .

ومنهج الذهبي في ذلك يعتمد – على ما يبدو – على ذكر النموذج الأعلى والأدنى فيما يخص الجوانب المادية ، والنموذج الأعلى فقط فيما يخص الجوانب

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٥٧ ص٢٠٦ .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص٣٧٩ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧ .

(٤) السير ج٦ ص١٧٣،١٧٤.

(٥) المصدر نفسه ج٦ ص٣٧٧ .

(٦) المنتظم ج٧ ص٢٨٢ .

(٧) المصدر نفسه ج٨ ص٢٥ .

(٨) الذهبي : السير ج٤ ص١٢٦ .

(٩) المصدر نفسه ج٤ ص٣٩٧،٣٩٨ .

(١٠) المصدر نفسه ج٤ ص٢٤٢ .

العلمية والتعبدية ، فمثلاً في مجال الطعام يذْكُر من كانوا يأكلون الفالوذج واللحم [1] وهو نموذج أعلى، وبالمقابل يذكر من كان إدامهم الملح والخل والزيت [2] وهو نموذج أدنى ، ويذكر من كانوا يسكنون القصور والدور الحسنة [3] ومن كـــانوا يســكنون مساكن تشبه الخيام [4]، أما الجوانب العلمية والتعبدية فيذكر مثلاً من كان يسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد [5] ، ومن كان يستمر في تعليم النـــاس ٤٠ ســنة متواصلة في المسجد [6]، ومن كان يصلي الفجر بوضوء العشـــاء لمـدة ٢٠ ســنة[7] وبعضهم ٤٠ سنة [8].

أما ابن الجوزي فهو يشير إلى بعض هذه المظاهر[9] في حيـــاة العلمـــاء ولكـــن باختصار وفي أماكن متفرقة من الترجمة ونتيجة لذلك فقد رجعنا عند الكتابة عن هـــذه المظاهر إلى مصادر أخرى لنستكمل عن طريقها المعلومات التي لم تذكـــر عنـــد ابـــن الجوزي بالدرجة الأولى والذهبي بالدرجة الثانية ، هذا ومن الملاحظ أن كتابة الذهـــبي وابن الجوزي عن المظاهر العامة في حياة العلماء لم تكن شاملة لكل التراجم ، وإنما كان ذلك يتوقف على طبيعة العالم المترجم له وشهرته وظروف حياته ، وهذا يختلف مـــن شخص لآخر .

٩- الصفات الخُلقية والنفسية :

ركز الـــذهبي وابن الجـــوزي كثيراً على ذكر الصفـــات الخُلقيـــة والنفســـية للعلمـــاء وذلك لما لها من أهميـــة وأثر طيب في حياة الناس ، ومن أهم الصفات التي

---

(1) الذهبي : السير ج٨ ص٤٠٩، ٤١٠ ، ج٤ ص٥٧٧ .

(2) المصدر نفسه ج٥ ص٣٦٤ ، ج٤ ص٤٦٠، ٤٦٣ .

(3) المصدر نفسه ج٤ ص٤٢٧ ، ج٨ ص١٣٣ .

(4) المصدر نفسه ج٤ ص١٦٥ ، ج٧ ص٤٣٠ .

(5) المصدر نفسه ج٤ ص٢٢٢ .

(6) المصدر نفسه ج٤ ص٢٦٨ .

(7) المصدر نفسه ج٤ ص٥٤٧ .

(8) المصدر نفسه ج٦ ص١٩٧ .

(9) ابـــن الجـــوزي : المنتظـــم ج٦ ص٢٥٤، ٣٠٠ ، ج٧ ص٥٢، ١١٤، ١١٥، ١٢١، ١٦٧، ٢٨٠ ، ج٨ ص٤١، ٤٢، ١٥٣، ٣٠٢ ، ج٩ ص٤٢، ٤٣ .

اعتنى المؤلفان بذكرها ، الإخلاص[1] والصدق[2] ،والأمانة[3] ، والتواضع[4] ، والشجاعة في قول الحق[5] ، والإيثار[6] ، والكرم[7] ، ومساعدة المحتاجين[8] ، وقضاء الحوائج [9] ، والبشاشة والمزاح والضحك [10] .

أما منهجهما في ذلك فهو يعتمد على نقل وذكر الأخبار والمواقف والقصص والأقوال التي تدل على توفر مثل هذه الصفات في العلماء ، وفي الوقت نفسه لم ينس المؤلفان أن يشيرا إلى وجود بعض الصفات غير الحسنة عند بعض العلماء مثل الكبر أو الغرور[11] ، والحسد والتباغض[12] ، والتي لا يخلو منها أي مجتمع ، ثم إن ذكر هذه الصفات كانت قليلة في تراجم العلماء ونادرة إذا قورنت بالصفات الحسنة .

١٠- الوفاة والدفن :

وأخيراً فإن الذهبي وابن الجوزي كانا يشيران إلى تاريخ وفاة العلماء أحياناً باليوم

---

(١) يذكر الذهبي وابن الجوزي أن بعض العلماء كانوا يخفون أعمالهم عن الناس مثل الصيام والصدقة { الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٣،٣٩٤ ، ج٦ ص١١٧،٣٧٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٣٠ ، ج٨ ص٢٥،٩٩ } .

(٢) مثل موقف سعيد بن جبير مع الحجاج { الذهبي : السير ج٤ ص٣٢٨ } .

(٣) هناك أمثلة كثيرة يذكرها الذهبي وابن الجوزي حول أمانة العلماء في كثير من مواقف الحياة من أمثلة ذلك أنظر { الذهبي : السير ج٤ ص٦١٣،٦٢٠ ، ج٦ ص٢٨٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٣٩ ، ج٨ ص٢٦،٩٩ } .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٥٣٤ ، ج٦ ص١٤٢ ، ج٧ ص١٤١،٢٧٥ .

(٥) المصدر نفسه : ج٧ ص١٤٣،١٤٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٣٢-٢٣٤ .

(٦) الذهبي : السير ج٥ ص٦٢،٣١٦ ، ج٧ ص٢١١،٣٤٣،٤١٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٠٦ .

(٧) الذهبي:السير ج٥ ص٣٣٥،٣٥٦،ج٦ ص٢٦٢،ج٨ ص١٥٠،٣٨٦،٤٠٩–ابن الجوزي:المنتظم ج٧ ص٢٣٥

(٨) الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٨ ، ج٦ ص١٣٥ ، ج٧ ص٢٢٨ ، ج٨ ص١٥٨،٣٨٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٢ ، ج٩ ص٦٢ .

(٩) الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٤ ، ج٦ ص٤٠٠ ، ج٧ ص٢٠٩ ، ج٨ ص١٤٩،٣٨٦،٣٨٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٣٠،٣٢٨ ، ج٨ ص٣٠٠ ، ج٩ ص١٤ .

(١٠) الذهبي : السير ج٦ ص١٧ ، ج٤ ص١٠٥،٣١١،٣١٢،٦٠٨ ، ج٦ ص٢٧٣-٢٣٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٤،١١٣،١١٤ .

(١١) الذهبي : السير ج٨ ص١٢٣ .

(١٢) المصدر نفسه ج٥ ص٤٤٧ ، ج٦ ص٩١ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٤ .

والشهر والسنة [١] وأحياناً بالشهر والسنة [٢] وأحياناً بالسنة فقط [٣] ، ومنهج ابن الجوزي واضح فتراجمه مرتبة بحسب الوفيات في كل سنة ، فهو يقول في نهاية كل ترجمة "توفي في هذه السنة " .

أما الذهبي فمنهجه يقوم على ذكر تاريخ الوفاة في نهاية ترجمة العالم وأحيانا في أثناء الترجمة .

ونجد المؤلفين في بعض الأحيان يشيران إلى ذكر من صلى على المتوفى من الأمراء و الخلفاء مثل " وصلى عليه هشام بن عبدالملك " [٤] أو " وصلى عليه أبو جعفر المنصور " [٥] كما يذكر المؤلفان في بعض الأحيان المكان الذي تم فيه الدفن مثل " ودفن في البقيع " [٦] " ودفن في مقابر الشّونيزيّة"[٧] "ودفن في مقابر قريش "[٨] أما الأمر الهام الذي كان المؤلفان يركزان عليه عند موت العلماء فهو وصفهم لحالة الناس وحزنهم وتأثرهم وخروجهم في أعداد كبيرة مثل " وأجفل الناس في جنازته "[٩] و " لما مات غلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا بجنازته "[١٠] ، و " كانت جنازته مشهودة "[١١] و " رأيت الناس كلهم عليهم الحزن وهم يعزي بعضهم بعضا ويبكون"[١٢].

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص٤١٩ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٣٨ .

(٢) الذهبي : السير ج٧ ص١٧٣ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٥ .

(٣) الذهبي : السير ج٧ ص١٤٨ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٩٤،٩٥ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٥ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٥ .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٤٦ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠١ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٥ .

(٧) الذهبي : السير ج٦ ص٢٧٤ . والشُّونيزيّة : مقبرة ببغداد بالجانب الغربي دُفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين { ياقوت : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم البلدان ج٣ ص٣٧٤ ، دار صادر ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

(٨) ابن الجوزي : ج٨ ص٢٧٦ .

(٩) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٣ — واجفل الناس : أي انقلعوا كلهم فمضوا .

(١٠) الذهبي : السير ج٦ ص٢٥٠ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠٠ .

(١١) الذهبي : السير ج٤ ص٥٨٧ .

(١٢) المصدر نفسه ج٨ ص١٦٢ .

وأخيراً فهناك بعض نقاط الخلاف بين منهج الذهبي وابن الجوزي في الكتابة عن العلماء ، نذكرها هنا لأهميتها وتتمثل فيما يلي :

١- طول الترجمة وقصرها :

جاءت تراجم العلماء عند الذهبي طويلة يصل البعض منها إلى ست وثمانين صفحة ولكنها عند ابن الجوزي قصيرة بحيث لا يتعدى بعضها ثماني صفحات ونمثل لذلك بالجدول التالي :

الاسم	الذهبي (السير)		ابن الجوزي (المنتظم)	
	عدد الصفحات	الجزء والصفحة	عدد الصفحات	الجزء والصفحة
الأمام مالك	٨٦	ج٨ ص٤٨-١٣٤	٤	ج٩ ص٤٢-٤٥
عبدالله بن المبارك	٤٣	ج٨ ص٣٧٨-٤٢١	٦	ج٩ ص٥٨-٦٣
عمر بن عبدالعزيز	٣٤	ج٥ ص١١٤-١٤٨	٤	٤ ج٧ ص٦٩-٧٢
سعيد بن المسيب	٢٩	ج٤ ص٢١٧-٢٤٦	٨	٨ ج٦ ص٣١٩-٣٢٦
الحسن البصري	٢٥	ج٤ ص٥٦٣-٥٨٨	٣	٣ ج٧ ص١٣٦-١٣٨
الزهـري	٢٤	ج٥ ص٣٢٦-٣٥٠	٥	٥ ج٧ ص٢٣١-٢٣٥
عكرمة مولى ابن عباس	٢٤	ج٥ ص١٢-٣٦	١	١ ج٧ ص١٠٢
عروة بن الزبير	١٦	ج٤ ص٤٢١-٤٣٧	٢	٢ ج٦ ص٣٣٣-٣٣٤
علي بن الحسين	١٥	ج٤ ص٣٨٦-٤٠١	٨	٨ ج٦ ص٣٢٦-٣٣٣
طاووس بن كيسان	١١	ج٥ ص٣٨-٤٩	١	١ ج٧ ص١٥٥
عطاء بن أبي رباح	١٠	ج٥ ص٧٨-٨٨	٤	٤ ج٧ ص١٦٥-١٦٨
.عَبْدة بن أبي لبابه	١	ج٥ ص٢٢٩-٢٣٠	سطر	ج٧ ص١٨١

ومن خلال الجدول يتضح لنا أن الذهبي متوسع في الحديث عن العلماء أكثر بكثير من ابن الجوزي ،حتى إنه أحياناً يدخل في أدق التفاصيل عن حياة العلماء سواء داخل البيت أو خارجه ، ولهذا السبب فقد جعلنا كتابه (السير) المصدر الأول للدراسة .

٢- الاهتمام بسند الرواية :

وفي هذا المجال نجد ابن الجوزي يهتم كثيراً بإيراد سند الرواية مطولاً أو كاملاً،

فيسندها بنفسه مثل قوله " أخبرنا " [١] أو " أنبأنـــا " [٢] وإلى أن يصـــل إلى أول راوٍ للخبر أو الرواية ، أو إلى صاحب الرواية نفسه ، بينما الذهبي لا يهتم بذلك كثيرا فهو أحيانا يسند الرواية بنفسه مثل قوله " أخبرنا "[٣] – ولكن هذا في رواية الحديث – أما في غيره فيقول أحيانا " أنبئت " [٤] ولكنه لا يصل إلى أول راوٍ للرواية ، وأما ما عـــدا ذلك من الروايات والأخبار فإنه يبدأ سندها بمؤلف معروف مثل قوله " قال الواقدي " [٥] أو " قال ابن سعد في الطبقات[٦] " أو يبدأها برواة الحديث والعلماء مثل قولـــه " الثوري : عن يحي بن سعيد " [٧] أو " حماد بن سلمة : عن علي بن زيد " [٨] ، ويمكننا أن ندلل على ذلك بمثال واحد ، وهو خبر تزويج سعيد بن المسيب ابنته بدرهمـــين أو بثلاثة [٩]، فالذهبي[١٠] يروي الخبر بقوله " قال أبو بكر بن أبي داود ، حدثـــني .." إلى أن يصل إلى صاحب الرواية نفسه ، وبالرجوع إلى الرواية اتضح أن الذهبي لم يســمع الرواية بنفسه ثم يسندها ، ويتضح أيضا أن عدد الرواة بين آخر راوٍ وهـــو أبوبكـــر وأول راوٍ وهو صاحب الرواية نفسه أربعة رواه ، أما ابن الجوزي[١١] فإنه يروي الخـبر بنفسه فيقول : " أخبرنا المحمدان : ابن ناصر ، وابن عبدالباقي ، قالا : أخبرنـــا ... " إلى أن يصل إلى صاحب الرواية نفسه ، وبالرجوع إلى الرواية اتضح أن عدد الـــرواة بين ابن الجوزي نفسه وهو آخر راوٍ وبين أول راوٍ وهو صاحب الرواية نفسه تســـعة رواة ، ومن هنا يتضح لنا أن ابن الجوزي يهتم بسند الروايات أكثر من الذهبي ، وربما

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٣٢٥ .
(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٢١٩ .
(٤) المصدر نفسه ج٤ ص٢٣٣ .
(٥) المصدر نفسه ج٤ ص٢٣٥ .
(٦) المصدر نفسه ج٤ ص٢٤٢ .
(٧) المصدر نفسه ج٤ ص٢٣٩ .
(٨) المصدر نفسه ج٤ ص٢٤٠ .
(٩) المصدر نفسه ج٤ ص٢٣٣،٢٣٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٤،٣٢٥ .
(١٠) السير ج٤ ص٢٣٣ .
(١١) المنتظم ج٦ ص٣٢٤ .

كان السبب في ذلك هو قرب ابن الجوزي زمنياً من فترة الدراسة (٥٠ – ١٥٠هـ)، وهذا الأمر – وهو اهتمام ابن الجوزي بالسند – يجعل من روايات ابن الجوزي أكثر صحة من غيرها خاصة إذا ما عُرِضَ الرواة فيها على علماء الجرح والتعديل المختصين بمعرفة صدق رواة الحديث من كذبهم ، وهذا الأمر سهل ممكن ؛ لأن معظم من تحدثوا عن أخبار العلماء هم من العلماء أنفسهم أو المحدثين .

وعليه فإن اعتماد ابن الجوزي هذا المنهج كان واحداً من أهم الأسباب التي جعلتنا نعتمد عليه في دراستنا للحياة الاجتماعية للعلماء بالدرجة الثانية بعد الذهبي .

٣– نقد الروايات :

يهتم الذهبي بنقد الروايات والأخبار التي وردت عن العلماء أكثر من ابن الجوزي ، وخاصة الروايات الغريبة والمبالغ فيها مثل رواية " تزويج سعيد بن المسيب ابنته من تلميذه عبدالله بن أبي وداعه "[1] قال عنها الذهبي[2] " تفرد بالحكاية أحمد بن عبدالرحمن بن وهب وعلى ضعفه قد احتج به مسلم " ، بينما ابن الجوزي لم يعلق على الرواية أو ينتقدها. وكذلك قصة فروخ والد العالم ربيعة بن أبي عبدالرحمن وملخصها أن فروخ خرج للغزو وربيعة جنين في بطن أمه وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار ، ثم قدم المدينة بعد سبعٍ وعشرين سنة ، وكانت أم ربيعة قد أنفقت الثلاثين الألف كلها على ربيعة [3]، هذه الرواية انتقدها الذهبي بقوله : " ذكر حكاية باطلة قد رويت " [4] ثم ذكر الرواية بتفاصيلها كما ذكرها ابن الجوزي[5]،وقال في النهاية : " لو صح ذلك لكان يكفيه ألف دينار في السبع والعشرين سنة ، بل نصفها، فهذه مجازفة بعيدة ، ثم لما كان ربيعة ابن سبع وعشرين سنة ، كان شاباً لا حلقة له ، بل الدّسّت لمثل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ومشايخ ربيعة . وكان مالك لم

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٢٣٣،٢٣٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٤،٣٢٥ .

(٢) السير ج٤ ص٢٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ج٦ ص٩٣،٩٤ .

(٤) المصدر نفسه ج٦ ص٩٣ .

(٥) المنتظم ج٧ ص٣٤٩،٣٥٠ .

يولد بعد أو هو رضيع والرواية إسنادها منقطع ، ولعله قد جرى بعض ذلك "[1] هذا ما قاله الذهبي عن الرواية بينما ابن الجوزي لم ينتقدها بشيء وهذا يؤكد لنا أن الذهبي أكثر تمكناً من ابن الجوزي فيما يسمى بمنهج النقد في البحث العلمي ، وهذا ليس غريباً على الذهبي الذي اشتهر بالجرح والتعديل لرجال الحديث ، أما ابن الجوزي فربما كان اعتماده على سند الرواية الطويل شفيعاً له في عدم نقده لها ، ثم إن الذهبي وإن كان قد قال في بداية الرواية ذكر حكاية باطلة إلا أنه قال في نهاية نقده لها ولعله قد جرى بعض ذلك .

٤- الانفراد بذكر بعض الروايات والتراجم :

من الطبيعي أن الذهبي قد انفرد بذكر كثير من الروايات والتراجم التي لم يذكرها ابن الجوزي ، وهذا يعود إلى توسعه الواضح في تراجم العلماء كما أوضحنا ذلك آنفا ، ومع ذلك فإن ابن الجوزي أيضا قد انفرد بذكر بعض الروايات[2] وأحيانا بعض التراجم[3] التي لم ترد عند الذهبي،مما يجعل لرواياته وتراجمه أهمية لا تقل عن روايات وتراجم الذهبي خاصة وأن ابن الجوزي أقدم وفاة من الذهبي ، ولذلك فقد نقل الذهبي من المنتظم بعض المعلومات أو النصوص سواء في كتابه السير أو غيره .[4] وهذا ما جعلنا نعتمد على ابن الجوزي كمصدر ثانٍ للدراسة بعد الذهبي .

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٩٤،٩٥ .

(٢) ومثال ذلك بعض الروايات التي أوردها ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وعبدالله بن المبارك { المنتظم ج٦ ص٣٢٣ ، ج٧ ص١٦٧،١٦٨ ، ج٩ ص٦٠،٦١،٦٢ } نجد أنها لم ترد عند الذهبي في تراجم هؤلاء العلماء أنفسهم { السير ج٤ ص٢١٧-٢٤٦ ، ج٥ ص٧٨-٨٨ ، ج٨ ص٣٧٨-٤٢١ } .

(٣) مثل التراجم التالية : عبدالرحمن بن حجيرة { ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٥٢ } وجعيل بن ماعان بن عمير { ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٠ }وخير بن نعيم بن مرة ، والحسن بن عمارة بن المضرب ، وعثمان بن الحكم الجذامي ، وغوث بن سليمان بن زياد ومندل بن علي ، وعبدالله بن عبدالله بن أويس {ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧ ، ١٦٩، ٢٦٧ ، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣١٤ }

(٤) الحكيم : المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه ص٥٦٢،٥٦٣ .

الأوضاع السياسية للفترة بين ٥٠ و ١٥٠هـ :

تعد هذه الفترة الواقعة بين ٥٠ و ١٥٠هـ من الفترات التي شهدت أحداثا جساما حيث قامت فيها ثلاث دول (الدولة الأموية .. الدولة الزبيرية .. الدولة العباسية) كما ظهرت فيها فرق وقامت فيهل ثورات فهي حقبة مزحومة بالأحداث.

وقد تعاقب على الحكم في هذه الفترة ستة عشر خليفة منهم ثلاثة عشر خليفة من البيت الأموي ، وابن الزبير ، واثنان من البيت العباسي ، وعليه فيمكننا أن نقسم هذه الفترة إلى خمس مراحل وذلك على النحو التالي :

المرحلة الأولى : عهد الإنشاء والاستقرار	من ٥٠ – ٦٠ هـ .
المرحلة الثانية : مرحلة اضطراب وقيام خليفتين	من ٦٠ – ٧٣ هـ .
المرحلة الثالثة : عهد الاستقرار والفتوحات	من ٧٣ – ١٢٥هـ .
المرحلة الرابعة : فترة الاضطراب والسقوط	من ١٢٥ – ١٣٢هـ .
المرحلة الخامسة : قيام الدولة العباسية	من ١٣٢ – ١٥٠هـ .

المرحلة الأولى : من ٥٠ – ٦٠هـ .

ساد – في هذه الفترة – الهدوء والاستقرار في المجتمع الإسلامي ، بعد تلك الفتنة التي كادت أن تأتي على الأخضر واليابس لولا رحمة الله سبحانه وتعالى وعنايته ، ففي العام الواحد والأربعين للهجرة تم الصلح وتنازل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه [(١)] وسمى هذا العام بعام الجماعة [(٢)]، ومنذ ذلك الحين انصرف كل فرد في الأمة ليقوم بواجبه ، فاستأنفت الفتوحات الإسلامية من جديد ، مثل الفتوح في شمال أفريقيا [(٣)] ومحاولة فتح القسطنطينية ، ومن جهة أخرى تفرغ الخليفة معاوية لتنظيم شؤون الدولة ، فنظم

---

(١) السيوطي : أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء ص١٦١، دراسة وتحقيق/مصطفى عبدالقادر عطا ، ط الثالثة ١٩٩٨م ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت لبنان .

(٢) المصدر نفسه ص ١٦١ .

(٣) خليفة : خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط ص٢١٠، تحقيق د/أكرم ضياء العمري ، ط الثانية ١٩٨٥م ، دار طيبة الرياض .

الدواوين[1] ووضع البريد [2] لنقل الرسائل من عاصمة الخلافة وإلى الأمصار وكذا إلى الدول المجاورة للدولة الإسلامية وإليها، وهكذا عاش المسلمون هذه الفترة من تاريخ الإسلام في هدوء واستقرار.

المرحلة الثانية : فترة اضطراب وقيام خليفتين من ٦٠- ٧٣هـ .

في سنة ٦٠هـ بويع يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه ، غير أن اثنين من كبار أبناء الصحابة وهما الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما لقد رفضا مبايعة يزيد[3]وخرج ابن الزبير من المدينة إلى مكة ، وقد ترتب على ذلك أن دخلت الأمة الإسلامية في فتن كبيرة ، فقد قتل الحسين بن علي بن أبي طالب في سنة ٦١هـ[4] ثم كانت وقعة الحرة في المدينة في سنة ٦٣هـ وقتل فيها كثير من أبناء الصحابة والتابعين[5]، أما عبدالله بن الزبير فقد أرسل إليه يزيد يطلب منه البيعة فرفض[6]وتحصن بالكعبة من الجيش الذي جاء من المدينة بعد وقعة الحرة .

لم تدم خلافة يزيد طويلا فقد توفي في سنة ٦٤هـ[7] فبويع ولده معاوية في الشام وبويع عبدالله بن الزبير في الحجاز[8] بعد أن دعا إلى البيعة لنفسه وقد كان قبل ذلك لا يدعو لنفسه ، وقد دخل في طاعة عبدالله بن الزبير الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، ولم يبق خارجا عن طاعته إلا الشام ومصر فإنه بويع بهما لمعاوية بن يزيد فلما مات – أي معاوية – أطاع أهلها ابن الزبير وبايعوه[9] .

---

(١) تمثل ديوان الخاتم الذي أسسه معاوية { الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك ج٥ ص٣٣٠، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الرابعة ، دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) – السيوطي:تاريخ الخلفاء ص ١٦٥}.

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٦٥ .

(٣) خليفة : تاريخ خليفة ص٢٣٢،٢٣٣ .

(٤) المصدر نفسه ص٢٣٤ .

(٥) المصدر نفسه ص٢٣٦ – ٢٥٠ .

(٦) المصدر نفسه ص٢٥١ .

(٧) المصدر نفسه ص٢٥٣ .

(٨) الطبري : التاريخ ج٥ ص٥٠١ .

(٩) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص١٧٥،١٧٦ .

وقد كانت بيعة عبدالله بن الزبير في شهر رجب من السنة الرابعة والستين للهجرة[١] .

وبعد موت معاوية بن يزيد بثلاثة أشهر تقريباً بويع مروان بن الحكم وذلك في النصف من ذي القعدة سنة ٦٤هـ[٢] أي بعد بيعة ابن الزبير بأربعة أشهر فقد أورد السيوطي قولاً للذهبي وهو : " أن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين بل هو باغٍ خارج على ابن الزبير ، ولا عهده إلى ابنه صحيح – أي ابنه عبدالملك – وإنما صحت خلافة عبدالملك من حين قتل ابن الزبير "[٣] .

بعد ذلك توالت المعارك بين مروان بن الحكم وأنصار ابن الزبير حيث استطاع مروان أن يبسط نفوذه على الشام بعد انتصاره في موقعة مرج راهط ، ثم استولى بعد ذلك على مصر وترك ابنه عبدالعزيز والياً عليها ، ثم رجع إلى الشام حيث توفي هناك بعد أن استخلف ابنه عبدالملك .

وباستخلاف عبدالملك بن مروان كانت الأمة قد وصلت إلى حد كبير من الانقسام، فابن الزبير له دولته في الحجاز والعراق ، والخوارج الأزارقة في الأهواز ، والخوارج النجدات في اليمامة واليمن وحضرموت بل وصل نفوذهم إلى الطائف ، والمختار بن أبي عبيد الثقفي بعد ذلك في العراق[٤]، وهكذا دار الصراع بين هذه القوى ، بين قوات عبدالملك والمختار من جهة حيث انتصر المختار ، ثم بين مصعب بن الزبير والمختار وانتصر مصعب ، ثم بعد ذلك توجه عبدالملك لحرب مصعب بن الزبير في العراق وقضى عليه سنة ٧٢هـ[٥] ، ثم أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى مكة لمحاربة ابن الزبير، فكان حصار الكعبة ورميها بالمنجنيق ،ثم قتل عبدالله بن الزبير سنة

---

(١) خليفة : تاريخ خليفة ص٢٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ص٢٥٣ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص١٧٦ .

(٤) عبدالشافي : د / عبدالشافي محمد عبداللطيف ، العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية ص١٤٨ ، ط الثانية ١٩٩٣م (بدون مكان الطبع ودار النشر) .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص٢٦٧،٢٦٨ .

٧٣هـ[١]، ثم أرسل عبدالملك المهلب بن أبي صفرة للقضاء على الخوارج[٢] ، وهكذا استطاع عبدالملك بن مروان أن يخرج من هذا الصراع منتصراً ليصبح بعد ذلك الخليفة الشرعي ومن حينها تدخل الأمة في مرحلة جديدة .

المرحلة الثالثة : عهد الاستقرار والفتوحات من ٧٣ - ١٢٥هـ .

هذه الفترة تعاقب فيها على الخلافة عبدالملك بن مروان وأولاده الأربعة [٣] إضافة إلى عمر بن عبدالعزيز ، وقد تميزت هذه الفترة عن الفترات السابقة بمميزات كثيرة تتمثل فيما يلي :

١- طولها وخلوها من المشاكل والأحداث الكبيرة حيث عمّ الهدوء والاستقرار ربوع الدولة الإسلامية ، اللهم إلا من بعض الأحداث التي كانت تظهر بين فترة وأخرى ثم تنتهي ، مثل ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث أيام الوليد بن عبدالملك ، وكانت فيها وقائع كثيرة بين الحجاج وابن الأشعث أشهرها وقعة دير الجماجم التي انتهت بهزيمة ابن الأشعث ، وكذلك خروج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبدالملك وانتهى الأمر بمقتل يزيد بن المهلب ، وغير ذلك من الأحداث الصغيرة التي كان وراءها الخوارج وغيرهم .

٢- توسعت الدولة الإسلامية في هذه الفترة توسعاً كبيراً لم تشهده من قبل نتيجةً للفتوحات الكبرى في الشرق والغرب ، فقد فتحت السند والهند وفتحت الأندلس لتصبح بعد ذلك جزءاً من الدولة الإسلامية .

٣- شهدت هذه الفترة تطوراً كبيراً في الجوانب الحضارية كالجانب الاقتصادي والعلمي والاجتماعي وغير ذلك ، ويمكن أن نستشهد على ذلك ببعض الأمثلة ، ففي المجال الاقتصادي تحررت الدولة الإسلامية ولأول مرة من التبعية في مجال العملة وتم ضرب الدنانير الإسلامية التي كتب عليها القرآن[٤] - أي بعض آيات منه - وذلك في

---

(١) خليفة : تاريخ خليفة ص٢٦٨،٢٦٩ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص١٦٥ .

(٣) وهم الوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك ثم يزيد بن عبدالملك وهشام بن عبدالملك ، وفيما بين خلافة سليمان وخلافة يزيد كانت خلافة عمر بن عبدالعزيز .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٨ - ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص١٤٧ .

أيام عبدالملك بن مروان ، كما فرضت مرتبات للأيتام والعجزة وكبار السن[1] مما يدل على وجود انتعاش اقتصادي كبير، ولذلك اتجه بعض الخلفاء في هذه الفترة إلى البناء ، خاصة بناء المساجد ، فبني المسجد الأموي بدمشق وتم توسعة المسجد النبوي في المدينة[2] أما التطور في المجال العلمي فيكفي للدلالة على ذلك أن هذه الفترة اشتهر فيها عدد كبير من الحفاظ والفقهاء والعلماء والمحدثين ، وهذا الأمر سوف تحدث عنه في الفصل الأول ، أما الجانب الاجتماعي فيكفي أن نشير إلى جزئية في هذا الجانب وهي أن الدولة قد فرضت مرتبات للمتسولين الضعفاء ثم حرمت عليهم التسول[3] .

٤- و تميزت هذه الفترة بأن الخلفاء الذين حكموا فيها - مقارنة بغيرهم ممن حكم قبلهم أو بعدهم باستثناء الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه - كانوا من أهل الصلاح والتقوى وبعضهم كان من العلماء ، فعبدالملك بن مروان كان من فقهاء المدينة[4] وفي عهده بدأت الفتوحات الكبيرة ، والوليد بن عبدالملك افتتح السند والهند والأندلس ، وكان يعطي قصاع الفضة لتقسم بين القراء[5]. أما سليمان بن عبدالملك فكان عادلا محبا للغزو وقد عزل عمال الحجاج وكان ينهى الناس عن الغناء ، ثم ختم عمره باستخلاف عمر بن عبدالعزيز[6] .

أما عمر بن عبدالعزيز فقد أتعب الخلفاء والعباد من بعده ويكفي ما قاله المؤرخون عنه فقد " كان من أئمة الاجتهاد والخلفاء الراشدين" [7] أما بالنسبة ليزيد بن عبدالملك فقد ذكر أنه كان يحضر مجالس العلماء[8] وذكر أنه قال بعد موت عمر بن عبدالعزيز : " والله ما عمر بأحوج إلى الله مني " فقام أربعين يوما يسير بسيرة عمر

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٣٤٨ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ص١٨٧ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص١٨٧ .

(٣) المصدر نفسه ص١٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ص١٨٠ .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٣٤٨ .

(٦) المصدر نفسه ج٥ ص٥١١ ، ٥١٢ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ص١٨٩ .

(٧) الذهبي : السير ج٥ ص١١٤ .

(٨) المصدر نفسه ج٥ ص١٥٠ .

بن عبدالعزيز ثم عدل عن ذلك[1] وآخر من حكم في هذه الفترة هشام بن عبد الملك وفي أيامه استمرت الفتوحات[2] وكان يكره الدماء[3] ومما يدل على صلاحه أنه كان لا يدخل بيت المال شئ حتى يشهد عليه أربعون رجلاً أنه أُخذ من حقه – أي لم يؤخذ حراماً – ويشهدون أيضاً بأن الناس قد أخذوا حقوقهم من ذلك المال[4] .

نتيجةً لما سبق يمكننا أن نسمي هذه المرحلة (المرحلة الذهبية وفيها الفترة العُمَرية قَبَس من الخلافة الراشدة) وذلك لكون الفترة التي قبلها والفترة التي بعدها فترتي فتن ومشاكل .

المرحلة الرابعة : فترة الاضطراب والسقوط من ١٢٥ – ١٣٢هـ .

في هذه الفترة دخلت الدولة الإسلامية في فتنة جديدة إذ تولى الخلافة الوليد بن يزيد بعد هشام بن عبدالملك ، ولم يستمر في الخلافة سوى فترة قصيرة (سنة وثلاثة أشهر) وقتل بعدها ، وقد اتفق الكثير من المؤرخين على أن سبب قتله ارتكابه لبعض المعاصي كشرب الخمر وغيرها[5] مما أدى إلى وقوف الناس ضده ومن ثم قتله ، وهذا الأمر يؤكد ما ذهبنا إليه سابقاً وهو أن الخلفاء قبل ذلك كانوا من أهل الصلاح بدليل أن الناس لم يصبروا على ما كان من الوليد فتعاونوا على قتله بالرغم من أنه زاد في أعطياتهم[6] فلما قتل – أي الوليد – بويع يزيد بن الوليد الملقب بيزيد الناقص لكونه نقص الجند من أعطياتهم[7] فلم يستمر هو الآخر سوى ستة أشهر ومات ،وقد قال السيوطي[8] عنه " قتل ابن عمه الوليد وتملك "، وبعد موت يزيد بويع إبراهيم بن

(١) الذهبي : السير ج٥ ص١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص١١٠ .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص٣٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ج٥ ص٣٥٢ .

(٥) خليفة : تاريخ خليفة ص٣٦٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٤٨،٢٤٩ – الذهبي : السير ج٥ ص٣٧٣ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢١٢ .

(٦) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢١٢ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٥٠ – السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢١٤ .

(٨) تاريخ الخلفاء ص٢١٤،٢١٥ .

الوليد بن عبدالملك بعهد من أخيه يزيد ، وقيل بغير عهد[1] فلم يمكث في الخلافة سوى سبعين ليلة وخُلِع بعدها ، بأن خرج عليه مروان بن محمد وبويع له بالخلافة فهرب إبراهيم ثم رجع وخلع نفسه وبايع مروان[2] ، ولم يكد مروان بن محمد الملقب بمروان الحمار يستقر ويمارس مهام الخلافة حتى كثر عليه الخارجون من كل ناحية ، وتوالت المعارك بينه وبينهم ، فلم يكن ينتهي من معركة إلا ودخل في أخرى[3] حتى وهنت قوته واستقوى عليه بنو العباس وكانت هزيمته في آخر معركة بقرب الموصل ثم فرّ إلى مصر فلحقوا به وقتلوه في قرية بوصير[4] .

المرحلة الخامسة : قيام الدولة العباسية وإنشاؤها من ١٣٢ – ١٥٠هـ .

في هذه المرحلة استطاع العباسيون أن يعيدوا للدولة الإسلامية وحدها وقوها وسلطاها بعد تلك الفتنة التي استمرت سبع سنوات ، ولكن بعد أن قتل الكثير من بني أمية[5] في عهد أبي العباس السفاح الخليفة العباسي الأول الذي لم يستمر في الخلافة سوى أربع سنوات وبعدها توفي وتولى الخلافة أبو جعفر المنصور الذي قام بقتل أبي مسلم الخراساني[6] واستطاع أن يوطد أركان الخلافة للعباسيين ، وقد تم له القضاء على كثير من الخارجين والثائرين مثل: قضاؤه على ثورة الراوندية ، وقتله لمحمد وإبراهيم ابني عبدالله بن حسن اللذين خرجا عليه في المدينة والبصرة[7] ثم قضاؤه على ثورة أستاذ سيس بخراسان[8] وهكذا استطاع المنصور أن يقضي على كل الثورات

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢١٦ .

(٢) المصدر نفسه ص٢١٦ .

(٣) تفاصيل المعارك بينه وبين الخارجين عليه وتسمية من خرج عليه أنظر {خليفة: تاريخ خليفة ص٣٧٢ – ٤٠١ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٦٠ وما بعدها } .

(٤) السيوطي تاريخ الخلفاء ص٢١٧ .

(٥) المصدر نفسه ص٢٢٠ .

(٦) المصدر نفسه ص٢٢٣ .

(٧) المصدر نفسه ص٢٢٣ .

(٨) المصدر نفسه ص٢٢٤ .

ويقتل كثيرا من الخارجين ما عدا عبدالرحمن بن معاوية بن هشام الـذي استطاع أن يستقل بالأندلس في سنة ١٣٨هـ .

وفي هذه الفترة ازدهرت الحركة العلمية " إذ شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطأ في المدينة والأوزاعي بالشام وابن أبي عروبة ومحمد بن سلمة بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بمكة"(١) وغيرهم كثير، وفي هذه الفترة أيضا بنيت مدينة بغدادوبنيت الرصافة (٢) مما يدل على الاهتمام بالجوانب الحضارية المختلفة .

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٢٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص٢٢٣ ، ٢٢٤ .

الفصل الأول

مكانة شريحة العلماء في المجتمع الإسلامي

العناصر :

-اتساع حجم شريحة العلماء في المجتمع .
- مكانتهم بين الناس .
- مكانتهم عند الخلفاء والأمراء .
- عوامل ارتفاع مكانة العلماء في المجتمع .

تمهـيـد :

لم يكن في المجتمع الجاهلي قبل ظهور الإسلام فئة أو طبقة أو شريحة تسمى بالعلماء ، عدا بعض رجال الدين من اليهود أو النصارى أو ممن كانوا على الحنيفية – دين إبراهيم عليه السلام – وإنما كان هناك طبقات أخرى مثل طبقة السادة – أشراف المجتمع – من الأغنياء وأصحاب النفوذ والقوة ، وسدنة البيت وغيرهم ، إضافة إلى فئة الشعراء والتجار ، وكذا طبقة العبيد والموالي .

ومن الطبيعي أن نوعية هذه الطبقات كانت تنعكس بدورها على مكانة الأفراد في المجتمع ، فالمال والقوة كان لهما أثر كبير في ارتفاع مكانة الفرد وعلو شأنه في المجتمع ، ولهذا يروى أن عمرو بن لحي الخزاعي[(١)] كان ذا مال كثير جدا حتى يقال إنه فقأ أعين عشرين بعيرا [(٢)] ، وكان في بعض مواسم الحج يذبح عشرة آلاف بدنه ويطعم الناس ، ونتيجة لذلك أصبح قوله عند قومه كالشرع المتبع ، لشرفه وكرمه عليهم[(٣)] ، كما روي أن قصي بن كلاب[(٤)] لما كثر أولاده ومواليه أوصى إليه كبير قبيلة خزاعة بولاية البيت،حتى صار في قومه سيدا ورئيسا مطاعا وحاز شرف مكه كله[(٥)]ولما ظهر الإسلام وعم بنوره جزيرة العرب وما حولها تغيرت التركيبة الاجتماعية ، وأصبح الناس في ظل الإسلام أمة واحدة ، لا يفضل بعضهم بعضا بشيء إلا بالتقوى والعمل الصالح قال تعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا

---

(١) هو عمر بن لحي الخزاعي كبير قبيلة خزاعة في وقته والتي كانت لها السيادة على مكة ، وهو الذي جلب الأصنام من الشام إلى مكة { ابن هشام : أبو محمد عبدالملك بن هشام (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) سيرة ابن هشام ج١ ص٩٤،٩٥، علق عليها وأخرج أحاديثها/عمر عبدالسلام تدمري ، ط أولى ١٩٨٧م ، دار لكتاب العربي ، بيروت لبنان – ابن كثير : البداية ج٢ ص١٨٧،١٨٨ } .

(٢) كان من عادة العرب كما يقول ابن كثير أن من ملك ألف بعير فقأ عين واحدة لأنه يدفع بذلك العين عنها {البداية ج٢ ص١٨٧}.

(٣) ابن كثير : البداية ج٢ ص١٨٧ .

(٤) هو قصي بن كلاب بن مرة وهو من جدود النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جمع قريش فسمي بالمجمع وتملك على قومه { ابن هشام : السيرة ج١ ص١٢٢-١٢٤ – ابن كثير : البداية ج٢ ص٢٠٧ } .

(٥) ابن هشام : السيرة ج١ ص١٣٦ – ابن كثير : البداية ج٢ ص٢٠٥ ، ٢٠٧ .

وقبائلَ لتعارفوا إن أكرمكم عند اللهِ اتقاكم إنَ اللهَ عليمٌ خبير ﴾[1] ونتج عـــن ذلـــك تنافس الناس في العمل والدعوة والجهاد ، السيد منهم والعبد ، الفقير والغني ، حـــتى وصل العبيد إلى مرتبة السادة الأفاضل ، فكان يقال لبلال الحبشي (العبد) سيدنا بلال، ولسليمان الفارسي " سلمان منا أهل البيت " .

وكان من أهم النتائج التي نتجت عن التعاليم السمـــاوية الجديدة أن انتهت كل تلك الطبقات الاجتماعية الجاهلية ، وما كان يصاحبها مـــن التفـــاخر بالأحســـاب والأنساب والمال والقوة ، واتجه الناس إلى التنـــافس في الأعمال الصالحة التي تقربهـــم من الله تعالى وتزيدهم شرفا إلى شرفهم الذي اكتسبوه بالإسلام ، وكان من أهم هـــذه الأعمال التي تسابق أفراد المجتمع إلى القيام بها طلب العلم وتعليمه ، ولذلك وجدت في المجتمع الإسلامي شريحة جديدة كبيرة وهي شريحة العلماء ، بحيث أن هـــذه الشـــريحة كانت تتفاوت في حجمها من فترة لأخرى ومن مكـــان لآخـــر ، بحســـب العوامـــل والمؤثرات التي تتأثر بها ، كما أن هذه الشريحة اكتسبت مكانة عالية في المجتمع ، كانت في بعض الأحيان تفوق مكانة الخلفاء والأمراء .

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

اتساع حجم شريحة العلماء في المجتمع :

تم حصر أسماء (٦٠٢)[١] من العلماء من كتاب سير أعلام النبلاء [٢]، و(٣٤٨) عالما من كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك [٣]، غير أن الكثير من العلماء الذين ورد ذكرهم في كتاب المنتظم في التاريخ قد ورد ذكرهم في كتاب السير ، ومن ثم فإن معظم من ذكروا في المنتظم يدخلون في مجموع من ذكروا في كتاب السير، باستثناء ما تفرد به صاحب كتاب المنتظم ، وهو ما لم نستطع أن نبينه هنا لكثرة الأسماء[٤].

كما تم حصر عدد (١٩٨٢) عالما وذلك من كتاب الطبقات الكبرى[٥]و (١٠٩٣) علام من كتاب مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار [٦].

من خلال ما سبق نستنتج أن العلماء في هذه الفترة كانوا يمثلون شريحة واسعة وكبيرة جدا في المجتمع الإسلامي ولم تكن هذه الشريحة تتركز في بلد معين بذاته وإنما كانت توجد في جميع أنحاء الدولة الإسلامية الواسعة المساحة ، والتي تمتد من حدود الصين شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا ، فكان عدد العلماء في المدينة المنورة (١٣٥) عالما ، وعددهم في مكة (٢٤) عالما وفي الكوفة (١٤١) عالما والبصرة (١٣٦) والشام بما فيه دمشق (٥٥) ومصر (٢٢) وخراسان (٩) وحتى مدينة حمص كان فيها (١٣) واليمن (٧) ومدينة واسط (٧) والجزيرة (٥) وهكذا كان العلماء مبثوثين في جميع أجزاء الدولة الإسلامية ، حتى في البلدان الصغيرة التي لم تكن تمثل أهمية كبيرة في ذلك الوقت مثل الرقة والطائف والمغرب واليمامة وغيرها، ولمزيد من التفاصيل حول

---

(١) سنذكر أسماء هؤلاء العلماء وبلدانهم وتخصصهم العلمي ومن أي الأقوام كانوا - أنسابهم عرب أم موالي - كل ذلك ينظر الملحق رقم (١) ص ٢٩٠

(٢) تم إحصاؤهم من الجزء الرابع وحتى الجزء الثامن من كتاب السير .

(٣) تم إحصاؤهم من الجزء السادس وحتى التاسع .

(٤) ينظر أسماء هؤلاء العلماء اللذين تفرد بذكرهم ابن الجوزي في التمهيد ص ٣٢ وهم مذكورون أيضا في ملحق فهرس العلماء المترجم لهم في الهامش ص ٣٠٥ .

(٥) ابن سعد : محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) الأجزاء ٥،٦،٧ ، قدم للكتاب / حسين عباس ، دار صادر، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ)

(٦) ابن حبان:محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) من ص١٠١-٣٥٩، تحقيق/مرزوق علي إبراهيم ، ط أولى ١٩٨٧م ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت لبنان .

أعداد العلماء في البلدان أنظر الملحق رقم (١) .

وكما كانت هذه الشريحة تتوزع في جميع البلدان فقد كانت تضم مختلف التخصصات العلمية ، وبخاصة العلوم الإسلامية التي برزت بعد ظهور الإسلام ، فهناك علماء الحديث والتفسير والفقه وعلوم القرآن (القراءات) وعلم اللغة والنحو والسير والمغازي والأنساب ... الخ . وإذا كانت قد وجدت هذه التخصصات كلها فإن علماء الإسلام في هذه الفترة قد تميزوا عن غيرهم بميزة هامة ، وهي أن الكثير منهم – إن لم نقل جميعهم – كانوا عبارة عن موسوعات علمية تهتم بمختلف العلوم الإسلامية وغيرها ، فتجد الواحد منهم محدثا وفقيها ومفسرا وعالم لغة وتجد آخر فقيها ومقرءا ونحويا وهكذا ، ومما يدل على ذلك تكرار أسماء الكثير من العلماء في كتب الطبقات التي صنفت بحسب التخصصات العلمية ، فالشيرازي مثلا في كتابه طبقات الفقهاء يذكر لنا مجموعة من العلماء ، ثم نجد أسماء هؤلاء العلماء أنفسهم تذكرعند ابن عبدالهادي الدمشقي الصالحي في كتابه : طبقات علماء الحديث ، وعند الداوردي في كتابه : طبقات المفسرين ، وعند السيوطي في كتابه : طبقات الحفاظ ، وبعضهم عند الزبيدي في كتابه : طبقات النحويين واللغويين ، وهكذا نجد أن هؤلاء العلماء الأعلام كانوا يتقنون كثيرا من العلوم ، ومع ذلك فإن هذا الأمر لا ينفي صفة التخصص الرئيسي عند الكثير منهم فهناك من برز في علم معين عرف به ، وهناك من جمع بين أكثر من تخصص ، وإن كان الكثير قد اهتموا بالحديث والفقه حتى عرفوا به ، ولمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر الملحق رقم (١) .

و إضافة إلى ما سبق فقد كانت شريحة العلماء تضم أجناسا شتى من مختلف الشعوب ، من العرب والعجم والفرس والروم والبربر وغيرهم ، وبالرجوع إلى الحصر الذي استخرجناه عن عدد العلماء من كتاب السير ، نجد أن هناك (١٨٨) عالما كانوا من الموالي من أصل (٦٠٢) وبقيتهم من العرب ، ومن كتاب المنتظم (٨٤) من الموالي من أصل (٣٤٨) والباقي عرب ، وبهذا تكون نسبة العلماء العرب ٦٩% تقريبا والموالي ٣١% تقريبا .

من خلال هذه الأرقام والإحصائيات نستدل على التوسع العلمي الذي حدث في شريحة الموالي ، يدل على الجهد الذي بذلته هذه الشريحة ، خاصة وأنهم كانوا يمثلون لغات مختلفة غـــريبة عن اللغة العربية ، ومـــع ذلك فقد أقبلوا على تعلم اللغة العربية بهدف معرفة علوم الإسلام والتي لم يكن في الإمكان فهمها إلا بتعلم العربية ، وبهـــــذا يسجل التاريخ للموالي هذا الإنجاز الذي يعتبر في حقيقته نصرا للإسلام الذي من أهم مبادئه الشمولية والعالمية ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (١)

أما العرب فمن الطبيعي أن يكونوا أكثر علماً واهتماماً بالعلم وخاصة في القـــرن الهجري الأول لأنهم حملة الإسلام ورجاله ومادته الأولى ، ومن هنا فإن الرأي الـــذي يذهب إلى أن معظم العلماء في هذه الفترة كانوا من الموالي وأن العرب كانوا مشغولين بالفتوح والسياسة غير صحيح على علاته ، ولكن ربما كان هذا الرأي صحيحا إذا مـــا حملناه على رؤساء الفقهاء ، وليس معظم العلماء ، وبين أيدينا كثيرا من الروايات التي تؤكد ذلك،وهذه الروايات صدرت عن علماء عاشوافي هذه الفترة،ويذكرون فيـــــها أسماء هؤلاء العلماء الكبار بالاسم:قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم(٢): " لمــــا مـــات العبادلة(٣) صارالفقه في جميع البلدان إلى الموالي،فكان فقيه أهل مكة عطاءبن أبي رباح(٤)

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

(٢) الد عبدالرحمن : زيد بن اسلم كان من العلماء الفقهاء ، وهو من الموالي وكان مولى عمر بن الخطاب ، ولـــه تفسير رواه عنه ابنه هذا عبدالرحمن ، وكان زيد من العلماء العاملين(ت سنة ١٣٠هـــ/٧٤٧م) {الذهبي :الســـير ج٥ ص٣١٦ – ابن عبدالهادي الدمشقي:محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي(ت٧٤٤هـــــ/١٣٧٠م) طبقات علماء الحديث ج١ ص٢١٠،٢١١، تحقيق / أكرم البوشي ط أولى ١٩٨٩م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت} .

(٣) العبادله : هم عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمرو ، وعبدالله بن الزبير { ابن الجـــوزي : المنتظم ج٦ ص٣١٩ } .

(٤)هو عطاء بن اسلم بن أبي رباح ، شيخ الإسلام ، ومفتي الحرم ، مولى بني جمح ، وكان من مولدي الجنـــــد ، ونشاء بمكة ، وكان ثقة فقيها وقد قطعت يده مع ابن الزبير (ت ١١٤هـــــــ/٧٣٢م){ الذهـــبي : الســـير ج٥ ص٧٨-٨٠- ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص١٦٥،١٦٦ – ابن ســـعد: الطبقـــات ج٥ ص٤٦٧ خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـــ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمـــان تحقيق / إحسان عباس ، دار صادر ١٩٦٨م ، بيروت }.

وفقيه أهل اليمن طاووس[1]،وفقيه أهل اليمامة يحي بن أبي كثير[2]،وفقيه أهل البصرة الحسن البصري[3]وفقيه أهل الشام مكحول[4]، وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني[5] إلاّ المدينة

---

(١) طاووس بن كيسان ويكنى أبا عبدالرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي ، الفقية القدوة ، عالم اليمن،الحافظ أحد اعلام التابعين ، وهو من أبناء الفرس ، ولد في خلافة عثمان وجالس سبعين من الصحابة (ت ١٠٥ هـ/٧٢٣م) وله من العمر ٩٠ سنه {الذهبي : السير ج٥ ص٣٨،٣٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٥ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٣٧،٥٣٨ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٥٠٩- وانظر : ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن محمد بن قتيبة الكاتب الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) المعارف ص٢٠٠،٢٠١ ، صححه وعلق عليه / محمد اسماعيل عبدالله الصادي ، ط الثانية ١٩٧٠م ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – ابن حبان : المشاهير ص١٩٨ – ابو نعيم : أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٤ ص٤-٢٣، مكتبة الخانجي ، مصر ، (بدون طبعة وتاريخ) – الشيرازي : ابراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) طبقات الفقهاء ص٦٥ ، صححه وراجعه / الشيخ خليل الميسي ، دار القلم ، بيروت (بدون طبعة) – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٥٩،١٦٠ } .

(٢) هو يحي بن أبي كثير ، مولى طيئ ويكنى أبا نصر ، الإمام الحافظ أحد الأعلام ، مكث في المدينة عشر سنين يطلب العلم وقد سكن اليمامة (ت بها سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م) {الذهبي : السير ج٦ ص٢٧-٣١ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٧٤ – ابن حبان : المشاهير ص٣٠٤ } .

(٣) الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري أبوه مولى زيد بن ثابت ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ، وأمه كانت مولاة لأم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً وكان ثقة ثبتاً حجة فقيه (ت ١١٠هـ /٧٢٨م) وله من العمر نحواً من ٨٨ سنة { الذهبي : السير ج٤ ص٥٦٣ – ٥٦٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٣٦ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٣٦ – وانظر ترجمته في : ابن قتيبة : المعارف ص١٩٤،١٩٥ – ابن حبان : المشاهير ص١٤٢،١٤٣ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٩٠،٩٢ ، ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٤٠،١٤٢ }.

(٤) مكحول بن أبي مسلم ، ويكنى أبا عبدالله الدمشقي الفقيه عالم الشام ، وكان من الموالي نوبياً من سبي كابل (ت ١١٣هـ/٧٣١م) { الذهبي : السير ج٥ ص١٥٥-١٥٩ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٤٥٣ – وانظر أيضاً : ابن حبان : المشاهير ص١٨٣،١٨٤ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص١٧٧–الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٧٠ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٧٩،١٨٠ } .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم المحدث المفتي نزيل دمشق والقدس ، كان يقول: أوثق شيء في نفسي نشر العلم (ت ١٣٥هـ /٧٥٢م) { الذهبي : : السير ج٦ ص١٤١-١٤٣ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٣٧٩ } .

فإن الله خصها بقرشي وهو سعيد بن المسيب[1] " [2] وذكره سعيد بن المسيب في نهاية الرواية يؤكد ما ذهبنا إليه من أن المقصود بهذا الرأي هم رؤساء الفقهاء ، وهناك رواية أخرى ذكرها أيضا ابن الجوزي[3] تدل على ذلك ، ثم إن الراوي يقول : "لما مات العبادلة " – هم أربعة – ولم يقل لما مات جميع الفقهاء العرب ، والعبادلة من المعروف أنهم كانوا رؤساء الفقهاء والعلماء في عصرهم .

وتأتي أهمية شريحة العلماء بعد ذلك في كونها تمثل جيلا مثل مرحلة علمية هامة تقع زمنيا بين مرحلتين أو فترتين هامتين وهما : مرحلة ما قبل الخمسين هجرية أي المرحلة التي عاش فيها معظم الصحابة رضوان الله عليهم ، ومرحلة جني الثمرة في نهاية القرن الثاني والثالث الهجري ، وهذا الأمر بحد ذاته يكسب هذه الشريحة صفة التوسع ويجعل لها مكانة رفيعة عبر المراحل التاريخية المختلفة ، لأنها – أي هذه الشريحة – كان لها الفضل الكبير في نقل كل تعاليم الإسلام وشرائعه وآدابه من الصحابة إلى من جاء من بعدهم ، إلى أن وصل إلينا في العصر الحاضر ، ولسنا بحاجة إلى كثير أمثله لنؤكد

---

(١)ابن حزن بن أبي وهب، أبو محمد القرشي المخزومي عالم أهل المدينة وكان يقال له عالم العلماء وفقيه الفقهاء، وكان يفتي وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء ، وهو أحد الفقهاء السبعة ولد لسنتين من خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان ممن برز في العلم والعمل واشتهر بالعبادة وقول كلمة الحق ، وكان يقال له سيد التابعي (ت٩٤هـ / ٧١٢م) { الذهبي : السير ج٤ ص٢١٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣١٩ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٢١ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٧٥ – وانظر : ابن حبان : المشاهير ص١٠٥ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٣٩،٤٠ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١١٢،١١٣ } .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص٣١٩،٣٢٠ – الشيرازي:طبقات الفقهاء ص٤٠،وفي رواية الشيرازي زيادة و ابراهيم النخعي فقيه الكوفة ، بينما يذكر ابن الجوزي في هذه الرواية التي ستأتي أنه من العرب ويوافقه الذهبي (السير ج٤ ص٥٢٠)

(٣) ملخص الرواية أن الزهري دخل على عبدالملك بن مروان وكان قادما من مكة فسأله عمن يسود أهلها ؟ فقال له : عطاء بن أبي رباح . فقال له : من العرب أم من الموالي ؟ قال : من الموالي ثم سأله من يسود أهل اليمن ؟ فقال له: طاووس . فقال : من العرب أم من الموالي ؟ فقال من الموالي ... وهكذا ذكر له رؤساء فقهاء الموالي في مصر والبصرة ثم في الكوفة ابراهيم النخعي وقال انه من العرب . والرواية بالتفصيل في ص من هذا الفصل (ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢١) .

ذلك إذ يكفي أن نذكر بعض هذه الأمثله ، فهذا الشعبي (عامر بن شراحيل)[1] مثلاً سمع الحديث من عدد من كبار الصحابة ، وأدرك خمسمائة وعايشهم ، وقد ذكر لنا الذهبي اسم خمسين صحابي ممن روى عنهم الحديث ، بل إن الشعبي كان يفتي يومئذ وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء ، وأما من سمع وروى عن الشعبي فهم كثير ذكر الذهبي منهم (١٩) ثم قال وأمم سواهم [2] .

هذا المثال الذي أوردناه كان عن العلماء الذين عاشوا في أول الفترة، أي من التابعين، ونورد مثالاً آخر من العلماء الذي عاشوا في آخر الفترة وهم من تابعي التابعين،والذين أخذوا العلم من التابعين ، منهم سفيان الثوري[3] الذي أخذ العلم عن ستمائة شيخ ، سمّى الذهبي منهم (٢٧٨) وأما الرواة عنه فقد قيل إن عددهم يصل إلى عشرين ألف ، غير أن الذهبي استبعد ذلك وقال : " إن بلغوا ألفاً فباجهد " [4]

---

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار ، وذو كبار قيل من قبائل اليمن ، الأمام علاّمة العصر ابو عمرو الهمداني الشعبي ، ولد سنة (٢١هـ/٦٤١م) وكان عالماً بالمغازي ، قال عنه مكحول ما رأيت أحداً اعلم من الشعبي (ت ١٠٤هـ /٧٢٢م) { الذهبي : السير ج٤ ص٢٩٤،٢٩٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٩٣ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٤٦ – ابو نعيم : الحلية ج٤ ص٢٢٨ – ابن عساكر : على بن الحسين بن هبة الله بن عبدالله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) تهذيب تاريخ دمشق الكبير ج٧ ص١٤١ ، تحقيق / عبدالقادر بدران ، دار احياء التراث العربي ، بيروت (بدون طبعة) – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص١٢ – وانظر أيضاً : ابن قتيبة : المعارف ص١٩٨،١٩٩ – ابن حبان : المشاهير ص١٦٣ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٨٢ – الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) تاريخ بغداد ج١٢ ص٢٢٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان (بدون تاريخ و طبعة) – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٥٤ } .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٢٩٦-٢٩٨ ، ٣٠٠ .

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ابو عبدالله ، شيخ الإسلام ، وإمام الحفاظ وسيد العلماء في زمانه ، ولد سنة (٩٥هـ/٧١٣م) ، وطلب العلم وهو صغير ، ولقد جمع الثوري بين الإمامة في العلم والزهد والعمل ، بل ويعتبر من الأئمة المجتهدين ، قال عنه عبدالله بن المبارك :" ما أعلم على الأرض أعلم من سفيان الثوري " (ت ١٦١هـ/٧٧٧م) في البصرة { الذهبي : السير ج٧ ص٢٣٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٥٣ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٣٧١ – ابو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٥٦،٣٥٧ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٨٦ – وانظر ترجمته في : ابن قتيبة : المعارف ص٢١٧،٢١٨ – ابن حبان : المشاهير ص٢٦٨ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٨٥،٨٦ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٩ ص١٥١ – ابن الجوزي : صفة الصفوة ج٢ ص٨٧-٩٠ ، ط أولى ١٤١١هـ ، دار الصفاء ، القاهرة – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٣٠٩) .

(٤) الذهبي : السير ج٧ ص٢٣٤ .

كما يروى أن عدد الرواة الذين رووا عن هشام بن عروة بن الزبير[1] حديث " إن الله لا يقبض العلم بأن ينتزعه انتزاعا ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " [2] يبلغ (٤٧٦) سماهم الذهبي جميعا [3] ، وهذا يدل على كثرة العلماء .

عوامل وجود هذه الشريحة :

إذا فنحن أمام جيل كبير من الشيوخ والطلاب والرواة الذين ليس لهم هم إلا طلب العلم والاشتغال به ، ويا ترى ما هي العوامل التي كانت سببا في وجود هذه الشريحة الكبيرة من العلماء .

أولا – الإسلام :

لقد اهتم الإسلام بالعلم وجعله من ضمن أولوياته الكبيرة ، ولهذا كانت أول آية، بل أول كلمة ، نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هي كلمة (اقرأ) والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم هو خطاب لجميع أمته ، ولا يخفى علينا أن هذا الأمر له دلالة عميقة وهامة ، ذلك أنه لا سبيل إلى فهم هذا الدين إلا بالعلم ، ولا طريق إلى معرفة الله ونيل رضاه إلا بالعلم قال تعالى ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ [4]وقال تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾[5] وأمرا آخر له أهميته الكبيرة وهو أن الله تعالى عندما أمر عباده بالقراءة والعلم ، لم يتركهم

---

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، الإمام الثقة ، شيخ الإسلام ، أبو المنذر القرشي الأسدي ، من أكابر العلماء وجلة التابعين ، (ولد ٦١هـ/٦٨٠م) وقد قدم بغداد على المنصور و (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م) وصلى عليه المنصور { الذهبي : السير ج٦ ص٣٤،٣٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠٠ – ابن خلكان : الوفيات ج٦ ص٨٠ – وانظر : ابن حبان : المشاهير ص١٣٠،١٣١ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٤ ص٣٧-٤٢ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٢٦،٢٢٨ } .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم رقم (١٠٠) .

(٣) قال الذهبي : وقد حدث به – الحديث السابق – عن هشام عدد كثير سماهم ابو القاسم العبدي . ثم ذكرهم بالاسم (السير ج٦ ص٣٦- ٤٤) .

(٤) سورة الرعد : آية ١٩ .

(٥) سورة محمد : آية ١٩ .

كي يتيهوا بين سبل العلم المختلفة والتي قد تسوقهم إلى الغواية والضلال ، وإنما أرشدهم ووجههم إلى طلب العلم النافع الموصل إلى الطريق المستقيم ، فكان أن ربط العلم باسمه سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[1]ولهذا نلاحظ أن أهم العلوم التي اهتم بها العلماء في هذه الفترة هي علوم الحديث والتفسير والفقه ، ولما كان العلم بهذه الأهمية البالغة فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم امته بطلبه وتحصيله وجعل ذلك فريضة مثله مثل الصلاة والصيام فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[2] .

وكما أمر الإسلام أتباعه بسلوك طريق العلم ، فإنه أيضا قد شجع على الأقبال عليه والتزود منه وأوضح بأن الفرق عظيم بين أهل العلم وغيرهم من الناس فقال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾[3] وقال تعالى ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[4] وقال صلى الله عليه وسلم : "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " [5] .

ثانياً – كان لتفرق الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان أثر كبير في وجود هذه الشريحة الكبيرة من العلماء وانتشارها الواسع في عموم دار الإسلام ، فالصحابة رضي الله عنهم خرجوا من المدينة فاتحين ، حاملين معهم علم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يد والسيف في اليد الأخرى ، ولهذا نجد أن هناك توافقا كبيرا بين عدد العلماء في بلد ما وعدد الصحابة الذين نزلوا أو سكنوا في ذلك البلد ، حيث نجد أن عدد العلماء في المدينة المنورة – باعتبارها موطن كبار الصحابة – بلغ (١٣٥) عالما، فإذا انتقلنا إلى البصرة والكوفة نجد عدد العلماء فيها يقارب عدد العلماء في المدينة

---

(١) سورة العلق : آية ١ .

(٢) رواه ابن ماجة في السنن في باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم (٢٢٤) .

(٣) سورة المجادلة : آية ١١ .

(٤) سورة الزمر : آية ٩ .

(٥) رواه أبو داود في السنن في باب الحث على طلب العلم رقم (٣٦٤١) .

وقد يزيد ، وما ذلك إلا لكثرة من نزل من الصحابة في هذين المصرين ، فعدد الصحابة الذين نزلوا الكوفة (٥٥) صحابيا وعدد العلماء فيها (١٤١) بينما البصرة (٥٠) صحابي والعلماء (١٣٦) وهكذا نجد أن نسبة العلماء في كل بلد مرتبطة بعدد الصحابة الذين نزلوا فيها ، ولمزيد من التوضيح حول ذلك ينظر الملحق رقم (٢) ص

ثالثاً – الرعاية الرسمية من قبل الدولة في هذه الفترة وما سبقها ، فقد كان هذا الدور واضحا منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ كان يرسل العلماء إلى مختلف البلدان بهدف تعليم أهلها مبادئ الإسلام وأحكام الشريعة ، من ذلك مثلا أنه أرسل عبدالرحمن بن غنم الأشعري[١] إلى الشام لتعليم الناس ، فقام بدوره وتفقه على يده عامة علماء التابعين في بلاد الشام[٢] ، ومن الخلفاء الذين كان لهم دور كبير في هذا المجال ، عمر بن عبدالعزيز ، فقد كان يرسل العلماء إلى مختلف البلدان بهدف تعليم أهلها[٣] ، كما كان يأمر ولاته بالنفقة على العلماء الذين فرغوا أنفسهم من اجل العلم .[٤]

رابعاً – الاختلاط البشري : ويمكن أن نقسم هذا العامل إلى قسمين :

الاختلاط الداخلي : أي اختلاط العرب المسملين ببعضهم البعض داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وذلك نتيجة لحركة الفتح الإسلامي وكذا حركة التجارة ، التنقلات الفردية أو الجماعية

(١) عبدالرحمن بن غنم الأشعري ، الفقيه ،شيخ أهل فلسطين،والده صحابي (ت٧٨هـ/ ٦٩٧م) {الذهبي : السير ج٤ ص٤٥،٤٦ } .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٤٥،٤٦ .

(٣) من ذلك مثلا أنه بعث أبو مسعود التجيبي إلى أهل أفريقيه يفقه أهلها في الدين ، كما أرس جعيل بن ماعان بن عمير من مصر إلى أهل المغرب ليقرئهم القرآن { ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٣٨،١٦٠ } .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٣١٤ .

وفي هذا المجال يروى أن الأوزاعي[1] خرج مع بعض بني قومه إلى اليمامة ، فلما وصل هناك وجد العالم يحي بن أبي كثير فأحب الجلوس عنده وطلب العلم على يده قال : " فكتبت عنه أربعة عشر كتابا " [2] وكان ذلك في بداية طلبة للعلم .

الاختلاط الخارجي : ونعني به الاختلاط الذي حصل بين العرب وبين غيرهم من أبناء الأمم الأخرى من الفرس والروم والموالي ، وكان نتيجة هذا الاختلاط أن برع الكثير من الموالي في كثير من العلوم الإسلامية ، كما أوضحنا ذلك سلفا ، بينما كان تأثير هؤلاء الموالي على العرب محدودا في هذه الفترة ، لأن حركة الترجمة لم تكن قد نشطت بعد وكانت في بدايتها .

مكانة العلماء بين الناس :

لقد كان للعلماء في هذه الفترة مكانه كبيرة وعالية ، لأن وضعهم في المجتمع كان يتيح لهم أن يتصلوا بجميع الناس ويخالطوهم سواء العامة أو الخاصة ، وذلك من خلال الحلقات العلمية ومجالس الفتيا ، ومن خلال خروجهم إلى الأسواق وتنقلهم في البلدان ...الخ ، فكانوا يعلمون الناس أمور دينهم واحكام شريعتهم ويساعدوهم في قضاء حوائجهم ، كما كان الناس في هذه الفترة يحبون العلماء ويقدروهم ، ويستمعون إلى توجيهاهم وينزلوهم من أنفسهم منزلة كبيرة ،وهناك مظاهر كثيرة تدل على ذلك نذكر منها ما يلي:

١- الازدحام على أبواهم :

كان الناس يزدحمون على أبواب العلماء كما يزدحمون على أبواب السلاطين ،

---

[1] هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد ، أبو عمرو الأوزاعي ، علم أهل الشام ، ولد في حياة الصحابة عام (٨٨هـ/٧٠٦م) وكان محدثاً وفقيهاً ، ولم يكن بالشام أعلم منه ، حتى لقد قيل أنه أجاب في سبعين ألف مسألة (ت١٥٧هـ / ٧٧٣م) ، وله من العمر ٧٠ سنة { الذهبي : السير ج٧ ص١٠٧ ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ج حوادث ووفيات (١٤١-١٦٠) ص٤٨٣،٤٨٥ ، تحقيق / عمر عبدالسلام تدمري ، ط أولى ١٩٨٨م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، - ابن سعد : لطبقات ج٧ ص٤٨٨ - ابو نعيم : الحلية ج٦ ص١٣٥ - ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص١٢٧،١٢٨- وانظر أيضاً : ابن قتيبة : المعارف ص٢١٧ - ابن حبان : المشاهير ص٢٨٥،٢٨٦ - الشيرازي: طبقات الفقهاء ص٧١ - ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٢٧٧،٢٨٠} .

[2] الذهبي : السير ج٧ ص١١٠ .

حتى أنهم في بعض الأحيان كانوا يقتتلون من شدة الزحام ، والفارق بين الزحام على أبواب العلماء وأبواب السلاطين ، أن الأول كان من أجل هدف عظيم وهو الفائدة العلمية ، والثاني كان من أجل أغراض دنيوية مادية ، ففي المدينة المنورة يروي لنا الذهبي[١] أن الناس كانوا يزدحمون على باب الزهري[٢] وهو لا يزال شاباً لم يبلغ مبلغ الرجال وهذا لم يحصل مع أحد إلا مع العلماء،فالزهري بلغ هذه المرتبة في سن مبكرة ، وروي أن أبا الزناد [٣] كان يسير ومعه من الاتباع مثل ما كان مع السلطان حتى يدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيبادرونه بالأسئلة في الحساب والفرائض والحديث [٤] . ويذكر لنا الذهبي[٥] أن الناس كانوا «يزدحمون على باب الإمام مالك [٦] حتى يقتتلون من شدة الزحام».

وفي مصر يروى أن الناس كانوا يجلسون في صفوف منتظمة على باب عمرو بن

---

[١] الذهبي : السير ج٥ ص٣٤٣ .

[٢] هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري ، الإمام العلم الفقيه المحدث ، القرشي المدني نزيل الشام ولد سنة (٥٨هـ/ ٦٧٧م) وهو من كبار العلماء في وقته ، وكتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى الآفاق :" عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بسنة ماضيه منه " (ت ١٢٤هـ/٧٤١م) وهو ابن ثلاث وسبعين سنه {الذهبي : السير ج٥ ص٣٢٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٣١ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٧٧ } .

[٣] هو عبدالله بن ذكوان ، أبو عبدالرحمن المعروف بأبي الزناد ، القرشي المدني الفقيه المفتي ، من كبار فقهاء المدينة ومحدثيها ، وكان مولى، ووالده هو أخو أبو لؤلوة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان سفيان الثوري يسميه أمير المؤمنين في الحديث (ت ١٣٠هـ/٧٤٧م) { الذهبي : السير ج٥ ص٤٤٥ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص٣٨٥ } .

[٤] الذهبي : السير ج٥ ص٤٤٦،٤٤٧ .

[٥] المصدر نفسه ج٨ ص١١١ .

[٦] هو مالك بن أنس ابن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني ، شيخ الإسلام ، وحجة الأمة ، وإمام دار الهجرة ، ولد سنة (٩٣هـ/٧١١م) وطلب العلم وهو ابن بضعة عشر سنه وتأهل للفتيا وجلس للأفادة وعمره ٢١ سنه (ت ١٧٩هـ /٧٩٥م) وعمره ٨٩ سنه { الذهبي : السير ج٨ ص٤٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٤٢ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣٥ – وانظر أيضا : ابن قتيبة : المعارف ص٢١٨،٢١٩ – ابن حبان : المشاهير ص٢٢٣ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٥٣،٥٤ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٣١٢،٣١٥ – ابن كثير : البداية ج١٠ ص١٧٤،١٧٥ } .

الحارث[1] ، فإذا خرج من منـــزله سرعان ما يبادرونه بالأسئلة .[2]

ومما لا شك فيه أن ازدحام الناس على أبواب العلماء ، لم يكن ليصيبهم بالغرور أو الكبر ، فهم أكبر من ذلك ، لأنهم كانوا يسعون إلى الإخلاص في كل أعمالهم مـــا استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولهذا كان التواضع صفة ملازمة لهـــم في كـــل أحوالهـــم وافعالهم وكان دأبهم اتهام أنفسهم بالتقصير[3] ، وإرجاع الفضل في كل شـــيء إلى الله تعالى فهذا الأعمش[4] (سليمان بن مهران) مثلا يأتيه أحد الوجهاء ليستعين به في قضاء حاجة ، فيخرج معه وهو يلبس ثوبا مخرقا ، وهنا ينـــزعج الرجل خوفا من عدم قضاء حاجته فيوجه كلامه للأعمش قائلا : "لو لبست ثوبا غيره ؟ فيجيبه الأعمش امشي إنما حاجتك بيد الله" ومشى معه حتى قضى حاجته،فجعل ذلك الرجل يقول في المسجد "ما صرت مع سليمان – يعني الأعمش – إلا غلاما " [5] ومعنى ذلك أن الأعمش بعملـــه هذا صار كبيرا في عين الرجل حتى إنه شبه نفسه معه بالغلام ، والله أعلم .

٢- التفاف الناس حولهم والوقوف معهم :

ولقد شكل التفاف الناس حول العلماء في السراء والضراء ، مظـــــهرا بارزا

---

(١) وهو عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبدالله أبو أمية الأنصاري السعدي ، العلامة الحافظ ، عالم الديار المصرية ومفتيها ولد سنة (٩٠هـ/٧٠٨م) وكان أخطب أهل زمانه (ت ١٤٨هـ/٧٦٥م) وله من العمر ٥٨ ســـــنه { الذهبي: السير ج٦ ص٣٤٩،٣٥١ – ابن حبان: المشاهير ص– ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٢٨١}.

(٢) الذهبي : السير ج٦ ص٣٥٣ .

(٣) من ذلك مثلا أن الحسن البصري كان راكبا ذات يوم على حماره وإذ بمجموعة من الرجال يمشـــــون خلفـــه ، فالتفت إلى أحد اصحابه وقال : " والله لولا أن المسلم يرجع إلى نفسه فيعلم أن لا شيء عندها لكان هـــذا – أي سير الرجال خلفه – في فساد قلبه سريعا " { ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٦٨ } .

(٤) هو سليمان بن مهران ، ويكنى أبا محمد ، مولى بني كاهل ، الكوفي المعروف بالأعمش ، الأمام شيخ الإســـلام المقرئ المحدث الحافظ ولد سنة (٦٠هـ/٦٧٩م) وكان من العباد ، وكان مزاحا لطيفا (ت١٤٨هـ/٧٦٥م) وله من العمر ثمانون سنة { الذهبي : السير ج٦ ص٢٢٦،٢٢٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١٢ – ابن ســعد : الطبقات ج٦ ص٣٤٢ – ابن خلكان :الوفيات ج٢ ص٤٠٠ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٥٤،٥٥ وأنظر أيضـــا : ابن قتيبة : المعارف ص٢٣٠ – ابن حبان : المشاهير ص١٧٩ – ابن عبدالهــــادي الدمشـــقي : الطبقـــات ج١ ص٢٣٩،٢٤٠ } .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٢٢٩ .

وعلامة واضحة تدل على عظيم محبتهم لهم وارتفاع مكانتهم بينهم ، وكان موقف العلماء إزاء ذلك أنهم كانوا يحثون الناس على الوقوف معهم فيما يخص المصلحة العامة مثل إنكار المنكر وغيره ، ويسكتون عندما يتعرضون لقضايا تمس شخصياتهم ، كل ذلك يمكننا أن نستدل عليه من خلال حادثتين أو موقفين .

الحادثة الأولى : عندما أراد والي المدينة جعفر بن سليمان [1] أن يقطع يد محمد بن عجلان [2] ، وذلك بسبب وقوفه مع محمد بن عبدالله بن حسن عند خروجه على أبي جعفر المنصور ، فقد ضج أهل المدينة وازدحموا على باب الوالي ، فقال : ماهذا ؟ فقالوا : ضجة أهل المدينة يدعون لابن عجلان فلو عفوت عنه فلما رأى الوالي ذلك اطلقه وعفا عنه [3]

الحادثة الثانية : عندما أراد الخليفة الوليد يزيد بن عبدالملك[4] الحج ، فقد قيل انه اتخذ قبة من ساج ليجعلها حول الكعبة ليطوف هو ومن احب من أهله ونسائه فيها ، ويطوف الناس من وراء القبة ، ووجه مع هذه القبة أحد قواده ومعه ألف فارس ، وأرسل معه مالا يقسمه في أهل المدينة ، فقدم بها فنصبت في مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففزع لذلك أهل المدينة ، ثم اجتمعوا فقالوا إلى من نفزع في هذا

---

(1) هو جعفر بن سليمان بن علي بن حبر الأمة عبدالله عباس ، الأمير سيد بني هاشم ، ابن عم المنصور الخليفة ، وكان من نبلاء الملوك جودا وشجاعة وعلما ، ولي المدينة ثم مكه معها ثم عزل وتولى البصرة في أيام الرشيد ، قيل أنه مات عن ثمانين ولدا لصلبه منهم ٤٣ ذكرا وولي ابنه ايوب اليمن في حياته (ت ١٧٤هـ/٧٩٠م) { الذهبي : السير ج٦ ص٢٣٩،٢٤٠ } .

(2) هو محمد بن عجلان ، الأمام الفقيه المفتي ابو عبدالله القرشي المدني ، وكان ابو عجلان مولى لفاطمة بنت الوليد ، ولد في خلافة عبدالملك بن مروان ، (ت ١٤٨هـ/٧٦٥م) { الذهبي : السير ج٦ ص٣١٧،٣١٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١٤ – وانظر أيضا : ابن حبان : المشاهير ص١٢٢ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٥٦ ، ٢٥٨}

(3) الذهبي : السير ج٦ ص٣١٨،٣١٩ - تاريخ الإسلام ج حوادث ووفيات (١٤١هـ – ١٦٠هـ) ص٢٨٠،٢٨١ .

(4) هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان الخليفة ، ابو العباس الدمشقي الأموي ، ولد سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م) وهو الخليفة رقم ١١ من الخلفاء الأمويين ، وقد تولى الخلافة بعد هشام بن عبدالملك في سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م) وقد توفي في سنة (١٢٦هـ /٧٤٣م) مقتولا { الذهبي : السير ج٥ ص٣٧٠-٣٧٢ – ابن كثير : البداية ج١٠ ص٦-٨ } .

الأمر ؟ فقالوا : إلى سعد بن إبراهيم[1] فأتاه الناس فأخبروه ، فأمرهم أن يضرموها بالنار ، فقالوا : لا نطيق ذلك ، معها قائد في ألف فارس من أهل الشام ، فما كان منه إلا أن تحرك بنفسه ، وتبعه جميع الناس ولم يتخلف عنه يومئذ قرشي ولا أنصاري ، فأحرقها بنفسه ، عند ذلك غضب القائد وهم لنزاعه ، فقالوا له : " هذا قاضي أمير المؤمنين ، ومعه الناس ولا طاقة لك به " فانصرف راجعا إلى الشام .[2]

إذن من خلال هاتين الحادثتين نتبين كيف أن الناس كانوا يلتفون حول العلماء ، وكيف أن العلماء كانوا يحثون الناس على الوقوف معهم عند إنكار المنكر مثل موقف العالم سعد بن إبراهيم حيث أحرق القبة ، وكيف أنهم كانوا يسكتون عند تعرض شخصياتهم للخطر، مثل موقف ابن عجلان عندما سكت فقام الناس من ذات أنفسهم لنصرته .

٣- استقبالهم عند قدومهم :

ومن المظاهر التي تدل على عمق محبة الناس وتقديرهم للعلماء في هذه الفترة ، ذلك الاستقبال الكبير الذي كان يلقاه هؤلاء العلماء عند وصولهم إلى أي بلد، فما أن

---

(١) هو سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، الأمام الفقيه ، قاضي المدينة ابو اسحاق القرشي الزهري المدني ، وكان من كبار العلماء ، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة أو ليلتين (ت ١٢٥هـ/٧٤٢م) { الذهبي : السير ج٥ ص٤١٨،٤١٩ - ابن حبان : المشاهير ص٢١٧ - ابو نعيم : الحلية ج٣ ص٢٢٣،٢٢٤ - ابن الجوزي: صفوة الصفوة ج١ ص٤٢٠،٤٢١ } .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٣٧،٢٣٨ . وتفرد بذكر هذه الحادثة على ما يبدو ابن الجوزي أما الذهبي : فقد قال أن الوليد حج وهو ولي عهد سنة ١١٦هـ (السير : ج٥ ص٣١٧) وقال الذهبي : في موضع آخر : أراد الوليد الحج وقال أشرب فوق ظهر الكعبة ، فهم قوم بقتله ، فحذره خالد القسري فقال ممن ؟ فامتنع أن يعرفه ، قال : لا ابعثن بك إلى يوسف بن عمرو ، قال : وأن ، فبعث به إليه فعذبه وأهلكه (السير ج٥ ص٣٧٢) وذكر ابن الجوزي وابن كثير أن الخليفة هشام ولاه الحج سنة ١١٦هـ . فحمل معه كلابا في صناديق وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة وحمل معه خمرا وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها ، فخوفه أصحابه ، فجمع المغنيين بمكة وتشاغل باللهو {المنتظم ج٧ ص٢٣٦ - البداية والنهاية ج١٠ ص٢،٥،٦ }وأورد ابن الجوزي بسنده رواية أخرى تؤكد الرواية الأولى مفادها أن الوليد أمر بعمل قبة ولم يبقى إلا أن تركب فقام الناس في ذلك الفقهاء والعباد وكان من أشدهم سعد بن إبراهيم إذ كتب إلى الوليد بذلك فقال اتركوها فعند ذلك دعا بالنار فأحرقت { المنتظم ج٧ ص٢٣٧ } ومهما يكن من أمر الحادثة فهي تؤكد لنا ظاهرة مهمة ألا وهي وقوف الناس مع العلماء حتى ولو كان ذلك ضد السلطة كما رأينا .

يسمع الناس بخبر وصول أي عالم ، حتى تغمرهم الفرحة وتبدو عليهم السعادة ، وسرعان ما يخرجون في أعداد كبيرة ، يستقبلون ذلك العالم بالحفاوة والترحاب ، يقيمون له المجالس ، يعملون له الولائم .

يروى أن سفيان الثوري لما وصل إلى مرو استبشر الناس بقدومه عليهم وجعلوا يخبر بعضهم بعضا بفرح كبير – وكأن الذي وصل إليهم أمير أو خليفة – قائلين "قد جاء الثوري .. قد جاء الثوري" ، قال شاهد عيان :" فخرجت أنظر إليه فإذا هو غلام قد بقل وجهه " [١].

هذا الاستقبال للثوري وهو لا يزال شابا يدلنا على تكريم الناس للعلماء مهما كان شأنهم صغارا في السن أو كبارا ، عربا أم عجما .

وفي الطائف استقبل الناس العالم حبيب بن أبي ثابت[٢] بفرحة كبيرة وشوق عظيم ، فهذا أحد الذين صحبوا حبيب عند قومه الطائف ، يصف لنا فرحة الناس بذلك فيقول : " فكأنما قدم عليهم نبي " [٣].

ولما قدم عبدالله بن المبارك [٤] الرقة [٥] خرج معظم أهلها لاستقباله ، وجعلوا يسيرون خلفه حتى اشتد الزحام وارتفع الغبار وتقطعت النعال ، وأطلت النساء من النوافذ ليرين هذا الموكب ، فقالت إحدى إماء أمير المؤمنين هارون الرشيد: ما هذا ؟

---

[١] الذهبي :السير ج٧ ص٢٣٦ ،ومعنى بقل وجهه: أي خرج شعره { ابن منظور: لسان العرب ج١ ص٢٤٦ }.

[٢] هو حبيب بن أبي ثابت ، أبو يحي القرشي الأسدي ، الإمام الحافظ ، فقيه الكوفة وعالمها ، روى عن عدد من الصحابة ، (ت ١١٩هـ/٧٣٦م) { الذهبي : السير ج٥ ص٢٨٨،٢٨٩ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٦٢ – انظر أيضا : ابن حبان : المشاهير ص١٧٤ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٨٤ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٨٧،١٨٨ } .

[٣] الذهبي : السير ج٥ ص٢٨٣،٢٩٠ – ابو نعيم : الحلية ج٥ ص٦٠ .

[٤] عبدالله بن المبارك بن واضح ، ويكنى أبا عبدالرحمن ، الإمام ، شيخ الإسلام ، عالم زمانه ، الحافظ الغازي مولى بني حنظلة ولد سنة (١١٨هـ/٧٣٦م) وطلب العلم صغيرا وأكثر من الترحال حتى قال عن نفسه : طلبت العلم عن أربعة آلاف شيخ ، وقد صنف كتبا كبيرة (ت ١٨١هـ/٧٩٧م) { الذهبي : السير ج٨ ص٣٧٨،٣٧٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٥٨ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص ٣٧٢ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٣٢ – انظر أيضا : ابن حبان : المشاهير ص٣٠٩ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص١٠٧،١٠٨ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٠ ص١٥٢ – أبو نعيم: الحلية ج٨ ص١٦٢– ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٤٠٢}

[٥] الرقة : مدينة مشهورة على الفرات ، وهي معدودة في بلاد الجزيرة { ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص٥٩ } .

قالوا : عالم أهل خراسان وصل ، فقالت : " هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان " [1]. ولقد قال أحد الشعراء يصف مكانة عبدالله بن المبارك في قلوب الناس :

إذا سار عبدالله من مرو ليلة   فقد سار منها نورها وجمالها
إذا ذكر الأخيار في كل بلدة   فهم أنجم فيها وأنت هلالها [2]

٤- عدم السماح لهم بالعودة إلى بلادهم :

ولكون العلماء كانوا يكثرون من الترحال والتنقل من بلد إلى آخر لطلب العلم وتعليمه فكان البعض منهم يمكثون في البلد الذي ينزلون فيه لفترة قد تطول وقد تقصر ، وخلال هذه الفترة يتعرف الناس عليهم ويستفيدون منهم ، وتتفاوت هذه الفائدة بحسب المدة التي يقضونها بينهم ، فإذا كانت المدة طويلة كانت الفائدة أكبر وكانت محبتهم لهم بالتالي أكبر، ونظرا لذلك فقد كان الناس يتمسكون ببقاء بعض العلماء بينهم ، ولا يتركونهم يعودون إلى بلادهم، فهذا زفر بن الهذيل العنبري[3] مثلا، سافر في ميراث له من أخته إلى البصرة ، فلما وصل هناك وأراد الرجوع تشبث به الناس وكرهوا خروجه من بينهم.[4]

وفي بعض الأحيان قد يصر العالم على الرجوع إلى بلده فيرغبون له البقاء بعدة وسائل من بينها الزواج، وذلك حتى يضمنوا بقاءه وعدم خروجه من بينهم ، فقد روي أن معمر بن راشد البصري[5]، رحل إلى صنعاء ومكث بها فترة، فلما أراد

---

(1) الذهبي : السير ج٨ ص٣٨٤ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٣٣ .

(2) الذهبي : السير ج٨ ص٣٩١ . والشاعر هو عمار بن الحسن .

(3) هو زفر بن الهذيل العنبري ، الفقيه المجتهد العلامة ، المحدث ، نزيل البصرة ، (ت ١٥٨هـ/٧٧٤م) { الذهبي : السير ج٨ ص٣٩،٣٨ }.

(4) الذهبي : السير ج٨ ص٣٩ .

(5) هو معمر بن راشد الإمام الحجة ،أبو عروة الأزدي مولاهم البصري ، عالم اليمن ، وكان من الفقهاء المتقنين والحفاظ المتورعين ، وهو أول من رحل إلى اليمن ، (ت ١٥٢هـ/٧٦٨م) { الذهبي : السير ج٧ ص٦،٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧١ – ابن حبان : المشاهير ص٣٠٥ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٨٩،٢٨٨ } .

الرجوع كره الناس أن يخرج من بينهم، فقال لهم رجل : قيدوه ، فزوجوه [1]، فمكث بعد ذلك بصنعاء ولم يغادرها .

٥- السير في جنائزهم :

ولعل أهم ما يعطينا تصورا واضحا أكثر من ذي قبل عن مكانة العلماء بين الناس هو ما كان يحدث عند موت أحدهم فكان الناس يصيبهم حزن كبير، ويخرجون في أعداد كبيرة تفوق الحصر للمشاركة في تشييع جنازته ، وكلما كانت محبتهم وتقديرهم لعالم ما كبيرة ، كان عدد المشيعين أكثر ، وربما خرج جميع الناس في جنازته، فقد روي أن بكر بن عبدالله المزني [2] لما توفى خرج كثير من الناس في جنازته وازدحموا عليها حتى إن الحسن البصري لما رأى ذلك الزحام قال : "ما يوزرون أكثر مما يؤجرون" [3]، أي أنه بسبب الازدحام الشديد حول الجنازة فإنهم ينالوا الوزر من الله اكثر من الأجر ، ولما توفى عمرو بن قيس الملائي [4] بالكوفة اغلق أهلها الأبواب وخرجوا جميعا في جنازته .[5]

وفي البصرة توفى الحسن بن أبي الحسن البصري ، فخرج جميع الناس في جنازته وكان ذلك يوم الجمعة ، ولم تقم صلاة العصر في ذلك اليوم في الجامع حتى إن أحدهم

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص١١ .

(٢) هو بكر بن عبدالله المزني ابن عمرو الإمام القدوة أبو عبدالله المزني البصري كان أحد الأعلام ، وكان فقيها عابدا شديد الخوف من الله (ت١٠٨هـ/٧٢٦م) { الذهبي : السير ج٤ ص٥٣٢ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٢١ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٩ – وانظر أيضا : ابن حبان : المشاهير ص١٤٦ – ابو نعيم : الحلية ج٢ ص١٨١،١٨٢ – ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص١٤٩،١٥٠ } .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٥٣٥ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢١١ .

(٤) هو عمرو بن قيس الكوفي الملائي ، البزاز الحافظ ، وهو من شيوخ سفيان الثوري (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م) {الذهبي : السير ج٦ ص٢٥٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٩٨،٩٩ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص١٠٠،١٠٣ – وانظر أيضا : ابن حبان : المشاهير ص٢٦٤ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٢ ص١٦٣ – ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٧٤ } .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٢٥٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠٠ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص١٠١ . ويذكر أن على بن الحسين لما توفى خرج جميع أهل المدينة في جنازته و لم يتخلف أحد غير سعيد بن المسيب جلس وحده في المسجد { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٢٢ } .

قال : " لا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ " [1] والسبب أن الناس كلهم تبعوا جنازته وتأخروا في الدفن لكثرتهم، فلما رجعوا وجدوا أن وقت الصلاة قد فات، والله أعلم .

وخلال مشاركة الناس في تشييع جنائز العلماء ، كانت تحصل بعض الأحداث والمفارقات الملفتة للنظر ، ونحن لم نذكرها هنا إلا لنؤكد عل ارتفاع مكانة العلماء بين الناس ، بدليل حصول مثل هذه الأحداث والتي لا يمكن أن تقع إلا بسبب الأعداد الهائلة التي كانت تخرج للمشاركة في تشييع جنائزهم .

من أهم هذه المفارقات أن الخليفة هشام بن عبدالملك لما حضر جنازة سالم بن عبدالله بن عمر[2] في المدينة ورأى كثرة الناس فيها اندهش لذلك واستغرب لوجود هذه الأعداد كلها في المدينة ، فقال للوالي: " اضرب على الناس بعث أربعة آلاف"[3] فهو لم يتخذ قراره بالعدد الذي ينبغي أن يشارك به أهل المدينة في الغزو إلا بعد أن رأى كثرة الناس في جنازة سالم ، ومنذ ذلك اليوم سمى أهل المدينة ذلك العام بعام الأربعة آلاف .

ومن الحوادث أيضا ما وقع عند موت العالم داود بن نصير الطائي [4] فقد حضر جنازته خلق كثير من الناس حتى أنه حمل على سريرين أو ثلاثة كلها كانت تتكسر من

---

(1) الذهبي : السير ج٤ ص٥٨٧ – ابن خلكان : الوفيات ج٥ ص٧٢ .

(2) هو سالم بن عبدالله بن عمر أمير المؤمنين ، الحافظ مفتي أهل المدينة أبو عبدالله وأبو عمر القرشي العدوي المدني ولد في خلافة عثمان ، وكان جوادا زاهدا ورعا جمع بين العلم والعمل (ت ١٠٦هـ/٧٢٤م) { الذهبي : السير ج٤ ص٤٥٧،٤٥٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٣،١١٤ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٥ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٤٩ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٥٦ – وانظر أيضا : ابن حبان : المشاهير ص١٠٨ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٤٠ – أبو نعيم : الحلية ج٢ ص١٩٣ – ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج١ ص٣٨٧ } .

(3) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٣ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٠١ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٤٩ .

(4) هو داود بن نصير الطائي ، الإمام الفقيه ، أبو سليمان الكوفي، ولد بعد المائة بسنوات وكان من كبار أئمة الفقه والرأي (ت ١٦٥هـ/٧٨١م) في الكوفة {الذهبي : السير ج٧ ص٤٢٢-٤٢٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٧٨،٢٧٩ – وانظر أيضا: ابن قتيبة :المعارف ص٢٢٤ – ابن حبان : المشاهير ص ٢٦٦ – أبو نعيم : الحلية ج٧ ص٣٣٥ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٨ ص٣٤٧ – ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج١ ص٧٨ } .

الزحام[1] ، ولم يسمع بمثل جنازة هذا العالم حتى لقد قيل "بات الناس ثلاث ليال مخافة أن يفوتهم شهوده ".[2]

٦- حضور غير المسلمين في جنائز العلماء :

ومن الظواهر الهامة أيضاً والتي تدل على ارتفاع مكانة العلماء ، حضور الكثير من اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى جنائز العلماء ، ذلك لأن العلماء شمل عطفهم وبِرَّهم جميع الناس مسلمين وغير مسلمين ، ونترك شاهد عيان ليروي لنا ما حدث عند وفاة الأوزاعي عالم الشام فيقول : " أول ما سمعت الضجة بوفاة الأوزاعي خرجت فأول من رأيت نصرانياً قد ذرّ على رأسه الرماد ، فلم يزل المسلمون يعرفون له ذلك ، وخرجنا في جنازته أربع أمم : فحمله المسلمون وخرجت اليهود في ناحية ، والنصارى في ناحية ، والقبط في ناحية " [3].

بَيْد أن هذا المشهد لم يمر دون أن يترك أثراً كبيراً على هؤلاء اليهود والنصارى ، فلا شك أنهم قد تأثروا كثيراً ، وتيقنوا بأن محبتهم هم وغيرهم لهذا العالم لا يمكن أن يكون سببها دنيوياً بأي حال من الأحوال ، وإنما هي محبة الله له التي جعلت كل هؤلاء الناس يخرجون في جنازته ، لأنه كان عبداً مخلصاً لله تعالى وقضى عمره كله في خدمة الدين عن طريق طلب العلم وتعلميه للناس ، ولذلك فقد كان الأثر كبيراً وهو إسلام عدد كبير من اليهود والنصارى عندما حضرو جنازته .[4]

وفي مدينة واسط [5] خرج الناس في جنازة منصور

---

[1] الذهبي : السير ج٧ ص٤٢٥ ، وتتمة الخبر عند أبو نعيم ، تكسر من زحام الناس فيغير السرير ، وصلى عليه كذا وكذا مره (الحلية ج٧ ص٣٤١) وقال الفضل بن دكين : حضرت جنازة داود فما رأيتها من كثرة الخلق {ابن قتيبة : المعارف ص٢٢٤ } .

[2] الذهبي : السير ج٧ ص٤٢٥ .

[3] المصدر نفسه ج٧ ص١٢٧ .

[4] قيل أنه أسلم في هذا اليوم من اليهود والنصارى والقبط ثلاثين ألف رجل{ الحنبلي : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٨٧٠هـ/١٤٦٥م) محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي ص٧٥ ،حققه/ إبراهيم مهدي ، ط أولى ،١٩٩١م ، مؤسسة الموارد الثقافية ، بيروت لبنان }. وهذا رقم كبير ومبالغ فيه ولكن الخبر يدل على تأثرهم بذلك .

[5] واسط:مدينة تقع بين الكوفة والبصرة قام ببناءها الحجاج بن يوسف الثقفي{ياقوت:معجم البلدان ج٥ص٣٤٧}

بن زاذان [1] أربع أمم أيضا،

قال شاهد عيان : " شهدت جنازة منصور بن زاذان فرأيت النصارى على حده، والمجوس على حده ، واليهود على حده وقد أخذ خالي بيدي من كثرة الزحام " [2].

وفي مصر يذكر أن الليث بن سعد [3] عندما توفى أصبح الناس يعزي بعضهم البعض وهم يبكون وكانت جنازته من اعظم الجنائز فلم ير مثلها ولا أكثر من أهلها ، حتى أن أحد الصبيان سأل أباه " أكل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة ؟ فقال الأب : يا بني لقد كان عالما سعيدا كريما حسن الفعل كثير الافضال ، يا بني لا تر مثله"[4].

مكانتهم عند الخلفاء والأمراء :

إذا نظرنا إلى الفئات الاجتماعية الأخرى في هذه الفترة من شعراء وأغنياء وتجار وغيرهم ، نجد أنهم كانوا يسعون إلى نيل رضا الخلفاء والأمراء وخطب ودهم ، كي ينالوا منصبا أو يحققوا منفعة ، ولكن الكثير من العلماء كانوا على النقيض من ذلك تماما ، مما جعل لهم مكانة كبيرة وعالية بين الخلفاء والأمراء ، وقبل أن ندخل في تفاصيل ذلك سنحاول في البداية أن نسلط الضوء على الأسباب التي كانت وراء ارتفاع مكانة العلماء عند الخلفاء والأمراء .

---

(1) هو منصور بن زاذان الإمام الرباني ، شيخ واسط علما وعملا ، أبو المغيرة الثقفي مولاهم الواسطي ولد في حيلة ابن عمر (ت ١٣١هـ/٧٤٨م) { الذهبي : السير ج٥ ص٤٤١،٤٤٢ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٢٣ – وانظر أيضا : ابن حبان : المشاهير ص٢٧٩ } .

(2) الذهبي: السير ج٥ ص٤٤٢– ابن حبان: المشاهير ص٢٧٩– ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ص٢٢٣ .

(3) هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن ، شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية ، وأصله من الفرس (ولد سنة ٩٤هـ/٧١٢م) وقد استقل بالفتوى في زمانه بمصر ،وكان سخيا كريما ،وقد طلب العلم وهو ابن عشرين سنه (ت ١٧٥هـ/٧٩١م) { الذهبي : السير ج٨ ص١٣٦–١٣٨ – ابن سعد : الطبقات ص٥١٧ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٢٧ – وانظر أيضا : ابن قتيبة : المعارف ص٢٢١ – ابن حبان: المشاهير ص٣٠٣ – أبو نعيم : الحلية ج٧ ص٣١٨ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٧٥،٧٦ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٣ ص٣ – ابن الجوزي : صفوة الصفوه ج٢ ص٤٥٦ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٣٣١ } .

(4) الذهبي : السير ج٨ ص١٦٢ .

كان الخلفاء والأمراء يحترمون العلماء ويقدرونهم لسببين تقريبا ، الأول : إما حبا ورغبة واستفادة منهم ؛ لكونهم كانوا أكثر خشية لله وأكثر عبادة له وتقربا إليه بالنوافل المختلفة ، ولتفرغ الكثير منهم للعلم ، فنالوا بذلك محبة الله تعالى ، ومن أحبه الله احبه الناس[1] ، ثم إن الخلفاء كانوا يستدعون العلماء للفتيا والوعظ والقضاء ، ويكرمونهم على ذلك غاية الإكرام ويكنون لهم من الاحترام والتقدير ما لا يلقاه غيرهم ، فقد روي أن الخليفة عبدالملك بن مروان احتاج إلى من يفتيه في بعض مسائل الفقه ، فلم يجد أحدا من علماء الشام يفتيه في هذه المسألة حتى جاء الزهري من المدينة ، وبعد أن دخل عليه وأفتاه أكرمه وأمر بأن يضم اسمه في ديوان العطاء[2] ، وروي أيضا أن والي مصر عبدالعزيز بن مروان كان يستدعي العالم مرثد بن عبدالله [3] ليحضر مجلسه للفتيا[4] . فكان يلقى عنده كل التقدير والاحترام ، والموقف التالي يبين لنا مقدار احتياج الخلفاء للعلماء حتى في المشاكل الأسرية التي تعترضهم ، فقد ذكر أن الخليفة أبا جعفر المنصور أرسل إلى العالم القاضي غوث بن سليمان [5] ليقضي بينه وبين إحدى زوجاته في خلاف وقع بينهما ، فلما دخل على الخليفة أقام وكيلا عن زوجته وأمره أن يقف بجانبه حتى يحكم بينهما فأجاب الخليفة إلى ذلك ، وبعد أن سمع منهما حكم لزوجته ضده، فأكرمه الخليفة وأمر له بجائزة وخلعه وعينه قاضيا على الكوفة.[6]

---

[1] ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إذا أحب الله عبدا نادى جبريل : إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض**".{أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق رقم (٣٠٣٧)}.

[2] الذهبي : السير ج٥ ص٣٣١ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٣٢،٢٣٣ .

[3] هو مرثد بن عبدالله اليزني ،عالم الديار المصرية ومحدثها ومفتيها ، ويزن بطن من حمير ، ولم يكن في زمانه بمصر أعلم بالفتيا منه (ت ٩٠هـ/٧٠٨م) { الذهبي : السير ج٤ ص٢٨٤ } .

[4] الذهبي : السير ج٤ ص٢٨٥ .

[5] هو غوث بن سليمان بن زياد بن ربيعة بن نعيم ، أبو يحي الحضرمي ، ولد سنة أربع وتسعين وولي القضاء بمصر ثلاث مرات في أيام المنصور والمهدي ، (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م) { ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٩ } .

[6] ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٩،٣٠٠ .

وأما السبب الثاني فقد يكون خوفا ورهبة من العلماء ، فالخلفاء والأمراء يعرفون ما للعلماء من مكانة كبيرة بين الناس ، وقد سبق وأن أوضحنا ذلك ، وبالتالي قد يشكلون خطرا عليهم في بعض الأوقات ، ولذا كانوا يسعون إلى إرضائهم والأمر بتنفيذ مطالبهم ، فالخلفاء المتعاقبين من بني أمية وبني العباس لا ينسون الخطر الذي شكّله بعض العلماء بخروجهم مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث [1] على الحجاج بن يوسف وعبدالملك بن مروان في وقعة دير الجماجم وغيرها من الوقائع ، والتي كادت أن تطيح بالحكم الأموي في العراق ، لولا ثبات الحجاج ودعم الخليفة له ، وهذا كان بوقوف بعض العلماء مع ابن الاشعث فما بالنا لو وقف جميع العلماء ، لكان يمكن أن تكون النتائج غير ذلك .

ومن الأمثلة على خوف بعض الأمراء من العلماء ما ذكره ابن الجوزي [2] عن الأمير محمد بن سليمان أمير البصرة ، عندما دخل على العالم حماد بن سلمة قال له : "مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعبا، فقال حماد: إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شئ وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء". وكان الليث بن سعد في مصر إذا رأى من الوالي أي اعوجاج يكتب إلى الخليفة بذلك فيأتيه الجواب بالعزل لذلك الوالي .[3]

وبعد أن أوضحنا بعض الأسباب التي جعلت للعلماء مكانة مرموقة عند الخلفاء والأمراء يمكننا الآن أن نستعرض ونبين هذه المكانة وذلك من خلال الجوانب التالية:

أولا – مجيء العلماء إلى الخلفاء والأمراء وحضور مجالسهم :

كان العلماء يحضرون مجالس الخلفاء والأمراء إما بطلب من الخليفة أو الأمير

---

[1] كان خروج ابن الأشعث على الحجاج وعبدللك بن مروان سنة ٨١هـ وقيل ٨٢هـ وقد أجتمع إليه أهل البصرة وأهل الكوفة في دير الجماجم وفيهم القراء من أهل المصرين ، ومن أشهر العلماء الذي اشتركوا مع ابن الأشعث في حرب الحجاج ، الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وأبو البختري الطائي ، وعبدالرحمن بن أبي ليلى {الطبري: التاريخ ج٦ ص٣٤٦،٣٤٧،٣٤٩،٣٥٠ }وممن خرج أيضا من العلماء محمد بن سعد بن أبي وقاص {الذهبي : السير ج٤ ص٣٤٨،٣٤٩} .

[2] المنتظم : ج٨ ص٢٩٥،٢٩٦ .

[3] الذهبي : السير ج٨ ص١٥٠ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣١ .

منزلة العلماء وعلو شأنهم عند الخلفاء ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

– التأثر بنصائحهم ومواعظهم : فالعلماء في هذه الفترة كثيراً ما كانوا يدخلون على الخلفاء والأمراء من أجل النصح والموعظة ، وكان الخلفاء والأمراء يتقبلون هذه النصائح ويتأثرون بها وأحياناً يصل بهم التأثر إلى حد البكاء ، والمواقف التي تدل على ذلك كثيرة ، ففي ترجمة عمرو بن عبيد [1] يذكر لنا ابن الجوزي [2] أنه دخل على الخليفة أبي جعفر المنصور ، فلما جلس قال له الخليفة : عِظْني ، فوعظه موعظة حتى بكى بكاءً شديداً ، ثم قال له : زدني ، فوعظه حتى بكى بكاءً أشد من بكائه الأول .

– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : إنّ المتتبع لسير وتراجم العلماء في هذه الفترة يجد أن معظمهم من العلماء العاملين ، الجريئين في قول الحق الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وكان الخلفاء يتقبلون ذلك منهم بصدور رحبة ، ويعملون على إزالة المنكرات التي ينهون عنها ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها أن عطاء بن أبي رباح دخل على الخليفة هشام بن عبدالملك : وعنده أشراف الناس يتحدثون ، فسكتوا فقال هشام :" ما حاجتك يا أبا محمد ؟ قال : يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسوله أن يقسم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم ؟ قال : نعم . يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة ، ثم قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم : أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب تردّ فيهم صدقاتهم ، قال : نعم . يا غلام اكتب بأن تردّ فيهم صدقاتهم ، قال : هل من حاجة يا أبا محمد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ...." ، [3] وجعل يعدد أشياء والخليفة يأمر بها.

– التقدير والاحترام : فقد كان الخلفاء يستقبلون العلماء الذين يدخلون عليهم بالحفاوة والترحيب ، وينزلونهم المنزلة التي تليق بهم وبمكانتهم ، ويحيطونهم بالرعاية والتقدير ، فهذا عطاء بن أبي رباح مثلا لما دخل على الخليفة عبدالملك بن مروان قام

---

[1] عمرو بن عبيد بن باب ، الزاهد العابد كبير المعتزلة ، أبو عثمان ، وباب من سبي فارس ،وكان يسكن البصرة ، وجالس الحسن البصري ثم جالس واصل بن عطاء (ت ١٤٤هـ/٧٦١م) { الذهبي : السير ج٦ ص١٠٤،١٠٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٥٨ } .

[2] المنتظم : ج٨ ص٦٠ .

[3] المصدر نفسه ج٧ ص١٦٧،١٦٨ .

والتقدير ، فهذا عطاء بن أبي رباح مثلاً لما دخل على الخليفة عبدالملك بن مروان قام إليه مرحبا وأجلسه معه على سريره وأقعده بين يديه[1] ، وكذلك لما دخل على هشام يذكر أنه رحب به كثيراً وأجلسه بجانبه حتى مست ركبته ركبته ، فلما خرج من عنده أرسل له كيسا فيه دراهم فرفض قبولها [2] .ومن ذلك أيضا ما ذكره الذهبي [3] من أن سالم بن عبدالله بن عمر دخل على الخليفة سليمان بن عبدالملك وعليه ثياب رثة غليظة فلما رآه الخليفة قام إليه ولم يزل يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره ، وكذلك لما دخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور رحب به ومازال يدنيه منه حتى أتكأه عل فخذه .[4]

– استشارتهم : كان الخلفاء والأمراء يجعلون من العلماء الذين يدخلون عليهم ويجالسونهم نصحاء ومستشارين لهم حتى في أخطر القضايا التي تهم الأمة ، فهذا الخليفة سليمان بن عبدالملك جعل من رجاء بن حيوة [5] مستشاره الخاص وعمل بمشورته في تولية عمر بن عبدالعزيز الخلافة [6].ولما كان عمر بن عبدالعزيز واليا على المدينة، كان لا يقطع أمرا دون الرجوع إلى علمائها[7].وكان الأمير عيسى بن موسى[8] لا يبت في أمر دون أن يستشير العالم

---

(1) الذهبي : السير ج٥ ص٨٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٦ .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٧ .

(3) السير ج٤ ص٤٦٢ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص١٦ .

(4) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٥٩،٦٠ .

(5) هو رجاء بن حيوه ابن جرول ، ويقال أبو نصر الكندي الأردني الفلسطيني ، الأمام القدوة ، الوزير العادل الفقيه ، وكان من العلماء وكان يجالس عمر بن عبدالعزيز (ت ١١٢هـ/٧٣٠م) { الذهبي : السير ج٤ ص٥٥٧،٥٥٨ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٤٥٤ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٥ ص٣١٥-٣١٨ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٠١ – ابن حبان : المشاهير ص١٨٩ – ابو نعيم : الحلية ج٥ ص١٧٠ } .

(6) الذهبي : السير ج٥ ص١١٣،١٢٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٣٢ – الطبري : التاريخ ج٦ ص٥٥٠ .

(7) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٧٨ – ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص٣٩٥ .

(8) عيسى بن موسى ابن محمد بن علي بن عبدالله العباسي ، وكان أبو العباس السفاح قد عهد عند موته إلى أخيه المنصور ثم من بعده عيسى بن موسى ، وقد تحيل عليه المنصور حتى أبعده عن ولاية العهد (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م) { الذهبي : السير ج٧ ص٤٣٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩١ } .

ابن شبرمة [1].

- تفقد أحوالهم والسؤال عنهم ومنحهم العطايا وقضاء ديونهم : من مظاهر تكريم الخلفاء والأمراء للعلماء الاهتمام بهم والسؤال عن أحوالهم ، وفي هذا المجال يذكر أن عمرو بن عبيد لما دخل على أبي جعفر المنصور جعل المنصور يسأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة [2]. ويروى أن عمر بن عبدالعزيز بعث بمال إلى الحسن البصري ومحمد بن سيرين[3] ، فقبل الحسن ورفض ابن سيرين [4] . وقدم إبراهيم النخعي [5] على أمير حلوان فرحب به ، وحمله على برذون [6] ، وكساه أثوابا ثم وهبه مبلغ ألف درهم [7] ، وإضافة إلى ذلك فقد كان العلماء يدخلون على الخلفاء والأمراء ويشكون إليهم ما لحق بهم من الغرم أو الدين فيبادر الخلفاء إلى قضاء ديونهم ، فقد دخل هشام بن عروة بن الزبير على الخليفة

---

(1) الذهبي : السير ج٦ ص٣٤٨ . وابن شبرمة هو عبدالله ابن شبرمة الإمام العلامة ، فقيه العراق وقاضي الكوفة (ت ١٤٤هـ/٧٦١م) { الذهبي : السير ج٦ ص٣٤٧،٣٤٨ - وانظر أيضا : ابن حبان : المشاهير ص٢٦٥ - والشيرازي : طبقات الفقهاء ص٨٥ } .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٦٠ .

(3) هو محمد بن سيرين ويكنى أبا بكر وكان أبوه في سبي عين التمر تملكه أنس بن مالك، وكاتبه على أربعين ألف، وأدى المكاتبة ، وأمه صفية مولاة أبي بكر الصديق ، طيبها ثلاثة من أزواج النبي صلى الله عليه سلم وحضر إملاكها ثمانية عشر بدريا ، وكان فقيها عالما ثقة مأمونا إماما كثير العلم والورع (ت ١١٠هـ/٧٢٨م) { الذهبي : السير ج٤ ص٦٠٦ - ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٣٨ - ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٩٣ - ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٨١ } .

(4) الذهبي : السير ج٤ ص٦١٥ .

(5) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني ثم الكوفي ، الأمام الحافظ فقيه العراق وكان مفتي أهل الكوفة ، وقد أدرك جماعة من الصحابة ومن أمهات المؤمنين عائشة (ت ٩٦هـ/٧١٤م) { الذهبي : السير ج٤ ص٥٢٠ - ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٧٠ - أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٢١٩ - ابن خلكان : الوفيات ج١ ص٢٥ } .

(6) البرذزون هو : الدابة وهو الذكر والأنثى برذونه ، وجمعه براذين والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص١٩٠ } .

(7) الذهبي : السير ج٤ ص٥٢٣ .

عبدالملك بن مروان وشكى إليه دينا لحقه فقضى عنه منه عشرة آلاف[1] .

وقدم ابن جريج[2] على الأمير معن بن زائدة[3] في دين لحقه ، فمكث في ضيافته فترة ، ثم عزم على الحج فأعطاه خمسمائة دينار ، ثم دفع إليه ألف وخمسمائة درهم [4] .

وقدم أيضاً القاسم بن مخيمرة الهمداني [5] على عمر بن عبدالعزيز ، وكان عليه دين ، فقضى عنه سبعين دينارا ، وأمر له ببغلة يركب عليها ، وفرض له خمسين ، فقال لعمر : " لقد أغنيتني عن التجارة " [6] .

ثانياً – حضور الخلفاء والأمراء مجالس العلماء :

وفي مقابل دخول العلماء على الخلفاء والأمراء وحضور مجالسهم،كان الخلفاء

---

(1) المصدر نفسه ج٦ ص٤٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠١ .

(2) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ، الإمام ، العلامة ، الحافظ ، شيخ الحرم ، أبو خالد القرشي الأموي ، المكي ، صاحب التصانيف ، وكان جده جريج عبدا لأم حبيب بنت جبير،وكان عبدالملك أحد العلماء المشهورين، ويقال أنه أول من صنف الكتب في الإسلام ، ولد سنة ٨٠ هجرية (ت١٤٩ هـ/٧٦٦م) { الذهبي : السير ج٦ ص٣٢٥،٣٢٦ – وابن خلكان : الوفيات ج٣ ص١٦٣ – وانظر ترجمته في : ابن قتيبة : المعارف ص٢١٤ – وابن حبان : المشاهير ص٢٣٠ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٠ ص٤٠٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٢٤،١٢٥ – وصفة الصفوة ج١ ص٤٦٢ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٦٢-٢٦٤ – الذهبي : تاريخ الإسلام الجزء الخاص بحوادث ووفيات (١٤١-١٦١هـ) ص٢١٠-٢١٢}.

(3) هو معن بن زائدة بن عبدالله بن مطر بن شريك ، أبو الوليد الشيباني ، أمير العرب وأحد أبطال الإسلام ، وكان جوادا شجاعا ، وقد تولى إمرة العراقين ، واليمن ، وأذربيجان ثم سجستان ، وقد قاتل الراوندية يوم خرجت على المنصور ، ولمعن أخبار كثيرة في السخاء والشجاعة ، وقد كان شاعرا (ت ١٥٢هـ/٧٦٨م) قتلته الخوارج {الذهبي : السير ج٧ ص٩٧،٩٨ – ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٨ ص١٦٠-١٦٤ – وانظر ترجمته في الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٣ ص٢٣٥-٢٤٤ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٥ ص٢٤٤-٢٥٤ – ابن كثير : البداية ج١٠ ص١٠٩ } .

(4) الذهبي : السير ج٦ ص٣٣٥ .

(5) هو القاسم بن مخيمرة ، الإمام القدوة الحافظ أبو عروة الهمداني الكوفي ، نزيل دمشق ، وقد روي عن عبدالله بن عمرو وعن خلق كثير من التابعين ، وقد ذكره بن سعد في الطبقة الثانية من أهل الكوفة فقال : وكان ثقة وله أحاديث ، وكان يعلم ولا يأخذ أجرا (ت ١٠٠هـ/٧١٨م) { الذهبي : السير ج٥ ص٢٠١-٢٠٤ – ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص٥١ – وانظر ترجمته أيضا في : ابن حبان : المشاهير ص٢٨٩ – أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٢٣١ – ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٥٥ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٩٤،١٩٥ }.

(6) الذهبي : السير ج٥ ص ٢٠٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٥٢. والنص لابن الجوزي .

والأمراء أيضاً يدخلون على العلماء في بيوتهم أو يحضرون مجالسهم(مجالس العلم)،وهذا الأمر يدل على ارتفاع قدر العلماء وعلوّ مكانتهم عند الخلفاء ، ومما يُذكر في ذلك أن الخليفة سليمان بن عبدالملك أتى إلى عطاء بن أبي رباح في مجلسه في المسجد الحرام ، فجلس بالقرب منه وأخذ يسأله عن مناسك الحج ، وعطاء قد أدار له ظهره ولم يلتفت إليه ،بل كان يجيب عليه وهو كذلك حتى انتهى[1]،ويبدو أن هذا الصنيع من قبل عطاء لم يكن منه تكبراً أو ترفعاً،وإنما يبدو– والله أعلم – أنه أراد أن يبين للناس منزلة العالم وفضله على الناس ، وأن أي إنسان مهما بلغت منزلته فلن يبلغ منزلة العالم .

لقد كان الخلفاء والأمراء يحضرون مجالس العلماء ويستمعون إليهم مثلهم مثل غيرهم من عامة الناس ، يقول شاهد عيان : " أقبل يزيد بن عبدالملك إلى مكحول في أصحابه فلما رأيناه هممنا بالتوسعة له . فقال مكحول : دعوه يجلس حيث يتعلم التواضع " [2] . إن هذه النصوص وغيرها تدلنا على أن الخلفاء كانوا يقدّرون العلماء، فحضورهم مجالسهم يعد تكريماً لهم وللعلم الذي يحملونه .

وتذكر بعض الروايات أن البعض من الأمراء كانوا يدخلون على العلماء في بيوتهم ، وأحياناً يلقونهم اتفاقاً في المسجد أو غيره فيبدؤونهم بالسلام تكريماً لهم ، ويعرضون عليهم قضاء حوائجهم ، فهذا الأمير محمد بن سليمان أمير البصرة يطلب من حماد بن سلمة [3] أن يأتيه إلى مجلسه ، فكتب إليه حماد بظهر الكتاب قائلاً : " إنّا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً فإن كانت وقعت مسألة فأتنا وسلْنا ما بدا لك ،

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٦،١٦٧ .

(2) الذهبي : السير ج٥ ص١٦٢ .

(3) هو حماد بن سلمة بن دينار مولى بني تميم ، النحوي البزاز المحدث ، وكان عالماً عابداً محاسباً لنفسه ، وكان إماماً كبيراً في العربية (ت ١٦٧هـ/٧٨٣م) { الذهبي : السير ص٤٤٤-٤٤٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٥ وانظر : ابن حبان المشاهير ص١٤٧ – أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٢٤٩-الزبيدي : محمد بن الحسن (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) طبقات النحويين واللغويين ص٥١، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ثانية، دار المعارف (بدون تاريخ) .

فإن أتيتني فلا تأتيني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك ، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام"، فلما وصل الأمير بـاب الدار قال للصبية : قولي له يدخل وحده، فدخل فسلم ثم جلس بين يديه ،فلما انتهى الأمير من الحديث معه أعطاه أربعين ألف درهم ليستعين بها فرفض حماد قبولها [1]. ومما يذكر أيضا في هذا المجال أن الخليفة هشام بن عبدالملك دخل الكعبة فإذا هو بسالم بن عبدالله بن عمر فقال له : "يا سالم سلني حاجة ، فقال له : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيت الله غيره فلما خرج خرج في أثره ، فقال له الآن قد خرجت فسلني حاجة ، فقال له سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فقال من حوائج الدنيا . فقال له : ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها" [2]، ويذكر أيضا أن الوليد بن عبدالملك دخل المسجد النبوي وسعيد بن المسيب جالس في مقدمة المسجد ، فجعل يمر في المسجد حتى وقف على سعيد بن المسيب فقال : " كيف أنت أيها الشيخ – وهو جالس – فقال بخير والحمدلله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ، فقال الوليد : بخير والحمدلله ، فانصرف وهو يقول : هذا بقية الناس " [3] .

ومن خلال ما سبق تتضح المترلة الكبيرة التي كان يحظى بها العلماء عند الخلفاء ، فقد كانوا هم المطلوبين من الخلفاء كما هو واضح من خلال الروايات وليس العكس.

– كما نلاحظ أيضا أن العلماء لم يكونوا يستغلون مثل هذه المواقف لمصلحتهم المادية أو غير المادية ، كما قد يفعل غيرهم ، وإنما كانوا يتنزهون عن مثل ذلك زهدا وورعا وثقة بما عند الله عز وجل .

ثالثا – المراسلة بين الخلفاء والعلماء :

كان الخلفاء والأمراء يراسلون العلماء وكذلك كان العلماء يراسلون الخلفاء والأمراء ، وهذا يدل على أن للعلماء مترلة عند الخلفاء والأمراء ويتضح ذلك من خلال معرفة ما تتضمنه هذه الرسائل .كان الخلفاء والأمراء يكتبون إلى العلماء طالبين

---

[1] ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٥،٢٩٦ .

[2] الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٤،١١٥ .

[3] ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٠٠،٣٠١ .

منهم المشورة والنصح و الموعظة وأحيانا الفتيا ، وكان العلماء يكتبون للخلفاء والأمراء ينصحونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وكذلك يشيرون عليهم بما فيه مصلحة الأمة ، فيستجيب الخلفاء لنصائحهم ومشورتهم ، ويكفينا في هذا المجال أن نذكر بعض الأمثلة التي تدل على ذلك :

-كتب أبو جعفر المنصور وهو في بغداد إلى الأوزاعي وهو في الشام " أما بعد فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك في عنقه فاكتب إلي بما رأيت فيه المصلحة متى أحببت" (١) .وقد ذكر أن كتب الأوزاعي كانت ترد على المنصور ، فكانت تنسخ في دفاتر وتوضع بين يديه .(٢)

وكان الليث بن سعد يراسل الخلفاء ويكتب لهم عن تصرفات الولاة ، فإذا أنكر أمراً من الوالي يكتب بذلك إلى الخليفة فيرد عليه الجواب بعزله .(٣)

وأخيراً فإن الخلفاء والأمراء كانوا يحترمون العلماء ويقدرونهم وينزلونهم المنزلة التي تليق بهم ، ويكرمونهم غاية الإكرام حتى في المواقف التي قد يحصل فيها من العلماء إساءة للخلفاء لها تأثير على سلطتهم ومركزهم ، فهذا الخليفة عبدالملك بن مروان يقول :" إني لأهمّ بالشيء أفعله بأهل المدينة لسوء أثرهم عندنا فأذكر أبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث (٤) فأستحي منه فأدع ذلك الأمر " (٥).

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٢٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ج٧ ص١١٥ ، كتب الأوزاعي في إحدى هذه الرسائل إلى أبو جعفر في مسألة الأسرى الذين لدى الروم أيام خروج إبراهيم ، ومحمد ابنا علي ، على أبي جعفر وقال له في الرسالة " فليتق الله أمير المؤمنين وليتتبع بالمفادات بهم من الله سبيلا " { أبو نعيم : الحلية ج٦ ص١٣٥،١٣٦ } وقد أورد الأمام الرّازي في تقدمة الجرح والتعديل في ترجمة الأوزاعي تفاصيل هذه الرسائل إلى كل من الخليفة أبو جعفر وابنه المهدي وغيرهم من القواد والوزراء والعلماء ، وهي سبع رسائل { الرازي: عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ/ ٨٤٢م) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ج١ ص١٨٧-٢٠١ ،ط أولى ١٩٥٢م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان } .

(٣) الذهبي : السير ج٨ ص١٥٠ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣١ .

(٤) هو أبو بكر ابن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومي واسمه كنيته ، وكان من سادات قريش فقهاً وعلماً وورعاً (ت ٩٤هـ/٧١٢م) { الذهبي : السير ج٤ ص٨٧ – ابن حبان : المشاهير ص١٠٧ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٤٢ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٢٧،١٢٨ } .

(٥) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٠٨ .

وهـــذا الأوزاعي يدخل على الأمير عبدالله بن علي[1] عم السفاح ، فيقول لــه الأمير : ما تقول في دماء بني أمية ؟ فيجيب عليــه الأوزاعي بكلام شديد يوضح فيــه الحــق فيغضب الأمير ويأمــر بخروجه ،ولكنه بعد خروجه يرسل له بمبلغ مـن الدنانير[2] .وأعجـــب من هذا ما حـــدث بين العالم ابن أبي ذئب[3] والخليفة أبو جعفر المنصور فقد ســـأل الخليفة ابن أبي ذئب عن والي مكــة عبدالصمد ؟ فقال :" يا أمير المؤمنين ولي علينا ففعل بنا وفعل وأطنب في ذكر مساوئه ،فقال الوالي يا أمير المؤمنــين سله عن نفسك ،فقال أبو جعفر : فإني أسألك عن نفسي ، فقال : لا تسألني ، فقال : أنشدك بالله فكيف تــراني ؟ قال : والله ما أعلمك إلا ظالما جائرا " [4] قال الذهبي[5]: "فقام الربيع حاجب المنصور وأخـــذ بلحيته" فقال أبو جعفر كف يا ابن اللخناء ، ثم أمر له بثلاثمائة دينار ، وهكذا نجد أن الخلفاء كانوا يقدرون العلماء بالرغم من إساءهم لهم .

عوامل ارتفاع مكانة العلماء :

لقد تحدثنا عن اتساع حجم شريحة العلماء وعن مكانتهم العالية بـــين النـــاس ، ومكانتهم عند الخلفاء والأمراء ، ورأينا كيف أن تلك المكانة في بعض الأوقات فـلقت

---

(1) عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان شجاعا مهيبا جبارا ، وكان السفاح قـــد ولاه حرب مروان بن محمد وضمن له إن قتل على يده أن يجعله الخليفة من بعده ، وقد قيل أنه قتل في دمشق مـــن الصباح إلى الظهر ٥٠ ألف مسلم ، ثم لم يوفي له السفاح وعقد لأخيه المنصور ، ثم لما تولى المنصور خرج عليـــه في الشام وبايع له أمراء الشام ، وهزمه أبو مسلم الخرساني (ت١٤٧هـ/٧٦٤م) { ابـــن الجـــوزي : المنتظـــم ج٨ ص١٠٧،١٠٨ }.

(2) الذهبي : السير ج٧ ص١٢٨،١٢، للرجوع إلى تفاصيل الكلام الذي دار بين الأوزاعي وعبدالله بن علي يتـــم الرجوع إلى ما أورده الذهبي بصيغ مختلفة عن ذلك{ السير ج٧ ص١٢٢-١٢٩ } .

(3) هو محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة ، الأمام شيخ الإسلام ، أبو الحارث القرشي العامري المدني ، أحـــد الأئمـــة المشاهير ، وهو صاحب الأمام مالك رضي الله عنهما وكان بينهما ألفة أكيدة ومودة (ولـــد ٨٠هـــــ/٦٩٩م) (ت ١٥٨هـــ/ ٧٧٤م) { الذهبي : السير ج٧ ص١٣٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٣٢ – ابن خلكـــان : الوفيات ج٤ ص١٨٣ – ابن حبان : المشاهير ص٢٢٣ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٢ ص٢٩٦ } .

(4) الذهبي : السير ج٧ ص١٤٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٣٤ وفيه فقام إليه وبيده عمود ... ولم ينلـــه بسوء ، ولم يذكر أنه أعطاه ثلاثمائة دينار .

(5) السير : ج٧ ص١٤٤ .

مكانة الخلفاء ، وإذا كنا قد تحدثنا عن ذلك ، فلا بد أيضا من التعرض لأهم العوامل التي جعلت العلماء يحتلون هذه المكانة بين أفراد المجتمع بشتى فئاته ومختلف طبقاته.

والمتتبع لحياة العلماء من جميع النواحي : العلمية والاجتماعية والعبادية وغيرها يجد أن هذه العوامل كثيرة،غير أننا سنتعرض لذكر أهمها،وسيجد القارئ عوامل أخرى مبثوثة بين ثنايا البحث وفصوله المختلفة ،أو في المصادر التي تتحدث عن حياة العلماء. ويمكننا أن نجمل أهم العوامل التي أدت إلى ارتفاع مكانة العلماء فيما يلي :

١- العلم :

لا خلاف في أن العلم له أثر كبير في رفعة صاحبه وعلو مترلته بين الناس وعند الله سبحانه وتعالى .والعلماء في هذه الفترة وغيرها لم يبلغوا هذه المترلة والمكانة إلا بالعلم ، وليس المقام هنا أن نذكر الأحاديث والآيات القرآنية التي تبين ذلك ، وإنما سنذكر من أقوال ومواقف العلماء ما يدل على ذلك ، فهذا الأعمش يقول :" إن الله يرفع بالعلم أقواما ويضع به آخرين ، وأنا ممن رفعني الله به ، ولولا القرآن وهذا العلم لكنت من بقالي الكوفة "[1] فالأعمش يصرح هنا بأنه لم ينل هذه المكانة إلا بالعلم واهتمامه به ولولا ذلك لكان مثله مثل من يبيع البقل في طرقات الكوفة ، وبيع البقل ليس عيبا ، وإنما قصد الأعمش أن هؤلاء الذين يبيعون البقل ليس لهم مكانة في المجتمع ، ومتى قد حفظ لنا التاريخ من أسماء التجار حتى ولو كانوا من الأغنياء ، فما بالنا بمن يبيعون البقل !!

إذا فالعلم يرفع صاحبه ولو كان عبدا أسود ؛ إذ بتعلم العلم وطلبه يصير العبد سيدا والوضيع كبيرا ،وليس أدل على ذلك من فئة العلماء الموالي فقد كان كثير منهم عبيدا ثم صاروا أئمة يقتدى بهم ، من هؤلاء الموالي عطاء بن أبي رباح ،الذي كان عبدا لامرأة من أهل مكة ، وكان أسود شديد السواد أعور أفطس أعرج أشل أنفه كأنه باقلاء[2] ،ومع ذلك فقد بلغ من مكانته وعلمه أنه كان ينادى في موسم الحج لا

---

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٢٢٩ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٥٤ .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص٨٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص ١٦٥،١٦٦– ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص٤٧٠– ابن خلكان:وفيات الأعيان ج٣ ص٢٦١ .والبقلاء من البقل وهو معروف ،وقيل كل نابته في أول مـ=

يُفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح[1]،وبـلغ من مكانته أن الخليفة سليمان بن عبدالملك جلس إليه هو وابناه ، وهو محوِّل قفاه إليهم ، وسأله عن مناسك الحج ، ثم قام الخليفة وقـال لابنيه : "يا بنيَّ لا تنيـا في طلب العـلم فإني لا آنس ذلّنا بين يدي هذا العبد الأسود [2] "، إنه العلم الذي رفع عطاء إلى هذه المترلة .

والعالم إذا لم يبتغِ بعلمه وجه الله تعالى فإنه يكون ممقوتاً عند الله تعالى وعند الناس فالعلم وحـده إذا لم يصاحبه الإخـلاص فهو غير كـاف لأن يجعل لصاحبه وقعـاً في النفوس[3] ولهذا نجد أن العلماء في هذه الفترة رحمهم الله تعالى ، لم يكونـوا يطلبـون العلـم إلا لله تعالى ،وكانت النتيجة أنهم " نـبُلُوا وصاروا أئمة يُقتدى بهم ،وطلبـه قـوم منهـم أولاً لا لله وحصـلوه ثم استفاقوا وحاسبوا أنفسـهم فجرّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطـريق " [4]، ومن هـؤلاء مجاهد بن جبر[5] الذي قال :"طلبنـا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا الله " [6].

٢- الهمة والصبر وتحمل المشاق في سبيل العلم :

لم يبلغ العلماء هذه المترلة ، ولم ينالوا هذه المكانة العالية بالجلوس في بيوتهـم أو ببذلهم فضول أوقاتهم ،وإنما كانوا يقبـلون على تعلّم العلـم وتعليمه للناس بهمة

= تنبت فهو البقل وواحدته بقلة – أما الباقلاء فهي الفول { ابن منظور : لسان العـرب ج١ ص٢٤٥،٢٤٦ } وعليه فقد يكون انفه مثل البقلة أو مثل حبة الفول والثاني أرجح لأنه ذكر أنه أفطس ، والله أعلم .

(١) الذهبي: السير ج٥ ص٨٢ – ابن خلكان: الوفيات ج٣ ص٢٦١،٢٦٢ – ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص١٦٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٦،١٦٧ .

(٣) الذهبي : السير ج٧ ص١٥٢،١٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ص١٥٢ .

(٥) هو مجاهد بن جبر ، ويكنى أبي الحجاج ، مولى قيس بن السائب المخزومي ، وهو شيخ القراء والمفسرين ، كان يقول " عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة أقفُه عند كل آية ، أساله فيـم نزلـت ، وكيـف كـانت (ت ١٠٤هـ/ ٧٢٢م) وهو ساجد وكان عمره ٨٣سنه { الذهبي : السير ج٤ ص٤٤٩،٤٥٠ – ابن الجـوزي : المنتظـم ج٧ ص٩٤ –ابـن سـعد: الطبقـات ج٥ ص٤٦٦ – ابـن قتيبـة: المعـارف ص١٩٦ وانظر أيضاً : ابن حبان المشاهير ص١٣٣– الشيرازي :طبقـات الفقهاء ص٥٨ – أبو نعيـم: الحليـة ج٣ ص٢٧٩– ابن عبدالهادي الدمشقي:طبقات علماء الحديث ج١ص١٦٢،١٦٣– ابن كثير:البداية ج٩ ص٢٢٤}.

(٦) الذهبي : السير ج٧ ص١٥٢ .

في الليل والنهار ،وكان البعض منهم يطلبه لمدة عشرين سنة أو تزيد لا يكل ولا يمل ، ثم يجلس بقية عمره يعلّم الناس .هكذا كـــان حال العلماء ،الذين كانوا يتحملـــون في سبيل ذلك المشاق الكبيرة والتي لا يستطيع أن يتحملها إلا من وفّقه الله تعالى .

سُئل الشعبي : من أين لك كل هذا العلم ؟ – وكأن لسان حال السائل يقـول : كيف وصلت إلى هذه المترلة – فقال : "بنفي الاغتمام والسير في البلاد ، وصبر كصبر الحمار ، وبكور كبكور الغراب" [١] .وهذا عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج يصـــف معاناته في طلب العلم فيقول " أتيت عطاء بن أبي رباح وأنا أريد هذا الشـــــأن – أي العلم – وعنده عبيدالله بن عبيد بن عمير ،فقال لي ابن عمير: قرأتَ القرآن ؟فقلت لا قال: فذهب فاقرأه ثم أطلب العلم ،فذهبت فغبرت زماناً حتى قرأت القرآن ،ثم جئـت عطاء وعنده عبـــدالله .فقال قرأت الفريضة ؟ فقلت: لا .قال :فتعلـــم الفريضـــة ثم اطلب العلم .قال: فطلبت الفريضة ،ثم جئت .فقال: الآن فاطلب العلم ،فلزمت عطاء سبع عشرة سنة ، ثم قال : وجالست عمرو بن دينار [٢] بعدما فرغت من عطاء تســع سنين ، وكان يقول – أي ابن جريج – : ما دوّن العلم تدويني أحد "[٣] .ولعل ما لقيه العـــالم عكرمة مولى ابن عباس[٤] يشبه إلى حد كبير ما لقيه ابن جريج ، مع فـــارق في الفـــــترة ونـــوع المعـــاناة، فيقـــول عكـــرمة : "كـــان ابـــن عبـــاس يضـــع

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٣٠٠ .

(٢) عمرو بن دينار ، الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الاثرم أحد الأعلام وشـــيخ الحـــرم في زمانه، وهو من أبناء الفرس ، وكان من أوعية العلم وأئمة الاجتهاد (ت ١٢٦هـــ/٧٤٣م) { الذهبي : الســير ج٥ ص٣٠٠ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٤٧٩،٤٨٠ – ابن حبان : المشاهير ص١٣٧}.

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٣٢٧ .

(٤) هو عكرمة مولى عبدالله بن عباس ، ويكنى أبا عبدالله ، العلامة الحافظ المفسر ، أحد فقهاء مكة وتابيعها ، وقد توفي ابن عباس وعكرمة لا يزال عبداً ، فاشتراه خالد بن يزيد من معاوية من علي بن عبدالله بن عباس بأربعة آلاف دينار ، وبلغ عكرمة الخبر ، فأتى علياً وقال له : بعت علم أبيك بأربعة آلاف، فاستقال خـــالد فأقالـــه فأعتقـــه (ت ١٠٥هــ/ ٧٢٣م) { الذهبي : السير ج٥ ص١٢-١٤ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٨٧ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٢٦٥،٢٦٦ – وانظر : ابن حبان:المشاهير ص١٣٤ – ابن قتيبة: المعارف ص٢٠١ – الشـــيرازي طبقات الفقهاء ص٥٩ – أبو نعيم:الحلية ج٣ ص٣٢٦ – ابن عبدالهادي الدمشقي:الطبقات ج١ ص١٦٧،١٦٨}.

في رجلي الكبل[١] على تعليم القرآن والسنن " [٢].وبهذه المعاناة والمصابرة في طلب العلم تبوأ عكرمة مكانة عالية في المجتمع حتى إنه عندما سافر إلى البصرة اجتمع النلس عليه ،ومن كثرتهم لم يستطيعوا جميعا رؤيته وسماعه فما كان منهم إلا أن جعلوه يرتقي سطح أحد البيوت[٣]، ثم أقبلوا عليه بعد ذلك .

٣- الورع والاستقامة :

العلماء أكثر الناس إخلاصا لله وأشدهم خشية منه، قال الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [٤]، وذلك لأنهم طلبوا العلم وعملوا به ، وصبروا كثيرا من أجل ذلك ومن هذا المنطلق استحقوا المكانة العظيمة في المجتمع ، قال تعالى ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [٥] .

ولقد بين العلماء ذلك الأثر الذي يحدثه الورع والاستقامة في حياتهم وحياة زملائهم، وكيف يكون لهما اثر كبير في رفعة صاحبهما في المجتمع ،قال شعبة بن الحجاج[٦] :" ساد سفيان الثوري الناس بالورع والعلم " [٧] وكان يقال عن سفيان الثوري: "سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما " [٨] وقد سئل عبدالله بن المبارك

---

(١) الكبل : قيد ضخم ، وقيل القيد من أي شيء ، وقيل هو اعظم ما يكون من الأقياد .{ ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٢١٤ } .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص١٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٠٢ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٢٦ .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص١٨ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٨٩ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٢٨ .

(٤) سورة فاطر : الآية (٢٨) .

(٥) سورة السجدة : الآية (٢٤) .

(٦) هو شعبة بن الحجاج بن الورد ، أبو بسطام الأزدي ، الأمام الحافظ ، أمير المؤمنين في الحديث ، عالم أهل البصرة وشيخها ، سكن البصرة من الصغر ، وكان من أوعية العلم ، لا يتقدم أحد في الحديث في زمانه ، وهو من نظراء الأوزاعي والثوري (ت ١٦٠هـ/٧٧٦م) { الذهبي : السير ج٧ ص٢٠٢،٢٠٣،٢٠٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٤٣ – ابن خلكان : الوفيات ج٥ ص٤٦٩ – وانظر ترجمته في : ابن حبان : المشاهير ص٢٨٠ – أبو نعيم : الحلية ج٧ ص١٤٤-٢٠٩ – والخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٩ ص٢٥٥-٢٦٦ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٩٣-٢٩٦ } .

(٧) الذهبي : السير ج٧ ص٢٣٨،٢٣٩ .

(٨) المصدر نفسه ج٧ ص٢٣٨،٢٣٩ .

عن سبب رفعة زميله وأخيه عبدالله بن عون [1] ؟ فقال : بالاستقامة " [2] .

إننا نجد بين ثنايا تراجم العلماء التي يوردها كل من الذهبي وابن الجوزي الكثير من الأخبار والقصص عن ورع العلماء واستقامتهم والتي تدل على أن العلماء قد وصلوا إلى درجة عالية من الورع ، بحيث لا يصل إلى هذه الدرجة إلا من كان حلو علمهم أو من وفقه الله تعالى .

ومن تلك الأخبار ما ذكر عن سفيان الثوري، أنه أجر نفسه من صاحب بستان في البصرة لحفظ ثماره فمر به أحد الناس فقال له : "من أنت يا شيخ ؟ فقال : من أهل الكوفة . قال : أرطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ قال سفيان : لم أذق رطب البصرة . قال الرجل : ما أكذبك ! البر والفاجر والكلاب يأكلون الرطب الساعة . ورجع إلى صاحب البستان . فأخبره ليعجبه فقال له : أدركه فإن كنت صادقا فإنه سفيان الثوري ، فرجع في طلبه فلم يجده". [3]

---

[1] هو عبدالله بن عون بن أرطبان ، يكنى أبا عون مولى عبدالله بن دره المزني ، الإمام القدوة – عالم البصرة ، وكان ثقة ورعا بل كان من أورع أهل البصرة وأفضلهم ، وكان من العباد يصوم يوما ويفطر يوما ، وكان من أئمة العلم والعمل (ت ١٥١هـ/٧٦٧م) في خلافة أبي جعفر المنصور { الذهبي : السير ج٦ ص٣٦٤-٣٦٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص١٥٣ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦١- ابن حبان : المشاهير ص٢٨٠ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٧-٤٤ } .

[2] أبو نعيم : حلية الأولياء ج٣ ص٣٧، ٣٨ .

[3] الذهبي : السير ج٧ ص٢٥٩ . وقد وقع مثل هذا مع إبراهيم بن أدهم ، إذ اجر نفسه من صاحب بستان رمان بطرسوس ، فمكث مدة حتى جاءه الخادم فقال له : " أنت تأكل فاكهتنا ، ولا تعرف الحلو من الحامض ؟ قلت والله ما ذقتها ، فقال : أتراك لو انك إبراهيم بن ادهم ، فانصرف ، فلما كان من الغد ، ذكر صفتي في المسجد ، فعرفني بعض الناس ، فجاء الخادم ومعه عنق من الناس – أي الجماعة من الناس والرؤساء – فاختفيت خلف الشجر، والناس داخلون ، فاختلطت معهم وأنا هارب { الذهبي : السير ج٧ ص٣٩٦ } وقد وقعت أيضا حادثة مشابهة لهذه مع والد عبدالله بن المبارك (مبارك) يحكى عن مبارك أنه كان يعمل في بستان لمولاه وأقام فيه زمانا ، فجاء صاحب البستان يوما وقال له أريد رمانا حلوا ، فمضى فجاءه برمان حامض فغضب عليه يفعل ذلك ثلاث مرات حتى اشتد غضبه عليه وقال له : أما تعرف الحلو من الحامض ، فقال : لا ، فقال له : لماذا ، فقال : لأنك لم تأذن لي بالأكل منه ، فعجب من ذلك صاحب البستان ، ووجد ذلك حقا وكانت له بنتا قد خطبت كثيرا ، فقال له : يا مبارك من ترى تزوج هذه البنت ، فقال : أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب ، واليهود للمال ، والنصارى للجمال وهذه الأمة للدين ،فأعجبه عقله ودينه ، فزوجه بنته ، فجاءت بعبدالله بن المبارك { ابن خلكان: الوفيات ج٣ ص٣٢ } .

وهذا محمد بن سيرين الذي قال عنه بكر بن عبدالله المزني :" من أراد أن ينظر إلى أورع من أدركنا فلينظر إلى محمد بن سيرين " (١) .وأخباره في الورع مشهورة : كان تاجرا يتجر في الزيت، فحدث ذات مرة أن اشترى زيتا بأربعين ألف درهم فوجد في زق منه فأرة، فحدثته نفسه باحتمال أن تكون هذه الفأرة قد وقعت في المعصرة أثناء عصر الزيت ، فقام وصب الزيت كله إلى الشارع .(٢)

ومن أروع الأمثلة التي تذكر عن ورع العلماء ما كان من أمر معمر بن راشد نزيل اليمن عندما أكل عند أهله شيئا من الفاكهة ، ثم سأل عنها : فقيل : هدية من فلانة النواحة ، فقام فتقيأ .(٣)

وحتى لا نطيل الحديث عن ورع العلماء واستقامتهم نختم ذلك بمثال عن ورع العالم الجليل عبدالله بن المبارك الذي اشتهر بذلك : ذكر ابن الجوزي (٤) بسنده أن عبدالله استعار قلما بأرض الشام ثم سافر عائدا إلى بلاده (مرو) فلما وصل ، اكتشف أن القلم مازال معه وقد نسي أن يرده إلى صاحبه ، فرجع أدراجه إلى الشام ورد القلم إلى صاحبه .

٤- الزهد :

لا نقصد بالزهد هنا الجلوس في المساجد والخلوات ، وترك الطعام والشراب،

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٦١٤ .

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص٦١٣. وأخبار بن سيرين كما قلنا في الورع كثيرة ومشهورة من ذلك أيضا ما حكاه ميمون بن مهران ، قال : قدمت الكوفة وأنا أريد أن اشتري البز ، فأتيت بن سيرين فساومته ، فجعل إذا باعني صنفا قال هل رضيت ؟ فأقول نعم ، فيعيد ذلك علي ثلاث مرات ثم يدعو رجلين فيشهدهما ، فلما رأيت ورعه ، ما تركت شيئا من حاجتي أجده عنده إلا اشتريته ، وقال ابن عون – عبدالله بن عون ت ١٥١هـ : كان بن سيرين إذا وقع عنده درهم زيف لم يشتر به فمات يوم مات وعنده خمسمائة درهم زيوف { الذهبي : السير ج٤ ص٦٢٠} قال ابن سيده درهم زائف وزيف ، والجمع زيوف ، وصرف منهما فقال بهرجته وزيفته ، ودرهم بهرج أي رديء ، وكل مردود عند العرب بهرج{ ابن سيده : أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) المخصص ج٣ السفر١٢ ص٢٨ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر – بيروت (بدون طبعة وتاريخ) } ومن ثم فالدرهم الزيف هو الذي يرد حين يكون رديئا أو مزيفا ولا يقبل.

(٣) الذهبي : السير ج٧ ص١١ .

(٤) المنتظم : ج٩ ص٦٠ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٠ ص١٧٦ .

وإنما نقصد به الزهد الحقيقي المتمثل في التقليل مما ترغب فيه النفس من مال ومنصب وجاه وشهوة ، مع القدرة على امتلاكها ، وهذا ينتج عن عمق الإيمان بالله واليوم الآخر، فالزاهد يؤثر الآخرة على الدنيا؛ ولهذا فإن من انغرس حب الدنيا في قلوبهم قد لا يتصورون ولا يصدقون ما كان عليه هؤلاء العلماء من زهد وتقوى .

لا نعجب إذا سمعنا أن من العلماء من أصبح عنده المال والتراب سواء ، فهذا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري كانت الدراهم عنده بمنزلة البعر (١)، وهذا زبيد بن الحارث (٢) كان يقول :" ألف بعرة أحب إلي من ألف دينار " (٣)

وهناك من العلماء من كان يزهد في نفائس الدر والجوهر ضاربا بذلك أروع الأمثلة لغيره من الناس ممن أعمتهم الحياة الدنيا بزخرفها وبهرجها والذين يظنون أنه لا أحد يزهد في مثل تلك الأموال . يذكر ابن الجوزي (٤) أن يزيد بن المهلب (٥) عندما فتح جرجان (٦) كان فيما أصاب تاج فيه جوهر ، فقال لمن حضر :" أترون أحدا يزهد

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٤ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٧١ .

(٢) هو زبيد بن الحارث اليامي الكوفي الحافظ أحد الأعلام ، وكان ثقة دينا وكان سعيد بن جبير يقول : لو خيرت عبدا القى الله في صلاحه لاخترت زبيد اليامي (ت ١٢٢هـ/٧٣٩م) { الذهبي : السير ج٥ ص٢٩٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٢١،٢٢٢ – ابن حبان : المشاهير ص٢٦٣ } .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص٢٩٦ .

(٤) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٧ ص٢٨ .

(٥) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفره ، أبو خالد الأزدي ، وكان قائدا شجاعا وكان من الأجواد الكرماء ، وكان سليمان بن عبدالملك قد ولاه خرسان ، وقد فتح يزيد مدينة جرجان ، وطبرستان ، وعندما تولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز عزله عن العراق وحبسه – وهرب من الحبس ، ثم لما تولى يزيد الخلافة – خرج عليه يزيد بن المهلب وخلعه فأرسل إليه مسلمة بن عبدالملك لمحاربته ، فنهزم بن المهلب وقتل (ت ١٠٢هـ/ ٧٢٠م) { ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٤،٤٥،٤٦،٦٧،٦٨،٧٩،٨٠ – وابن كثير البداية ج٩ ص٢١٩–٢٢١ } .

(٦) جرجان : مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخرسان ، وقيل أن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن ابي صفره ، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي ، قال الأصطخري : أما جرجان فهي اكبر مدينة بنواحيها وهي قطعتان بينهما نهر كبير يجري { ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص١١٩ } .

في هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع [١] فقال له : : خذ هذا التاج فهو لك . قال : لا حاجة لي فيه ، قال : عزمت عليك إلا أخذته ، فأخذه ، وخرج فأمر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به ، فلقي سائلا فدفعه إليه ، فأخذه الرجل السائل فأتى به يزيد ، فأخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا ".

ومن الأمثلة الرائعة على زهد العلماء ما ذكر أيضا عن عمر بن عبدالعزيز [٢] الذي قال عنه مالك بن دينار [٣] :" يقول الناس عني أني زاهد ، إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أتته الدنيا فتركها " [٤] ، دخل عليه ذات مرة مسلمة بن عبدالملك وهو مريض فرأى قميصه متسخا فقال لامرأته – وهي أخت مسلمة – :" اغسلوا قميصه ، فقالت نفعل ، ثم عاد مرة أخرى والقميص على حاله فكلم امرأته فقالت : والله ماله قميص غيره " [٥] .

ومن مظاهر زهد العلماء أنهم زهدوا في المناصب الرفيعة كالقضاء وولاية الخراج والولاية على الأقاليم، إذ كان الكثير من العلماء يرفضون مثل هذه الأعمال الإدارية التي تعرض عليهم ، أو تفرض؛ زهدا فيها وخوفا على أنفسهم من الفتنة أو الضعف أمام المال والجاه .

---

(١) هو محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس ، الإمام الرباني ، القدوة ، أبو بكر ويقال أبو عبدالله الأزدي ، البصري، أحد الأعلام ؛ أسند عن أنس وغيره ، وكان عالما حيرا متواضعا ، وكان يصوم الدهر ، و يخفي ذلك ، وكان يبكي طول الليل (ت ١٢٠هـ/٧٣٧م) { الذهبي : السير ج٦ ص١١٩،١٢١ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٠٤ – وانظر ترجمته في : ابن حبان : المشاهير ص٢٣٨ – أبو نعيم : الحلية ج٢ ص٣٤٥-٣٥٧ – الذهبي : تاريخ الإسلام الجزء الخاص بحوادث ووفيات (١٢١-١٤٠هـ) ص٢٥٩-٢٦٣ } .

(٢) نذكر عمر بن عبدالعزيز هنا كعالم وليس خليفة فقد قال عنه الذهبي : العلامة الحافظ ، وقال ابن سعد ثقة له فقه وعلم ، وقال مجاهد بن جبر : أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه ، وقال ميمون بن مهران : كان عمر معلم العلماء { الذهبي : السير ج٥ ص١١٤-١٢٠ – ابن كثير : البداية ج٩ ص١٩٤ } .

(٣) هو مالك بن دينار علم العلماء الأبرار ، وهو مولى ، وكان لا يأكل إلا من كسبه (ت ١٣١هـ/٧٤٨م) { الذهبي : السير ج٥ ص٣٦٢ – ابن حبان : المشاهير ص١٤٧ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣٩ } .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص١٣٤ .

(٥) المصدر نفسه ج٥ ص١٣٤ .

ومن العلماء الذين رفضوا تولي القضاء عبدالله بن يزيد (أبو قلابة الجرمي)[1]، الذي أجبره الحجاج على القضاء فهرب ومرض ثم رحل إلى الشام [2]، وحيوة بن شريح [3] الذي أراده والي مصر قاضيا، وهدده بالقتل إن هو لم يفعل، فقال له أوآمر أهلي؟ فجاء إلى أهله وغسل رأسه ولحيته ونال شيئا من الطيب ولبس أنظف ما لديه ، ثم ذهب ودخل على الوالي وقال له : "من جعل السحرة –يقصد سحرة فرعون– أولى بما قالوا منا ، أقض ما أنت قاض لست أتولى لك شيئا " [4] فأذن له فرجع .ومن العلماء الذين رفضوا تولي القضاء أيضا منصور بن المعتمر [5] الذي ذكر أن الأمير ابن هبيرة حبسه شهرا يريده على القضاء ، فأبى ، فخلاه [6] .

ومنهم من زهد في ولاية الخراج مثل إبراهيم بن أبي عبلة [7] الذي أراده هشام بن عبدالملك أن يلي له خراج مصر، فاستعفاه من ذلك فأعفاه[8] .

---

(1) هو عبدالله بن يزيد ويكنى أبو قلابة الجرمي ،وكان فقيها وعالما وبصيرا بالقضاء (ت ١٠٤هـ/٧٢٢م) {الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٩١ – ابن قتيبة : المعارف ص١٩٧ – ابن حبان : المشاهير ص١٤٥ – أبو نعيم : الحلية ج٢ ص٢٨٢ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص٤٢٩ } .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٩٠،٩١ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص٢٢٩ .

(3) بن صفوان بن مالك كان فقيها عابدا مجاب الدعوة ، شيخ الديار المصرية (ت ١٥٣هـ/٧٦٩م) { الذهبي : السير ج٦ ص٤٠٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٦٨،١٦٩ – ابن حبان : المشاهير ص٢٩٨ } .

(4) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٦٩ .

(5) هو منصور بن المعتمر الحافظ الثبت القدوة ، أحد الأعلام ، كان من أوعية العلم ، وكان من العلماء المتعبدين (ت ١٣٢هـ/٧٤٩م) { الذهبي : السير ج٥ ص٤٠٢،٤٠٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٣١٩ – ابن حبان : المشاهير ص٢٦٣ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٤٠ } .

(6) الذهبي : السير ج٥ ص٤٠٢،٤٠٦ ، وفي رواية ابن الجوزي أن يوسف بن عمر ، عامل الكوفة أراده على القضاء فامتنع ، فجيء بالقيد ليقيد ، فقيل ليوسف بن عمر : انك لو نثرت لحمه لم يل لك قضاء ، فخلى عنه { المنتظم ج٧ ص٣١٩} .

(7) هو إبراهيم بن أبي عبلة ، ويكنى أبو إسماعيل القيسي ، من أهل فلسطين ، سمع بن أبي عمر وغيره ، وسمع منه ابن المبارك والليث بن سعد (ت ١٥٢هـ/٧٦٨م) { ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٥٦ – ابن حبان : المشاهير ص١٨٩}

(8) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٥٦ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٢٤٤ .

ومنهم من زهد في تولّي الإمارة مثل الليث بن سعد [١] .

وهكذا نجد أن العلماء كانوا يزهدون في المناصب والجاه ، ولكن زهدهم هذا لا يعني أنهم كانوا عاجزين عن القيام بمسؤوليات هذه الأعمال وإنما يعني أنهم كانوا يستشعرون ثقل الأمانة وأنها خزي وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها .

٥- من العوامل التي كان لها تأثير مباشر في رفع مكانة العلماء في المجتمع، وقرب العلماء من الناس والتصاقهم بهم : سوف نتحدث عن ذلك في موضع آخر من البحث عند الكلام عن (علاقة العلماء بعامة الناس) [٢] .

٦- قرب العلماء من الله وكثرة اتصالهم به: تقرب العلماء إلى الله تعالى كثيراً بالدعاء والذكر والنوافل المختلفة من صلاة وصيام وصدقة ، وذلك بعيداً عن أعين الناس ، بحيث لا يراهم ولا يسمع بكاؤهم إلا الله وحده .

ويمكن القول إن العلماء قد بالغوا في الإكثار من العبادات والنوافل بغية القرب من الله تعالى وابتغاء مرضاته وطمعاً في جنته إلى الحد الذي قد لا نصدقه نحن مسلموا اليوم، ولكننا مع ذلك نؤكد بأن ما سنذكره من عبادة العلماء أمر ممكن وقوعه لمن كانوا في مثل هِمَّة وخشية وإيمان علماء السلف في تلك الفترة ، ولمن كانوا أيضاً في مثل صبرهم وزهدهم وإخلاصهم لله تعالى .

لقد كان كثير من هؤلاء العلماء يقومون الليل كله إلا قليلاً ويصومون النهار ، ويقضون جزءاً كبيراً من أوقاتهم في حفظ وتلاوة القرآن الكريم ، ومن هؤلاء العلماء أيوب السختياني [٣] كان يقوم الليل كله متخفياً فإذا حان وقت الصلاة رفع صوته

---

[١] أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يوليه حكم مصر فلم يقبل ، وعفى عنه الخليفة { الذهبي : السير ج٨ ص١٤٦ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٢٩ } .

[٢] انظر الفصل : الخامس ص ٢٤٨، ٢٤٩ محور علاقة العلماء مع عامة الناس .

[٣] هو أيوب السختياني الإمام الحافظ سيد العلماء ، أبو بكر بن أبي تميمة السختياني ، أحد الأئمة الأعلام ، وكان ورعاً كثيراً العلم حجة (ت ١٣١هـ/٧٤٨م) { الذهبي : السير ج٦ ص١٥،١٧،١٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٨ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٤٦،٢٤٧ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٠٨،٢٠٩ – انظر : ابن قتيبة : المعارف ص٢٠٧ – ابن حبان : المشاهير ص٢٣٧ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٩٥ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٢-١٤ } .

كأنه استيقظ تلك الساعة [1] ، و كان الأوزاعي يقوم الليل كله، ومن أقواله :" من أطال قيام الليل ، هون الله عليه وقوف يوم القيامة " [2] .وذكر عن أبي ذئب " أنه كان يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة ، ولو قيل له : إن القيامة تقوم غدا ما كان فيه مزيدا من الاجتهاد ... وكان يصوم يوما ويفطر يوما " [3].وكان أبو حنيفة [4] يسمى بالوتد لكثرة صلاته، وكان يقوم الليل كله [5] .

ومن اللطائف التي ذكرت عن قيام الليل عند العلماء ما حدث به الذهبي [6] بسنده أنه كان لجار منصور بن المعتمر ابنة . فقالت: "يا أبت أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة ؟ فقال : يا بنية ذاك منصور كان يقوم الليل " .

وهناك من العلماء من كان يجتهد في العبادة (الصيام والقيام) أكثر مما ذكرنا ، من ذلك ما روي عن سليمان بن طرخان [7] في أكثر من رواية أنه مكث أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة.[8] ومكث الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى .[9]

* * *

---

(1) الذهبي : السير ج٦ ص١٧ — ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢١٠ .

(2) الذهبي :السير ج٧ ص١١٩ .

(3) المصدر نفسه ج٧ ص١٤١ — ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٩١ .

(4) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي ، مولى ولد (٨٠هـ / ٦٩٩م) (ت ١٦٠هـ/٧٧٦م) { الذهبي : السير ج٦ ص٣٩٠- ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٢٨ } .

(5) الذهبي : السير ج٦ ص٣٩٩،٤٠٠ .

(6) السير ج٥ ص٤٠٣ وعند ابن الجوزي بسند طويل : أن منصور صام أربعين سنة قام ليلها وصام نهارها وكان يبكي الليل ، وأنه كان يصلي في سطحه فلما مات قال غلام لأمه : يا أماه الجذع الذي كان في آل فلان ليس أراه، قالت : يا بني ليس ذاك جذع ، ذلك منصور وقد مات ، { المنتظم ج٧ ص٣١٩،٣٢٠ }.

(7) هو سليمان بن طرخان ، الإمام شيخ الإسلام ، أبو المعتمر التيمي البصري ، وكان من العباد المجتهدين ، كثير الحديث ، ثقة ، وثقه أحمد بن حنبل (ت ١٤٣هـ/٧٦٠م) { الذهبي : السير ج٦ ص١٩٥ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٤١ — ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٥٢ } .

(8) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٤١،٤٢ — الذهبي : السير ج٦ ص١٩٧،١٩٩،٢٠٠ — ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٢٣٥ — ابن حبان : المشاهير ص١٥١ .

(9) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١٣ .

وفي الأخير يمكن أن نورد في ختام هذا الفصل ، نصا تاريخيا ذا أهمية بالغة وقيمة كبيرة ، إذ يحتوي على معلومات تتعلق بمكانة العلماء في المجتمع ، وبالعوامل التي جعلتهم يصلون إلى تلك المكانة المرموقة، وهو نص يدور على شكل حوار بين الخليفة عبدالملك بن مروان والعالم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي قال : " قدمت على عبدالملك بن مروان فقال لي من أين قدمت يا زهري ؟ قلت من مكة ، فقال : من خلفت بها يسود أهلها ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح، قال : من العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : وبم سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية ، قال : إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا ، قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاووس بن كيسان ، قال : من العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي ، قال : وبم سادهم ؟ قلت : بما سادهم به عطاء ، قال إنه لينبغي ... قال : فمن يسود أهل مصر ؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب[1] ؟ قال : فمن العرب أم من الموالي . قلت من الموالي ، قال : فمن يسود أهل البصرة ؟ قلت الحسن بن أبي الحسن ، قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي ، قال : ويلك فمن يسود أهل الكوفة ؟ قلت : إبراهيم النخعي ، قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من العرب ، قال : ويلك يا زهري ، فرجت عني ، والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها ، قلت : يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه فمن حفظه ساد، ومن ضيعه سقط "[2]، من خلال هذا النص الذي أوردناه يمكن أن نستنتج بعض النقاط :

- أن العلماء سادوا الناس ووصلوا إلى هذه المكانة بالعلم بتطبيقه في واقع حياتهم

---

(1) واسم حبيب سويد ، مولى شريك بن الطفيل العامري ، ويكنى ابا رجاء ، الامام الحجة ، مفتي الديار المصرية ولد سنة ٥٣، وكان يقول : كان أبي نوبيا من أهل دملقة فابتاعه شريك بن الطفيل فأعتقه فولاؤنا له ، وكان من جلة العلماء العاملين ، ارتفع بالتقوى مع كونه مولى اسود ، وكان مفتي أهل مصر في أيامه ، وكان حليما عاقلا ، وكان أول من أظهر العلم بمصر والكلام في الحلال والحرام ومسائل الفقه وكانوا يتحدثون قبل ذلك في الفتن والملاحم ، وكان أحد الثلاثة الذي جعل إليهم عمر بن عبدالعزيز الفتيا بمصر ، (ت ١٢٨هـ/٧٤٥م) { الذهبي : السير ج٦ ص٣١،٣٢ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٦٨ – وانظر ترجمته في ابن حبان : المشاهير ص١٩٧ – ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٢٠٧،٢٠٨ } .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢١ .

سلوكا وعملا .

- أن موافقة الخليفة لما قاله العالم ابن شـهاب بقوله :" إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا " إنما تمثل التوافق الفكري والثقافي بين جميع طبقات المجتمع في تلك الفترة ، وهذا أمر له أهميته في وجـود الاستقرار الثقافي العلمي والاجتماعي المناسب للنهوض الحضاري .

- ومن خـلال النص نرى أن النزعة العربية واضحة عند الخليفة وقد تمثلت في غضبه من ارتفاع مكانة الموالي وسيادتهم ، الأمر الذي جعل العالم ابن شهاب الزهـري يبين للخليفة ولغيره ولمن يأتي بعده سنة الله تعالى التي قضت بأن من حفظ هذا الديـن ساد وأن من ضيعه سقط ، سواء كانوا من العرب أم من العجم .

- أن مسألة العرب والموالي من الأمور التي لا يجب أن يختلف فيها اثنان ، ذلـك لأن الإسلام بتعاليمه الواضحة قد حسم هذه القضية ، ونهى عن العصبية المقيتـة ، ثم إن دين الإسلام لم يـأت للعرب وحدهم ، وإنما جاء لكل الناس من أي جنس كانوا، وبالتالي فإن التعصب للعرب من العـرب أو من للموالي من الموالي ليس إلا من بـاب الشعـور بالنقص من جانب هذا المتعصب وإلا فإن الأصل أن الكل مسلمون بغـض النظر عن جنسياتهم وعليه فإن أي مكسب حضاري يحسب للمسلمين جميعهم .

. . .

الفصل الثاني

الحياة الأسرية للعلماء

العناصر :

- الزواج وما يتعلق به .
- الجواري.
- معاملة العلماء لأهليهم .
- الاهتمامات التربوية للعلماء .
- العلماء وقضاء أوقاتهم في البيت .

تمهيد :

تعتبر الأسرة في أي مجتمع المحضن الأول الذي يحدد اتجاه الفرد وتوجهاته الدينية والفكرية ، والاجتماعية ... وغالباً ما يتربى الفرد على المثل والقيم التي يعيشها أبواه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه " [1].

ومن هذا المنطلق فإن الإسلام اهتم ببناء الأسرة أيما اهتمام ، حيث نلمس هذا الاهتمام من أول خطوة في تكوين الأسرة وهي مرحلة اختيار كل من الزوج والزوجة على أسس سليمة تتمشى وتتوافق مع المنهج الإسلامي ، فقال صلى الله عليه وسلم :" تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " [2] وقال صلى الله عليه وسلم :" إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير " [3].

وحتى تعيش الأسرة المسلمة في طمأنينة ورغد من العيش فقد اهتم الشارع الكريم بحسن المعاملة والمعاشرة بين الزوجين ، وبين كل من الأباء والأبناء فقال تعالى ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾[4] وقال صلى الله عليه وسلم "خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي"[5] وفي هذا إشارة إلى أهمية حسن المعاملة من قبل الزوج لأهله .

ومن جهة أخرى نجد الشارع الحكيم اهتم بتوجيه الزوجة إلى أهمية حسن معاملتها لزوجها،فقد بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "إن خير امرأة لزوجها التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخافه فيما يكره في نفسها وماله " [6] .

ثم إن الإسلام وضح وفصل حقوق وواجبات الزوج والزوجة ، ليس ذلك فحسب وإنما يمتد هذا الأمر إلى أن يصبح في الأسرة أبناء ومن ثم يكون لهم

---

(1) رواه البخاري في كتاب القدر رقم (٦٢٢٦) .

(2) رواه مسلم في كتاب الرضاع رقم (٣٦٢٠) والترمذي في كتاب النكاح رقم (١٠٨٦) .

(3) رواه الترمذي في كتاب النكاح (١٠٨٥) .

(4) سورة النساء : آية ١٩ .

(5) رواه ابن ماجة في كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء رقم (١٩٧٧) .

(6) رواه أحمد في المسند رقم (٧١١٤) .

حقوق ، كما أن للآباء حقوق .

لقد أهتم الإسلام بتربية الأسرة على قيم الإيمان والتقوى فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ... ﴾[1] وذلك لكي يُوجد مجتمعاً سليماً نظيفاً؛ لأن الأسرة هي أساس تكوين المجتمع .

وخلاصة القول نجد أن العلماء في هذه الفترة عاشوا مع أهليهم وأولادهم في وسط مجتمع إسلامي ملتزم مَثّل تلك المقومات والمظاهر ، وكان العلماء رواداً لهذا المجتمع الإسلامي النظيف ولكي نبرهن على ذلك سنستحضر ما أمكن جمعه من معلومات في شتى الجوانب الأسرية .

---

(1) سورة التحريم : آية ٦

الـــزواج وما يتعلق به :

أ- قضية الزواج :

إن الخطوة الأولى لتكوين أهم مؤسسة اجتماعية – المعروفة بالأســـرة – هـــي الزواج ، وإذا كنا نتحدث عن زواج العلماء فنحن نتحدث عن رجال بالغين ينبغـي – بدهياً – أن يكونوا قد خطوا هذه الخطوة ، والدليل على ذلك أن المصادر قد ذكـرت لنا الحالات النادرة للعلماء الذين لم يتزوجوا والذين لم يتجاوز عددهم أصـــابع اليـد الواحدة وهم إبراهيم بن أدهم[(١)] ، وعبدالله بن أبي نجيح[(٢)] ، ويونس بن حبيب[(٣)] ، أما إبراهيم بن أدهم فقد كان زاهداً ويخاف أن يتحمل مسؤلية الزوجة والأولاد ، فقد قيل له : لو تزوجت ؟ فقال : " لو أمكنني أن أطلّق نفسي لفعلت "[(٤)]، وأما عبدالله ابـن أبي نجيح فقد كان فصيحاً وجميلاً حسن الوجه ولكنه لم يتزوج قط[(٥)] ، ولم تذكر لنـا المصادر التي بين أيدينا سبب ذلك ، ولعله لم تكن له همة في الزواج ، وأما يونس بـن حبيب فقد قارب عمره التسعين ولم يتزوج ، ولم تكن له همة إلا في طلب العلم ومحادثة

---

(١) ابن منصور بن يزيد بن جابر ، القدوة الأمام ، العارف ، سيد الزهاد ، أبو اسحاق ، البلخي ، نزيل الشـام ، دخل دمشق ، روى عن أبيه والأعمش ، والأوزاعي وغـيرهم ، وكـان ابـن أدهـم ثقـة مأمونـاً ، ولـد (١٠٠هـ/٧١٨م) قال عنه سفيان الثوري : ابن أدهم يشبه إبراهيم الخليل ،ولو كان في الصحابة لكـان رجـلاً فاضلاً (ت١٦٢هـ/٧٧٨م){الذهبي : السير ج٧ ص٣٨٧،٣٩٠،٣٩٦ – ابن عسـاكر : تـاريخ دمشـق ج٢ ص١٧٠ – ابن خلكان :وفيات الأعيان ج١ ص٣١ – وانظر ترجمته في ابن حبان : مشـاهير علمـاء الأمصـار ص٢٩٠ – أبو نعيم :حلية الأولياء ج٧ ص٣٦٧-٣٩٤ – ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٣٤٢-٣٤٦ } .

(٢) الأمام – الثقة ، المفسر ، أبو يسار الثقفي المكي : حدث عن عطاء ومجاهد وطاووس وغيرهم ، وقال ابن عيينة: هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار ، وكان فصيحاً جميلاً حسن الوجه ولم يتزوج قط (ت ١٣١هـ/٧٤٨م) { الذهبي : السير ج٦ ص١٢٥،١٢٦ – ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ص٢٢٩ } .

(٣) أمام النحو ، أبو عبدالرحمن يونس بن حبيب الضبي ، مولى ضبّه ، مولده (٩٠هـ/٧٠٨م) أخذ عن أبي عمـرو بن العلاء ، وحماد بن سلمة ، وعنه الكسائي وسيبويه والفراء وآخرون وله من الكتب كتاب معاني القرآن الكـريم وكتاب اللغات ، وكتاب الأمثال ، وكتاب النوادر (ت١٨٣هـ/٧٩٩م) { الذهبي : السير ج٨ ص١٩١،١٩٢ – ابن خلكان : الوفيات ج٧ ص٢٤٤ –أبو الطيب اللغوي : عبدالواحد بن علي الحلـبي (ت ٣٥١هـ/٩٦٢م) مراتب النحويين ص٤٤-٤٧ ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي (بدون طبعة وتاريخ) } .

(٤) الذهبي : السير ج٧ ص٣٩٢ .

(٥) المصدر نفسه ج٦ ص١٢٥،١٢٦ .

الرجال .[1]

كان العلماء يتزوجون من أقاربهم ومثال ذلك أن القاسم بن محمد بن أبي بكر[2] تزوج من ابنة عمه قريبة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر[3] ، وتزوج بعض العلماء من بنات الصحابة رضوان الله عليهم ، ومثال ذلك أن سعيد بن المسيب تزوج ابنة الصحابي الجليل أبي هريرة [4] رضي الله عنه ، والبعض منهم كانوا يتزوجون من زوجات أقرانهم المتوفين عنهن أو المطلّقات ، فقد تزوج أبو إسحاق السبيعي[5] امرأة الحارث الأعور[6] بعد وفاته [7]، ويذكر الذهبي[8] أن عكرمة (مولى ابن عباس) قد تزوج أم سعيد بن جبير[9] ، ويبدو أن ذلك كان بعد وفاة زوجها .

---

(1) الذهبي : السير ج٨ ص١٩٢ – ابن خلكان : الوفيات ج٧ ص٢٤٥ .

(2) الإمام القدوة الحافظ عالم الوقت مع سالم وعكرمة ولد في خلافة الأمام علي رضي الله عنه ، وتربى في حجر عمته أم المؤمنين عائشة وتفقه منها وأمه أم ولد يقال لها سوده ، وكان فقيهاً عالياً أماماً كثير الحديث (ت ١٠١هـ/٧١٩م) {الذهبي : السير ج٥ ص٥٣،٥٤ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٨٧– ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص٥٩ }

(3) ابن سعد : الطبقات ج٨ ص٢٧٨ – مصعب الزبيري : أبي عبدالله المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ/٨٥٢م) نسب قريش ج٨ ص٢٧٩،٢٨٠ ، تحقيق / ليفي بروفنسال ، ط ٣ ، دار المعارف (بدون تاريخ) .

(4) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢١ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٢١ – البلاذري : أحمد بن يحي بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) انساب الاشراف ، القسم ٥ B1 ص٢٤٢ ، تحقيق /احسان عباس ط ١ ، دار نشر ، فرانتس شتاينر شتوفكارت .

(5) أبو إسحاق السبيعي ، عمرو بن عبدالله الهمداني الكوفي ، الحافظ شيخ الكوفةُ وعالمها ومحدثها ، وكان من العلماء العاملين ، وقيل أنه سمع من ٣٨صحابياً (ت ١٢٧هـ/٧٤٤م) { الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٢،٣٩٣ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٣٣٨ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٨٥،١٨٦ } .

(6) الحارث بن عبدالله بن كعب بن أسد ، كان فقيهاً كثير العلم ، وممن حدث عنه أبو إسحاق السبيعي (ت ٦٥هـ/٦٨٤م) { الذهبي : السير ج٤ ص١٥٢،١٥٥} .

(7) الذهبي : السير ج٥ ص٣٩٨ . ويفيد الذهبي بأن امرأة الحارث أتت بكتب زوجها إلى أبي إسحاق .

(8) السير : ج٥ ص١٦ .

(9) سعيد بن جبير بن هشام ، مولى بني والبه بن الحارث ، الأمام الحافظ المقرئ المفسر ، ويكنى أبا محمد ، وكان أسود ، وكان ابن عباس يقوله له : حدث وأنا حاضر ، قال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحداً إلا وهو محتاج لعلمه (ت ٩٥هـ/٧١٣م) { الذهبي : السير ج٤ ص٣٢١ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٦– ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٥٦ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٧١ – وأنظر : الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٨٢ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٤٩،١٥٠ } .

ب- الكفاءة في الزواج :

ونعني بها التكافؤ والتقارب في المستوى الاجتماعي والمادي .. الخ ، ويتضح لنا من خلال بعض الروايات أن الكفاءة لم تكن تمثل أمر ذا بال عند العلماء في حال زواجهم أو تزويج بناتهم ، فقد روي أن علي بن الحسين [1] أعتق جارية له وتزوجها ، وقام بتزويج والدته بزُيد (بياعين) مولى أبيه ، فكتب إليه عبدالملك بن مروان يعيب عليه ذلك، فرد عليه علي بكتاب قال فيه: " أما بعد لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " فقد أعتق أَمَته وتزوجها – وهي صفية بنت حيي – وزوّج ابنة عمه من زيد مولاه ، فقال عبدالملك : إن علي بن الحسين يتشرّف من حيث يتضع الناس ".[2]

وخطب رجل من الموالي ابنة ولد الحسن البصري ، فقال الحسن لولده : أمولى عتاقه هو ؟ - أي كان عبداً وأُعتق – قال : نعم ، فقال الحسن : إذهب فزوجه .[3]

لقد كان العلماء في مسألة الزواج يحرصون أكثرَ ما يحرصون على الخلق والدين، أمّا المال أو الجاه فقد كان أمراً ثانوياً ولا يمثلُ كبير اهتمام لديهم ، ولهذا فقد روي أن الخليفة عبدالملك بن مروان خطب ابنة سعيد بن المسيب لولده الوليد ، فأبى سعيد أن يزوجه ، وأصابه من جرّاء ذلك أذىً كبيراً[4] .وروي أيضاً أن رجلاً خطب ابنة

---

[1] هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : المعروف بزين العابدين ، وهو أحد الأئمة الأثناعشر ومن سادات التابعين ، وهو ثقة مأمون كثير الحديث عالياً ، فقيهاً ورعاً (ت ٩٤هـ/٧١٢م) { ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٧-٣٢٩ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٢١ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٢٦٦،٢٦٧ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٤٧،١٤٨ – وأنظر : ابن حبان : المشاهير ص١٠٤ – ابن قتيبة : المعارف ص٩٤،٩٥ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٤٦،٤٧ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٣٣ } .

[2] الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٩ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢١٤ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٢٦٩ – ابن كثير : البداية ج٩ ص١٠٨ ، وفي رواية ابن سعد أنه زوج أبنةً من مولاه .

[3] ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٧ ص١٧٢ .

[4] يذكر الذهبي وابن الجوزي أن عبدالملك بن مروان خطب ابنة سعيد لولده الوليد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبدالملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد ، وصبَّ عليه جَرة ماء ، على رأسه وألبسه جُبَّة صوف {الذهبي : السير ج٤ ص٢٣٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٥} هذه الرواية أوردها الذهبي وابن الجوزي عند ذكرهما قصة تزويج سعيد ابنته ، ولكنهما يذكرا في ترجمة سعيد في موضع آخر أن سبب ضرب=

ميمون بن مهـــران[1] ، فقال له: " لا أرضاها لك ، قال ولِمَ ؟ قال : لأنها تحب الحلي والحلل ، قال : فعندي من هذا ما تريد ، قال الآن لا أرضاك لها " [2] .

ومن خلال ما سبق نستنتج أن العلماء لم يكونوا يهتمون كثيراً بمسألة الكفاءة في الـــزواج من حيث النسب أو من حيث المال، غير أن بعض العلماء كانوا يفضلون أن يزوجوا بناهم ممن هو من عشيرتهم، فقد خطب رجلٌ من العرب ابنة عطاء بن يســار[3] فقال له عطاء : " ما ننكر نسبك ولا موضعك ولكننا نزوج مثلنا وتـــزوج أنـــت في عشيرتك " قال الراوي فأخبرت سعيد بن المسيب بذلك فقال :"أحســن عطـــاء مـــا شاء"[4].

ج- دور العلماء في تيسير الزواج :

كثيراً ما يؤخر بعض الشباب تحصين أنفسهم بالزواج ، وقد يتعذر على البعـــض منهم ذلك بسبب غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج ، وهذا يوجد في كـــل زمـــان ومكان ونتيجة لذلك فقد كان العلماء يشجعون الشباب على الزواج ويُرَغّبون فيـــه ، لماله من أثر ملموس في تحصين الفرد والمجتمع من التردي في الرذائل والمعاصي ، وممـــا يروى في ذلك أن طاووس بن كيسان اليماني قال لأحد الشباب : " تزوج أو لأقولـــن لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور"[5].

=سعيد هو رفضه للبيعة للوليد وسليمان عندما عهد إليهما عبدالملك وقال : لا أبايع لاثنـــين ، فضُـــرب بســـبب ذلك،وقيل إنما الذي ضرَبه هشام بن اسماعيل بدون أمر من عبدالملك { الذهبي : السير ج٤ ص٢٣٠-٢٣٢ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٢،٣٢٣ } .

[1] هو ميمون بن مهران الإمام عالم الجزيرة ومفتيها،وكان مملوكاً لامرأة من الأزد فأعتقته ،(ت ١١٧هـ/٧٣٥م) { الذهبي : السير ج٥ ص٧٢،١٧ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٤٧٧- ابن حبان : المشاهير ص١٩٠ } .

[2] الذهبي : السير ج٥ ص٧٥ .

[3] الإمام الرباني ، أبو محمد المدني مولى أم المؤمنين ميمونة ، كان من كبار العلماء (ولد ســـنة ١٩هـــ/٦٤٠م) وكان يقيم مرة في المدينة ومرة في الشام (ت ١٠٣هــ/٧٢١م) وله من العمر ٨٤سنة { الذهـــبي : الســـير ج٤ ص٤٤٨ – ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص٨٥ – ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص١٧٣ – ابن حبان : المشاهير ص١١٤ }.

[4] ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٧٣ .

[5] الذهبي : السير ج٥ ص١٦ .

كان العلماء في هذا المجال وهم قدوة الناس يضربون لغيرهم أروع الأمثلة في تقليل المهور إلى حد بسيط جداً ، فيرُوى أن سعيد بن المسيب زوج إحدى بناته من أحد طلابه وهو عبدالله بن أبي ودَاعة بمهر قدره درهمين أو ثلاثة [1]، كما زوّج ابنةً له أخرى من ابن أخيه بدرهمين [2]، وزوّج أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف [3] ابنته بمُدٍّ من تمر[4]، وأمهر رجل من الموالي ابنة ولد الحسن البصري عشرة آلاف، فقال له أبوه: عشرة آلاف ، عشرة آلاف فأي شيء بقيَ له ؟ دع له ستة آلاف وخذ منه أربعة آلاف [5] .

إن هذه المواقف التي ذكرت لا تعني أن العلماء يريدون لبناتهم أن يعشن في ظل الفقر والحاجة ، وإنما كان همهم كما أسلفنا الخلق والدين قبل كل شيء حتى ولو كان الزوج فقيراً ، ولهذا عندما أدرك سعيد بن المسيب حاجة ابنته وزوجها إلى المال ، وجّهَ إليهم بعشرين ألف درهم من حُر ماله [6] .

ولم يقف دور العلماء عند هذا الحد بل كانوا يساهمون أحياناً في تزويج الشباب من أموالهم بقدر الاستطاعة، فتذكر لنا الروايات أن بعض العلماء كانوا يقومون بتحمل نفقات ومهور بعض الشباب من أقاربهم، من ذلك ما روي عن هشام بن عروة بن الزبير أنه زوّج بعضاً من شباب قومه ، واتخذ لهم منازل وأَولَمَ عنهم .[7]

---

[1] الذهبي : السير ج٤ ص٢٣٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٤ .

[2] ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص١٣٨ .

[3] هو أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف ، اسمه كنيته ، الحافظ أحد الأعلام بالمدينة ، وكان فقيهاً مجتهداً حجة ، وكان من كبار أئمة الحديث يناظر ابن عباس ويراجعه (ت ٩٤هـ/٧١٢م) في خلافة الوليد بن عبدالملك { الذهبي: السير ج٤ ص٢٨٧ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٥٥ – ابن عبدالهادي الدمشقي : طبقات علماء الحديث ج١ ص١٢٦ – ابن كثير : البداية ج٩ ص١١٦– أنظر : ابن حبان : المشاهير ص١٠٦ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٤٤ } .

[4] الذهبي : السير ج٤ ص٢٨٨ .

[5] ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٧٢ .

[6] الذهبي : السير ج٤ ص٢٣٤ ، الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٥ .

[7] الذهبي : السير ج٦ ص٤٥، ويذكر أيضاً أن أبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث زوج في غداةٍ واحدة عشرة من بني المغيرة وأصدقهم { البلاذري :انساب الأشراف القسم ٥. B١ ص٢٤٢ } .

وهكذا كان العلماء يساهمون في تيسير الزواج حرصا منهم على نظافة المجتمع وطهارته .

د- تعدد الزوجات وظاهرة التسري في حياة العلماء :

كثيرا ما يتم مناقشة هذا الموضوع ، وقد تختلف فيه الآراء وتتعدد حوله وجهات النظر ، ولكن بالنسبة لموضوع كهذا نجد أن الشارع الحكيم قد حسمه فقال تعالى ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾[١] .

وعليه فينبغي أن يسلّم الجميع بذلك لا سيما وأن الشارع الحكيم قد حدد العدد المسموح به من الزوجات ، وترك الأمر مفتوحا بالنسبة للتسري بالإماء .

تعريف التسري :

يقال : تسرى الجارية من السرية [٢]،والسرية بالضم: الأمة التي بوأها بيتا واتخذها للملك والجماع (منسوبة إلى السر بالكسر للجماع) لأن الإنسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرته ، وسميت الجارية سرية لأنها موضوع سرور الرجل وهذا أحسن ما فيها ، وقال بعضهم استسر الرجل جاريته تسراها أي اتخذها سرية، وفي حديث عائشة – وذكرها المتعة – فقالت : " والله ما نجد في كتاب الله إلا النكاح والإستسرار" تريد اتخاذ السراري ، وجمع السرية : السراري .[٣]

فإذا ولدت السرية – الأمة – من سيدها وهي في ملكه فحينئذ تكون أم ولد[٤] "ولا خلاف في إباحة التسري ووطء الإماء لقول الله تعالى ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ [٥] وقد كانت مارية

---

(١) سورة النساء : الآية (٤) .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص١٣٩ .

(٣) الزبيدي : السيد مرتضى الحسين الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس ج١٢ ص١٢،١٣،١٤ – تحقيق / مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٣م (بدون طبعة) .

(٤) ابن قدامة : محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م) كتاب المغني ج٧ ص٥٦٩ ، مكتبة الجمهورية العربية ، (بدون طبعة وتاريخ) .

(٥) سورة المؤمنون : الآية (٥،٦) .

القبطية رضي الله عنها أُم ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي أم إبراهيم ، وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه . أمهات أولاد، ولعلي رضي الله عنه . ولكثير من الصحابة .[1]

وقد ذكر الذهبي[2] :" أن أهل المدينة كانوا يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد ، حتى نشأ فيهم السادة: علي بن الحسين، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر، ففاقوا أهل المدينة علماً وتقى وعبادة وورعاً فرغب الناس حينئذ في السراري " .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن التسرِّي هو ما يتخذه الرجل من الإماء للنكاح وقد يخفي ذلك عن زوجته ، أما الإماء أو الجواري فقد يستخدمها الرجل للنكاح وقد لا يستخدمها، لأنه يحق له أن يزوجها، وبالتالي فلا يحق له بعد ذلك أن يجامعها وإن فعل فقد فعل محرماً ، وقال بعض العلماء لا حد عليه ، وبعضهم قال يعزر ، وقال بعضهم يُعزّر بالجلد .[3]

إذن فأمهات الأولاد هنّ السراري أو الإماء اللاتي ولَدن لأسيادهن، وحكمهن أن يعتقن بعد موت أسيادهن[4]، وإذا لم تلد السرية أو الأمة فلا تسمى أم ولد .

ومن هذا المنطلق كان العلماء – وهم القدوة للناس – يمارسون هذا النوع من الحياة الزوجية العائلية – التعدد – إضافة إلى التسري بالإماء ، أو امتلاك الجواري – الإماء – كلٌ بحسب ظروفه ورغباته ، ولتوضيح ذلك قمنا بعمل جدول يبين لنا أسماء العلماء الذين ذكرت المصادر أنهم تعددت زوجاتهم وتسروا بالإماء في حياتهم العائلية، ولكون مصدرينا لم يرد فيهما ذكر لمثل هذه الحالات إلا في القليل النادر فقد رجعنا إلى مصادر أخرى في تفصيل هذا الجانب ، وقد رتبنا الجدول أمام اسم الزوجة أو الأمة الولد الذي أنجبه العالم منها .

---

(1) ابن قدامة : المغني ج٩ ص٥٢٧ .

(2) السير ج٤ ص٤٦٠ .

(3) ابن قدامة : المغني ج٩ ص٥٣٨ .

(4) المصدر نفسه ج٩ ص٥٣٠ .

كما قمنا بترتيبه حسب تاريخ الوفاة للعلماء من القديم إلى الحديث كالتالي :

اسم العالم	أسماء الزوجات وأمهات الأولاد	أسماء الأولاد	المصدر	ملحوظات
١-محمد بن الحنفية (ت ٨١هـ/٦٩٩م)	١-جمالة ابنة قيس بن مخرمة. ٢-مسرعة ابنة عباد بن شيبان. ٣-برّة بنت عبدالرحمن بن الحارث . ٤-أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ٥-أم ولد . ٦-أم ولد .	الحسن . إبراهيم . القاسم وعبدالرحمن جعفر الأصغر وعوناً وعبدالله الأصغر . عبدالله، وحمزة ، وعلياً. عبدالله ، ورقية .	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥/٩٢	
٢-عبدالرحمن بن أبي ليلى (ت٨٣هـ/٧٠١م)	زوجتين	ذكر من أولاده محمد	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٦/٣٥٨	لم يرد في المصدر ذكر لأسماء الزوجات ، ومن الأولاد واحد فقط

٣-علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ٩٢هـ/٧١٠م)	١-أم عبدالله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب . ٢-أم ولـــد ٣-أم ولـــد ٤-أم ولـــد ٥-أم ولـــد ٦-أم ولـــد ٧-أم ولـــد	حسين الأكبر ومحمد وعبدالله . زيد ، وداود . عمر،علي،وخديجة. عبدالرحمن،وحسين الأصغروسليمان،و عبدة . القاسم ، وأم كلثوم. فاطمة ، وعُلَية . أم الحسين .	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥/٢١١ ، ومصعب الزبيري نسب قريش ص٥٩،٦٠، ٦١، ٦٢	
٤-أبوبكر بن عبد الرحمن بن الحارث (ت ٩٤هـ/٧١٢م)	١-سارة بنت هشام بن الوليد ٢-قريبة بنت عبدالله بن زمعة ٣- رميثه بنت الوليد	عبدالرحمن ، و عبدالله وعبدالملك ، وهشام وسهلاً ، والحارث ومريم. أباسلمة،وعمر، وربيحة فاطمة .	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥/٢٠٧ ، ومصعب الزبيري نسب قريش ص٣٠٩	
٥-سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ/٧١٢م)	١-أم حبيب بنت أبي كريم بن عامر ٢-بنت الصحابي الجليل أبى هريرة رضي الله عنه ٣-أم ولـــد	محمد ، وسعيد ،و إلياس،وأم عثمان، وأم عمرو،وفاختة - مريـم .	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥/١١٩، ١٢١، - البلاذري انساب واشراف القسم ٥ ص٣٠١ -ابن الجوزي المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٣٢١	

٦-إبراهيم النخعي (ت٩٦هـ/٧١٤م)	كان له زوجتان	-	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٦/٢٨٣	لم يذكر المصدر الأولاد ولا أسماء الزوجات.
٧-عروة بن الزبير (ت ٩٩هـ/٧١٧م)	١-فاختة بنت الأسود بن أبي البختري . ٢-أم يحي بنت الحكم بن أبي العاص . ٣-أسماء بنت سلمة بن عمر بن أبي سلمة . ٤-سودة بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب . ٥-صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي . ٦-أم ولد . ٧-أم ولد اسمها واصلة	عبدالله ،وعمر، و الأسود، وأم كلثوم وعائشة، وأم عمرو. يحيي ، ومحمد ، وعثمان،وأبي بكر ،وعائشة ، و خديجة عبدالله . أسماء . بنت لم يذكراسمها هشام ، وصفية . مصعب، وأم يحيى	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥/١٨٧ ، البلاذري أنساب الأشراف القسم ٥ ، B١ص٥٤	لم تكن الزوجات الخمس تحت يده في وقت واحد وإنما يبدوا أنه تزوج الخامسة بعد وفاة إحداهن أو طلاقها ، ولم تذكر المصادر ذلك
٨-عمر بن عبدالعزيز (ت١٠١هـ/٧١٩م)	١- لميس بنت علي بن الحارث . ٢-أم عثمان بنت شعيب بن زبان بن الأصبغ . ٣-فاطمة بنت عبدالملك	عبدالله ، وبكراً ، وأم عمار . إبراهيم . إسحاق، ويعقوب ، وموسى .	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥/٣٣٠	

٩-سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦هـ/٧٢٤م)	١-أم الحكم بنت يزيد بنت عبد قيس . ٢-أم ولد . ٣-أم ولد .	عمر ، وأبا بكر . عبدالله ، وعاصم وجعفر، وحفصة وفاطمة . عبدالعزيز، وعبدة	ابن سعد الطبقات الكبرى ج٥/١٩٥	
١٠-أبو جعفر : محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب (ت١١٣هـ/٧٣١م)	١-أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر . ٢-أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الأخنس ٣-أم ولد ٤-أم ولد	جعفر ، وعبدالله . إبراهيم . علي ، وزينب . أم سلمة .	ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥/٣٢٠	

١١-علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب (ت١١٨هـ/٧٣٦م)	١-العالية بنت عبيدالله بن العباس . ٢-لبابة بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب . ٣-امرأة من بني الحريش ٤-أم ولد ٥-أم ولد ٦-أم ولد	محمد: أبو الخلائف عبدالله الأكبر وأم حبيب . عبدالله . داود وعيسى . سليمان وصالح . أحمد،وبشراً، ومبشراً ، و إسماعيل، وعبدالصمد.	ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥/٣١٢، ٣١٣ ، مصعب الزبيري نسب قريش ص٢٩، ٣٠	لبابة كانت قبله عند الوليد بن عبدالملك ثم تزوجها هو ، الذهبي: السير ج٥ ص٢٨٥
	٧-أمهات أولاد شتى	عبدالملك، وعثمان وعبدالرحمن ،وعبدالله الأصغر ، ويحي،وإسحاق ،ويعقوب ، وعبدالعزيز ،وإسماعيل الأصغر وعبدالله الأوسط فاطمة ، وأم عيسى الكبرى ، وأم عيسى الصغرى ، وأميمة ، ولبابة وبريهة الكبرى، وميمونة وبريهة الصغرى، وأم علي، والغالية		لم تذكر المصادر أسماء أمهات الأولاد ولا عددهن .

١٢-زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت١٢٢هـ/٣٩م)	١-ريطة بنت أبي هاشم ٢-أم ولد .	يحيى . عيسى ، وحسين ، ومحمد .	ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص ٣٢٥	
١٣-سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف (ت١٢٦هـ/٧٤٣م)	١-أمة الرحمن بنت محمد بن عبدالله بن عبد زمعة بن عبدشمس ٢-أم ولد .	إبراهيم . إسماعيل .	مصعب الزبيري نسب قريش ص٢٧٠	
١٤-سليمان بن طرخان التيمي (ت١٤٣هـ/٧٦٠م)	زوجتين		أبو نعيم : حلية الأولياء ج٣ ص٢٩	لم يذكر المصدر أسماء الأولاد ولا الزوجات
١٥-عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج (ت١٥٠هـ/٧٦٧م)	قيل تزوج ٦٠ امرأة وقيل ٩٠ امرأة	لم يذكرعدد الأولاد ولكن قيل أنه عهد إلى أولاده في أسمائهن لئلا يغلط أحد منهم ويتزوج واحدة مما نكح أبوه	الذهبي : السير ج٦ ص٣٣٢، ٣٣٣ ، تاريخ الإسلام ج حوادث مابين ١٤١هـ - ١٦١هـ ص٢١١، ابن عبدالهادي طبقات علماء الحديث ج١ ص٢٦٢	ذكرت المصادر أن هذا الزواج متعه
١٦-حماد بن سلمة . (ت١٦٧هـ/٧٨٣)	تزوج سبعين امرأة	لم يولد له ولد	الذهبي: السير ج١ص٤٥١	

ومن خلال هذا الجدول يمكننا أن نخرج ببعض الملاحظات والاستنتاجات المتعلقة بالموضوع ونجملها فيما يلي :

أولاً-إن العلماء كانوا يتفاوتون فيما بينهم في نسبة التعدد والتسري ،فهناك من العلماء من تزوج بواحدة وتسري بواحدة كزيد بن علي بن الحسين[1] ومنهم من تزوج باثنتين وتسرى بواحدة كسعيد بن المسيب ومنهم من تزوج بأثنتين وتُسرى بأثنتين كأبي جعفر محمد بن علي[2] ومنهم من تزوج بثلاث وأفرط في التسري بالإماء إذ كان لعلي بن عبدالله بن عباس[3] اثنتي عشرة أمة حتى بلغ عدد أولاده منهن جميعاً عشرين ذكراً وثماني إناث.ومنهم من تزوج بأربع وتسرّى باثنتين كمحمد بن الحنفية[4]

---

(1) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، روى عن أبيه وأخيه الباقر ، وكان ذا علم وصلاح ، وقد وفد على هشام بن عبدالملك ، فرأى منه جفوة فكان ذلك سبب خروجه وطلبه للخلافة ، فقتل شهيداً ، قتله يوسف بن عمر متولي العراق في خلافة هشام ، وهو الذي رفضه الرافضة بسبب موالاته لأبي بكر وعمر ، وقالت الزيدية بقوله (ت ١٢٢ هـ/ ٧٣٩م) { الذهبي : السير ج٥ ص٣٨٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢١٨ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٢٥،٣٢٦ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص١٧ – ابن حبان : المشاهير ص١٠٤ } .

(2) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر الباقر ، ويقال له باقر العلم ، وأمه أم عبدالله بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان ثقة كثير العلم والحديث ، أحد الأعلام بالمدينة ، وروى عن أبيه وجابر ، وابن عمر ، وعائشة وأم سلمة وابن عباس ، وحدث عنه جماعة منهم ابنه جعفر والأعمش وغيرهم ، ولد سنة (٥٦هـ/٦٧٥م) وكان ذو عبادة وفضل قيل كان يصلي في اليوم والليلة ١٥٠ ركعة (ت ١١٤هـ/٧٣٢م) {الذهبي : السير ج٤ ص٤٠١ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦١ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٢٠ –وأنظر ترجمته في :ابن حبان : المشاهير ص١٠٣ – ابن عبدالهادي الدمشقي : طبقات ج١ ص١٩٩ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٨٠ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٤٩ – ابن كثير : البداية ج٩ ص٣٠٩ }.

(3) علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، أبو محمد الهاشمي المدني السجاد ، أبو الخلائف ، ولد عام قتل الأمام علي فسمّي باسمه وكان رحمه الله عالماً عاملاً جسيماً وسيماً ، ورد عن الأوزاعي وغيره أنه كان يصلي في اليوم ألف سجدة ، ولقب بالسجاد لكثرة صلاته ، (ت ١١٨هـ/٧٣٦م) وهو جد الخلفاء أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور {الذهبي : السير ج٥ ص٢٥٢،٢٥٣،٢٨٤،١٨٥ – ابن حبان : المشاهير ص١٠٧} .

(4) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحيفية ، واسمها خولة بنت جعفر بنت قيس وقيل كانت أمه من سبي اليمامة ثم صارت إلى علي ، ولد لسنتين من خلافة عمر ، وكان كثير العلم والورع ، وروي أنه قال الحسن والحسين خير مني وأنا أعلم بحديث أبي منهما (ت٨١هـ/٦٩٩م) وهو ابن خمسين سنة { ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص٢٢٨،٢٢٩ –ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٩١،٩٢ –ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٦٩ – وأنظر أيضاً ابن حبان : المشاهير ص١٠٣ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٤٥ } .

وهناك من تزوج بخمس وتسرّى باثنتي كعروة بن الزبير[1] طبعاً بعد أن توفيت واحدة منهن ، أو قام بتطليقها .

ثانياً- إن هذه الحالات التي تضمنها الجدول ليست هي الوحيدة لكون المصدر لم تذكر من الزوجات والسراري إلا من أنجبن فقط ، والسبب يعود إلى أن هذه المصادر إنما كانت تتحدث عن الأنساب وخاصة أنساب القرشيين[2]، إذ تذكر اسم الشخصية ثم تذكر الأولاد ومنهنّ أمهاتهم ، ومن خلال هذه المصادر استطعنا أن نحصل على هذه المعلومات، ومما يؤيد ذلك، هذا المثال، الذي ذكر فيه ابن سعد[3] في كتابه الطبقات الكبرى – وهو المصدر الذي اعتمدنا عليه في إيراد معظم الحالات – للعالم (سعيد بن المسيب) اثنتين من النساء إحداهن زوجة والأخرى أم ولد ، الأولى أنجبت من الأولاد ثلاثة ومن البنات ثلاث، والثانية التي أنجبت بنتاً واحدة، ثم يذكر[4] أن له زوجة ثانية وهي ابنة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو في هذه المرة لا

---

(1) هو عروة بن الزبير ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، عالم المدينة ، أبو عبدالله القرشي المدني الفقيه أحد الفقهاء السبعة ، حدث عن أبيه وعن أمه أسماء وعن خالته عائشة أم المؤمنين ولازمها وتفقه بها ، وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم كثير ، وكان أصحاب رسول الله يسألونه، وكان عالماً بالسيرة ، وقال عمر بن عبدالعزيز : ما أجد أعلم من عروة بن الزبير ، وقال الزهري : رأيته بحراً لا ينزف ، (ت ٩٤هـ/٧١٢م) { الذهبي : السير ج٤ ص٤٢١،٤٢٢،٤٢٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٣٣،٣٣٤ – وأبو نعم : الحلية ج٢ ص١٧٦ –ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٢٥٥ –ابن عبدالهادي : الطبقات ج١ ص١٢٥ – وأنظر ترجمته أيضاً في : ابن حبان : المشاهير ص١٠٥ –ابن كثير : البداية ج٩ ص١٠١ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٤١ } .

(2) أما كون المصادر لم تتحدث في الأغلب إلا عن أنساب القرشيين فهذا يعود كما يبدوا لاهتمام بعض المؤرخين أو النَّسابين إلى إثبات أنساب القبائل وهذا لا يهمنا ولكن المهم أن هذه المصادر أغفلت أنساب بقية الأعلام من غير القرشيين مثل الأعلام من الموالي وغيرهم فعلى سبيل المثال وجدنا ابن سعد في الطبقات الكبرى يذكر مثلاً نسب عروة بن الزبير أو علي بن الحسين بينما هو يُغفل مثلاً نسب عطاء بن أبي رباح العالم أو طاووس بن كيسان اليماني، لا يغفل عن ذكر نسبهم أباً وأصلاً بل تفصيلاً من حيث ذكر أولادهم وأولاد أولادهم وأمهات الأولاد ، من الزوجات أو السراري كما فعل مع غيرهم ، أما المصادر الأخرى فهي صريحة من عنوانها مثل نسب قريش أنساب الأشراف الذي يتحدث في معظمه عن أنساب قبائل قريش والعرب .

(3) أنظر : ص١١٩ .

(4) أنظر : ص١٢١ .

يذكر هذه الزوجة الثانية عند الحديث عن الأولاد، لأنها لم تنجب، وإنما جاء ذكرها عرضاً عند الحديث عن رواية سعيد للحديث، فقد كانت جُلّ روايته للحديث عن أبي هريرة لكونه متزوجاً ابنته، ومن هنا نستنتج أن هناك زوجات وسراري في حياة العلماء لم يرد ذكرهن كونهن لم ينجبن شيئاً من الأولاد ، ولكن قد تكون نسبتهن قليلة بالمقارنة مع غيرهن .

ثالثاً – نلاحظ من خلال الجدول أن التعدد عند العلماء كان أمراً بدهياً ومقبولاً، ولم يكن يقابل بالنقد من قبل الآخرين، حتى في حالات التعدد المفرط وغير الشرعي – المتعة[1] – مثل ابن جريج الذي تزوج ستين امرأة، وقيل تسعين متعة،وعليه

---

[1] ورد الخبر عند الذهبي عن طريقين الأول : قال أبو غسان زنيج : سمعت جريراً الضبي يقول : كان ابن جريج يرى المتعه ، تزوج بستين امرأة ، وقيل إنه عهد إلى أولاده في أسمائهن لئلا يغلط أحدهم ويتزوج واحدة ممن نكح أبوه بالمتعة ، والثاني : قال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم : سمعت الشافعي يقول : استمتع ابن جريج بتسعين امرأة. هكذا ورد الخبر و لم يعلق عليه الذهبي ، و لم يورد أي تعليق أو نقد على الخبر ، والمعروف عند جمهور العلماء هو تحريم زواج المتعة ، قال: ابن عبدالبر : اتفق أئمة علماء الأمصار من أهل الرأي والآثار منهم : مالك وأصحابه من أهل المدينة وسفيان وأبو حنيفة من أهل الكوفة والشافعي ومن سلك سبيله من أهل الحديث والفقه والنظر ، والليث بن سعد من أهل مصر والمغرب ، والأوزاعي في أهل الشام ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وداود ، والطبري على تحريم نكاح المتعة لصحة نهي رسول الله عندهم عنها { ابن عبدالبر : أبي عمر يوسف بن عبدالله ابن محمد بن عبد وعليه فيبدو من خلال ما توافر لدينا من معلومات البر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٦٩م) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار ج١٦ ص٣٠٠ ، تحقيق / عبدالمعطي أمين قلعجي،ط أولى ١٩٩٣م ،دار الوعي ،حلب} وعليه فيبدو من خلال ما توفر لدينا من معلومات أن هذه الحالة هي الوحيدة التي وردت عن عالم تزوج متعه ، والعجيب في الأمر أن أحداً من العلماء المعاصرين لابن جريج أو من جاءوا من بعده لم ينكروا عليه ذلك ، إذ لم يرد عند الذهبي أي إشارة إلى ذلك ، مع أن الذهبي والعلماء المعاصرين للفترة ٥٠هـ – ١٥٠هـ ، كانوا ينكرون على بعض العلماء أي هفوة قد تقع منهم ، فمثلاً قيل إن سفيان الثوري كان يشرب النبيذ ، فيقول الذهبي : سفيان مع جلالة قدره كان يشرب النبيذ على مذهب بلده الذي كثيره مسكر ، ويورد رواية أخرى عن ابن مهدي يقول فيها : اشهد لقد وصف له شيء من النبيذ دواء فقال : لا ائتني بعسل وماء ، { الذهبي : السير ج٧ ص٢٤١،١٥٩،٢٧٥ } لذلك كله فيرجح أن تكون هذه الروايات غير صحيحة أو أنه كان يعمل ذلك في السر و لم يعلم بذلك إلا القليل ، خاصة وأن ما ذكر عن هذا العالم من ورع وزهد وتقوى وعلم لا يتوافق مع ما ذكر من أنه كان يرى المتعة ، فقد فقال عنه أحمد بن حنبل: كان من أوعية العلم ، وقال عنه عبدالرزاق : ما رأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج كنت إذا رأيته يصلي علمت أنه يخشى الله ، وقال ابن المديني : لم يكن في الأرض أعلم بعطاء من ابن جريج،وقال يحي بن سعيد كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة،وفوق ذلك فهو كما يبدو ثقة إذ يذكر الذهبي : أن روايات ابن جريج وافرة في الكتب الستة وفي مسند الإمام أحمد ، معجم الطبراني الأكبر=

فالتعدد كان شائعاً في هذه الفترة عند العلماء وغيرهم وبين مختلف طبقات المجتمع وبخاصة عند الأغنياء والمتيسرين وذوي الوجاهات ، كحمزة بن عبدالله بن الزبير كان عنده من الزوجات ثلاث ومن السراري اثنتين .[1]

رابعاً- يتضح لنا من خلال بعض النصوص والروايات أن الإكثار من الزوجات والسراري كان له بعض المسوغات عند البعض من العلماء ، مثل الرغبة في إنجاب أكبر عدد من الأبناء ، فقد ذُكِر أن علي بن الحسين لم يكن له من الأولاد إلا قليل ولم تكن له إلا زوجة واحدة، فقال له مروان بن الحكم : " لو اتخذت السراري يكثر أولادك فقال: ليس لي ما أشتري به فأقرضه مائة ألف ، فاشترى له السراري فولدت له وكثر نسله" [2] حتى بلغ عدد أولاده منهن تسعة ذكور و خمس إناث[3]، وتزوج حماد بن سلمة سبعين امرأة ولم يولد له ولد [4]، ومن ثم فمن المحتمل جداً أن يكون زواجه بهذا العدد لأجل طلب الولد ، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن كثرة الجواري في المجتمع كان من أسبابه تدفقهن نتيجة الفتوحات الإسلامية، وكان لذلك أثر في رخص أسعارهن وبالتالي سهولة الحصول عليهن.

الجواري :

إضافة إلى التسرّي بأمهات الأولاد فقد كان الكثير من العلماء أيضاً يمتلكون الجواري (ملك اليمين) ، ولكننا لا نستطيع أن نحدد بدقة الهدف من وجودهن عند العلماء لأن الروايات لم تذكر ذلك على وجه التحديد، كما ذكر في التسري بالإماء، وعليه فالذي يبدو لنا من خلال النصوص والروايات على وجه التقريب، أن بعضاً من هؤلاء الجواري كنّ للمتعة والبعض منهن للخدمة ، والبعض كان لهن أعمال أخرى ، ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم جوار ، سعيد بن المسيب كان له جارية اسمها غنيمة

= { الذهبي : السير ج٦ ص٣٣٠ –٣٣٣ } ويحتمل – إن صح الخبر- أنه كان ذا ميول شيعية ، والله أعلم .

[1] مصعب الزبيري : نسب قريش ص٢٤٠،٢٤١ .

[2] الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٠ – ابن كثير : البداية ج٩ ص١٠٤ .

[3] ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص٢١١ .

[4] الذهبي : السير ج٧ ص٤٥١ .

وكانت تحدثه كما تـذكر الرواية أحيانا عن بعض الأحـلام التي تراها[١]، وكـان لإبراهيم النخعي جارية ،كانت إذا طلبه إنسان لا يحب لقاءه خرجت فقالت اطلبـه في المسجد [٢]، ومن العلماء الذين كان لهم جوار ويقمن بنفـس العمل تقريبا ، عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود [٣] وأبو عمرو بن العلاء[٤] وشقيق بن سلمة [٥] وخيثمة بن عبدالرحمن[٦] كل هؤلاء كان لهم جوار يقمن بالخدمة في بيوتهم .[٧]

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص١٤١ — ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٣ .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٥٢٩.وكان للحسن البصري أيضا جارية وكانت تجيب على من يطرق بابه (أبو نعيم: حلية الأولياء ج٤ ص٨٢) .

(٣) هو عبدالله بن عبيدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، الإمام الفقيه مفتي المدينة وعالمها واحد الفقهاء السبعة ، أبـو عبدالله المدني الأعمى ، من أعلام التابعين ، وقد لقي خلقا كثيرا من الصحابة ، ولد في خلافة عمر أو بعدها ، قال الزهري : أدركت أربعة بحور منهم عبيدالله ، ويعتبر عبيدالله معلم عمر بن عبدالعزيز ، وكان مع إمامته في الفقـه والحديث شاعرا مجيدا (ت ٩٩هـ/٧١٧م) { الذهبي : السير ج٤ ص٤٧٥، ٤٧٦ —ابن الجوزي : المنتظـم ج٧ ص٢٩ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٥٠ — ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص١١٥ — ابـن حبـان :مشـاهير ص١٠٦ — الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٤٢ — أبو نعيم : الحلية ج٢ ص١٥٨ — ابن عبدالهادي الدمشـقي : الطبقات ج١ ص١٥٣ } .

(٤) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ، ثم المازني البصري ، وقيل أسمه ربان بن العلاء ، شيخ القـراء والعربية ، وبرز في الحروف وفي النحو ، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم وكان يقرئ النـاس القـرآن في مسجد البصرة ، والحسن البصري حاضر ، وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م) { الذهبي : السير ج٤ ص١٦١ — ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٩٦ — أبو نعيم: الحلية ج٤ ص١٠٥،١٠٦- ابـن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٧٦ — ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١١٩،١٢٠ — وأنظر ترجمتـه في : ابن حبان : المشاهير ص١٥٩ — الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٩ ص٢٨٦،٢٧١ } .

(٥) أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي ، شيخ الكوفة وعالمها ، مخضرم جليل — يقال أسلم في حياة النـبي صلى الله عليه وسلم ، وأدركه وهو غلام أمرد (ت ٨٣هـ/٧٠١م) { الذهبي : السـير ج٤ ص١٦١ — ابـن سعد: الطبقات ج٦ ص٩٦ — أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٠٥،١٠٦ — ابـن خلكـان : وفيـات الأعيـان ج٢ ص٤٧٦—ابن عبدالهادي الدمشقي : طبقات علماء الحديث ج١ ص١١٩،١٢٠ — وأنظر ترجمته في : ابن حبـان: المشاهير ص١٥٩— الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٩ ص٢٦٨-٢٧١ } .

(٦) خيثمة بن عبدالرحمن بن أبي سبرة ، أدرك علي بن أبي طالب وابن مسعود وعبدالله بن عمر وغيرهم وكان عالمـا زاهدا عابدا ، ولد في المدينة وأدرك ثلاثة عشر رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (ت ٨٠هـ/٦٩٩م) وكان جوادا { ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢١٣ — ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٨٦،٢٨٧ — ابن حبـان : المشاهير ص١٦٦ — أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٣ } .

(٧) الذهبي : السير ج٤ ص٤٧٧ ، ج٦ ص٤١٠ — أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٦٢، ج٤ ص١٠٣،١١٥ .

ومن العلماء الذين كان لهم جوار لغرض المتعة كما يبدو عمر بن عبدالعزيز والذي يذكر أنه حين تولّى الخلافة خيرّهن فقال :" قد نزل بي أمر قد شغلني عنكن فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أحب أن أمسكه أمسكته إن لم يكن مني إليها شيء فبكين إياساً منه "[١] وكان لعلي بن الحسين جارية ثم أعتقها وتزوجها[٢] ، وكان للحسن بن الحر[٣] جارية أوصى له بها أخوه عَبْدَةُ بن أبي لبابة [٤] ومكثت عنده دهراً لا يطأها[٥] ، كما كان لطاووس بن كيسان اليماني جوارٍ وكان يأمرهن بالخضاب .[٦]

وهناك بعض العلماء كان لهم جوار يقمن بالضرب – على الدفوف تقريباً – وغيره فيروي لنا أبو نعيم أن عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك بن أبي عامر [٧] قدم عليهم وإذا معه جوار يضربن – يعني القيان – قال:فقلت لا والله لا أسمع منه شيئاً .[٨]

---

[١] ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٤٢ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٢٥٩ .

[٢] ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٤ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٢٦٩ .

[٣] الحسن بن الحر بن الحكم النخعي أو الجعفي الكوفي : أمام عابد ، قدم دمشق وحدث بها ، روى عن الشعبي ونافع وغيرهم وروى عنه جماعة ، وثقة ابن معين ، وقال يعقوب : الحسن بن الحر ثقة ، وكان كثير المال سخياً ، وعَبْدَةُ بن أبي لبابة خاله وكانا شريكين في التجارة ، قال الأوزاعي ما قدم علينا من العراق أحد أفضل منه ، وقال الحاكم ثقة مأمون ، ويعتبر من متقني أهل الكوفة ، (ت ١٣٣هـ/٧٥٠م) بمكة { الذهبي: السير ج٦ ص١٥٢،١٥٣ –ابن حبان: المشاهير ص٢٦٠ – ابن عساكر : تاريخ دمشق ج٤ ص١٦٣ } .

[٤] عَبْدَةُ أبي لبابة ، أبو القاسم الأسدي ، مولى لبني غاضرة بن أسد ، الكوفي التاجر ، أحد الأئمة ، نزل دمشق ، ومولده بالكوفة وقد جالسه ابن عيينه ثلاثاً وعشرين سنة (ت ١٢٧هـ/٧٤٤م) { الذهبي : السير ج٥ ص٢٢٩،٢٣٠ – ابن حبان : المشاهير ص١٨٧) .

[٥] ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص١٦٣ .

[٦] ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٤٠ .

[٧] عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك بن أبي عامر أبو أويس المدني الأصبحي ، وكان زوج أخت مالك بن أنس، قدم بغداد وحدث بها عن الزهري ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وهشام بن عروة (ت ١٦٩هـ/٧٨٥م) {ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣١٤ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٠ ص٥-٨ } .

[٨] ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣١٤ .

وكان لعون بن عبدالله [1] جارية يقال لها بشرة وكان لها صوت جميل وكانت تُطَّرب[2] ثم أعتقها بعد ذلك ، وأخيراً فإن هناك من العلماء من كان لهم جوار وقاموا ببيعهن [3]، مثل محمد بن سيرين ، والحسن بن صالح بن حي[4] .

معاملة العلماء لأهليهم :

تعرضنا آنفاً إلى الزواج وتكوين الأسرة في حياة العلماء ابتداءً من الزواج بواحدة إلى تعدد الزوجات إلى اتخاذ السراري ، والآن يا ترى كيف كانت تسير حياة العلماء مع أُسرهم مع الأمهات والزوجات والأولاد ... الخ .

إننا نلاحظ من خلال النصوص والأخبار التي بين أيدينا أن معاملة العلماء داخل بيوتهم مع الأسرة كانت ترقى إلى درجة عالية من المودة والتعاطف والمعاملة الحسنة والطّيبة ، وأول ما نلمح في هذا المجال معاملة العلماء لأمهاتهم، فنشاهد معاملة يسودها الطاعة وخفض الجناح والتذلل والتواضع من قبل العلماء، من ذلك ما ذكر عن عبدالله بن عون ، أن أمه كانت تناديه ذات يوم فيجيبها رافعاً صوته عليها دون أن يشعر ،

---

(1) عون بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود ، الإمام القدوة العابد أبو عبدالله الهذلي الكوفي أخو فقيه المدينة عبيدالله ، وثقه أحمد وغيره ، وقال علي بن المديني : صلى عون خلف أبي هريرة ن وكان لزم عمر بن عبدالعزيز ، فكانت له منه مكانة (توفي عون سنة بضع عشرة ومئه) { الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٥ ص١٠٣،١٠٤ — أبو نعيم : حلية الأولياء ج٤ ص٢٤٠ } .

(2) ورد الخبر أن عون بن عبدالله كان يقص فإذا فرغ أمر جارية له أن تعظ وتُطرِّب ، والتطريب في الصوت : مده وتحسينه ، وطرب في قراءته : مد ورجع ، ويعني بوعظها أنها كانت تقرأ القرآن بصوت شجي ولحن عذب ويؤيد ذلك الخبر الثاني عن ثابت البناني قال : كان لعون جارية يقال لها : بشرة ، تقرأ بألحان فقال لها يوماً :اقرئي على أخواني ، فكانت تقرأ بصوت وجيع حزين ، فرأيتهم يلقون العمائم ويبكون ، فقال لها يوماً : يا بشرة قد أعطيتُ بكِ ألف دينار لحُسن صوتك ، أذهبي فأنت حره لوجه الله { الذهبي : السير ج٥ ص١٠٥ } .

(3) الذهبي : السير ج٤ ص٦١، ج٧ ص٣٦٩ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣١٣ — ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٩٩) .

(4) الحسن بن صالح بن حي ، الإمام الكبير ، القدوة أحد الأعلام ، أبو عبدالله الهمداني الكوفي ، الفقيه العابد ، ولد سنة ١٠٠هجرية روى عن جماعة منهم أبيه ، وأبي إسحاق السبيعي ، وروى عنه جماعة منهم ابن المبارك ، وأبو نعيم (ت ١٦٧هـ/٧٨٣م) { الذهبي : السير ج٧ ص٣٦١،٣٦٣،٣٦٧،٣٧١ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣١٣ — ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٣٢٠،٣٢١ — أبو نعيم : الحلية ج٧ ص٣٧٢-٣٣٥ — وأنظر ترجمته في : ابن حبان : المشاهير ص٢٦٨ } .

فما كان منه إلا أعتق رقبتين[1]، وكانت والدة محمد بن سيرين – واسمها صفية – يعجبها الصبغ ، فكان يشتري لها من الثياب ألين ما يجد فإذا أتى العيد قام يصبغ ثيابها، ولم يكن يرفع صوته عليها ، بل كان إذا كلّمها كلّمها كالمصغي إليها[2] ، هكذا كان العلماء يعاملون أمهاتهم ، بل وأكثر إلى الحد الذي يجعل أحدهم يسافر من مكه إلى البصرة ليس له هدف إلا زيارة أمه[3] ، وعالم آخر يبيت ليلته يغمز قدم أمه ، وهو محمد بن المنكدر[4] قال: "بات أخي عمر يصلي وبت أغمز قدم أمي وما أحب أن ليلتي بليلته "[5] ، بل وهناك من العلماء من كان يفلي رأس أمه .[6]

هذه الأمثلة والنماذج الحية في التعامل مع الأم ، إنما تدل في الواقع على نفوسٍ عالية تؤمن بتعاليم الإسلام وقيمه سلوكاً وعملاً، ولهذا فلا عجب أن نرى مثل هذه الأخلاق عند العلماء ، لأنهم يعلمون أن طاعة الأمهات وبّرهُن مقرون بطاعة الله تعالى.

ومن جانب آخر نجد أن معاملة العلماء لزوجاتهم لم تختلف كثيراً عن معاملتهم لأمهاتهم ، فهذه زوجة سعيد بن المسيب تقول :" ما كنا نكلّم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم أصلحك الله عافاك الله " [7]، وهذا أن دلّ على شيء فإنما يدل على تعامل زوجها معها بخلق حسن ، ولقد كان الأمام مالك من أحسن الناس خُلقاً مع أهله

---

(1) الذهبي : السير ج٦ ص٣٦٦ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٩ .

(2) الذهبي : السير ج٤ ص٦١٩ ،– ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٩٨ . وكان علي بن الحسين من أبرّ الناس بأمه إلى درجة أنه لم يكن يأكل معها ، فقيل له في ذلك فقال : " أخاف أن تسير يدي إلى ما قد سبقت عينها فأكون قد عققتها " { ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص١٦٨ – ابن قتيبة : عيون الأخبار ج٣ ص٩٧ } .

(3) هو معمر بن راشد البصري قدم من مكة مع أيوب السختياني لزيارة أمه { الذهبي : السير ج٧ ص٨ } .

(4) محمد بن المنكدر ابن عبدالله بن الهدير ، الأمام ، الحافظ ، الثقة ، العالم العامل ، القدوة شيخ الإسلام ، أبو عبدالله القرشي التيمي المدني ، ولد سنة بضع وثلاثين ، قال ابن معين وأبو حاتم : ثقة ، وكان من العباد الزهاد (ت ١٣٠هـ/ ٧٤٧م) ، { الذهبي : السير ج٥ ص٣٥٣،٣٥٤ –ابن الجوزي:المنتظم ج٧ ص٢٨١،٢٨٢– ابن حبان : المشاهير ص١٠٧ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٠٤،٢٠٥ – وأنظر ترجمته في : أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٤٦ } .

(5) الذهبي : السير ج٧ ص٣٥٩ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٥٠ – البلاذري : أنساب الأشراف : القسم الخامس B١٠ ص٢٣٠ .

(6) هو أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي ١{ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٢١ } .

(7) أبو نعيم : الحلية ج٥ ص١٩٨ .

وكان يقول : "إن في ذلك مرضاة لربك ومثراة في مالك ومنسأة في أجلك" [1]، وهذا سيد العلماء أيوب السختياني ، كان لا ينصرف من السوق إلا ومعه شيء يحمله لأهله وعياله ويقول لإخوانه من العلماء والطلاب: "لو احتاج أهلي إلى دستجة بقل لبدأت بها قبلكم " [2].

ومما يدلنا على حسن تعامل العلماء مع زوجاتهم أنهم كانوا في أحيان كثيرة يشاركونهن في أعمال البيت [3] فلقد ذكر أن الأعمش كان ربما خرج إلى أصحابه وعلى كتفه مئزر العجين [4]،وكان للقاضي شريك[5] شاة في مترله كان يعتاد حلبها [6]،

---

(1) ابن فرحون : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص٢٠ ، دار الكتب ، بيروت، (بدون طبعة وتاريخ) .

(٢) أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٩،١٠ ، والدستجة هي:اللفة – أي لفة بقل{ابن منظور:لسان العرب ج٢ ص٩٥} .

(٣) قد يبدو هذا الأمر غريبا وملفتا للنظر ، ولكنه كان من خلق النبي صلى الله عليه وسلم " فقد سئلت عائشة رضي الله عنها ، ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ قالت : يكون في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج { فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١١ ص٤٣٥ – في باب خدمة الرجل في أهله } .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص٢٤٤ ، وذكر أبو نعيم أن محمد بن سوقة كان ربما شوهد وبين يديه جفنة وهو يعجن { أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٧ } وابن سوقة هو الإمام العابد ، الحجة ، أبو بكر الغنوي الكوفي،حدث عن أنس بن مالك ، وسعيد بن جبير و آخرون ، وروى عنه سفيان الثوري وآخرون ، وكان أحد الثقات ، درهم (توفي سنة نيف وأربعين ومئة) { الذهبي : السير ج٦ ص١٣٤،١٣٥ وتاريخ الإسلام ج حوادث ووفيات ١٤١هـ – ١٦٠هـ ص٢٧٠،٢٧١ – وأنظر ترجمته في : ابن حبان : المشاهير ص٢٦٦ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٣ – ابن الجوزي : صفة الصفوة ج٢ ص٦٨ } .

(٥) شريك بن عبدالله بن أبي شريك ، أبو عبدالله النخعي الكوفي ، العلامة ، الحافظ ، القاضي ، أحد الأئمة الأعلام، وكان من كبار الفقهاء وبينه وبين الأمام أبي حنيفة وقائع وروي عنه خلق كثير حتى قيل أن إسحاق الأزرق أخذ عنه تسعة آلاف حديث ، وكان عادلا في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب (ت ١٧٧هـ/٧٩٣م) { الذهبي : السير ج٨ ص٢٠٠ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٣٧٨ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٦٤ – ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٣٤٢،٣٤٣ – وأنظر ترجمته أيضا في : ابن حبان : المشاهير ص٢٦٩ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٨٧ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٩ ص٢٧٩ – ابن كثير : البداية ج١٠ ص١٧١ } .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص٢١٤ .

وكذلك كان لصالح بن كيسان [1] في منزله هرة وحمام ، فكان يكسر للهرة ، ويفت للحمام ويتولى إطعامهم .[2]

هذه الأعمال وإن كانت أعمالا صغيرة إلا أنها توضح لنا حقيقة التواضع الكبير الذي كان يتحلى به العلماء في بيوتهم ، ويبين التزامهم بتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكونهم يقتطعون جزءا من أوقاتهم المليئة بالأعمال المختلفة ليتفرغوا لأهلهم ، فإن ذلك مما لا يستطيع أن يقوم به الكثير من الكبار كأعيان المجتمع ،ولكن العلماء إنما كانوا يفعلون ذلك وغيره من الأعمال ببركة العلم والعمل به ، والذي يجعل الواحد منهم يعطي كل ذي حق حقه سواء داخل البيت أو خارجه .

وجود الخدم في بيوت العلماء :

ومما يدلنا أيضا على حسن معاملة العلماء لأهلهم أنهم كانوا يوفرون الخدم للخدمة في البيت ، والخدم إما أن يكونوا (ملك يمين) ذكور وإناث ، وإما أن يكونوا غير ذلك ، ولكن المرجح أنهم كانوا من العبيد والإماء ، لأننا لم نجد في المصادر التي رجعناإليها رواية واحدة تذكر أن خادما ما من هؤلاء كان يتقاضى أجرا على خدمته .

كان لكثير من العلماء خدم (ذكور وإناث) يقومون على خدمتهم وأهلهم ، فهذا الحسن البصري كان لديه خادمة تقوم على خدمته وأهل بيته على ما يبدو[3] ، وكان للأمام مالك خباز لطعامه[4] .

وهكذا نجد أن المصادر تذكر لنا أن الكثير من العلماء كان لهم خدم

---

(1) الإمام الحافظ ، أحد علماء المدينة ، أبو محمد وكان مؤدب أولاد عمر بن عبدالعزيز ، وهو مولى بني غفار ، وكان رفيق الزهري في طلب العلم (ت ١٤٠هـ/٧٥٧م) ، { الذهبي : السير ج٥ ص٤٥٤،٤٥٥ – ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٢٣٢ – وأنظر أيضا : ابن قتيبة : المعارف ص٢١٣ – ابن حبان : المشاهير ص٢١٦ } .

(2) الذهبي : السير ج٥ ص٤٥٦ ، وكان خيثمة بن عبدالرحمن إذا أنخرق الدلو لا يدع زوجته وجاريته تصلحانه بفسيهما ، بل يقوم بإصلاحه بنفسه { أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٥ } .

(3) الذهبي : السير ج٤ ص٥٨٤ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٧٥ .

(4) ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ .

يخدمونهم[1]. ولعل اهتمام العلماء بتوفير الخدم في بيوتهم أمر له ما يبرره، إذ أصبح من الأمور المتعارف عليها عند الكثير من الناس، وبخاصة الكبار منهم، وهذا يعود إلى عدة عوامل منها :

– أن الشريعة في بعض الحالات أوجبت للزوجة خادماً يقوم على خدمتها[2]، ومما يرجح هذا الرأي أن البعض من الصحابة – في العصر الراشدي – والعلماء في الفترة من ٥٠ إلى ١٥٠هـ ، كانوا يأتون بخدم يعملون على خدمة أهلهم إذا استوجب الأمر، وفي حال عدم مقدرتهم على توفير الخدم فإنهم يقومون بالخدمة بأنفسهم أو يوكلون ذلك إلى أحد أقربائهم، فقد ذكر أن الصحابي الجليل سعيد بن عامر الجمحي (ت ٢٠هـ/٦٤٠م) –وكان والياً من قبل عمر على حمص– قال لعمر في رده على الشكوى التي اشتكاه بها أهل حمص، وكانوا قد شكوه بأربع خصال منها أنه لا يخرج إليهم حتى يتعالى النهار، وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إليهم ، قال عن الأولى: "إنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، وقال عن الأخرى: "ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم[3]، وقريباً من ذلك ما ذكره أبو نعيم[4] وغيره عن العالم محمد بن شهاب الزهري ، أنه لما دخل على الخليفة عبدالملك

---

(١) من أمثلة هؤلاء العلماء الذين كان لهم خدماً ، إبراهيم النخعي كان له خادم وخادمة وكان لعبيدالله بن عبدالله بن عتبة خادم أيضاً ، ويذكر أيضاً أن القاسم بن مخيمرة الهمداني لم يكن له خادم ، فأمر له عمر بن عبدالعزيز بخادم يخدمه {ابن سعد :الطبقات ج٥ ص٣٤٩ ، ج٦ ص٢٧٧ ، ج٧ ص٢٦٤ } ومنهم أيضاً محمد بن شهاب الزهري لم يكن له خادم فأمر له الخليفة عبدالملك بن مروان بخادم { أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٦٨ } .

(٢) قال العلماء : إذا كانت الزوجة ممن تُخدم أو مريضة فيجب على الزوج النفقة عليها وعلى خادمها ، وقال بعضهم : فإن كانت المرأة ممن لا تخدم نفسها لكونها من ذوي الأقدار أو مريضة وجب لها خادم بقوله تعالى (وعاشروهن بالمعروف) ومن العشرة بالمعروف أن يقيم لها خادماً ، وقال مالك : إن كان لا يصلح للمرأة إلا أكثر من خادم فعليه أن ينفق على أكثر من واحد ، ولا يكون الخادم إلا من يحل له النظر إليها أما امرأة وإما ذو رحم ، وللعلماء أقوال غير ذلك (ابن حجر : فتح الباري { باب خادم المرأة ج١١ ص٤٣٥ – ابن قدامة : المغني ج٧ ص٥٦٩ } .

(٣) ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٢٨٢،٢٨٣ .

(٤) حلية الأولياء ج٣ ص٣٦٨ – الفسوي : يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ/٨٩٠م) المعرفة والتاريخ ، ج١ ص٦٢٩ ، تحقيق د/ أكرم ضياء العمري ، ط الثانية ،١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

بن مروان، فرض له راتباً شهرياً فقال الزهريّ :" وخادم يخدمنا يا أمير المؤمنين فـــإني والله قد تركت أهلي مالهم خادم إلا أختي، إنما الآن تخبز لهم وتعجن لهم وتطحن لهـم ، قال : وقد أخدمك أمير المؤمنين "، وما ذكر أيضاً عن القاسم بن مخيمرة أنه لما دخـــل على الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، قضى عنه عمر دينه وفرض له راتبـــاً ثم قـــال لـــه: "وأمرنا لك بمسكن وخادم "[١] .

– ومن العوامل أيضاً رخص أسعار الخدم وقلة أجورهم،كل هذا كان له أثـــر في إقبال الناس على اقتناء الخدم، فقد ذكر أن العالم أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحـــارث عندما زوج عشرة من أقاربه قام أيضاً بإهداء خادم لكل واحد منهم[٢] ، ومما يدل على ذلك أيضاً أنه بعد وفاة الحجاج أُحصي ما كان عنده من الرقيق فكانوا ألـــف رأس ، فكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامل الكوفة أن بعهم وأقسم أثمانهم في أهل الكوفـــة ، فأصاب الناس يومئذ سبعة دراهم[٣]، وبلغ من كثرة الرقيق ورخصـهم أن الفرد الواحد ربما امتلك الكثير منهـــم ، فقد قيـــل عن الحجـــاج بن أرطأة [٤] الذي بعث به المنصور مع ابنه المهدي إلى خراسان أنه رجع بسبعين مملوكاً [٥].

وعليه يبدو مما تقدم ذكره أن مسألة الخدم كانت في هذه الفترة مـــن الأمـــور الواجب توافرها في البيوت، ومن هنا قيل إن سفيان الثوري جعل على نفســـه ثلاثـــة أشياء، منها أن لا يخدمه أحد [٦]، زهداً منه في الخدم رغم ســـهولة اقتنائهم، ومع هـذا فإن المسألة لا تعدو كونها ظاهرة تحكمها ظروف الأفراد واستطاعتهم من عدمها، ذلك

---

[١] ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص٣٤٩ .

[٢] البلاذري : انساب الأشراف القسم ٥ B١ ص٢٤٢ .

[٣] ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص٣٧٥ .

[٤] الحجاج بن أرطأة بن ثور بن هبيرة ، الإمام العلاّمة ، مفتي الكوفة مع أبي حنيفة ، الفقيه ، أحد الأعلام ، ولـد في حياة أنس بن مالك ، وكان من حفـــاظ الحديث ، ومن بحور العلم ، وقد استفتي وهو ابن ست عشرة سنة ، (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م) { الذهبي : السير ج٧ ص٦٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٢٣ – وأنظر ترجمتـه أيضاً في ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٣٥٩ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٥٤،٥٥ – الخطيب البغـــدادي : تاريخ بغداد ج٨ ص٢٣٠ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٨٤،٢٨٥ } .

[٥] ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٥٥ .

[٦] أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٩٠ .

أن البعض من العلماء لم يكن لهم من يخدمهم، ومنهم إبراهيم بن أبي عبلة الذي مرِض أهله ذات يوم فكانت أم الدرداء تصنع لهم الطعام ، فلما برؤا قالت: "إنما كنا نصنع طعامك إذا كان أهلك مرضى ، فأما إذا برؤا فلا " (١) .

الاهتمامات التربوية للعلماء :

كانت معاملة العلماء لأولادهم طابعها الرحمة والحب والحرص على تربيتهم التربية الحسنة سواءً كانوا صغاراً أم كباراً، ولكي ينشأ الصغير نشأة سليمة فلا بدّ له من بعض اللعب واللهو ، فكان العلماء يسمحون لصغارهم ببعض هذه الألعاب وأحياناً كانوا يترلون مترلتهم ويشاركونهم هذه الألعاب ، فقد روي أن الشعبي كان إذا أختضب وأصابه الملل لاعب ابنته بالنرد حتى يعلق الخضاب (٢). وكان لابنة سالم بن عبدالله بن عمر غربالاً صغيراً فكانت تلعب به بين يديه (٣)، وكان سعيد بن المسيب لا يأذن لابنته في لُعَب العاج، ويرخص لها في الكِبَرَ (٤) .

ومن ناحية أخرى كان العلماء يهتمون بتربية أولادهم على الحفاظ على أول فرائض الدين، فيروى أن علي بن الحسين دخل على بعض أولاده وأحفاده وهم يلعبون، فقال لولده محمد: "كم مر على ابنك جعفر ، فقال : سبع سنين ، فقال : مروه بالصلاة " (٥) .

ومن الأمور الهامة التي كان العلماء يولونها اهتمامهم تجاه الأبناء تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة بما في ذلك تلاوة القرآن الكريم ،حيث كانوا يرسلونهم إلى الكتاتيب ، فيذكر الذهبي (٦) أن محمد بن علي (أبو جعفر) كان يتعلم في الكتّاب .

---

(١) أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٢٤٥ .

(٢) الأبي : أبي سعد منصور بن الحسين الأبي (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) نثر الدرر ج٢ ص١٥٢ ، تحقيق/محمد علي قرانه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م (بدون طبعة) .

(٣) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٩ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤١ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٩ .

(٦) السير ج٤ ص٤٠٤ . ومما يذكر في هذا المجال أيضاً أن الحسن البصري أرسل ابن أخيه إلى المعلم ،وأرسل له بعد ذلك عشرة دراهم{ابن سعد: الطبقات ج٧ ص١٧٥،١٧٦}وذكر أن أبو حنيفة عندما حذق حماد أبنه وَهَبَ =

ولقد حرص العلماء بعد ذلك على تعليم أولادهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكل خاص، وغيره من العلوم بشكل عام، فكان سفيان الثوري يقول: " ينبغي للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسؤول عنه " [1]، وكان الأعمش يعقد مجلساً للحديث يحدث فيه الصبيان، فينكر عليه أحد الجهلاءويقول "تحدث هؤلاء الصبيان فيقول: هؤلاء يحفظون عليك دينك "[2]، ولهذا كان رحمه الله يصحب ابنه معه إلى المسجد ليحضر مجلس العلم[3] ، وكان عبدالله بن المبارك يُقرّب إليه صبيان أصحاب الحديث ويقول هؤلاء غرس الدين[4]، وكان والد إبراهيم بن أدهم يقول لإبراهيم "يا بني اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم"[5] .

وكان عروة بن الزبير رحمه الله يجمع أولاده ويقول لهم :" يا بنيَ إنّ أزهد الناس في عالم أهله، فهلموا إليّ فتعلموا مني فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قوم" [6].

إن هذا الاهتمام والحرص من جانب العلماء على تعليم أبنائهم، كانت نتيجته أن صار عدد من هؤلاء الأبناء علماء ومحدثين، ومنهم :

- إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الإمام الحافظ الكبير[7]
- هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الإمام الثقة ، شيخ الإسلام[8]

= للمعلم خمسمائة درهم { الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٦١ }وهذه الأخبار كلها تدل على اهتمام العلماء بتعليم أولادهم في سن مبكرة .

(1) الخطيب البغدادي : شرف أصحاب الحديث ص١٢٧ ، تحقيق د/محمد سعيد خطيب – نشرته دار أحياء السنة ، (بدون طبعة وتاريخ) .

(2) المصدر نفسه : ص٦٤ .

(3) الذهبي : السير ج٦ ص٢٣٣ .

(4) الخطيب البغدادي : شرف أصحاب الحديث ص٦٤ .

(5) المصدر نفسه : ص٦٧ .

(6) ابن سعد : الطبقات ج٢ ص٣٨٧ .

(7) الذهبي : السير ج٨ ص٣٠٤،٣٠٥ .

(8) المصدر نفسه ج٦ ص٣٤ .

- عبدالله بن طاووس بن كيسان اليماني — الإمام المحدث [1]

- عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر — الإمام الثبت الفقيه [2]

- عبدالملك بن عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون — المفتي [3]

- زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب — العالم [4]،وإليه ينسب مذهب الزيدية

ومن رووا وحدثوا عن آبائهم :

- شعيب بن الليث بن سعد — حدّث عن أبيه [5]

- عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد — حدّث عن أبيه [6]

- عبدالله بن يحي بن أبي كثير — حدث عن أبيه [7]

ومن اهتمامات العلماء التربوية مبادرهم إلى تقويم ما اعوجّ من سلوك أبنائهم ، وفي هذا المجال كان العلماء شديدين مع أولادهم إذ لم يكونوا يسمحون لهم أن يتجاوزوا أبسط القواعد الأخلاقية ، وهذا يعود إلى كون العلماء كانوا يمارسون حياهم العملية مع المجتمع الذي يعيشون فيه بأخلاق عالية تجتمع فيها كل قيم الخير .فقد روي أن العالم محمد بن واسع رأى ابناً له وهو يخطر بيده فقال له غاضباً : "ويحك تعال ، تدري من أنت ؟ أمك اشتريتها بمائتي درهم،وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله " [8] إنه أمر بسيط ، ولكن العالم القدوة المربي لا يمكن له أن يدع موقفاً كهذا يمرّ دون أن

---

(١) الذهبي : السير ج٦ ص١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٥ .

(٣) المصدر نفسه ج٧ ص٣٠٩ . ووالده هو عبدالعزيز بن أبي سلمة ، الإمام المفتي الكبير ، أبو عبدالله التيمي مولاهم المدني الفقيه ، وقال ابن معين عبدالعزيز ليس مثل الليث بن سعد ، وإنما دونه ، وقال أبو حاتم والنسائي:ثقة {الذهبي:السير ج٧ص٣٠٩-٣١١ -وراجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٠ص٤٣٦-٤٣٩)

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٣٨٩ .

(٥) المصدر نفسه ج٨ ص١٣٨ .

(٦) المصدر نفسه ج٧ ص١٧٦، ١٧٧ ، ووالده هو عبدالرحمن بن يزيد بن جابر ، الأمام الحافظ فقيه الشام مع الأوزاعي ، (ت ١٥٣هـ/٧٦٩م) { الذهبي : السير ج٧ ص١٧٦ - وأنظر ابن حبان : المشاهير ص٢٨٦) .

(٧) الذهبي : السير ج٦ ص٢٧ ، ويروي أن الأمام مالك كان له بنت أسمها أم البنين قد حفظت علمه (الموطأ) {ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٨ } .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٠٦ .

يعرّف ابنه خطأه حتى ولو قسى عليه لأنه بعدَ ذلك لا يمكن أن يكرر مثل هذا الفعل ، وموقف آخر يحدث بين عالم وولده ، فقد ذُكر أن ابناً لطاووس بن كيسان اليماني أراد أن يتزوج بإحدى النساء فقال له أبوه : اذهب فانظر إليها، فأصلح الابن من شأنه ولبس أحسن ما عنده، وعندما أراد أن يذهب ورآه أبوه على تلك الهيئة قال له: أقعد لا تذهب[1]، فامتثل الابن ولم يذهب ، وهذا الموقف يدل على الورع العظيم الذي كان يتحلى به هذا العالم ، وعلى حسن التربية في المواقف العملية إذ رأى الأب أن ولده يجب أن يظهر بمظهره العادي ، وأنه لا يجوز له أن يتجمل لئلا ينخدعوا به ، وعليه فإن هذه المواقف التربوية المختلفة كان لها ثمرتها فيما بعد إذ جعلت من أبناء هذا العالم رجالاً لا يخافون أحداً في قول الحق ، فقد دخل أحدهم على الخليفة أبي جعفر المنصور فوعظه بكلام شديد ، فلما انتهى قال له الخليفة : " ناولني تلك الدواة ثلاث مرات فلم يفعل فقال له : لم لا تناولني ؟ فقال : أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها " [2].

العلماء وقضاء أوقاتهم في البيت :

لم يكن للعلماء أوقات فراغ كثيرة يقضونها في بيوقم وذلك لانشغالهم بكثير من الأعمال مثل عقد مجالس العلم، ورحلاقم المتكررة ،وانشغال البعض منهم بالوظائف المختلفة،والبعض الآخر بأعمال التجارة،وإذا كان هناك من وقت للعلماء ليجلسوا فيه في منازلهم،فإن هذا الوقت كان يخصص فيما يعود على العالم بالنفع في الحياة الآخرة.

سئلت أخت الإمام مالك: " ما كان شغل مالك في بيته ؟ فقالت : المصحف والتلاوة[3] ، وكان عمرو بن قيس الملائي إذا جلس في بيته ، إما يصلي وإما يقرأ القرآن في المصحف [4]. ويبدو لنا من خلال الروايات الكثيرة أن العلماء كان لهم أوراد معينة لقراءة القرآن الكريم ، فكان سعيد بن جبير يختم القرآن في يومين[5] ،

---

(1) أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٠ .

(2) ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٥١١ .

(3) الذهبي : السير ج٨ ص ١١١.

(4) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠٠ - وأبو نعيم : الحلية ج٥ ص١٠١ .

(5) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٥٩ .

وخيثمة بن عبدالرحمن في ثلاثة أيام[1] ، وعروة بن الزبير في أربعة أيام[2] ، ومحمد بن سيرين وعبدالله بن عون في كل سبعة أيام[3] .

وكان بعض العلماء في بيوتهم ينصرفون إلى تحصيل العلم ، يشغلون بذلك معظم أوقاتهم فكان عبدالله بن المبارك يُكثر من الجلوس في بيته ، فقيل له ألا تستوحش ؟ فقال : "كيف أستوحش وأنا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه[4] – يقصد بذلك أنه يقرأ سيرة النبي والصحابة – كان هذا اهتمام العلماء على المستوى الفردي، وأما على المستوى الجماعي فقد كان للبعض منهم مجالس خاصة في بيوتهم للعلم والرقائق يتذاكرون فيها مع بعضهم البعض ، ومجالس عامة يجلسون فيها للناس ، فكان للحسن البصري مجلس خاص في منزله، يتحدث فيه عن الزهد والعلوم الخفية ، فإن سئل عن غير ذلك تبرّم وقال: "إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر" [5]،وربما اجتمع كبار العلماء في أوقات متفرقة في بيت أحدهم ، فيقبلون على مسائل العلم ، فقد ذكر الذهبي[6]: أن كلاً من عطاء بن أبي رباح وطاووس بن كيسان ، ومجاهد بين جبر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة (مولى ابن عباس) جلسوا في منزل حبيب بن أبي ثابت، وأخذوا في تدارس تفسير آيات القرآن .

وأما المجالس العامة فقد كان للإمام مالك مجلس علم في بيته يأتيه فيه طلاب العلم[7] ، وكان لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري أيضاً مجلس علم في بيته يحضر فيه خلقُ كثير[8] من الناس، وكان لليث بن سعد له في يومه أربعة مجالس ، منها مجلسان

---

(1) أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٥ .

(2) الذهبي : السير ج٤ ص٤٢٦ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٢٥٧ .

(3) الذهبي : السير ج٦ ص٣٧٠ ، ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٠،٢٦٣ .

(4) الذهبي : السير ج٨ ص٣٨٢ . وكان ابن شهاب الزهري إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فينشغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا ، فقالت له زوجته يوماً : " والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر " { ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٧٧ } .

(5) الذهبي : السير ج٤ ص٥٧٩ .

(6) المصدر نفسه ج٥ ص١٨ .

(7) المصدر نفسه ج٨ ص٧٩ – ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٨ .

(8) الذهبي : السير ج٧ ص٦،٧ .

أحدهما لأصحاب الحديث خاصة ، والآخر للمسائل يحضر فيه من يشاء من الناس ، فيسألونه عما بدا لهم [١] .

الليل عند العلماء :

وقت الليل عند كثير من الناس له معانيه المختلفة ، وخاصة عند كبار القوم فكلٌّ يقضي ليله حسب هواه وما تمليه عليه نفسه ، فكان بعض الخلفاء مثلاً لهم أسمار[٢] يومية ، يحضرها على ما يبدو البعض من العلماء والشعراء والأدباء ، وعدد من المقربين

وأما العلماء فإذا كان لهم ثمة أسمار ، فهي قليلةٌ محدودة ، إضافة إلى أنها لم تكن يومية، ولم تكن تستغرق من أوقاتهم إلا اليسير .فقد كانوا يسمرون على الحديث والوعظ والذكر ، وبحث مختلف المسائل الفقهية . يروى أن ابن شهاب الزهري كان يسمر على العسل كما يسمر أهل الشراب على شرابهم،ويقول :"اسقونا وحدثونا"[٣]، كما يروي لنا عطاء بن أبي رباح وميمون بن مهران أن عمر بن عبدالعزيز كان يجمع الفقهاء كل ليلة للسَّمر فيتذاكرون الموت والقيامة حتى يبكون[٤] ، وكان عبدالله بن شبرمة يجلس مع بعض إخوانه ليلاً، يتحدثون في الفقه، وربما جلسوا في بعض الليالي حتى يُؤذَّنْ للفجر [٥] .

وفي الجانب الآخر هناك الكثير من العلماء لم يكونوا يسمرون ، حتى ولو كان هذا السّمر للمذاكرة والعلم؛ لأنهم كانوا يقضون معظم نهارهم في ذلك، وإنما كانوا يقضون دقائق الليل الغالية في التهجد والقيام، والاستغفار والدعاء في الثلث الأخير والناس نيام ، حيث يترل رب العزة جلّ وعلا " في كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث

---

[١] الذهبي : السير ج٨ ص١٥٠ .

[٢] كان الخليفة هشام بن عبدالملك إذا صلى العشاء الآخرة حضر سمَّاره الزهري وغيره ، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور إذا صلى العشاء أيضاً نظر فيما ورد إليه من كتب الثغور والأطراف وشاور سماره ، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه وأنصرف سماره فإذا مضى الثلث الباقي قام من فراشه فأسبغ الوضوء ووقف في محرابه حتى يطلع الفجر { ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٩٨، ٣٤٢ } .

[٣] الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٥ .

[٤] المصدر نفسه ج٥ ص١٣٨ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٧١ .

[٥] الذهبي : السير ج٦ ص٣٤٨ .

يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له "[1] الحديث .

وقد كان العلماء يتفاوتون في ذلك فكان البعض منهم يُقَسّم الليل أثلاثاً والبعض منهم يقوم الليل كله، ومن هؤلاء العلماء عمرو بن دينار الذي قسَّم الليل ثلاثة أقسام ثلث ينام وثلث يدرس حديثه وثلث يصلي[2] ، وكان الحسن بن صالح بن حي وأخوه وأمهما قد جزّءوا الليل أثلاثاً ، كل واحد يقوم ثلثاً فماتت أمهما فاقتسما الليل ، ثم مات أخوه ، فقام الحسن الليل كله .[3]

وكان زبيد بن الحارث أيضاً قد جزّء الليل ثلاثة أجزاء بينهُ وبين وَلَديه ، فكان هو يصلي ثم يقول لأحدهما : " قم ، فإن تكَاسل ، صلى جزءه ، ثم يقول للآخر : قم فإن تكاسل أيضاً صلى جزءه ، فيصلي الليل كله "[4] .

ولئن كان هؤلاء العلماء يقومون من الليل ما استطاعوا ، فإن هناك من العلماء من كانت همتهم أكبر من ذلك ورغبتهم في القرب من الله أشد ، فكانوا يقومون الليل كله لله تعالى ، طلباً لرضوانه وطمعاً في جنّته وخوفاً من عقابه ، فمن هؤلاء عبدالله بن المبارك كان ربما قام الليل كله بآية واحدة يرددها حتى الصباح[5] ، ومنهم من كان يحرم نفسه من نوم الليل لفترات كبيرة قد تصل إلى أربعين سنة وأكثر ، فيُذكر أن سعيد بن المسيب صلى الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة[6] ،ومثله طاووس بن كيسان، ووهب بن منبه[7] ورد أنهما لم يجعلا

---

[1] رواه البخاري في أبواب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل رقم (١٠٩٤) .

[2] الذهبي : السير ج٥ ص٣٠٢ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٤٨ .

[3] الذهبي : السير ج٧ ص٣٦٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣١٣ .

[4] الذهبي : السير ج٥ ص٢٩٦ .

[5] ذكر عنه أنه ظل يردد في إحدى الليالي ((ألهاكم التكاثر)) إلى الصبح ما استطاع أن يتجاوزها { الذهبي : السير ج٨ ص٣٩٧) .

[6] ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٣٨٠ ، والغداة هي الفجر .

[7] ابن كامل بن سيج أبو عبدالله ، الأمام العلّامة ، الأخباري القصصي ، من الأبناء الفرس ، مولده زمن عثمان سنة ٣٤هجرية وكان له معرفة بأخبار الأوائل وأحوال الأنبياء ، وسير الملوك وكان يقول:قرأت من كتاب الله تعالى =

بين العشاء والصبح وضوءاً لمدة أربعين سنة .[1]

وبلغ من اهتمام العلماء بالقيام أنهم لم يكونوا يتركونه لا في سفر ولا في غزو ، يدلنا على ذلك أن محمد بن واسع سافر ذات مرة إلى مكة – لعله للحج – فكان يصلي الليل أجمعه[2] ، وعن عبدالرحمن بن يزيد (ت ١٥٣هـ/٧٦٩م) قال: "كنّا نغازي عطاء الخرساني ، وننزل متقاربين، فكان عطاء يقوم الليل ، ثم يخرج رأسه من خيمته ويقول : " يا فلان ، ويا فلان قيام الليل ، وصيام النهار ، أيسر من شرب الصديد ولبس الحديد وأكل الزقوم ، النجاء النجاء " [3] .

وإذا كان هذا حال العلماء مع الليل، فإنهم أيضاً كانوا يصومون النهار أيام عديدة في السنة ، بحيث أن نفحات الصيام لم تكن تفارق بيوت الكثير منهم ، وعليه فقد كان البعض من هؤلاء العلماء من يصوم الدهر[4]، ومنهم من كان يصوم يوماً ويفطر يوماً [5]، كما ذكر عن البعض من العلماء أنهم ضعفوا عن الصيام في كِبَرهم ، ومنهم أبو أسحاق السبيعي كان لا يصوم إلا الاثنين والخميس من

= اثنتين وسبعين كتاباً وقيل ٩٢ كتاباً ، وكان ولي قضاء صنعاء (ت ١١٠هـ/٧٢٨م) { الذهبي : السير ج٤ص٥٤٤،٥٤٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٤٠،١٤١ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٥ – ابن خلكان : الوفيات ج٦ ص٣٥ – وأنظر أيضاً ترجمته في : ابن قتيبة : المعارف ص٢٠٢ – ابن حبان : المشاهير ص١٩٨ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٦٦ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٢٣ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٧٥،١٧٦ – ابن كثير : البداية ج٩ ص٢٧٦ } .

[1] الذهبي : السير ج٤ ص٥٤٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٥ – ابن سعد: الطبقات ج٥ ص٥٤٣ ، وجاء عند الذهبي ، وابن سعد أن وهب لبث عشرين سنة فقط يصلي الفجر بوضوء العشاء .

[2] الذهبي : السير ج٦ ص١٢١ .

[3] المصدر نفسه ج٦ ص١٤٣ .

[4] من هؤلاء عروة بن الزبير إذ يروي ابنه هشام أن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر ، ومات وهو صائم ،ومنهم أيضاً شعبة بن الحجاج كان يصوم الدهر ، وكذلك سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ويروي عنه ابنه أنه سرد الصوم أربعين سنة ، وكان يصوم الدهر { الذهبي : السير ج٤ ص٤٣٦ ، ج٧ ص٢٠٩ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٨٠ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٦٩ } .

[5] ومن هؤلاء ، محمد بن سيرين ، وعبدالله بن عون كانا يصوما يوماً ويفطرا يوماً آخر { ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٠ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٤٠ } .

كل أسبوع وثلاثة أيام من الشهر ، والأشهر الحرم من السنة [1] ، وكان هنـــاك مـــن العلماء من يخفي صومه عن أهله – اخلاصاً لله تعالى – مثل داود بـــن أبي هنـــد[2] ، وعمرو بن قيس الملائي [3] .

---

[1] أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٣٣٩ .

[2] داود بن أبي هند ، الأمام الحافظ الثبت الثقة ، أبو محمد الخراساني ثم البصـــري ، وهـــو مـــولى لآل الأعلـــم القشيريين، وكان يفتي زمن الحسن ، وقال ابن جريج : ما رأيت مثل داود ، إن كان ليقرع العلم قرعاً ، وكـان في زمنه مفتي أهل البصرة ، وكان من العباد (ت ١٣٩هـــ / ٧٦٥م) { الذهبي : السير ج٦ ص٣٧٦-٣٧٨ – ابـــن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٤ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٥٥ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقـــات ج١ ص٢٢٩،٢٣٠ – أنظر ترجمته في : ابن حبان : المشاهير ص٢٣٨ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٩٦ } .

[3] صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله ، كان يحمل غداءه معه إلى السوق فيتصدق به في الطريـــق ويرجع عشياً فيفطر معهم ، وصام عمرو بن قيس ٢٠سنة لا يعلم به أهله أيضاً وكان يعمل مثل داود { الذهـــبي : السير ج٦ ص٣٧٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٥،٩٩ } .

الفصل الثالث

المظاهر الاجتماعية للعلماء

العناصر :

- مظاهر الألبسة والزينة .
- مظاهر الأطعمة والأشربة
- مظاهر السكن والأثاث ، والمركب .
- المظاهر التعبدية (التصاق العلماء بالمسجد) .
- المظاهر العلمية (الرحلات العلمية – الحلقات العلمية) .
- المظاهر الترفيهية (المزاح والضحك – اللعب بالنرد والشطرنج – الغِناء) .

تمهيـــد :

المظاهر مفردها مظهر : وهو الصورة التي يبدو عليها الشيء[1] وسيتحدث هـذا عن أنواع كثيرة مما ظهر وبدا من حياة العلماء الاجتماعية فصل عن أنـو، وبـالذات الحياة اليومية وما يتصل بها، نتتبع كل ذلك من خلال المصادر ، معتمدين في البدايـة على مصدرينا ، ثم غيرها من المصادر ، وذلك لأن مصدرينا لم نجد فيهما المعلومـات الكافية التي تغطي كل فقرات هذا الفصل .

ولا ننسى أن نشير إلى أن هذا الفصل سيكون متسعا أكثر من الفصول الأخرى ، لأنه يبحث في المظاهر الاجتماعية وهي كثيرة في حياة العلماء ، وأهم هذه المظاهر التي سيتحدث عنها هذا الفصل هي :

- مظاهر الألبسة والزينة .
- مظاهر الأطعمة والأشربة .
- مظاهر السكن .
- مظاهر المركب .
- المظاهر التعبدية .
- المظاهر العلمية (الرحلة العلمية – الحلقات العلمية) .
- المظاهر الترفيهية (المزاح والضحك – اللعب بالنرد – الشطرنج – الغناء) .

(١) المعجم الوسيط : ج١ ص٥٧٨ ، قام بإخراج هذه الطبعة د/إبراهيم أنيس وآخرون ، أشرف على الطبع /حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين ، ط الثانية ١٩٩٠م ، دار الأمواج ، بيروت لبنان .

مظاهر الألبســـة :

تعددت أنواع الملابس في هذه الفترة ، سواء من حيث النوع أو اللون أو القيمة، فكان العلماء يلبسون من كل ذلك، كل بحسب مقدرته وإرادته وظـــروف معيشـــته، ويأتي في مقدمة الملابس التي كان العلماء يلبسونها الإزار[1]، والرداء [2]، والقميص [3] فكانت هذه الثياب غالبا ما تلبس مع بعضها ، وربما لبس الإزار مع الرداء ، أو مـــع القميص ، وربما لبست هذه الثياب مع أنواع أخرى سنأتي على ذكرها ، فلقد كـــان عمرو بن الحارث يلبس هذه الثياب كلها مع بعض [4] ، وكان عكرمة (مـــولى ابـــن عباس) يلبس القميص مع الرداء [5] ، وكان سعيد بن المسيب يلبس قميصا إلى نصف ساقه ورداء من فوق ذلك [6] ، ومن خلال هذه الروايات وغيرها [7] يتضح لنـــا أن الإزار كان من الملابس الداخلية ، والرداء والقميص من ملابس البـــدن الخارجيـــة ، ولكننا نجد أيضا بعض الروايات تدل على أن الإزار من الملابس القائمة بذاتهـــا فقـــد روي عن أيوب السختياني أنه قال: " دخلنا على سالم بن عبدالله وهو في قميص وجبـــة ، قد اتزر فوقها " [8] ولكن المرجح أن الإزار من الملابس الداخلية أو من الملابس الـــتي

---

(١) الإزار : هو الملحفة يذكر ويؤنث ، وتأزر لبس المئزر وأزرت فلانا إذا البسته إزارا ، وقيل الإزار : الرداء من الملاحف ، وقيل الإزار ما يلتحف به { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٥٤،٥٥ — ابن سيده : المخصـــص ج١ السفر ٤ ص٧٧ } .

(٢) الرداء من الملاحف والجمع أردية ، قال أبو علي : اللحاف هو الرداء ونحو مما يشتمل به { ابـــن سـيده : المخصص ج١ السفر٤ ص٧٦،٧٧ } .

(٣) القميص : هو الجلباب ، جاءت من قوله : الجلباب هو القميص ، وقال زر القميص — الجمع إزار ، وعليـــه يبدو أن القميص له أزرار يؤيد هذا أن سالم بن عبدالله كان ويرى دائما حتى في الصلاة وإزار قميصه محلوله { ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٨٤ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٨ }

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص٣٥٢ .

(٥) المصدر نفسه ج٥ ص١٥ ، ولبس عبدالله بن عون الإزار مع الرداء { ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٧ } .

(٦) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٣ .

(٧) كان أبو وائل شقيق بن سلمة يلبس إزاراً إلى نصف ساقه وقميص فوق ذلك ورداء من فوق وكذلك مجاهد بن جبر كان يلبس مثل ذلك ، وروي ان طاووس بن كيسان اليماني كان يسافر وعليه قميصان ولا يأتزر تحتهما { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٣٨،٥٣٩ ، ج٦ ص١٠١ } .

(٨) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٤ .

لا يخرج بها الفرد على الناس بدليل أن جماعة من المصريين دخلوا على سالم بن عبدالله أيضا فوجدوه متزرا بكساء صوف إلى ثندوته [١] – أي إلى ثديه – .

ولبس العلماء نوعا آخر من الثياب وهو الطيلسان [٢] فقد روى حماد بن زيد [٣] أن أيوب السختياني كان يلبس طيلسانا كرديا جيدا [٤] كما روي أن الإمام مالك كان له طيلسان وكان حين يلبسه يقع جناحاه على عينيه أشبه شيء بالملوك [٥] وكان للحسن البصري طيلسان فيه من الحسن كأنما يجري فيه الماء [٦]، وكان لسعيد بن المسيب طيلسان أزراره من ديباج ، فقيل له في ذلك فقال : وجدناه أبقى [٧]، وكان محمد بن سيرين وابن أبي ذئب يلبسان الطيالس [٨] أيضاً .

ومن الثياب التي لبسها العلماء أيضا البُرْنُس [٩]

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٤٥٩ ، وللمزيد حول الإزار أنظر : العبيدي صلاح حسين : الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي ص١٨١،١٨٢ وما بعدها ، دار الرشيد ، ١٩٨٠م ، (بدون طبعة ومكان الطبع) .

(٢) الطيالسه : بفتح اللام وكسرها ، ضرب من الأكسية ، وأما الاسم العام لكل طيلسان أخضر وغيره فهو الساج والجمع سيجان { ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٧٨ – ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٦٠٤ }

(٣) حماد بن زيد بن درهم العلامة الحافظ أبو إسماعيل الأزدي ، مولى (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م) {الذهبي : السير ج٧ ص٤٥٦– ابن سعد : الطبقات ص٢٨٦– ابن حبان : المشاهير ص٢٤٨} .

(٤) الذهبي:السير ج٦ ص٢٢– أبو نعيم: الحلية ج٣ ص٩ وكرديا نسبة إلى منطقة جبل الأكراد فبضاعته كردية .

(٥) الذهبي : السير ج٨ ص٦٩ .

(٦) المصدر نفسه ج٤ ص٥٨٣ ، وقيل أنه ربما صلى أحيانا ويده فيه ، والسبب على ما يبدو أن أكمام هذه الطيالس كانت واسعة فإذا صلى لا تظهر يده { ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٦٠ } .

(٧) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٣ – وابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣٩ .

(٨) الذهبي : السير ج٤ ص٦١٩ ، ج٧ ص١٤١ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٤ .

(٩) البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به دراعه كان أو ممطر – أي الذي يقي المطر – أوجبة ، وفي حديث عمر رضي الله عنه سقط البرنس عن رأسي ، وقيل البرنس قلنسوه طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام { ابن سيده : المخصص ج١ سفر ٤ ص٨١ – ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٢٠٤ } ... والصواب في ذلك أن البرنس من الثياب التي لها في أعلاها جزء يغطي الرأس ، يؤيد هذا حديث عمر ، وما روي عن سعيد بن المسيب أنه كان يلبس عمامة ويلبس عليها برنساً أحمر أرجواناً { الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٤ ص٢٤٢ } .

والملاحف [1] ، ومفردها ملحفه ، والمطارف[2]،ومفردها مطرف، أما البرنس فـــالذي يبدو من خلال الروايات والنصوص أن لبسه كان محدودا بين العلماء، وربمـــا يرجـــع ذلك إلى ندرة وجوده أو ارتفاع ثمنه، ونحن لم نرجح هذا إلا من خلال الرواية الـــتي تذكر أن عبدالله بن عون كان يلبس برنسا من صوف رقيقا حسنا فقيل له : ما هـــذا البرنس يا أبا عون ؟ فقال هذا كان لابن عمر ، وكساه لأنس بن سيرين فاشتريته مـــن تركته [3]، ومن العلماء الذين لبسوا البرنس أيضا القاضي شريح ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهم قليل[4] أما القاضي شريح فقد كان له برنسا من خز وكان في بعض الأحيان يصلي به ، وربما سجد فيه [5]، وأما سعيد بن المسيب فقد ذكر أنه كان يلبس برنســـا أحمر من فوق العمامة [6] .

وأما المطارف – مفردها مطرف – فكان يلبسها بعض العلماء ، وكان أغلبـهم لا يلبسون إلا مطارف (الخزّ) والخز كما يقول ابن سيده : جمعه خزوز وهو من الحرير[7]، ويقول ابن منظور:" الخز معروف من الثياب مشتق منه ، عربي صحيح ، وقال سيبويه: مررت بسرج خز ، والجمع خزوز ومنه قول بعضهم فإذا أعرابي يرفل في الخـــزوز ، وبائعه خزاز " [8].

ويتضح لنا من خلال التعريفين أن الخز نوعين الأول من الحرير والثاني من الثياب العادية وهو حلال لبسه ، وبالتالي فإن العلماء على ما يظهر كانوا يلبسون من النـــوع الثاني ، إذ من غير المعقول أن يلبسوا الحرير وهم يعلمون حرمته، يؤيد هـــذا أن بـــن الأثير قال:"الخز المعروف أولا ثياب تنسج من صوف وإبريسم وهي مباحة ،وقد لبسها

(١) ملحفة،الملاءةواللحاف اللباس الذي فوق سائراللباس من دثارالبردونحوه{ابن سيده:المخصص ج١سفر٤ص٧٦ ج١سفر٧٦ } .

(٢) المطرف : ثوب مربع من خز له أعلام { ابن سيده : المخصص ج١ سفر ٤ ص٦٨ } .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٣٧٠.

(٤) مثل سعيد بن جبير الذي كان له برنس يصلي فيه ولا يخرج يده منه { ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٦٢}.

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص١٠٤ – ابن سعد الطبقات ج٦ ص١٣٩،١٤٠ .

(٦) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٣ .

(٧) ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٦٨ .

(٨) ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٨٢٥ .

الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لأجل التشبه بالعجم وزي المترفين ، وإن أريد بالخزّ النوع الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام لأنه كله معمول من الإَبْرَيْسَم"[1]، وعموماً فإن الخز على ما يبدو لم يكن يلبسه إلا الأغنياء والميسورون من العلماء ومما يدل على ذلك أن العالم عمرو بن الحارث المصري كان فقيراً يلبس أثواباً بدينار واحد، ثم لما تبدلت حاله بعد أن قام بتعليم أولاد الوالي صار يلبس الخزّ والوشي .[2]

ومن العلماء الذين لبسوا مطارف الخزّ الشعبي كان يلبس مطرف خز أصفر ، وكذلك القاضي شريح،ومحمد بن الحنفية، ومحمد بن علي بن حسين [3] (أبو جعفر).

وأما الملاحف ، ومفردها ملحفة ، فكان العلماء يلبسونها أكثر من غيرها إذ نجد في الروايات ما يدل على ذلك ، فقد قيل إن الشعبي كان يلبس ملحفة حمراء[4]، وكان علي بن الحسين وغيره من العلماء يلبسون الملاحف الحمر[5]، وكان خارجه من زيد[6] وحماد بن أبي سليمان[7] يلبسان الملاحف المعصفرة .[8]

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج٤١ ص٨٢٥ ، والإِبْرَيْسَم هو الحرير قال ابن منظور : الحرير : ثياب من إبْرَيْسَم { لسان العرب ج١ ص٦٠٦ } وفي هذا المجال يروى أن محمد بن علي (أبو جعفر) سئل عن لبسه لثوب معلّم فقال:لابأس بالأصبعين من الإبريسيم في الثوب{الذهبي:السير ج٤ص٤٠٧-ابن سعد:الطبقات ج٥ ص٣٢٢}

(٢) الذهبي : السير ج٦ ص٣٥٢ ، والوشي : من الثياب معروف وهو يكون من كل لون ، والوشي في اللون : خلط لون بلون ، ووشى الثوب حَسّنَه ونقشه { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٩٣٤ } .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٤٠٧،١٢٦ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٤،٣٢١ ، ج٦ ص٥٢،١٣٩ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٣١٢ — ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٥٢ .

(٥) مثل محمد بن علي بن حسين (أبو جعفر) وابراهيم التيمي ، وابراهيم النخعي ، والشعبي ... الخ { الذهبي : السير ج٤ ص٤٠٧،٢٤،٥ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٧،٣٢٢ ، ج٦ ص٢٨٥ } .

(٦)هو خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك ، أ[و زيد الأنصاري الإمام ،أحد الفقهاء السبعة ، وأبوه زيد رضي الله عنه من أكابر الصحابة (ت٩٩هـ/٧١٧م){الذهبي السير ج٤ص٤٣٧- ابن سعد : الطبقات ج٥ص٢٦٢- ابن خلكان : الوفيات ج٢ص٢٢٣- ابن عساكر : تاريخ دمشق ج٥ ص٢٧ } .

(٧) العلاّمة الإمام فقيه العراق أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي ، مولى الأشعريين ، وأصله من أصبهان ومن تلاميذه أبو حنيفة ، وكان أحد العلماء الأذكياء والكرام الأسخياء (ت ١٢٠هـ/٧٣٧م) { الذهبي : السير ج٥ ص٢٣١،٢٣٦ —وأنظر ترجمته : ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٣٣٢ —ابن حبان : المشاهير ص١٧٨ — الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٨٤ } .

(٨) الذهبي : السير ج٥ ص٢٣٦ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٦٢ ، وكذلك محمد بن الحنفية كان يلبس ملحفة حمراء { ابن سعد : الطبقات ج١ ص١١٤ } .

ولبس العلماء البُرودُ، ومفردها برد، والبرد ثوب فيه خطوط وخصّ به بعضهم الوَشي [1]، وقال ابن سيده [2]: البرد المفوف: الذي فيه خطوط بيض من الفوف، فكان لأيوب السختياني برداً أحمر[3]، وكان بعض العلماء يلبس البرود العدنية [4]، وممن لبس البرود أيضاً من العلماء الحسن البصري، وعبدالله بن عون، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن علي[5] (أبو جعفر).

ويتردد في المصادر أن العلماء لبسوا الجبّة[6] وجمعها جِباب، وكان بعضها من الخزّ وبعضها من الصوف، فكان علي بن الحسين، ومحمد بن علي بن حسين، وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد يلبسون جباباً من خز[7]، كما كان محمد بن علي، وميمون بن مهران، يلبسان جباباً من صوف[8]، وورد أن عطاء بن أبي رباح لما دخل على الوليد بن عبدالملك كان يلبس جبّة قديمة.[9]

ولبس بعض العلماء نوعا من الثياب يسمّى (المَستّقه)، ويبدو أنها تشبه الجبّة مع فارق بسيط، فقد ذكر ابن سيده[10] عند تعريفه لها أنها جُبّة فراء طويلة الكُمّيْن،وأصلها بالفارسية (مُشقة)،وقيل هي(الفروة) الطويلة الكم [11].

ولم نجد في مصدرينا ذكر للمُستّقه ولذلك اعتمدنا على مصدر آخر وهو طبقات

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج١ ص١٨٩ .

(٢) المخصص ج١ السفر ٤ ص٦٦ .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٢٢ .

(٤) من هؤلاء العلماء الشعبي الذي ورد أنه كان يلبس برداً عدنياً أي نسبته إلى مدينة عدن { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٥٤ }وورد أيضاً أن عكرمة(مولى ابن عباس)كان يلبس برداً ذنبياً{ابن سعد:الطبقات ج٥ ص٢٣٢}.

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤١،٥٧٥ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٢٣ ، ج٧ ص١٦١،١٧٣،٢٦٧ .

(٦) الجبّة:هي ضرب من مقطعات الثياب تلبس وهي من أسماء الدرع {ابن منظور:لسان العرب ج١ ص٣٩٣} .

(٧) الذهبي : السير ج٥ ص٦٠ ، ج٦ ص٢٦١ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٨٠،١٩١،٢١٧،٣٢١ .

(٨) الذهبي : السير ج٥ ص٧٤ — أبونعيم : الحلية ج٣ ص١٩٣ ، ج٤ ص٩١،٩٢ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٧ .

(١٠) المخصص ج١ السفر الرابع ص٨١ .

(١١) ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص٣١٠،٣١١ .

ابن سعد للتدليل على أن العلماء لبسوا هذا النوع من الثياب فقد روي أن علي بن الحسين اهديت له مستّقه من العراق فكان يلبسها ، فإذا أراد أن يصلي نزعها[١] .

وكان إبراهيم النخعي ، وشريح بن الحارث يلبسان المستقه ، ويصليان فيها ولايخرجان أيديهما منها[٢] ، وكان للشعبي أيضا مستقه وكان يصلي فيها[٣]، ويبدو لنا من خلال هذا الوصف أن المستقه تشبه البرنس وخاصة في حجمها ، إذ يبدو أنها واسعة وثقيلة ولهذا كان البعض ينزعها عند الصلاة والبعض الآخر يصلي فيها .[٤]

وعرف العلماء لبس (الأقبية) ومفردها (قباء) وعرفه ابن سيده[٥] : بأنه نوع من الثياب معروف، روى شاهد عيان أن علي بن الحسين كان يلبس قباء بلغ من حسنه وروعته أن قال عنه الرواي بأنه مثل الذهب يتألق، وكان يلبس (قباء حبره)[٦] والحبره: المبالغة فيما وصف بجميل ، وثوب حبير : جديد وناعم[٧] ، وكان الأعمش يلبس أحيانا قباءاً مخرقاً ويخرج به إلى الناس[٨] ، وكان إبراهيم النخعي يأتي المسجد وعليه قباء (وريطة) معصفرة[٩] والريطة كما

---

(١) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٧ .

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص١٤٠،٢٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ج٦ ص٢٥٤ .

(٤) ويدل على ذلك أيضا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي ويداه في مستقة ، وروي أيضا أن ملك الروم أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس ، فلبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعث بها إلى جعفر وقال له : ابعث بها إلى أخيك النجاشي ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس البرانس والمساتق ويصلي فيها { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٤٧٩ } .

(٥) المخصص:ج١ السفر الرابع ص٨٦ ، ولمزيد من التفاصيل حول القباء يمكن الرجوع إلى ما ذكره دوزي إذ قال أن القباء كان شائع الأستعمال في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم {دوزي (رينهارت دوزي) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ص٢٨٦،ترجمة د/أكرم فاضل، نشر وزارة الأعلام في البلاد المنخفضة(بدون طبعة وتاريخ)

(٦) الذهبي : السير ج٤ ص٥٧٥ — ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٧٣ .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٥٤٩ .

(٨) الذهبي : السير ج٦ ص٢٢٨، ٢٢٩ ، وورد عن عروة بن الزبير أنه كان يلبس قباء سندس { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٧٩ } .

(٩) الذهبي : السير ج٤ ص٥٢٤ .

عرّفها ابن سيده[1]:هي كل ملاءة لم تكن لفقتين أو كل ثوب رقيق لين فهو ريطة والجمع رياط،وممن لبس الرياط أيضاً سعيد بنْ المسيب ، فكان أحياناً يجلس في المسجد وما عليه إلا ريطتان.[2]

وهناك أنواع أخرى من الثياب لم يلبسها سوى عدد قليل من العلماء ، إذ ربما كان لارتفاع أثمان بعضها ، واختلاف مسميات البعض الآخر منها سبب في ذلك ، فعلى سبيل المثال هناك الخميصة [3]، ولم يلبسها فيما توفر لدينا من معلومات إلا الحسن البصري وقد وصفها الراوي فقال :" وخميصة كأنها خز " [4] وبالتالي فالخز كما نعرف من الثياب الغالية ، ومن هنا ربما تكون الخميصة من الملبوسات الغالية ، وهناك أيضاً الملاءة [5] ، وقد ذُكر أن سعيد بن المسيب كان يلبس ملاءً شرقية [6]، وهناك أيضاً الدراعة [7] ولم نجد في مصدرينا ذكر لها ولكن وجدنا في مصدر آخر أن الشعبي قد لبس الدراعة .[8] أما الشملة [9] فلم يلبسها- فيما توفر لدينا من معلومات – غير سالم بن عبدالله بن عمر[10] ، كما ورد أيضاً في غير مصدرينا أنه كان لعلي بن

(١) المخصص : ج١ السفر ٤ ص٧٧ وأنظر أيضاً ابن منظور : لسان العرب : ج١ ص١٢٦٦،١٢٦٧ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص٣٠،وكذلك الأمام مالك ذكر أنه كان يلبس ريطه عدنية ، نسبة إلى مدينة عدن{ ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ } .

(٣) الخميصة كساء اسود مربع له علمان { ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٧٩ } .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٥٨٣ .

(٥) الملاءة بالضم والمد الريطه – والريطه سبق تعريفها – وهي الملحفة - سبق تعريفها أيضاً – والجمع مُلاء والملحفة هيَ الملأة { المخصص ج١ السفر ٤ ص٧٦ } ومن خلال ذلك يبدو أن الملاءة والريطه والملحفة شيء واحد وإنما أختلفت المسميات .

(٦) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٠ ، لم يذكر في مصدرينا ممن لبس الملاء إلا سعيد بن المسيب ، وذكر أيضاً ابن سعد أن إبراهيم النخعي كان له ملاءتين صفراوين يخرج بهما إلى المسجد الجامع ، وملاءة حمراء يصلي بها في مسجد قومه { ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٨١ } .

(٧) الدراعة : ضرب من الثياب تلبس وقيل : جبّة مشقوقة المُقَدّم { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٩٦٩ } .

(٨) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٥٢،٢٥٣ .

(٩) إذا غزل الصوف شُقّة ولها هدبة فهي برده وشمله،والمشملة كساء له خمل متفرق يلتحف به دون القطيفة وهو الشملة ، وقيل الشملة كساء دون القطيفة يشتمل به { ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٨٠،٨١ } .

(١٠) الذهبي : السير ج٤ ص٤٥٩،٤٦٠ .

الحسين سبجونة من ثعالب[1] فكان يلبسها فإذا صلى نزعها [2] .

من خلال ما سبق يبدو واضحاً أن ملابسُ العلماء لم تكن تختلف عـن ملابـس غيرهم من الناس في هذه الفترة ، لأن هذه الملابس كانت متوفرة وبمقـدور الجميـع شراءها، ثم إننا لم نجد أي معلومات تدل على أن أي نوع من هذه الملابس كان يلبسها العلماء دون غيرهم من الناس، ولكن إذا كان هناك ما يميز لبس العلماء عن غـيرهم فمن المحتمل أن يكون في ملابس الرأس ، إذ تتحدث المصادر أن العلماء كانوا يلبسون القلانس ومفردها قلنسوة[3]، والعمائم[4]، والمعروف أن لبس القلانـس ، والعمـائم خاصة كان شائعاً في هذه الفترة والتي قبلها – فالعمائم تيجان العرب – غير أن هنـاك روايات تجعلنا نرجح أن العلماء لبسوا نوعاً من العمائم خاصاً بهم أو بطلبة العلم ، فقد ذكر الذهبي أن الإمام مالك لبس العمامة وهو لا يزال صغيراً ، ويصف لنـا الأمـام مالك ذلك فيقول :" اعتممت وما في وجهي شعره ولقد رأيت في مجلس ربيعه بضعـة وثلاثين معتماً "،– أي عالماً–وفي رواية أخرى كان يجلس في مجلـس ربيعـة أربعـين معتماً[5]، وهناك رواية أخرى أكثر وضوحاً عن الأمام مالك وذكرت في غير مصدرينـا إذ يقول:"قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟فقالت تعال فالبس ثياب العلم،فألبستني ثياباً مشَمّره ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها ثم قالت اذهب فاكتب الآن "[6].

وأما عن نوعية وشكل هذه العمائم ، فالروايات تذكر لنا نوعين من العمائم كـان العلماء يلبسونها ، وليس بين هذين النوعين كبير اختلاف :

---

(١) السنجونة من السبجة وهي كساء أسود وقيل ثياب من جلود وقيل ثوب نحو ما يلبسه الطبابون له جيـب ولا يدان له { ابن سيده : المخصص ج١ سفر ٤ ص٧٩ } .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٧ .

(٣) القلنسوة : من ملابس الروؤس معروف { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص١٤٩ } والقلنسوة والعمامة مـا يُلاث على الرأس تكويراً { ابن سيده : المخصص : ج١ السفر ٤ ص٨٢ } .

(٤) العمامة : ما يلاث على الرأس تكويراً { ابن سيده : المخصص ج١ سفر ٤ ص٨٢ } .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٩١،٩٦ .

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص٢٠ .

– النوع الأول : الذي كان يُسدل منها إلى الخلف مقدار شبر أو اكثر وهذا النوع هو الغالب بين العلماء ، قيل إن محمد بن الحنفية كان يعتم بعمامة حرقانية[١] ويرخيها من ورائهِ شبراً أو أقل من شبر[٢] ، وكان علي بن الحسين يرخي عمامته خلف ظهره مقدار شبرٍ أو فويقة [٣] – أي زيادة – وكان سعيد بن المسيب يعتم بعمامة ويرخيها وراءه شبراً من فوق القلنسوة[٤] ، وهكذا كان كثير من العلماء يعتمون مرسلين أطراف العمائم خلفهم مقدار شبر تقريباً، مثل سعيد بن جبير، والقاضي شريح، وإبراهيم النخعي، والقاسم بن محمد ، والشعبي ، وسالم بن عبدالله ، ومحمد بن سيرين ، والحسن البصري ، وأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين . [٥]

– النوع الثاني : ما يجعل منها شيء تحت الحنك ثم ترسل إلى الخلف ، فقد كان الإمام مالك إذا عتم جعل منها تحت حنكه وأرسل طرفها خلفه[٦] ، وكان عكرمة مولى بن عباس إذا عتم أدارها تحت لحيته وأرسل طرفها بين كتفيه . [٧]

ويبدو أن العلماء كانوا حريصين على لبس هذا النوع من العمائم ، لا لشيء إلا لأنها كما يبدو تُكسبهم نوعاً من الوقار والسكينة، ولهذا فقد روي أن طاووس بن كيسان كان يكره أن يعتم بالعمامة ولا يجعل تحت الذقن منها شيئاً [٨]، وهناك حالات استثنائية لبعض العلماء نجد أنهم كانوا يعتمّون فلا يرخون وراءها شيئاً ، منهم الأوزاعي الذي قيل عنه : إنه كان يعتم بعمامة مدورة بلا عَذَبة ، وقال عنه شاهد عيان:"رأيت الأوزاعي يعتم فلا يرخي لها شيئاً "[٩]، ونستدل من خلال ذلك على أن

---

(١) عمامة حرقانية : لضرب من الوشي فيه لون كأنه محترق { ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٨٣ } .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص١٢٦ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١١٤ .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٧ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٨ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٢ .

(٥) المصدر نفسه : ج٤ ص٤٦٤،٥٢٤،٦١٩ ، ج٥ ص٦٠ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٨٩،٣٢١ ، ج٦ ص١٣٩،٢٥٢،٢٨٠ ، ج٧ ص١٦٠،٢٠٤ .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص٧٠ .

(٧) المصدر نفسه : ج٥ ص١٥ .

(٨) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٣٨،٥٣٩ .

(٩) الذهبي : السير ج٧ ص١٢٨،١٣٢ .

لبس العمامة بلا عذبة – دون أن يكون وراءها شيء – أمر نادر الحدوث عند العلماء، ولعل هذه الرواية عن الأوزاعي تدلل على ما ذكرناه آنفاً لأن هذه الرواية هي الوحيدة التي وجدناها فيما توفر لدينا من المعلومات .

وأما القلانس ، فلم يكن لبسها شائعاً بكثرة بين العلماء مثل العمائم ، وإنما كان لبسها محدود وكانت تُلبس أحياناً مع العمامة وأحياناً لوحدها ، فهذا سعيد بن المسيب كان يلبس العمامة مع القلنسوة [1]، وكذلك سالم بن عبدالله بن عمر [2] ، وممن لبس القلانس لوحدها عطاء بن أبي رباح [3] وغيره من العلماء [4]، ولبس البعض من العلماء القلانس الطوال مثل أبو حنيفة [5] وعبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة [6]، الذي كان يلبس قلنسوة طولها نحواً من ذراع مكتوب عليها : محمد يا منصور [7] ، ومثل هذا الشعار المكتوب على قلنسوة هذا العالم لم يكن شائعاً بين العلماء ، وإنما هذه حالة فردية ، وتتعلق بشخصية هذا العالم على ما يبدو [8].

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٢ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣٨ .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٤٥٩ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٧ .

(٤) من هؤلاء العلماء الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير وكان من أوعية العلم وقد أخذ التفسير عن سعيد بن جبير ، ذكر ابن سعد أنه كان يلبس قلنسوة ثعالب – يحتمل أن تكون من جلود الثعالب – (ت ١٠١هـ/٧١٩م) { الذهبي : السير ج٤ ص٥٩٨-٦٠٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٠٠،١٠١ –ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٣٠١ } وكذلك القاسم بن محمد كان يلبس قلنسوة من خزّ خضراء ، وكذلك علي بن الحسين كان يلبس قلنسوة أيضاً { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩١،٢١٨ } .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٣٩٩ .

(٦) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبه بن عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الهذلي المسعودي الكوفي ، الأمام الفقيه العلامة المحدّث وُلد في خلافة عبدالملك بن مروان (ت ١٦٠هـ/٧٧٦م) {الذهبي : السير ج٧ ص٩٣-٩٥ – ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٢٩٦ – ابن حبان : المشاهير ص١٦٤ } .

(٧) الذهبي : السير ج٧ ص٩٤ ، وكان عبدالله بن عون أيضاً يلبس قلنسوة ارتفاعها مقدار شبر { ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٧ } .

(٨) ذكر الذهبي أيضاً أنه كان يلبس قباء اسود وشاشيه ومكتوب بن كتفيه (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وكان رجلاً نبيلاً وله منزلة وكان يخدم الدولة قال فتوقف كثير من الناس عن الأخذ منه لذلك { الذهبي : السير ج٧ ص٩٤ } .

وأما عن موقف العلماء من لبس الثياب ذات الألوان ، فكما سبق في حديثنا عن لبسهم لمختلف أنواع الثياب أنهم كانوا يلبسون الثياب البيض والحمر والصفر والداكن ، والمعصفر وغيرها ، فكانوا مثلاً يفضلون من المطارف الصفر(١) ، ومن الملاحف الحمر(٢) ، ومن العمائم البيض والسود وهكذا ، إلا أنهم كانوا يفضلون الملابس البيض على ما عداها، فكان الإمام مالك يلبس البياض ، ولم يكن هناك أشد بياضاً من ثوب مالك(٣) ، وكذلك سعيد بن المسيب : قال عنه شاهد عيان :" لم أر سعيداً لبس غير البياض " (٤)، وكان محمد بن سيرين يلبس كساءً أبيض(٥)، وكان عكرمة أيضاً يلبس رداءً أبيضاً (٦)، وبالمقابل فإن العلماء كرهوا لبس الثياب السوداء ، وكان لبسها نادراً بينهم، فقد قيل : أن الأوزاعي دخل على أبي جعفر المنصور ـ حين جعلت الدولة العباسية من لبس السواد شعاراً لها – فاستعفى من لبس السواد فأعفي ، فلما خرج قيل له : لماذا ؟ فقال :" لم يُـحْرِم فيه محرم ولا كُفِّنَ فيه ميت ، ولم يُزَيَّن فيه عروس" (٧) وكان كثير من العلماء يفضلون من العمائم البيض أيضاً .(٨)

العلماء ولبسهم للثياب الفاخرة والمتواضعة :

وإذا كنا قد بينا أنواع الملابس وألوانها ، فمن المهم أن نشير إلى لبسهم للثياب من حيث قيمتها ومظهرها، بمعنى هل كانوا يلبسون من الثياب الفاخرة الثمينة أم كانوا

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص١٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص٣١٢،٤٠٧،٥٢٤ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٧،٣٢٢ ، ج٦ ص٢٨٥ .

(٣) الذهبي : السير ج٨ ص٦٩ ، وكان الأمام مالك يقول : احب للقارئ أن يكون ابيض الثياب { ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ } .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ج٤ ص٦١٩ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٤ .

(٦) الذهبي : السير ج٥ ص١٥ .

(٧) المصدر نفسه ج٧ ص١٢٦ .

(٨) منهم علي بن الحسين ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن سيرين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله ، وخارجه بن زيد ، وعكرمة { الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٢،٤٥٩،٦١٩ ، ج٥ ص١٥،٦٠ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٨،٢٦٢ ، ج٦ ص٢٦٧ ، ج٧ ص٢٠٤ } .

يلبسون الثياب الرخيصة المتواضعة ، أم كانوا يلبسون منهما جميعاً ، وإذا كانوا يلبسون الثياب الثمينة فهل كان لبسهم لها على الدوام أم كانوا يلبسونها حيناً ، وحيناً يلبسون ثياباً متواضعة ، وإذا كانوا كذلك فلماذا ؟ ، هذا ما سنحاول معرفته في الأسطر التالية، حيث تذكر لنا الروايات أن هناك عدداً من العلماء ليسوا بالقليل كانوا يلبسون من الثياب الجيدة والفاخرة والغالية الثمن ، فكان سعيد بن المسيب يلبس البرود الغالية [1]، ومحمد بن سيرين يلبس من الثياب الثمينة [2]، وكان ثابت بن أسلم البناني[3] أيضاً يلبس الثياب الثمينة والطيالس والعمائم[4]، وكان الإمام مالك يلبس الثياب المروية – المنسوبة إلى مرو – الجياد ، وكان نقي الثوب رقيقه يكثر اختلاف اللبوس .[5]

وقد ذكر الذهبي[6] أن الليث بن سعد كان يلبس الثياب الغالية الثمن ، حتى أنهم ذات مرة قوّموا ثيابه ودابته وخاتمه فبلغت ثمانية عشر ألف درهم إلى عشرين ألف درهم ، كما قومت كسوة بكر بن عبدالله المزني فبلغت أربعة آلاف درهم ، حتى إنه ذات مرة اشترى طيلساناً بأربعمائة درهم فأراد الخياط أن يقطعه – أي يقصه – بوضع التراب عليه فقال له مكانك ثم أمر بكافور فسحق وذرّه عليه[7] ، وكان الإمام مالك يلبس طيلساناً ثميناً يساوي خمسمائة درهم، وأبو حنيفة يلبس كساءاً بثلاثين ديناراً [8]، وكان علي بن الحسين يكثر من لبس الخزّ وكان يشتري الكساء منه بخمسين ديناراً [9]، وممن كان يلبس الخزّ من العلماء ، محمد بن الحنفية ، وسعيد بن

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤١ .

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص٦١٩ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٤ .

(٣) الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني مولاهم البصري ولد في خلافة معاوية وكان من أئمة العلم والعمل (ت ١٢٣هـ/٧٤٠م) { الذهبي : السير ج٥ ص٢٢٠،٢٢١،٢٢٣ } .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٢٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ج٨ ص٦٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٤٢ – ابن فرحون: الديباج المذهب ص١٩ .

(٦) السير ج٨ ص٢٢٥ .

(٧) المصدر نفسه:ج٤ ص٥٣٣،٥٣٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٢١ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢١٠

(٨)الذهبي : السير ج٨ ص٧٠ – ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ .

(٩) الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٨ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٧،٢١٨ .

المسيب ، ومحمد بن علي بن الحسين (أبو جعفر) وعروة بن الزبير ، وجعفر بن محمد بن علي بن حسين [(١)]، والقاسم بن محمد[(٢)] وغيرهم .

وهناك بعض العلماء كانوا لا يلبسون الخزَ – مع لبسهم لثياب أخرى ثمينة – ولا يرون لبسه ولم نجد في مصدرينا ما يدل على ذلك وإنما ورد في مصدر آخر، حيث ذكر ابن فرحون [(٣)] أن الإمام مالك لم يكن يلبس الخز ولا يرى لبسه ، وربما كان السبب خوفه من أن يكون معمولاً من الاَبْرَيْسم – أي الحرير – فيكون إنكاره وتركه للبسه تنزهاً منه، أما الخز الذي كان يلبسه العلماء فهو معمول من الصوف والاَبْرَيْسم وهو حلال كما أوضحنا ذلك سابقاً .

ومن البديهي أن العلماء لم يكونوا يلبسون هذه الثياب الثمينة للفخر والتكبر والمباهاة ، وإنما كانوا يفعلون ذلك لكي يرى الناس أثر نعمة الله عليهم ، وثانياً لأن الله تعالى يحب النظافة والزينة ، ومن الزينة أن يلبس المرء الثياب الحسنة قال تعالى ﴿ قل من حرّم زينةَ اللهِ التي أخرج لعبادهِ والطيبات من الرزق﴾[(٤)] ومن هنا كان العلماء يحبون أن يظهروا بالمظهر الحسن والثوب الحسن ، فهذا علي بن الحسين كان يلبس في الشتاء الكساء من الخز بالثمن الغالي ثم يبيعه ويتصدق بثمنه ، ويلبس في الصيف ثوبين من ثياب مصر ويلبس فيما بينهما من مختلف الملابس ويتلو قوله تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ... ﴾[(٥)] وإذا تتبعنا أحوال هؤلاء العلماء نجد أن الكثير منهم كانوا من الميسورين والتجّار وأصحاب الحرف، وإضافة إلى ذلك فإن حركة

---

(١) هوَ جعفر الصادق ، الأمام شيخ بني هاشم أبو عبدالله القرشي العلوي أحد الأعلام ، كان من جلّة علماء المدينة (ت ١٤٨هـ/٧٦٥م) { الذهبي : السير ج٦ ص٢٥٥،٢٦٩ } .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص١٢٦،٢٤٣،٤٠٧ ، ج٥ ص٦٠ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١١٤،١٧٩،١٨٩،٣٢١ ، ج٦ ص٢٥٣ .

(٣) الديباج المذهب ص١٩ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٨ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٨ . وهذا الإمام مالك كان يلبس الثياب الخراسانية والمصرية المترفعة البيض ويقول :" ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه " { ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ } .

الفتح الإسلامي في هذه الفترة كان لها أثرها الواضح في تدفق الأموال على أفراد المجتمع وكان للعلماء نصيب من ذلك مما أدى إلى تحسن أحوالهم ومن ثم إقبالهم على الملابس الحسنة ... ولعل النص التالي يوضح لنا هذا الرأي أكثر فقد روي عن سفيان الثوري أنه قال :" دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبّة خزّ دكناء ، فجعلت أنظر إليه متعجباً. فقال : ما لك يا ثوري ؟ فقلت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك ، فقال : يا ثوري كان ذاك زماناً مقتراً وكانوا يعملون على قدر إقتاره وإفقاره ، وهذا زمان قد أسبل كل شيء فيه عَزاليه " [1].

ولكن الأمر العجيب والملفت للنظر أن بعضاً من هؤلاء العلماء الذين كانوا يلبسون الثياب الحسنة ، كانوا في أوقات أخرى يلبسون ثياباً زهيدة متواضعة ، ولعل السبب في ذلك خوفهم من أن يفهمهم بعض الناس على غير حقيقتهم، وحتى يخالطوا جميع الناس غنيهم وفقيرهم ، وكذلك تواضعاً منهم وزهداً، فقد روي أن سعيد بن المسيب الذي كان يلبس البرود الغالية الثمن ، كان يلبس في أوقات أخرى ريطتلن لا يساوي ثمنهما خمسة دراهم [2].

ونظراً لخوف بعض العلماء من الرياء فقد كانوا يلبسون أمام الناس أحسن الثياب وأثمنها وأرقها،وفي نفس الوقت يلبسون من تحتها الثياب الخشنة الزهيدة.قال أحد المقربين لميمون بن مهران وقد رأى عليه جبّة صوف من تحت ثيابه: " ما هذا ؟ قال : نعم فلا تخبر به أحد " [3] وكان جعفر بن محمد (جعفر الصادق)يلبس جبّة خز وكساء

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٢٦١،٢٦٢ — أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٩٣ ، والعزالي : جمع العزلاء ، وهو فم المزادة الأسفل وفي الحديث (وأرسلت السماء عز اليها) أي كثر مطرها ، والمراد هنا أن الخير قد كثر وعم .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٠٠ . وروي أيضاً أن عبدالله بن عون كان يلبس أحياناً الخزّ وأحياناً أخرى الصوف والبت ، ولما سئل عن السبب قال :" البس الخز لئلا يستحي ذو الهيبة أن يجلس إليّ ، والبس الصوف لئلا يهابني ضعفاء الناس أن يجلسوا إليّ " { أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٢٤٦ } ، والبَت : ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان وجمعه بتوت وهو الذي يسمى الساج { ابن سيده : المخصص ج١ السفر الرابع ص٧٩ } .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص٧٤ — أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٩٣ .

خز ومن تحتهما جبة صوف ويقول لمن إستنكر عليه ذلك: " لبسنا هذا لله وهذا لكم فما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه " [(١)].

وفي مقابل العلماء الذين كانوا يلبسون الثياب الغالية الثمينة ، نجد أن هناك جماعة من العلماء كانوا يلبسون من الثياب الرخيصة والبالية والمتواضعة ، وربما لبس بعضهم الثياب الممزقة أو المرقعة ، ولعل ذلك لم يكن لفقرهم وإنما يبدو أنه الزهد والتواضع، يكشف لنا ذلك العالم الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، قال ميمون بن مهران : أقمت عند عمر ستة أشهر ما رأيته غير رداءه كان يغسل من الجمعة إلى الجمعة " ولقد صلى بالناس يوما وعليه قميص مرقوع الجيب ، فقال له رجل :" يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك، فلو لبست ثوبا غيره، فقال: أفضل القصد عند الجدة " [(٢)].

ولم يكن هذا الزهد والتواضع شأن عمر وحده وإنما كان له في ذلك نظراء وإخوان من العلماء الذين لا يبالون بالدنيا وزخرفها وحللها، وإنما كان همهم الإقبال على الله والاستعداد للآخرة ، لذلك كانوا يلبسون أرخص الثياب ، فقد ذكر أن سالم بن عبدالله بن عمر كان يلبس الثوب بدرهمين [(٣)] وكان يلبس الصوف[(٤)] ، كما ذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه ما لبس قميصا قط ، ولم يكن ثمن ثوبه يتجاوز خمسة دراهم[(٥)] ، وكان إبراهيم بن أدهم يلبس إزارا أو رداء ثمنهما أربعة دراهم .[(٦)]

هؤلاء العلماء الكبار لم يكونوا يكترثون بشكلهم أو مظهرهم ما دام جوهرهم نظيفا وصافيا وماداموا يقولون الحق ويعلمون الناس ما ينفعهم ، فقد خرج شعبة بن الحجاج يوما على أصحابه فقوموا كل شيء عليه ثيابه وحماره وسرجه ولجامه

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٢٦١ — أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٩١،٩٢ .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص١٣٢،١٣٤ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٤ — الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٥٥٦ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٤٥٩ .

(٥) المصدر نفسه : ج٥ ص٨٧ .

(٦) المصدر نفسه : ج٧ ص٣٩٢ .

ثمانية عشر درهماً [1]، وكانت ثيابه من زهادتها توصف بأنها كالتراب[2] ، وكان شعبة فيما ذُكر فقيراً ينفق عليه أخواه،وكان رحيماً بالفقراءوالمساكين،بل وكان يُنكر لبس الثياب الغالية فقد أنكر على أحد أصحابه شراءه قميصاً بثمانية دراهم .[3]

وهذا مجاهد بن جبر لم يكن يبالي بلباسه ومظهره حتى قال عنه الأعمش: " كنت إذا رأيت مجاهداً ازدريْته مُتبذِّلاً كأنه خَرْبندج ضل حماره وهو مغتم " [4]، وقال عنه أيضاً :" كان مجاهد كأنه حمّال فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ "[5] ولقد ذكر أن الأعمش كان ربما لبس قباءً مخرقاً ويخرج إلى الناس.[6]

ولم يكن لبس العلماء لهذه الثياب البالية والمتواضعة لينقص من مترلتهم ومكانتهم في المجتمع ، لأن قيمة الرجل الحقيقية في نظر الإسلام بما يحمله من خُلق وتقوى وليست بمظهره أو ملبسه ، ولسنا بحاجة إلى كثير من الأمثلة لندلل على ذلك إذ يكفي أن نشير هنا إلى أن اثنين من كبار العلماء في ذلك الوقت وهما عطاء بن أبي رباح ، وسالم بن عبدالله بن عمر،كانا يدخلان على الخلفاء بملابسهما الرثة فيجدان من حرارة الاستقبال والاحترام والتقدير الكثير،كما لو أنهما من الأمراء أو الملوك [7].وهكذا نجد أن البعض من العلماء كان يلبس الثياب الثمينة وبعضهم المتواضعة ، وبعضهم يلبس من هذا ومن هذا ، كل ذلك مع الاحتفاظ بوقارهم وقدرهم .

وفي هذا المجال لا ننسى إلى أن بعض العلماء كانوا يخصصون ملابس تناسب الصيف وملابس تناسب الشتاء وهكذا،فهذا إبراهيم النخعي كان دائماً يلبس في

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص١٥٧ ، وهذا سفيان الثوري ، وصف أحدهم ملابسه فقال : (قومت كل شيء عليه حتى نعليه درهماً وأربعة دوانق { أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٧٨ } .

(٢)الذهبي : السير ج٧ ص٢١١ .

(٣) المصدر نفسه ج٧ ص٢٠٧،٢٠٨،٢١٠ .

(٤) المصدر نفسه ج٤ ص٤٥٢ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٤٦٦،٤٦٧ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٢٧٩، الخربندج والخربندة : وهو حارس الحمار ومؤجره واللفظه فارسية .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٤٥٣ .

(٦) المصدر نفسه ج٦ ص٢٢٨،٢٢٩ .

(٧) المصدر نفسه ج٤ ص٤٦٢– ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص١٦٧–ابن عساكر:تهذيب تاريخه دمشق ج٧ ص١٦

الصيف ملحفة حمراء وإزاراً أصفر[1]،ومحمد بن سيرين يلبس في الشتاء كساءً أبيض[2]، وأما الحسن البصري فقد كان يلبس في الشتاء حبره وطيلساناً كردياً وعمامة سوداء وفي الصيف إزار كتان وقميصاً وبرداً حبره [3] والحبره ضرب من برود اليمن[4] ، وكان علي بن الحسين يلبس في الشتاء كساءً خزّ غالي الثمن ثم يبيعه ويلبس في الصيف ثوبين من ثياب مصر ويلبس فيما بينهما من مختلف الملابس .[5] الإمام

كما لا ننسى أن نشير في الأخير إلى ما يلبسه العلماء في أقدامهم ، فقد كان البعض منهم يلبس النعال[6]، والبعض الآخر الخفاف[7]، فالإمام مالك كان كثيراً ما يلبس النعال حتى قيل إنه خلّف بعد موته خمسمائة زوج من النعال[8] ، وكان لعطاء بن أبي رباح نعلين من خشب[9] ، وأما الخفاف فقد وردت إشارات توضح لبس بعض العلماء لها منهم الأوزاعي الذي كان يلبس خفاً مبطناً بثعلب[10] – أي بجلد ثعلب –

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٥٢٤ .

(٢) المصدر نفسه : ج٤ ص٦١٩ .

(٣) المصدر نفسه : ج٤ ص٥٧٥ .

(٤) ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٦٩ .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٨ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٨ ، وورد أيضاً أن علي بن الحسين كان له كساء خز أصفر يلبسه يوم الجمعة فقط ، وكذلك عروة بن الزبير كان يلبس في أيام الحر قباء سندس مبطناً بالحرير، وقد يكون لبسه لهذا الثوب المبطن بالحرير لأجل العلاج لأن هذه هي الرواية الوحيدة التي وجدناها فيما توافر لدينا من معلومات تذكر لبس العلماء للحرير ، وباقي الروايات تذكر لبسهم للخز { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٦٧،٢٧٩ } .

(٦) النعل : ما وقيت به رجلك من الأرض { ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص١١١ } .

(٧) الخف:مالبس في القدم،والخف فارسي معرب وهو بالفارسية موزة{ابن سيدة:المخصص ج١ السفر ٤ص١١٤}.

(٨) الذهبي : السير ج٨ ص١٣٢. وهذا العدد مبالغ فيه في رأيي ويحتمل أن تكون للتجارة ، إذ أن الإمام مالك كان له أربع مائة دينار يتجر له بها كما سيأتي معنا في الفصل الرابع .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٧ ، وورد أنه كان لعبدالله بن عون نعل لها زمام واحد { ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٣ }، وزمام النعل : ما أزمت به – أي ما ربطت به { ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص١١٢ } .

(١٠) الذهبي : السير ج٧ ص١١٩ ، وذكر أن علي بن الحسين كان يلبس خفين يمانيين غليظين .

هذا ما ورد بشأن لبس الخفاف والنعال عند العلماء، ولم نجد من العلماء من كان يمشي حافياً غير سعيد بن المسيب،إذ شوهد وهو يمشي حافياً [١]، ولعله كان يمشي بعض الأحيان حافياً وأحياناً منتعلاً،ولعل ذلك منه كان نوعاً من الزهد .

الزينة :

لا شك أن لبس العلماء للثياب الحسنة ذات الألوان المختلفة يعد مظهراً من مظاهر الزينة، وإضافة إلى ذلك فقد كان العلماء يعمدون إلى هذه الثياب فيعالجونها بالأصباغ[٢] الملونة المختلفة ، وذلك زيادة في التزين والتجمل .[٣]

ويأتي الزعفران في مقدمة هذه الأصباغ التي كان العلماء يستخدمونها لصبغ ثيابهم، ويقال للثوب المصبوغ به مزعفر – أي مصبوغ بالزعفران[٤] – وفي هذا المجال يروى أن عمر بن عبدالعزيز كان يصبغ ثوبه بشيء من زعفران [٥]، هذا ولم ترد إشارات كثيرة في مصدرينا عن استخدام العلماء للزعفران في صبغ ثيابهم وإنما ورد في مصادر أخرى .[٦]

ويأتي في المرتبة الثانية بعد الزعفران العصفر[٧] فقد كان العلماء يصبغون به ثيابهم

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٠ .

(٢) الصباغ ما تلون به الثياب ، ويقال صبغت الثوب أصبغه { ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٩٥ } .

(٣) لأن العلماء كانوا يخالطون الناس ويمكثون كثيراً في المساجد ، كون حلقات العلم كانت تتم فيها ، وقد أمر الله تعالى بالزينة فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ (سورة الأعراف : الآية ٣١) .

(٤) ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٩٦ .

(٥) الذهبي : السير ج٥ ص١٣٢ .

(٦) ذكر ابن سعد أن القاسم بن محمد كان يلبس رداءً مصبوغاً بشيء من زعفران وانه حين تزوج لبس في عرسه رداء بقطرة زعفران،وهذا يدل على أن الصبغ بالزعفران كان له أثر كبير في تحسين الثياب وتجديدها،وذكر أن إبراهيم النخعي كان يلبس ثوبين قد صبغا بشيء من زعفران{ابن سعد:الطبقات ج٥ص١٩١،١٩٢،ج٦ ص٢٨١}.

(٧) العصفر : هذا الذي يصبغ به ، منه ريفي ومنه بري ، وكلاهما نبت بأرض العرب ، ويقال عصفرت الثوب فتعصفر { ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٧٩٧ } ، وقد روى هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يعصفر له الملحفة بالدينار وأن آخر ثوب لبسه عصفر له بدينار ، وهذا يدل على صبغ الثياب بالعصفر { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٧٩ } .

فهذا إبراهيم النخعي كان يلبس ريطه معصفرة [1]، وكذلك حماد بن أبي سليمان كان يلبس ملحفة معصفرة [2] وغيرهم من العلماء [3].

وإضافة إلى الزعفران والعصفر فإن هناك من العلماء من كانوا يصبغون ثيابهم بالمشق ، والمشق هو المغرّة [4]، فكان طاووس بن كيسان يلبس ثوبين ممشقين [5]، وكذلك سعيد بن المسيب ، وعبدالله بن عون [6].

وكان بعض العلماء يلبسون الثياب الممصرة ، والثوب الممصّر هو المصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة [7]، فكان أبو جعفر محمد بن محمد بن علي يلبس الخزّ المعصفر والممصر [8]، وكان القاسم بن محمد أيضاً يلبس رداءً ممصراً [9].

وإضافة إلى التزين بالثياب الملونة المختلفة ، فقد كان الشّعْر (شعر الرأس واللحية) من أهم ما يعمد العلماء إلى تنظيفه وتزيينه وتجميله ، فهذا سعيد بن المسيب كانت له جُمة ليست بالكبيرة فكان يمشطها ويفرقها [10]، وكان لعبدالله بن عون شعرٌ إلى أنصاف أذنيه [11]، ومن الطبيعي أنه كان يهتم به ويرجله،وقال شاهد عيان :

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٥٢٩ .

(٢) المصدر نفسه : ج٥ ص٢٣٦ .

(٣) مثل خارجه بن زيد الذي كان يلبس ملحفة معصفرة ، والشعبي الذي كان يلبس المعصفر { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٦٢ ، ج٦ ص١٥٣ } .

(٤) ابن سيده : المخصص ج١ السفر ٤ ص٩٦ ، والمغرة : طين أحمر يصبغ به ، وثوب ممغر مصبوغ بالمغرة { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٥١٠ } .

(٥) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٣٨ .

(٦) المصدر نفسه : ج٥ ص١٣٩ ، ج٧ ص٢٦٧ .

(٧) ابن سيده : المخصص ج١ السفر الرابع ص٩٦ .

(٨) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٢١ .

(٩) الذهبي : السير ج٥ ص٦٠ .

(١٠) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣٩ ، والجمةُ هي : مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة وفي الحديث كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة جعده ، والجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٥٠٥ } .

(١١) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٣ .

رأيت بن سيرين له وفره يفرق شعره [١]، وكذلك علي بن الحسين كان له جُمـــةّ إلى المنكب وكان يفرِّقها [٢]، وبعض العلماء كان يحلق شعره كل سنة مرةً واحـــدة فــإذا طال فرقه ، مثل أيوب السختياني، كـــان أحياناً يرى وله شعراً وافر[٣]، وهذا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، كان له جُمةّ [٤].

وهكذا نجد أن العلماء كانوا يهتمون بتزيين الشّعر وتجميله والاعتناء به غـــير أن أهم مظاهر تزيين الشعر والاهتمام به عند العلماء كانت تتخذ شكلاً آخر، وذلك حين يظهر الشيب على رؤوسهم أو لحاهم ، فنجدهم يعمدون إلى صبغه أو خضابه ، فكانوا يخضبون الشعر بالحنّاء أو الكَتَم، وأحياناً يصبغونه باللون الأسود أو الأحمر أو الأصفر، ويأتي في مقدمة ذلك كله الحناء .

كان عطاء بن أبي رباح يخضب بالحناء حتى لقد قال فيه أحدهم : " أتيت عطـــاء أسأله عن مسألة فإذا أسود يخضب بالحناء" [٥]، وكان محمد بن القاسم يخضب رأســـه ولحيته بالحناء[٦]، وكان طاووس بن كيسان أيضاً يخضب رأسه ولحيته بالحناء، وكـــان أحياناً يخضب بحناء شديد الحمرة[٧]، كما كان الشعبي ، ومنصــــور بـــن المعتمـــر ، وعكرمة، ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن المنكدر ، يخضبون رؤسهم ولحاهم بالحناء[٨] .

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٦٠٨ ، والوفرة هي الشعر المجتمع على الرأس ، وقيل ما سال على الأذنين من الشعر أو ما جاوز شحمة الأذنين،ويأتي بعدها الجمّة ثم اللمّة،واللمّه ما ألم بالمنكبين{ابن منظور:لسان العرب ج٣ ص٩٥٨}

(٢) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢١٧ .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٢٢ — ابن قتيبة : المعارف ص٢٠٧ .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٢ .

(٥) المصدر نفسه ج٥ ص٨١ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٤٦٩ .

(٦) الذهبي : السير ج٥ ص٦٠ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٢،١٩٣ .

(٧) الذهبي : السير ج٥ ص٤٤ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٣٨ .

(٨) الذهبي : السير ج٤ ص٦٠٨ ، ج٥ ص٣٥٤،٤٠٤ — ابن سعد : الطبقـــات ج٥ ص٢٩٣ ،ج٦ ص٢٥٢ — ابن حبان : المشاهير ص١٠٧ .

وفي أحيان أخرى نجد أن بعض العلماء كانوا يضيفون إلى الحنّاء الكتم [1] وربما استعملوا كلاً منهما لوحده، فقد قيل إن محمد بن سيرين كان يخضب بحناء وكتم[2] ، وكذلك محمد بن الحنفية ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [3].

ويرد في المصادر أيضاً أن العلماء كانوا يخضبون بالصفرة ، ولعل الصفرة هذه كانت من الخضاب الخاص باللّحى، إذ نجد أكثر الروايات تتحدث عن ذلك ، وروايات أخرى أقل تتحدث عن الخضاب بالصفرة بشكل عام دون أن تحدد الرأس أو اللحية ، وعليه فيرجح أن الخضاب بالصفرة كان يستخدم لخضاب اللحى ، وفي هذا يروى أن الحسن البصري كان يصفّر لحيته في كل جمعة[4]، وكان سعيد بن المسيب أيضاً يصفر لحيته [5]، كما يروى أن أبا وائل (شقيق بن سلمة)كان يصفر لحيته بالصفرة [6]، وهكذا نجد أن عدداً من العلماء كانوا يصفرون لحاهم منهم عطاء بن أبي رباح، وجابر بن زيد[7]،
والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله [8]، وغيرهم .

وأما العلماء الذين كانوا يخضبون بالصفرة بشكل عام دون أن يرد توضيح هل هو للرأس أم للحية، فمنهم عبدالله بن كثير[9]

---

(١) الكتم : نبات يخلط مع الوسمه للخضاب ، وقيل الكتم نبت فيه حمره ، وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أن كان يختضب بالحناء والكتم { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٢٢١ } .

(٢)الذهبي : السير ج٤ ص٦١٩ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٤ .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص١٢٦ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١١٤،٢١٧،٣٢٢،٣٢٣ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٧٣ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٥٧٣ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٥٩ .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٣ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص١٠١ .

(٧) هو جابر بن زيد الأزدي اليحمدي مولاهم البصري (ت٩٣هـ/٧١١م) { الذهبي : السير ج٤ ص٤٨١- ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٧٩-الشيرازي طبقات الفقهاء ص٩٢} .

(٨) الذهبي : السير ج٥ ص٦٠ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٢،١٩٣،١٩٧،٤٦٩ ، ج٧ ص١٨١ .

(٩) عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله بن زاذان بن هرمز الأمام العلم مقرئ مكه وأحد القراء السبعة،مولى=

ووطاوس بن كيسان [١]، وغيرهم .

وهناك بعض العلماء كانوا يخضبون بالسواد منهم علي بن الحسن ، وعروة بن الزبير ، ومحمد بن إسحاق ، ومحمد بن علي بن حسين (أبو جعفر) ، وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، وبكر بن عبدالله المزني، والحجاج بن أرطأة ، وابن جريج [٢] وغيرهم، ولكن هناك أيضاً من العلماء من كان يكره الخضاب بالسواد ولا يستخدمه مثل مجاهد بن جبر الذي كان يرى أبيض الرأس واللحية [٣] وكذلك سعيد بن جبير ، فقد سئل عن الخضاب بالوسمة فقال: " يكسوا الله العبد النور في وجهه ثم يطفئه بالسواد " [٤] ويبدو أن العلماء الذين كرهوا الخضاب بالسواد استندوا في ذلك لبعض الأحاديث التي نهت عنه [٥]، ولكننا وجدنا في المصادر، التي بين أيدينا أن العلماء الذين كانوا يخضبون بالسواد أكثر من الذين ورد عنهم أنهم كانوا يكرهونه ولا يستخدمونه، وحتى تتضح الرؤية حول هذه القضية – الخضاب بالسواد – يمكن الرجوع إلى العلماء المجتهدين فلهم في ذلك أقوال وآراء .

قال ابن حجر[٦]: "إن من العلماء من رخص فيه في الجهاد ومنهم من رخص فيه مطلقاً وإن الأولى كراهته، وجنح الثوري إلى أنه كراهة تحريم وقد رخص فيه طائفة من السلف منهم سعد بن أبي وقاص وعقبة بن عامر ، والحسن والحسين ... وغير واحد . وأجاب ابن أبي عاصم عن حديث بن عباس" يكون قوم يخضبون بالسواد ولا يجدون ريح الجنة " بأنه لا دلالة فيه على كراهة الخضاب بالسواد بل فيه الأخبار عن قوم هذه

=(عشرو بن علقمة) وكان من أبناء فارس (ت ١٢٠هـ/٧٣٧م) { الذهبي : السير ج٥ ص٣١٨ – خليفة بن خياط: الطبقات ص٢٨٢ } .

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣١٩ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٣٨ .

(٢) الذهبي:السير ج٤ص٢٨٨،ج٧ ص٣٥،٦٩ – ابن سعد:الطبقات ج٥ ص١٧٩،٢١٧،٣٢٢ ، ج٧ ص٢١١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٤٦٦،٤٦٧ .

(٤) المصدر نفسه : ج٦ ص٢٦٧ .

(٥) وردت أحاديث مثل " من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة " وغيرها أوردها ابن حجر عند مناقشته للخضاب بالسواد ، ولم ترد هذه الأحاديث في البخاري ، أنظر : ابن حجر : فتح الباري لشرح صحيح البخاري ج١٠ ص٢٩٢ باب الخضاب .

(٦) فتح الباري لشرح صحيح البخاري ج١٠ ص٢٩٢ باب الخضاب .

صفتهم، وعن حديث جابر "جنبوه السواد" بأنه في حق من صار شيب رأسه مستبشعاً ولا يَطَّرِد ذلك في حق كل واحد واستدل على ذلك بقول بن شهاب : "كنا نخضب بالسواد إذا كان الوجه جديداً فلما نغض الوجه والأسنان تركناه " وعلى هذا يحتمل أن العلماء الذين كانوا يخضبون بالسواد كان لهم من سنة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ما يبرر عملهم، ولا نظن أنهم يعملون ذلك وهم يعلمون كراهته .

وكان العلماء أيضاً يخضبون بالحمرة ، فيروي أن سفيان الثوري قال: "رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية" [(١)]، وكان أيوب السختياني ربما حمّر رأسه ولحيته [(٢)]، ونستدل من ذلك على أن الخضاب بالحمرة كان يستخدمه العلماء للرأس واللحية ، ولكن البعض منهم كانوا يستخدمونه للرأس فقط ويتركون اللحية بيضاء، فلقد شوهد رجاء بن حيوة ورأسه أحمر ولحيته بيضاء[(٣)] ، والبعض منهم كان يستخدمه أيضاً لصبغ اللحية فقط مثل محمد بن الحنفية [(٤)]، ومن العلماء الذين كانوا يخضبون أيضاً بالحمرة دون أن يرد تخصيص للرأسأو اللحية القاضي شريك، وشعبة بن الحجاج [(٥)].

ولعل من أهم الأسباب التي كانت تجعل العلماء يستعملون الخضاب ما يلي :

١- أنه سنة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وهذا ما يوضحه لنا أحد العلماء وهو الشعبي إذ يقول :" أرسلني الحجاج بن يوسف إلى (رتيبل) فأجازني وقال لي ما هذا الصنيع ؟ إنما الشَّعْر أبيض وأسود، قال : فقلت له سنة" [(٦)] وروي أن محمد بن سيرين كان يخضب بالحناء والكتم كما كان يفعل أبو بكر الصديق [(٧)].

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٢ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه ج٧ ص٤٥٤ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص١٢٦ .

(٥) المصدر نفسه ج٧ ص٢١٧ ، ج٨ ص٢٠٧ .

(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٦ ص٢٥٤ ، ورتبيل هو قائد قوات الروم الموجودة على مقربة من الثغور الإسلامية زمن الحجاج أيام فتنة ابن الأشعث .

(٧) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٤ .

٢- أنه زينة وخاصة لمن ظهر فيه الشيب ، ولهذا فقد استنكر البعض على محمد بن الحنفية حين كان يخضب بالحناء والكتم وقالوا له: " أكان علي بن أبي طالب يخضب؟ قال لا ، فقيل له فمالك ؟ قال : أتشبب به للنساء "(١) .

ولكن السؤال الذي يمكن أن يثار هنا، هو هل كان هؤلاء العلماء يستعملون الخضاب باستمرار وفي جميع الأوقات ؟ لا نظن ذلك ، فالروايات تذكر أن هؤلاء العلماء الذين كانوا يستخدمون الخضاب، كانوا يُرون في أوقات أخرى بدون خضاب، فيُذكر أن سالم بن عبدالله كان يُرى وهو أبيض الرأس واللحية (٢)، كما روي أن القاضي شريح كان يخرج وهو أبيض اللحية (٣)، وكذلك جابر بن زيد (٤)، كما جاء في روايات أخرى أن سعيد بن المسيب وسالم بن عبدالله لم يكونا يستعملان الخضاب (٥)، ولعل الروايات الأولى هي المقبولة ، إذ ليس من المعقول أن يظل العلماء يستخدمون الخضاب في جميع الأوقات .

وفي مقابل هؤلاء العلماء الذين كانوا يستخدمون الخضاب، نجد أن هناك بعضاً من العلماء كرهوا الخضاب وكانوا لا يستخدمونه ، والبعض الآخر كرهوا بعض أنواعه مثل الخضاب بالسواد كما أسلفنا قبل قليل ، ومن هؤلاء العلماء الذين لم يكونوا يستخدمون الخضاب الإمام مالك الذي ذُكر عنه أنه لم يكن يخضب، ويحتج بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (٦)، وقد نقل عنه أنه تخضب مرةً بحناء ، كما نقل من طريق آخر أنه لم يخضب ولا دخل حماماً (٧)، والمشهور عنه كما قال الواقدي أنه عاش

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص١٢٦ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١١٤ .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٣ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٧ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص١٤٣ .

(٤) المصدر نفسه : ج٧ ص١٨١ .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٣ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٧ .

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ ، وقد ذكرنا أن محمد بن الحنفية حين سئل عن والده الأمام علي هل كان يخضب ؟ فقال : لا .

(٧) الذهبي : السير ج٨ ص٧٠ .

تسعين سنة ولم يخضب شيبة [1].

ومن العلماء الذين لم يكونوا يستخدمون الخضاب بتاتاً، ميمون بن مهران[2] وعمرو بن دينار[3]، وروي أن سفيان الثوري نادراً ما كان يخضب، وكان لا يعمل ذلك إلا حين دخوله الحمام [4].

غير أننا إذا نظرنا إلى هذا الأمر من زواية الإنصاف فسنجد أن العلماء الذين كانوا يستخدمون الخضاب أكثر بكثير من العلماء الذين كانوا يتركونه ، لأن الخضاب كما أسلفنا زينة وسنّة .

ومما عني به العلماء في أمر الزينة النظافة، وبخاصة نظافة الجسد، فقد كان العلماء من أحرص الناس على الغسل في الجمع والأعياد والأيام الأخرى، وكانوا يرون في ذلك تطبيقاً للسنّة النبوية، وفي هذا المجال يروى أن محمد بن الحنفية، وعبدالله بن عون كانا يغتسلان في الجمعة والعيدين [5]، وهذه الروايات وإن كان وجودها قليل في المصادر ، إلا أنها تدل على أن الكثير من العلماء كانوا يحرصون على تطبيقها ، كما نجد أيضاً أن هناك من العلماء من كان يغتسل يومياً فقد روى ابن عون أن محمد بن سيرين كان يغتسل كل يوم[6]كما روى هشام بن عروة أنه كان يغتسل كل يوم مرة. [7]

وأما بالنسبة لدخول الحمامات العامة فقد كرهه كثير من العلماء ، مثل الإمام مالك وعبدالله بن عون والذي روي عنه أنه لم يدخل حماماً قط [8].

ولكننا نجد بعض الروايات تذكر أن بعض العلماء كانوا يدخلون هذه الحمامات

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص٧٠ — ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٤٧٨ .

(٣) المصدر نفسه : ج٥ ص٤٨٠ .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٢٧٥ .

(٥) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١١٥ ، ج٧ ص١٦٣ .

(٦) الذهبي : السير ج٤ ص٦١٨ .

(٧) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٨٠ .

(٨) الذهبي : السير ج٦ ص٣٦٩ - ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٣ .

فهناك رواية تذكر أن خمسة من العلماء اجتمعوا عند زميلهم حبيب بن أبي ثابت وهم عطاء، وطاووس، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وبعد نقاش مستفيض في مسائل الفقه وغيرها دخلوا الحمام ليلاً [1]، ولكننا لا نستطيع أن نحدد ما إذا كان هذا الحمام حماماً عاماً أم لا، ولكن نرجح أنه حماماً عاماً، وورد عن سفيان الثوري أنه كان أحياناً يدخل الحمام [2]، وكذلك سليمان بن يسار[3] عندما قدم دمشق[4].

ومن أهم مظاهر الزينة عند العلماء استخدامهم للطيب والكُحل، والبخور وغيرها، فكان البعض منهم لا يخرج إلى الناس إلا وهو في هيئة حسنة متطيباً مكتحلاً والبعض من العلماء ذُكر عنهم أنهم لم يكونوا يتحدثون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس العلم إلا بعد أن يتطيبوا ويغتسلوا ... فقد روي عن علي بن الحسين أنه كان يدهن نفسه ويتطيب بعد الغسل[5]، وكان الإمام مالك إذا أراد أن يحدث بحديث النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل أولاً ثم يتبخر ويتطيب[6]، وفي هذا المجال يروي عنه أحد أصحابه فيقول: " كنا إذا دخلنا على مالك خرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً، وقد لبسَ أحسن ثيابه وتصدر الحلقة ودعا بالمراوح فأعطى كل منا مروحة "[7] وكان يتطيب بالمسك وغيره، ووصف أبو حنيفة بأنه كان حسن الهيئة كثير العطر[8]، ومثله عبدالله بن عون، وصف بأنه كان طيب الريح، إذ كان يتطيب في كل

---

(١) الذهبي: السير ج٥ ص١٩ – أبو نعيم: الحلية ج٣ ص٣٢٦.

(٢) الذهبي: السير ج٧ ص٢٧٥.

(٣) هو سليمان بن يسار عالم المدينة ومفتيها، مولى ميمونة بنت الحارث زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ت١٠٧هـ/٧٢٥م) {الذهبي: السير ج٤ ص٤٤٤،٤٤٦ – ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص١٢٠}.

(٤) المصدر نفسه ج٤ ص٤٤٨.

(٥) ابن سعد: الطبقات ج٥ ص٢١٨.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٤٣.

(٧) الذهبي: السير ج٨ ص٦٤.

(٨) المصدر نفسه ج٦ ص٣٩٩،٤٠٠.

في كل الأيام وفي الجمعة والعيدين ويرى ذلك سنّة [1]، وقد بالغ البعض من العلماء في استعمال الطيب ، وذلك من حبهم له ، حتى لقد قيل أن رِيح المسك كان يشم من سوط دابة الزهري [2]، وأما ابن جريج فكان يتطيب بالغاليه[3] (نوع من الطيب باهض الثمن).

ولعل من أهم مظاهر الزينة عند العلماء في هذه الفترة، هي تحليهم بالخواتم، إذ نجد أن لبس الخواتم كان شائعاً بين العلماء في هذه الفترة وكذلك في الفترة التي سبقتهم -عصر الصحابة وكبار التابعين- ، فكان أغلب العلماء يلبسون خواتم الفضة، والبعض منهم الحديد، فهذا الحسن البصري كان خاتمه من فضة كله وكان يتختم في يساره [4]، ومثله ابن سيرين [5].

وكان خاتم مالك الذي مات وهو في يده فضة كله ، وله فص من حجر أسود وكان يلبسه في يساره فإذا توضأ حوله في يمنيه[6]،وكان خاتم عبدالله بن عون من فضة إلا أن فصه منه [7]، وكذلك كان خاتم الضحاك بن مزاحم إلا أن فصه شبه القوارير [8]، وكان خاتم عمر بن عبدالعزيز من فضة ، وفصه من فضة أيضاً .

وكان لمكحول عالم الشام خاتماً من حديد قد لوي عليه (أي جعل حوله) شيء من الفضه حتى لم يعد يظهر من الحديد شيء وكان يتختم في يساره [9]، وكان خاتم ابراهيم النخعي من حديد أيضاً [10].

---

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٣٦٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٥٣ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٣ .

(٢) أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٧١ .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٣٣٢،٣٣٣ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٥٩ .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٦٨ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٣ .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص١١٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٤٢ – ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ .

(٧) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٣ .

(٨) المصدر نفسه ج٦ ص٣٠١ .

(٩) الذهبي : السير ج٥ ص١٤٦ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٤٥٣ .

(١٠) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٨٢ .

وقد ورد أيضا أن سالم بن عبدالله بن عمر كان يلبس خاتما من ورق، والــــورق على ما يبدو هو الفضة (١)، وكان يلبسه في يده اليسرى في الخنصر (٢).

وأما خواتم الذهب فلم نجد في المصادر من لبسها غير عكرمة مولى ابن عبــاس إذ تذكر الرواية أنه كان يلبس خاتما من الذهب في يده (٣)، وربما كان سبب ذلـــك أن التحريم لم يبلغه وكان لبسه له قبل بلوغه التحريم، ثم من غير المعقول أن يلبس عكرمـة الذهب وهو يعلم حرمته على الرجال وكيف يفوته مثل هذا !

ومن الملفت للنظر أن جميع العلماء الذين كانوا يتختمون اعتادوا أن ينقشوا هـذه الخواتم بعبارات أو صور معينة، وربما كان الهدف من ذلك ، أن يعرف الواحد منـــهم بهذا الرمز ويكون له علامة تميزه عن غيره ، ومما يؤيد ذلك أن بعض هـــذه النقــوش كانت عبارة عن اسم العالم ، صاحب الخاتم أو كنيته (٤)، فكان نقش خاتم ابن ســيرين كنيته (أبو بكر)(٥) كما كان نقش خاتم سالم عبدالله اسمه أيضا (٦) وكان نقش خـــاتم سعيد بن جبير عبارة (عز ربي واقتدر) قال فقرأه ابن عمر فنهاني ، فمحوته وكتبــت سعيد بن جبير (٧).

ومما يلفت النظر ويدعوا إلى الإعجاب بالعلماء ، أنهم كانوا يجعلون نقش خواتمهم عبارات معينة ، عندما نطلع عليها نجد أنها تعبر عن الخلفية العقدية والفكرية والثقافيـة التي كانوا يعيشونها ويؤمنون بها، كما أنها تعبر عن اهتمامات العلماء، وهل كانت هذه الاهتمامات فكرية علمية، أم معيشية دنيوية، أم تتعلق بالآخرة والحساب ... هذا مـا

---

(١) الرقة هي الفضة ، والورق : الدراهم بعينها والجمع أوراق ، وربما سميت الفضة ورقا { ابن سيده : المخصـص ج٣ ص٢٤ السفر ١٢ } .

(٢) ابن سعد :ج٥ ص١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ج٥ ص٢٩٣ .

(٤) كان نقش خاتم محمد بن علي بن حسين هو اسمه،وكان إذا جامع جعله في فمه{ابن ســـعد:الطبقـــات ج٥ ص٣٢٣} .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٦١٨ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٣ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٦ .

(٧) المصدر نفسه ج٦ ص٢٥٨ .

سنعرفه من خلال هذه العبارات، فيروي أن نقش خاتم مكحول كان عبارة (رب باعد مكحولا عن النار)[1] ونقش خاتم الإمام مالك عبارة (حسبي الله ونعم الوكيل بكتاب جليل) فقيل له لماذا ؟ فقرأ قول الله تعالى ﴿ وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾ [2] (سورة آل عمران : ١٧٣،١٧٤) كما كان نقش خاتم ابراهيم النخعي عبارة (ذباب لله ونحن له) أي أنه يحتقر نفسه في ذات الله وقيل (بالله وله)[3] .

ونجد أيضا عبارات أخرى ذات دلالات تعبر عن جوانب أخلاقية مثل نقش خاتم عمر بن عبدالعزيز (الوفاء عزيز) [4] .

والملاحظ أن التحلي بالخواتم لم يكن يفعله كل العلماء إذ نجد رواية عند ابن سعد[5] تدل على ذلك فقد أورد أن الليث بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس بن كيسان، ومجاهد بن جبر، لم يكونوا يتختمون .

وفي آخر حديثنا عن الزينة لا ننسى أن نشير إلى بعض المظاهر التي يمكن أن نعتبرها فردية ، لأنها لم تذكر كثيرا في المصادر وخاصة مصدرينا ، وعليه ربما كان لهذه المظاهر ما يشبهها، فيذكر أن أبا حمزة الضبعي[6] كان يشد بعض أسنانه بالذهب[7]، وربما كان ذلك كنوع من العلاج، كما يفعلونه اليوم، وربما كان زينة .

---

(١) المصدر نفسه ج٧ ص٤٥٣ .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص١١٣ ، والزيادة عند ابن فرحون وهي فقيل له لماذا ... الديباج المذهب ص١٣ – أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٢٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٨٢ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٢٢٩ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٣٤ .

(٥) الطبقات ج٥ ص٤٦٦ .

(٦) هو أحد الأئمة الثقات ، حدث عن ابن عباس وابن عمر وغيرهم، وقد أقام عند ابن عباس شهرين يتعلم منه (ت ١٢٧هـ/٧٤٤م) { الذهبي : السير ج٥ ص٢٤٣ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٣٥ } .

(٧) الذهبي : السير ج٥ ص٢٤٣ ، وكذلك يروى أن عبدالله بن عون كانت بعض أسنانه مشدودة بالذهب { ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٨ }. وكذلك يروى أن الإمام مالك كان يحضر حلقة ربيعة بن أبي عبدالرحمن وفي أذنيه شنف ويعقب الراوي على ذلك بقوله:وهذا يدل على أن مالك طلب العلم وهو صغير{ابن فرحون : الديباج=

الطعـــــام :

عرف العلماء الكثير من أنواع الأطعمة، سواء ما كان معروفا من قبـــل، أو مـــا استحدث صنعه في هذه الفتره ، فكانوا يأكلون من هذه الأطعمة مثـــل الخبيـــص[١]، واللحم والفالوذق وقيل الفالوذج[٢]، والخبز والفاكهة، وغير ذلك من الأطعمة .

قال عبدالله بن عون :" ما أخطأني يوم عيد إلا أتيت محمد بن ســـــيرين – أي في مترله – فلا يعد مني أن أصيب فيه خبيصا أو فالوذقا "[٣] وبما أن الفالوذج كان مـــن الطعام المرغوب والمكلف في نفس الوقت ، فمن المحتمل أن البعض من العلماء كـــانوا يأكلونه في الأعياد، ويحتمل غير ذلك، وكان إسماعيل بن عياش[٤] إذا جاءه إخوانـه إلى مزرعته يطعمهم اللحم والخبيص[٥] ، وصحب قوما عبدالله بن المبارك من مصـــر إلى مكة، فكان يطعمهم الخبيص[٦] وإضافة إلى الخبيص فقد كان ابـــن المبـــارك يـــأكل الفالوذق يوميا، حتى لقد ذكر أنه ذات يوم عمل سفره قدم فيها خمسة وعشرين خوانا – أي مائدة – فالوذقا، وبلغ من حبه لأكله أنه كان يصحب معه غلامـــا في أســـفاره لعمل الفالوذق[٧] .

وقد يقول قائل : إذا كان هذا النوع من الطعام بهذه الكلفة، فكيف كان يأكله

= المذهب ص٢٠}ومن هنا نستدل على أن لبس هذا الشنف ربما كان يعتاد بعض الصغار لبسه،والشنف هو الذي يلبس في أعلى الأذن والذي في أسفلها القرط وقيل الشنف والقرط سواء {ابن منظور:لسان العرب ج٢ص٣٦٩}.

(١) الخبيص: نوع من الحلوى ، والخبيص من الخبص وهو خلطك الشيء بالشيء { ابن سيده : المخصـــص ج١ سفر ٥ ص٢٠ } .

(٢) الفالوذج : نوع من الحلوى { ابن سيده : المخصص سفر ٥ ص٢٠ } وقال أحد العلماء وفي تعريفه ، يصنع من لباب البر ويخلط بلعاب النحل – أي العسل – مع خالص السمن ، والفالوذج هو نفس الفالوذق .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٠١ .

(٤) إسماعيل بن عياش بن سليم الأمام الحافظ محدث الشام بقية الأعلام أبو عتبة الحمصي العنسي مولاهم وكان من بحور العلم ، صادق اللهجة متين الديانة صاحب سنه وأتباع وجلالة وقار (ت ١٨١هـ /٧٩٧م){ الذهبي : السير ج٨ ص٣١٢،٣١٣،٣١٤،٣٢٧ } .

(٥) الذهبي : السير ج٨ ص٣١٥ .

(٦) المصدر نفسه ج٨ ص٣٨٤،٣٨٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٥٩ .

(٧) الذهبي : السير ج٨ ص٤٠٩،٤١٠ .

العلماء، والمفترض أن يزهدوا فيه ؟ والحقيقة أن العلماء في هذه الفترة كانوا يـأكلون من أطـيب الأطعمة وأفضلها إذا ما توفرت لهم وكانت حلالاً طيباً، فالله تعالى يقـول ﴿ قل من حرّم زينة اللهِ التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾[1]. ومن هنا فلا مجال للتنطع والزهد الكاذب، وتحريم ما أحل الله تعالى، ولذلك كان العلماء في هذه الفـترة يواجهون مثل هذه المفاهيم بصرامة وشدة، فهذا أحد أصحاب الحسن البصري كـان يمتنع عن أكل الفالوذج أو الخبيص، فقال له الحسن: "بلغني أنك لا تأكل الفـالوذق، فقال الرجل: أخاف أن لا أؤدي شكره ، فقال له الحسن : يالُكَع وهل تؤدي شـكر الماء البـارد في الصيف الذي تشـربه ،والحـار في الشتاء ،أما سمعـت قـول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ "[2](سورة البقرة :آية ١٧٢) .

وكان أحب الطعام إلى العلماء اللحم ، كما هو الحال عند غـيرهم ، فكـانوا يأكلون منه ويطعمون أهلهم وأولادهم ، فهذا الحسن البصري كان يشتري كل يـوم لحماً بنصف درهم ، حتى قال عنه أيوب السختياني :" ما وجدت ريح مرقة طبخـت أطيب من ريح قدر الحسن "[3] وهذا الإمام مالك أيضاً كان يشتري من اللحم يوميـاً بدرهمـين[4]، وكـان الليـث بـن سـعد لا يـأكل إلا بلحـم إلا إذا مرض[5]، كذلك عبدالله بن المبارك، كان يُشوى له كل يوم جدي، وأحيانـاً دجاج، قال الراوي : "رأيت بعيرين محملين دجاجاً مشوياً لسفرة ابن المبارك ".[6]

ولعلّ هذا لم يكن حال العلماء جميعهم ، فكان البعض من العلماء يأكله أحياناً

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٣٢) .

(٢) ابن سعد:الطبقات ج٧ ص١٧٦– ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٣ ص٢٠٣– ابن خلكان :الوفيات ج٢ ص٧١.

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٥٧٧ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٦٧ .

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ . وبلغ من حرصه على أكل اللحم أنه كان إذا لم يجد ما يشتري به يقوم ببيع بعض متاع البيت { ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ } .

(٥) الذهبي : السير ج٨ ص١٥٠ . وكان الشعبي يداوم على أكل اللحم حتى أنه كان يقول أني لأترك اللحم مخافة النسيان{ أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٣١٨ } .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص٤٠٩ .

مثل سالم بن عبدالله بن عمر[1]، والذي كان يقول :" إياكم ومداومة اللحم فإن لـه ضراوة كضراوة الشراب " [2].

وعرف العلماء أكل الأطعمة الأخرى، والتي هي في متناول أيدي الناس جميعا، مثل الخبز، والزيت، والفاكهة، والتمر، والجبن، ونحو ذلك، فكان من طعام الحسن البصري الخبز والفاكهة [3]، وكان الإمام مالك في مبتدأ حياته يأكل الخبز والزيت [4]، وكان سفيان الثوري يأكل في بعض الأحيان الخبز المكسر مع الجبن [5]، وبناء على ما سبق يمكن القول إن العلماء كانوا يأكلون من الأطعمة الطيبة والشهية، وكذا من الأطعمة المتواضعة .

ولعل أهم ما كان يميز العلماء عن غيرهم في هذا المجال بعض الأمور العملية نذكر منها :

أولا – الحرص على عدم الإسراف في الطعام، فلقد ورد أن محمد بن سيوين كان يزن طعامه وزنا [6]، وذلك حتى لا يزيد أو ينقص .

ثانيا – الحرص على تحري المال الحلال من أجل الطعام الحلال، والأخبار عن العلماء في ذلك كثيرة ، ويكفي هنا أن نشير إلى مثال أو اثنين ، فهذا إبراهيم بن أدهم قيل له: "منذ كم قدمت الشام ؟ فقال منذ أربع وعشرين سنة، ما جئت لرباط ولا لجهاد ، جئت لأشبع من خبز الحلال"، وكان يقول: "ما نبل عندنا من نبل بالجهاد ولا بالحج، بل بعقل ما يدخل بطنه" [7] وفي هذا دليل على أن الفرد مهما جاهد وحج ومطعمه من حرام فإن ذلك لن يفيده شيئا، ومن هنا كان اهتمام العلماء بمسألة الطعام

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٤ .

(٢) ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٤٩ .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٥٧٧ .

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص٢٦٥ ، وكان إبراهيم النخعي يعجبه أن يكون في بيته تمر { ابن سعد : الطبقلت ج٦ ص٢٧٦ } .

(٦) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٩٦ .

(٧) الذهبي : السير ج٧ ص٣٩٠ .

منصب على هذا الأمر، فمادام الإنسان يكتسب حلالا، فليأكل ما شاء من أطايب الطعام والشراب ، وإن لم يتيسر له ذلك فخير له أن يأكل الخبز اليابس والماء ، ولا يقدم على أكل الحرام ، وهذا ما كان عليه العلماء، فقد روي أن أحد أصحاب سفيان الثوري دخل عليه وهو يأكل طباهج ببيض،فتعجب الرجل،وقال له مستنكرا ما هذا ؟ فقال: لم آمركم أن لا تأكلوا طيبا، اكتسبوا طيبا وكلوا"[1]، وقد مر معنا أن سفيان كان يأكل الخبز المكسر .

ثالثا- شكر هذه النعمة - نعمة الطعام الطيب - شكرا عمليا ، لا شكرها بأن يحرموا أنفسهم منها فالله تعالى لم يأمر بهذا، ويتمثل هذا الشكر العملي في إطعام الناس وبخاصة الفقراء والمساكين، وإشراكهم في هذه النعمة، فهذا الليث بن سعد - وكان من الأغنياء - لم يكن يأكل إلا ومعه بعض الناس سواء من الفقراء أو من غيرهم واستمر على هذا المنوال فترة طويلة، وكان يرحم الناس في الشتاء حين يكون البرد قارسا-وهذا معروف في مصر- فلا يأكل وحيدا ويترك الناس، فكان يطعمهم الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي فصل الصيف يطعمهم سويق اللوز بالسكر [2].

وهذا أبو حنيفة كان لا يأكل من طعامه إلا بعد أن يأخذ منه مقدار الثلثين ثم يجعله في الخبز ويعطيه إنسانا فقيرا أو مسكينا فإن لم يجد فيعطي أحدا من عياله أو أقاربه[3].

ونوع آخر من الشكر كان يقوم به بعض العلماء، بعد أن يكونوا قد شبعوا من أكل أطيب الطعام ، فيروى أن سفيان الثوري لما رحل إلى اليمن استضافه عبدالرزاق الصنعاني[4]،

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٢٧٧ ، والطباهج هو اللحم المشرح ، وعند ابن سيده هو الكباب {المخصص ج١ سفر ٤ ص١٢٧ } .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص١٥٠ - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٣ ص٩ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٥٨ .

(٤) هو عبدالرزاق بن همام الصنعاني ، المشهور ، الحافظ الكبير ، صاحب التصانيف ، ولد سنة ١٢٦هـ (ت ٢١١هـ/٨٢٦م) عاش ٨٥ سنه { الذهبي : السير ج٩ ص٥٦٣ - ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٤٨ - ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٥٦٣ } .

فطبخ له قدر سكباج[1] فأكل منه ثم أحضر له من زبيب الطائف فأكل فلما شبع ، لم يقم لينام ، وإنما قام يصلي حتى الصباح[2]، وأكل ذات مرة تمرا بزبد فقام يصلي حتى زالت الشمس[3].

وقد يتصور البعض عندما يسمع مثل هذا الاهتمام بالطعام من قبل العلماء ، أن هذا الامر كان همهم الأول وشغلهم الشاغل، والحقيقة غير ذلك ؛ لأن الطعام من أمر الدنيا، والعلماء كما نعرف قد تركوا الدنيا وراء ظهورهم ، وجعلوا نصب أعينهم رضاء الله والجنة ، لأن قيمة الدنيا ومتاعها لا يساويان شيئا في ميزان الآخرة ، ولهذا كان محمد بن واسع يقول: "طوبى لمن وجد عشاء ولم يجد غداء ، ووجد غداء ولم يجد عشاء والله عنه راض" [4]، وكان شعبة بن الحجاج يقول :" إذا كان عندي دقيق وقصب – القصب : المعي أي الأمعاء – ما أبالي ما فاتني من الدنيا "[5].

ومن هذا المنطلق المتمثل في عدم الحرص على الدنيا والرغبة بما عند الله تعالى نجد أن هناك عددا من العلماء كانوا يقتصرون في حياتهم على الطعام البسيط ، مع قدرتهم على أكل ألوان الطعام الطيب، فهذا القاسم بن مخيمرة الهمداني قيل عنه إنه لم يكن يجتمع على مائدته لونان من طعام ، وكان إذا دعي إلى وليمة لا يأكل أيضا إلا من لون واحد[6]، وكان من التجار كما سيأتي معنا [7]، وهذا مالك بن دينار قيل إنه ربما مرت عليه السنة لا يأكل فيها لحما إلا من أضحيته، وكان إدامه في كل سنة بفلسين ملح[8]،

---

(١) السكباج : لحم يطبخ بخل التاج { الذهبي : السير ج٧ ص٢٧٧ } .

(٢) الذهبي : السير ج٧ ص٢٧٧ .

(٣) المصدر نفسه : ج٧ ص٢٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ج٦ ص١٢٠ ، وكان أبو حازم سلمة بن دينار يمر على الفاكهة في السوق فيشتهيها ، فيقول : موعدك الجنة { أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٢٤٦ } .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص٢٠٧ .

(٦) المصدر نفسه ج٥ ص٢٠٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٥٢ – أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٨٠ .

(٧) أنظر صفحة ٢١٢ من الفصل الرابع .

(٨) الذهبي : السير ج٥ ص٣٦٤ .

وكان عبدالواحد بن زيد[1] يأكل الخبز والملح ويقول :" عليكم به فإنه يذيب شحم الكلى ويزيد في اليقين "[2] ، وقال أبو حمزة السكري[3]، وكان من الميسورين الذين ينفقون على الآخرين[4]: "ما شبعت منذ ثلاثين سنة إلا أن يكون لي ضيفٌ"[5]، وحتى العلماء الذين كانوا يأكلون أطايب الطعام، فلم يكن ذلك متملكاً عليهم أنفسهم وإنما كانوا يفعلون ذلك ما داموا ميسورين ولا يمتنعون من هذه النعم، وإذا لم يتمكن لهم ذلك لا يضيقون ذرعاً .

وهناك بعض العلماء كانوا يفضلون العيش على الكفاف ولا يمدون أيديهم لأمير أو سلطان، أو أن يتجّروا بعلمهم، أو أي شيء من قبيل ذلك ، فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي[6] كان من العلماء الزاهدين المتعففين، فكان الملوك يقصدونه لينال منهم ، فلم يكن يفعل، وكان ربما يبيت على كسرات يابسة من الخبز[7]، حتى لقد قيل عنه أنه كان لا يقدر على فلسين وطلابه يكسبون بعلمه الأموال[8] ، وكان مسعر بن كدام[9]

---

(١) هو عبدالواحد بن زيد ، الزاهد ، القدوة ، شيخ العباد ، أبو عبيده البصري ، حدث عن الحسن وعطاء بن أبي رباح ، وعباده بن أنس وغيره ، توفي بعد المئة والخمسين هجرية { الذهبي : السير ج٧ ص١٧٨،١٨٠} .

(٢) الذهبي : السير ج٧ ص١٧٩ .

(٣) هو أبو حمزة السكري الحافظ الإمام الحجة عالم مرو واسمه محمد بن ميمون (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م) { الذهبي : السير ج٧ ص٣٨٥ – ابن الجوزي المنتظم ج٨ ص٣٠١- ابن حبان : المشاهير ص٣١١} .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٠٢ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص٣٨٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٠٢ .

(٦) الخليل : الأمام ، صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض وأمام علم النحو ، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ، أحد الأعلام ، وكان رأساً في لسان العرب ديناً وورعاً ، متواضعاً ، كبير الشأن ، وله كتاب العين ومات ولم يتمه ، وكان يحج سنه ويغزو سنه (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) { الذهبي : السير ج٧ ص٤٢٩،٤٣٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٧٩،٢٨١ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٢٤٤،٢٤٨- وانظر أيضاً : أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ص٥٤-٧٢} .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٠ .

(٨) الذهبي : السير ج٧ ص٤٣٠ .

(٩) هو مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث،شيخ العراق،أبو سلمة الهلالي الكوفي،الأحول،الحافظ،قد جمع العلم والورع،وكان كثير البكاء ،(ت١٥٥هـ/٧٧١م){الذهبي: السير ج٧ ص١٦٣،١٧٣-ابن الجوزي =

يأكـــل الخـــل والبقل ويقول من صبر على الخل أو البقل لم يُستعبد[1] ، وكان ســالم بن عبدالله بن عمر يأكل على الخل والزيت ، وكان ذا جسم قوي فلما رآه ســليمان بن عبدالملك ، تعجب وقال له: أي شيء تأكل ؟ فقال: "الخل والزيـــت، فقـــال: أو تشتهيه؟ قال : نعم ، قال : فماذا تصنع إذا لم تشـــتهيهما ؟ قـــال : أدعـــهما حـــتى أشتهيهما[2]، وكان سالم لا يقبل أي شيء من الخلفاء[3] ، وأمثال هؤلاء العلمـــاء كثير منهم ابن أبي ذئب كان يتعش على الخبز والزيت[4] .

وقبل أن ننهي الحديث عن الطعام لا بد من الإشارة إلى عدد وجبات الطعام الـتي كان العلماء يتناولونها في هذه الفترة ، وكذا أوقاتها ، والحقيقة أن المعلومات حول هذا الموضوع قليلة ، ولكننا من خلالها ربما استطعنا أن نوضح ذلك .

جاء في سير أعلام النبلاء ما مفاده ، أن رجلاً صحب الليث بن سعد عشرين سنه فكان لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس[5]، وكـــان محمد بن واسع يقول: "طوبى لمن وجد عشاء ولم يجد غداء، ووجد غداءً ولم يجد عشاء" [6]، ومن خلال هذه الروايات نستنتج أن العلماء في هذه الفترة وغيرهم من الناس لم يكونوا يتناولون إلا وجبتين وهما الغداء والعشاء[7]، إذ إن هـــذه الروايات لم تذكر سوى الغداء والعشاء ، مع أن ذلك

=المنتظم ج٨ ص١٥٩م- ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٨٦،٢٨٨- أنظر أيضـاً ابـن حبـان : المشاهير ص٢٦٧- السيوطي : طبقات الحفاظ ص٨١،٨٢} .

(١) الذهبي : السير ج٦ ص١٦٥ .

(٢) المصدر نفسه : ج٤ ص٤٦٠،٤٦٣ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٤ — ابن ســعد : الطبقـات ج٥ ص٢٠٠،٢٠١ — البلاذري : أنساب الأشراف القسم الخامس B1 ص٥١٣ — ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص١٤ — ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٤٩ — الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٥٥٦ .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٦ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٥،٢٩٦ .

(٤) الذهبي السير ج٧ ص١٤١ .

(٥) المصدر نفسه ج٨ ص١٥٠ .

(٦) المصدر نفسه ر ج٦ ص١٢٠ .

(٧) ويدل على ذلك أيضاً أن عمر بن الخطاب لما أراد أن يفرض الأرزاق الشهرية من الطعام للناس قدرها بحساب وجبتين من الطعام يومياً { أبو عبيد : القاسم بن سلام الأزدي (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م) الأموال ص١٠٧ ط أولى ، ١٩٨١م ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت لبنان } .

الرجل صحب الليث عشرين سنة ولم يذكر سوى الغداء والعشاء، ولو كان هناك وجبة أخرى لكان ذكرها، ومما يؤيد هذا الرأي أيضاً، ما ذكر عن العلماء الذين كانوا يسردون الصوم – أي يتابعونه – وأهلهم لا يعلمون ذلك ، إذ كانوا يتناولون إحدى الوجبات – وهي العشاء – معهم والأخرى – التي هي الغداء – يوهمونهم أنهم يتناولونها في السوق، فقد ذكر الذهبي بسند طويل أنّ داود بن أبي هند صام أربعين سنه وأهله لا يعلمون "كان خزازاً يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق ويرجع عشياً فيفطر معهم "[1] ومثله عمرو بن قيس الملائي .[2]

أما بخصوص أوقات هذه الوجبات ، فالذي يبدو لنا من خلال ما سنذكره من روايات أن طعام الغداء كانوا يتناولونه في الصباح الباكر قبل خروجهم للعمل،أو حين انتصاف النهار– أي قبل القيلولة التي تسبق صلاة الظهر بساعة أو تزيد تقريباً ، وأما العشاء فكانوا يتناولونه بعد صلاة المغرب وأحياناً قبل .

قال ابن سيده[3] : الغداء طعام الغدو ،والعشاء طعام العشي ، وقال أبو علي الغداء من الغداة والعَشاء من العِشاء ، وقال ابن سيده[4] : أيضاً في تفسيره لكلمة الغدو التي هي طعام الغداء: الغُدُوّ جمع غدوة ، ويقال أتيته غدوة وهو ما بين صلاة الغداة – أي الفجر – وحتى طلوع الشمس ، وعليه فإن هذه التعريفات تؤيد الرأي القائل بأن طعام الغداء كانوا يتناولونه في الصباح الباكر، ويؤيد هذا رواية عن أحد العلماء وهو القاضي شريك ، الذي قيل إنه لم يكن يخرج إلى مجلس الحكم إلا بعد أن يتغدى[5]، ومن الطَبيعي أن خروجه إلى مجلس الحكم لا يكون إلا في الصباح، وكذلك ما رويَ عن عمرو بن قيس الملائي الذي ذكر أنه كان يأخذ غداءه ويغدو إلى الحانوت فيتصدق به ويصوم[6]، ومما يؤيد هذا الرأي أيضاً ما ذكر عن الخليفة

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٥ .

(٢) المصدر نفسه : ج٨ ص٩٩ .

(٣) المخصص : ج١ السفر٤ ص١٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ج٢ السفر٩ ص٥١ .

(٥) الذهبي : السير ج٨ ص٢١٦ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٩٩ .

سليمان بن عبدالملك ، أنه دخل أحد بساتين الفاكهة بعد صلاة الفجر، وأكل مع أصحابه حتى ارتفع الضحى ثم عاد وأكل حتى علت الشمس ثم دخل ولم يلبثوا إلا قليلا حتى جاء كبير الطباخين وأدخل الغداء .(1)

وهناك روايات أخرى تدل على أن الغداء كان يتناول حين انتصاف النهار قبل القيلولة إذ يذكر ابن الجوزي(2) أن الخليفة هشام بن عبدالملك كان يتناول أول وجبة في يومه حين انتصاف النهار وهي الغداء ثم يذهب للقيلولة ثم يصلي الظهر، ويذكر المسعودي(3)أيضا أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان يتناول طعام الغداءقبل القيلولة، وطعام العشاء قبل صلاة المغرب .

والذي يمكن أن نستنتجه من كل ما سبق أن العلماء كانت لهم وجبتان وهي طعام الغداء وكان البعض يتناولونها في الصباح الباكر ، والبعض الآخر حين انتصاف النهار، طعام العشاء وكانوا يتناولونها بعد المغرب أو قبله، وأما عن طعام الصبوح أو الإفطار فلم نجد له ذكر في المصادر التي بين أيدينا وخاصة عند العلماء ، وقد عرفه ابن سيده(4)فقال:"الصبوح هو ما شرب بالغداة حارا،وبالتالي فمن المحتمل أنه شراب وليس طعام سواء كان من الحليب أو غيره،ويحتمل أن ذلك كان موجودا في حياتهم.

الشراب :

تتحدث الروايات عن بعض الأشربة التي كان البعض من العلماء يشربونها في مجالسهم أو بيوتهم،وأحياناً في المسجد، فمن هذه الأشربة، العسل، والسكر، والسويق، والنبيذ، وغيرها من الأشربة، فقد ذُكر أن ابن شهاب الزهري كان يكثر من شرب العسل، ويسمر عليه كما يسمُر أهل الشراب على شرابهم ويقول : "إنه يُذكّر"(5)

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم ج7 ص16،17 .

(2) المصدر نفسه ج7 ص98 .

(3) علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346 هـ/ 957م) مروج الذهب ومعادن الجواهر ج3 ص40 ، تحقيق/ محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة (بدون طبعة وتاريخ).

(4) المخصص ج2 السفر 9 ص48 .

(5) الذهبي : السير ج5 ص332،335 .

ولقد سئل الأمام مالك عن شرابه ما هو؟ فقال : في الصيف السكر – كأنه قصب السكر – وفي الشتاء العسل" [١] .

هذا ما ورد من معلومات حول بعض الأشربة، وأما بخصوص شراب السويق[٢] فإن هناك رواية تذكر أن هشام بن عروة كان يشربه[٣]، وبالطبع فإن ما ذكر عن بعض العلماء الذين كانوا يشربون مثل هذه الأشربة ، ينطبق على غيرهم من العلماء .

ومما يذكره ابن سعد[٤] : أنه كان يؤتى بالأشربة في شهر رمضان إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه لا يذكر نوع هذه الأشربة ، فيشرب الناس، ومن جملة الحضور سعيد بن المسيب، فكان إذا جيء له بشراب من منزله شربه، وإن لم ، لا يشرب شيئا حتى ينصرف إلى منزله .

وإضافة إلى هذه الأشربة فإن الروايات تتحدث أن البعض من العلماء كانوا يشربون النبيذ[٥]، فلقد ذكر في أكثر من رواية أن القاضي

---

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ .

(٢) السويق : ما يتخذ من الحنطة أو الشعير ، يقال سويق الكرم {ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٢٤٣} .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٤٤ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٣٥ .

(٥) قد وردت أحاديث توضح بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب النبيذ الذي لم يشتد – أي يتغير – ولم يصير مسكرا ،من ذلك مارواه ابن عباس "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينبذ له أول الليل فيشربه إذا أصبح يومه ذلك والليلة التي تجيء والغد، والليلة الأخرى والغد إلى العصر فإن بقي شيء سقاه الخادم أو أمر به فصب" { أخرجه مسلم في كتاب الأشربة باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مسكرا رقم (٥١٩٤) }وفي رواية أخرى لابن عباس أيضا "كان ينبذ له الزبيب في السقا فيشربه يومه والغد وبعد الغد فإذا كان مساء الثالثة شربه وسقاه ، فإن فضل شيء إهراقه " { أخرجه مسلم أيضا في نفس الكتاب والباب رقم (٥١٩٧) وحديث عائشة رضي الله عنها "ننبذه غدوة فيشربه عشاء وننبذه عشاء فيشربه غدوة " { أخرجه مسلم أيضا في نفس الكتاب والباب رقم (٥٢٠٠) }وقد تناول الإمام النووي حديث ابن عباس والأحاديث الباقية التي وردت بمعناه بقوله: "في هذه الأحاديث دلالة على جواز الإنتباذ ، وجواز شرب النبيذ مادام حلوا لم يتغير ولم يغل وهذا جائز بأجماع الأمة ، وأما عن سقية الخادم بعد الثلاث وصبه ، فلأنه لا يؤمن بعد الثلاث تغيره ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتنزه عنه بعد الثلاث ، وقوله (سقاه الخادم أو صبه) معناه : تارة يسقيه الخادم وتارة يصبه ، وذلك الاختلاف لاختلاف النبيذ ، فأن لم يظهر فيه تغير سقاه الخادم ولا يريقه لأنه مال تحرم إضاعته ، وترك شربه تنزها ، وإن كان قد ظهر منه شيء أراقه ولا يسقيه الخادم ، وأما قوله في حديث عائشة (ينبذ له غدوة فيشربه عشاء، وينبذ عشاء فيشربه غدوة) فليس مخالفا لحديث ابن عباس في الشرب إلى ثلاث ، ولأن الشرب في يوم لا=

شريك بن عبدالله كان ممن يشرب النبيذ ويبيحه(١) .كما ذكر الذهبي(٢) : في روايتين أحدهما بسند طويل أن سفيان الثوري كان يشرب النبيذ، وفي الأخرى أنه لم يشربه حتى أنه وصف له دواء، فقيل له نأتيك بنبيذ ، فقال : لا ، بل عسل وماء ، وفي مكان آخر يقول الذهبي(٣): "إن سفيان مع جلالة قدره إلا أنه كان يبيح النبيذ الذي كثيره مسكر" ويقول في موضع آخر: "وهو على مذهب بلده في النبيذ" ثم يقول: "ويقال إنه رجع عن ذلك(٤)، ومما يؤيد الرأي الآخر أن سفيان كان يشرب النبيذ ثم

=يمنع الزيادة ، وقال البعض لعل حديث عائشة كان زمن الحر وحديث ابن عباس في زمن الشتاء الذي يؤمن فيه التغير قبل الثلاث ، وقيل حديث عائشة محمول على نبيذ قليل ينتهي في يومه وحديث ابن عباس في كثير لا يفرغ فيه والله أعلم .{ مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ج١٣ باب (إباحة النبيذ الذي لم يشتد و لم يصر مسكرا) ص١٧٣،١٧٤،١٧٥ } ، وقد ذهب هذا المذهب ابن الأمير فقال معلقا على حديث ابن عباس برواياته المختلفة: "وفيه دليل على جواز الإنتباذ ، ولا كلام في جوازه ،ثم أجاب على من قال بجواز شرب النبيذ إذا أشتد والذين استدلوا بقوله (سقاه الخادم) قال : لا دليل على أنه بلغ حد الإسكار ، وإنما بدا فيه بعض تغير في طعمه من حموضة أو نحوها فسقاه الخادم مبادرة لخشية الفساد ، ويحتمل أن تكون أو للتنويع كأنه قال سقاه الخادم أو أمر بصبه فأهريق ، أي أن كان بدا في طعمه بعض تغير سقاه الخادم ، وأن اشتد أمر بإهراقه " { ابن الأمير : محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ/١٨٦٥م) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ج٤ ص٦٤ ، تحقيق / محمد عبدالقادر عطاء ،ط أولى ، ١٩٨٨م ، دار الفكر } .

(١) يروي أحمد بن عثمان بن حكيم عن أبيه : أن شريك بن عبدالله كان لا يجلس للحكم حتى يتغدى ويشرب أربعة أرطال نبيذ ثم يصلي ركعتين ثم يخرج رقعه فينظر فيها ثم يدعو الخصوم ، فقيل لأبنه عن الرقعة فأخرجها فإذا بها يا شريك أذكر الصراط وحدته ، يا شريك أذكر الموقف بين يدي الله تعالى { الذهبي : السير ج٨ ص٢١٦} وورد هذا الخبر عند ابن الجوزي عن طريق الراوي نفسه وبنفس الصيغة ، إلا أنه ليس فيه (ويشرب أربعة أرطال نبيذ) { المنتظم ج٩ ص٣٤ أو غيرها } فهي ساقطة ولا ندري لماذا أسقطها هل لأنه لم يستسيغها أم لأنها وردت إليه هكذا ، وإذا افترضنا بأن الخبر موضوع على شريك ، فكيف وهناك روايات أخرى تؤكد الأولى ، منها أنه كان يوما في مجلس يضم بعض الفقهاء والأشراف فتذاكروا النبيذ ، فرخص من حضر من العراقيين فيه ، وشدد الباقون ، وشريك حاضر ، فقيل له فقال في رواية له : أن عمر كان يشرب النبيذ وكذلك سفيان الثوري ، رآه بنفسه يشرب النبيذ { الذهبي : السير ج٨ ص٢١٦ } ويذكر ابن خلكان : أيضا أن شريك خرج يوما إلى أصحاب الحديث ليسمعو منه ، فشموا منه رائحة النبيذ فقالوا له : لو كانت هذه الرائحة منا لاستحينا ، فقال لأنكم أهل ريبة { ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٦٥،٤٦٦ } .

(٢) الذهبي : السير ج٧ ص١٦٠،٢٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ج٧ ص٢٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ج٧ ص٢٤١ .

تركه، وما رواه القاضي شريك وهو في بعض المجالس حين اختلفوا في أمر سفيان الثوري، فقال بعضهم شرب سفيان ، وقال آخرون : بلغنا أن سفيان تركه ، فقال شريك :"لا أنا رأيته يشرب في بيت خير أهل الكوفة في زمانه مالك بن مغول[1] " .

هذا ماورد عن شرب بعض العلماء للنبيذ بشكل عام دون تخصيص غير أن هنالك روايات أخرى تذكر أن بعض العلماء كانوا يشربون النبيذ والمأخوذ من الأوعية التي لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم نهي أو تحريم عن الإنتباذ فيها[2]، مع أن هذا التحريم أو النهي نُسِخَ بعد ذلك ووردت أحاديث بجواز الإنتباذ فيها أو في أي إناء[3]، ومع ذلك فإن العلماء كانوا يتنزهون عن شرب النبيذ من هذه الأوعية ويشربونه مما سواها،

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص٢٠٣ ، ومالك : هو مالك بن مغول بن عاصم بن غزيه ، الأمام الثقة المحدث أبو عبدالله البجلي الكوفي ، وكان من سادات العلماء (ت ١٥٨هـ/٧٧٤م) { الذهبي : السير ج٧ ص١٧٤،١٧٥ — ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٣٦٥ — ابن حبان : المشاهير ص٢٦٧} .

(٢) من ذلك الحديث الذي رواه ابن عباس في حديث وفد عبد القيس "وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمقير" وفي رواية قال والمزفت ، وحديث أبو هريرة نفسه وفيه زيادة "ولكن اشرب في سقائك وأوكه " قال الإمام النووي: " الدبّاء هو القرع اليابس ، والحنتم فقد اختلف فيها وأصح الأقوال وأقواها أنها جرار خضر ، والثاني أنها الجرار كلها ، والثالث أنها جرار يؤتى بها من مصر مقيرات الأجواف ، والرابع أنها جرار حمر أعناقها في جنوبها يجلب فيها الخمر من مصر —وعن عطاء أنها جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم— وأما النقير: فهو جذع ينقر وسطه،وأما المقير فهو المزفت المطلي بالقار وهو الزفت،ومعنى النهي عن الإنتباذ فيها لأنه يسرع إليه الإسكار فيها فيصير حراماً نجساً، لأنه ربما شربه بعد إسكاره من لم يطلع عليه، ولم ينه عن الإنتباذ في اسقية الإدم (والإدم الجلد الرقيق) بل أذن فيها لأنها لرقتها لا يخفى فيها المسكر بل إذا صار مسكراً شقها غالباً ، وقوله صلى الله عليه وسلم (ولكن اشرب في سقائك وأوكه) معناه أن السقاء إذا أوكى أمنت مفسدة الإسكار لأنه متى تغير نبيذه وأشتد وصار مسكراً شق الجلد الموكي ، فما لم يشقه لا يكون مسكراً بخلاف الدباء والحنتم والمزاده المجبوبة والمزفت وغيرهما من الأوعية الكثيفة ، فأنه قد يصير فيها مسكراً ولا يعلم"{ صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص١٨٥ .

(٣) نسخت بحديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كنت نهيتكم عن الإنتباذ إلا في الأسقيه فانتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكراً " { أخرجه مسلم في كتاب الأشربة باب نسخ النهي عن الإنتباذ في الأوعية رقم (٥١٧٥) } . يقول الإمام النووي: وهذا الذي ذكرناه من كونه منسوخاً هو مذهبنا ومذهب جماهير العلماء ،والقول بالنسخ هو أصح الأقاويل ، قال: وقال قوم : التحريم باق وكرهوا الإنتباذ في هذه الأوعية، ذهب إليه مالك وأحمد وإسحاق وهو مروي عن ابن عمر و ابن عباس رضي الله عنهم ، والله أعلم {النووي:صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص١٨٥،١٨٦ } .

ومن هؤلاء العلماء محمد بن الحنفية الذي ذكـــــر عنه أنه كـــان يشرب نبيذ[1] الــدن [2] ، وعلـــي بـــن الحســـين، روي أنــه كـــان ينبــذ لـــه في الســـعن[3] في العيدين[4] وكان عمر بن عبدالعزيز يرى إباحة الإنتباذ في السعن إذ كتب إلى أهــل الكوفة ... في رسالة طويلة (والنبيذ حلال فاشربوه في السعن) قال الراوي : فشــربه الناس أجمعون ، وكان إذا حصل عرس جعــلوا سعنا يسع عشر صوابئ[5] وورد عــن الشعبي أنه مر بمسجد من مساجد جهينة فقال: "أشهد على كذا وكذا من أهل هـــذا المسجد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثمائة يشربون نبيذ الدنـان في العرائس" [6] .

وإذا كان بعض العلماء شربوا النبيذ في الأواني التي رخص فيها النبي صلـــى الله عليه وسلم فإن البعض منهـم تـــركوا شرب النبيذ كلية وبشكل عام وذلك تنـزها وخوفا من الوقوع في الشبهات؛ فقد ذكر أن سليمان بن طرخان التيمي قال : "مـا في شربة نبيذ ما يجعلها الرجل خطرا على دينه وذكر له نبيذ السقاية فقال: "ما يســرني أن أحج فأشرب شربة من نبيذ السقاية "[7].

---

(١) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص .

(٢) الدن : ما عظم من الرواقيد ، وهو كهيئة الحب إلا أنه أطول في اسفله كهيئة قونس البيضه ، والجمع دنـــان وهي الحباب وقيل الدن اصغر من الحب له عسعس فلا يقعد إلا أنه يحفر له ، أما الحب فهو الجرة الضخمة ، وهـو الذي يجعل فيه الماء ، والراقود : دن طويل الأسفل يسيع داخله بالقار { ابـــن منظـور : لســان العــرب ج١ ص٥٤٦، ١٠٢٠، ١٢٠٦ } .

(٣) السعن : شيء يتخذ من أدم شبه دلو إلا أنه مستطيل مستدير وربما جعلت له قوائم ينتبذ فيه ، وقيل أن السعن القربه البالية المتخرقه العنق يبرد فيها الماء ، وقيل أن السعن قربه أو إدواة يقطع أسفلها ويشد عنقها وتعلق إلى خشبه أو جذع نخلة ثم ينبذ فيها ثم يبرد فيها ، وفي حديث عمر : وأمرت بصاع من زبيب فجعل في سعن ، وقيـــل في السعن : قربه ينبذ فيها يستقي بها { ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص١٥١ — ابن سيده : المخصص ج٢ سفر١ ص١٦٦ } .

(٤) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٨ .

(٥) المصدر نفسه:ج٥ ص٣٧٤،والخابية جمعها خواب:وهي القرابات {ابن منظور:لسان العرب ج١ ص٧٨١ } .

(٦) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٥٢ ، والعرائس : أي في الأعراس .

(٧) أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣١، ٣٢ .

ومن الأشربة التي تشبه النبيذ- مـن حيث الكراهة مع كونه قد يكون مسكراً- الـمُنَصّف[1]، فقد ذكر الذهبي : حالتين لاثنين من العـلماء كانوا يشربون من هـذا الشراب وهما الأعمـش[2] ويحي بن يعمر[3] الذي عـزله قتيبة بن مسلم الباهلي عن القضاء بعد أن علم أنه يشرب الـمُنَصّف [4].

من خلال ما سبق نستنتج أن العلماء الذين كانوا يشربون النبيذ أو المنصف قليل، وأن من شـربوا النبيذ فإن ذلك لا ينقص من قـدرهم ولا يعيبهم مادام غير مسكر ، ولهذا سئل أبو حنيفة عن النبيذ أحرام هو فقال : إنما يحرم المسكر منه[5] ، قال الذهبي: وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كل مسكر حرام)[6] .

وأما من شربوا المنصف فهم أقل من ذلك ، ومع ذلك فلعلهم شربوا منه قبـل أن يصير مسكراً وهذا ظننا بالعلماء . والله أعلم .

المنازل والأثاث والبساتين :

كثيرا ما تشير الروايات والنصوص إلى وجود بيوت ومنازل للعلمـاء ، ولكـن بصورة غير مباشرة، نفهم مـن خلالها التأكيد على أن العلماء كانت لهم منازل تؤدي الغرض منها مثل الراحة والحمـاية من البرد والحر ... الخ ، وتأتي هذه الإشـارات في أثناء الحديث عن حياة العلماء بشكل عـام ، فمثلا عند الحديث عن العالم عمرو بـن الحارث تقول الروايـة : (فكـان يخـرج مـن منـزله)[7]، والعـالم الحسـن البصـري (فـأتيت منـزله في يـوم حـار)[8]، ومـالك بـن دينـار

---

(١) المنصف من الشراب : هو الذي يطبخ حتى يذهب نصفه { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٦٤٩ } .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص٢١٥ .

(٣) هو يحي بن يعمر الفقيه العلامة المقرئ ، أبو سليمان العدواني البصري قاضي مرو ، كان من أوعية العلم وحملة الحجة (ت ٩٠هـ /٧٠٨م) { الذهبي : السير ج٤ ص٤٤١- ٤٤٣ - وانظر ترجمته في : أبو الطيب اللغـوي : مراتب النحويين ص٥٠،٥١ } .

(٤) الذهبي:السير ج٤ ص٤٤٢،وكان عمر بن عبدالعزيز يقول المنصف خمر {ابن سعد:الطبقات ج٥ ص٣٤٨} .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٤٢ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة رقم (٥١٨٢) .

(٧) الذهبي : السير ج٦ ص٣٥٣ .

(٨) المصدر نفسه : ج٦ ص٣٦٦ .

(فدخل عليه لص منـــزله)[1] والقاضي شريك (وكان له شاة في منـــزله)[2]،وصالح بن كيسان (كان له هرة في منـــزله)[3] وهكذا ، وسيتم التأكيد على ذلـــك عنـــد حديثنا عن الأثاث .

إذن فهذه الروايات عن بيوت العلماء لم تبين لنا شكل هذه المنازل ولا شـــكلها ولا سعتها وهل كانت منازل فاخرة مزينة بالنقوش أم متواضعة ، ملكـــا للعلمـــاء أم إيجارا ؟ وهكذا، وهذا ما سنحاول معرفته من خلال الروايات الأخرى التي تتحـــدث عن بيوت العلماء بشكل مباشر تقريبا، ووعلى الرغم من قلتها: حيـــث تظـــهر لنـــا الجوانب التالية :

– إن هناك عددا من العلماء لم يكونوا يهتمون كثيرا ببناء البيوت والمنازل، إذ أن هذا الأمر لم يكن يهمهم كثيرا مثل طلب العلم والجهاد، فهذا سفيان الثوري مثلا كان يقول ما أنفقت درهما في بناء[4]، وهذا سليمان بن طرخان التيمي كان له مترل يسكن فيه فسقط ، فلم يعد بناءه وإنما ضرب له فسطاطا [5] فكان فيه حـــتى مـــات فقيـــل له لو بنيته ، فقال : الأمر أعجل من ذلك غدا الموت [6].

– وهناك عددا من العلماء كانت منازلهم متواضعة جدا بحيث إن بعضهم كـــان يبني مترله من القصب أو الشجـــر، فيروى أن أبـــا وائل (شقيق بن سلمه) كان لـــه خص[7] من قصب يكون فيه هو وفرسه، فكان إذا غزا نقضه، وإذا رجـــع بنـــاه [8]،

---

(١) الذهبي : السير ج٩ ص٣٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص٢١٤ .

(٣) المصدر نفسه ج٥ ص٤٥٦ .

(٤) المصدر نفسه ج٧ ص٢٥٧ – أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٩٠،٣٩٢ .

(٥) الفسطاط : بيت من شعر ، والفسطاط : ضرب من الأبنية { ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص١٠٩٥ } .

(٦) أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٠ ، ويروي عن طاووس مثل ذلك فقد قيل له أن منـــزلك قد استهدم فلم يبـــال وقال قد أمسيت { أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٢،٧ } .

(٧) قيل للبيت من القصب خص ، لأنه يرى ما فيه من خصاصة وقيل هو البيت الذي يسقف عليه بخشبه على هيئة الأزج { ابن سيده : المخصص ج١ سفر٤ ص١٢٧،١٣٧ }.

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٤٥٤ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص١٠١ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٠٣ ، وفيه زيادة فأذا غزا نقضه وتصدق به – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٢٤٥ .

ويـــروى أيضاً أن الخليل بن أحمد الفراهيدي أقام في خص له بالبصرة ، لأنه لم يكن له هم إلا في العلم والعمل الصالح إذ كان كثيراً ما يردد :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال .[٢]

– وهناك بعض العلماء – ويبدو أنهم قليل – كانوا يسكنون بيوت الإيجار، وقـد وردت رواية واحدة وهي عن الإمام مالك تذكر أنه كان يسكن بيتاً بالإيجار [٣]، ولئن كانت هذه الرواية وحيدة إلا أنها تدل على أن بيوت الإيجار كانت موجودة منذ ذلـك الوقت وتدل على احتمال سكن البعض من العلماء فيها وبخاصة الفقراء منهم .

ولعل مـــن أهم الأسبـــاب التي جعلت هـــؤلاء العلماء لا يهتمون كثيراً بالمنازل وبنائها وزخـــرفتها، هـــو أنهم كانوا قريبين عـــهد بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وكبار التابعين ، وثانياً لأن قلوبهم لم تكن متعلقة بحب الدنيا وإنمـــا كـــانت متعلقة بالآخرة ، ولهذا كان الحسن البصري يحدّث ويقول: "كنت أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان فأتناول سقف البيت بيدي" [٤] .

وبالمقابل فـــإن هناك بعضاً من العلمـــاء كانوا يمتلكون مساكن جيدة والبعـــض منهم كان يمتلك أكثر من منزل، فقد ذكر الذهبي[٥] بسنده أن عروة بن الزبير بنى لـــه قصراً خارج المدينة في العقيق[٦]، ولما فرغ من بنائه وحفر آباره دعا جماعة من النـــاس فأطعمهم ، فجعلوا يبرّكون وينصرفون، ويذكر أن الإمام مالك كان يسكن داراً فاخرة مكتوب على بابها ما شاء الله، فكان إذا أدخل رجله قال ما شاء الله، فسئل عن ذلك ، فتلا قوله تعالى ﴿ ولولا إذ دخلت جنتـــك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ (سورة

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٤٥٤ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص١٠١ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٠٣ ، وفيه زيادة فأذا غزا نقضه وتصدق به – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٢٤٥ .

(٢) الذهبي : السير ج٧ ص٤٣٠ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٢٤٥ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٦١ .

(٥) الذهبي : السير ج٤ ص٤٢٧ .

(٦) العقيق : موضع بناحية المدينة ويقال هما عقيقان ، الأكبر مما يلي الحرّة ، وما بين أرض عروة إلى قصر المراجل و الأصفر ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهى العرصة {ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص١٣٩ } .

آل عمران : الآية ١٧٤) والجنة الدار[١]، وهذه الرواية لا تتعارض مع الرواية السابقة التي تذكر أنه كان يسكن دارا بالإيجار ، فالأمام كان ميسور الحال ويستطيع أن يستأجر دارا فاخرا ، ثم أن الرواية تنص على أنه كان يسكن ولم تذكر أنه كان يمتلك ، ومما يؤيد ذلك كله الرواية التي تذكر أن الإمام مالك عندما توفى باع أولاده كثيرا من أثاث البيت (سجاد وبسط) بما يزيد على خمسمائة دينار [٢].

وأما عن امتلاك البعض منهم لأكثر من بيت فقد روي أن عبدالله بن عون كان يمتلك دارين فكان يسكن في أحدهما[٣] ، وأما الآخر فلعله كان يؤجره ، أو يسكن فيه بعض أهله ، كما أن الليث بن سعد عالم مصر ومحدّثها كان له الكثير من المرافق والأملاك وكان يعيش في نعمة كبيرة فقد روي أنه خرج ذات مرة في رحلة نهرية فكان معه ثلاث سفن: سفينة فيها مطبخه، وأخرى فيها عائلته ، والثالثة فيها ضيوفه[٤] ، ومن هنا أيضاً نستدل على أن منزله كان كبيراً وواسعاً ومريحاً ، وعليه فلا نستبعد أن العلماء الميسورين أمثال الليث كانوا يمتلكون منازل مريحة وواسعة مثل عبدالله بن المبارك ، وأبي حنيفة وغيرهم .

وأما عن الأثاث فالذي يتضح لنا أن الرواة اهتموا كثيراً بوصف محتويات بيوت العلماء الزهاد ، وكان هذا الوصف في أغلب الأحيان دقيقاً؛ لأن هؤلاء الرواة من العلماء أنفسهم الذين كانوا يدخلون بيوت إخوانهم ، ومن جهة أخرى فقد نقلوا لنا وصفاً لمحتويات بيوت الميسورين والأغنياء من العلماء ، ولكنهم على ما يبدو أغفلوا الحديث عن محتويات منازل العلماء المتوسطي الحال .

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون الناس سينتفعون بأخبار الزهاد أكثر من غيرهم ، ولعل هذا هو ما دعا الرواة إلى نقل أخبارهم ووصف حالهم داخل بيوتهم .

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص١٣٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٤٣ – ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص١٣٢– ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٤٥ – ابن فرحون : الديباج المذهب ص٢٠ .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٣٧١ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٨ .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص١٥٠ .

قال ميمون بن مهران :" دخلت على ابن عمر – أبي عبدالله بن عمر بن الخطاب– في بيته فقومت كل شيء في بيته فما وجدته يساوي مائة درهم ، ثم دخلت مرة أخرى فما وجدت ما يساوي ثمن طيلسان ، ودخلت على سالم – أبي سالم بن عبدالله – من بعده فوجدته على مثل حال أبيه "[١] وينقل لنا شاهد عيان دخل منزل الحسن البصري فيقول :" دخلنا على الحسن نعوده فما كان في البيت شيء لا فرش ولا بساط ولا وساده ولا حصير إلا سرير مرمول[٢] هو عليه " [٣].

ونجد هذا الوصف وهذا الحال متكرر عند كثير من العلماء مثل :

– القاضي شريك : ليس في بيته إلا شاه ومطهره وباريه [٤] وجرّة فقط [٥] .

– حماد بن سلمة : ليس في مترله إلا حصير يجلس عليه ومصحف وجراب[٦] فيه علمه ومطهره للوضوء[٧] .

– داود بن نصير الطائي : لم يكن في بيته إلا بارية ولبنة[٨] يضع عليها رأسه، وإجانة[٩] فيها خبزه ومطهره [١٠] ، إذن هؤلاء العلماء وأمثالهم لم يكونوا يهتمون بالأثاث والرياش والطنافس وغيرها ، وإنما اكتفوا بالأشياء الضرورية التي لا غنى لهم

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٠ .

(٢) السرير المرمول الذي نسج وجهه بالسعف ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير { الذهبي : السير ج٤ ص٥٨٢ } .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٥٧٢ .

(٤) البارية : هي الحصير : فارسي معرب { الذهبي : السير ج٨ ص٢١٤ } .

(٥) الذهبي : السير ج٨ ص٢١٤ .

(٦) الجراب : القرعة وتكون من الجلد { ابن سيده : المخصص ج٢ سفر٦ ص١٤ } وقال ابن منظور الجراب : الوعاء معروف وقيل الجراب : وعاء من إهاب الشاء لا يُوعى فيه إلا يابس { لسان العرب : ج١ ص٤٢٩ } .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٥ .

(٨) اللبّنه : التي يبنى بها وهي مربعة من طين والجمع لبن { ابن سيده : المخصص ج١ سفره ص١٢٤ } .

(٩) الأجانة : هي المركن وهو بالفارسية أكانه { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٢٦ } ويتضح من خلال الرواية أنها الوعاء الذي يوضع فيه الخبز .

(١٠) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧٩ .

عنها ، إما ما سواها فقد آثروا عليها الآخرة ، ونعيم الجنة ، لأن المتأمل في أمر هؤلاء العلماء لا يرى تفسيرا لشأنهم سوى ما ذكرنا .

ومن اللطائف في هذا الباب ما نقل عن مالك ابن دينار إذ يروى أنه دخل عليه لص مترله ليسرق فلم يجد شيئا في البيت ، فناداه مالك : "لم تجد شيئا من الدنيا ، فترغب في شيء من الآخرة ؟ قال نعم . قال : توضأ وصل ركعتين ففعل الرجل ، ثم خرجا سويا إلى المسجد لصلاة الفجر ، فسئل مالك من ذا الرجل الذي معك . فقال : جاء ليسرق فسرقناه " [٢].

وكان من عادة بعض العلماء أن يخفي زهده أيضا في الأثاث ، فيظهر بمظهر الميسور فإذا كان وحده جلس على الحصير أو غيره ، ومن هؤلاء : أيوب السختياني ، دخل عليه بعض أصحابه ، فإذا هو على فراش مخمس أحمر ، فعمد أحدهم إلى رفعه فإذا تحته خصفة محشوة بليف[٣] ، وقال إسحاق بن بكر بن مضر[٤]: "ما كنت أرى أبي يجلس في البيت على طنفسة[٥]، ما كان يجلس إلا على حصير[٦] ، ويترك الطنافس لأهله وأولاده" .

وهناك من العلماء من كان يفرش مترله بأحسن الأثاث وأجوده ، فلقد ذكر أن القاسم بن محمد كان يجلس في قبة معصفرة ، وتحته فراش معصفر[٧] ، وكذلك داود بن أبي هند [٨].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧٩ .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص٣٦٣ .

(٣) المصدر نفسه : ج٦ ص١٦ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٨ — أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٦ .

(٤) بكر بن مضر ابن محمد ، الإمام المحدث الفقيه الحجة أبو عبدالملك المصري ، مولى شرحبيل بن حسنه رضي الله عنه (ت ١٥٤هـ/٧٧٠م) { الذهبي : السير ج٨ ص١٩٥،١٩٦ — ابن حبان : المشاهير ص٣٠٣ } .

(٥) الطنفسه : هي المرفقه الكثيرة الحشو { ابن سيده : المخصص ج١ السفر٤ ص٧٤ } .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص١٩٦ .

(٧) المصدر نفسه ج٥ ص٦٠ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٩٢ .

(٨) الذهبي : السير ج٦ ص٣٧٨ — ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٥٥ .

وكان الإمام مالك يجلس على ضجاع[1] ونمارق[2]، مطروحة يمنة ويسرة في سائر البيت لمن يأتي [3]، حتى لقد ذكر أنه بيع ما في البيت من أثاث (مخاد وبسط) وذلك بعد موته بما يزيد على خمسمائة دينار .[4]

ومما يتبع البيت والأثاث من المرافق الخارجية ، **البساتين والحدائق** ، ففي هذا المجال وجدنا المعلومات قليلة ونادرة ، إلا أن الموجود منها ربما قد يعطينا ولو بعض التصور عن مدى اهتمام العلماء بهذه المرافق ، والذي يبدو لنا من خلال هذه المعلومات التي استطعنا الحصول عليها ، أن البعض من العلماء وبخاصة الأثرياء منهم ، كان لهم بساتين وحدائق ليس للنزهة والفسحة فقط ، ولكن للاستفادة من خيراتها إذا كانت معظمها مثمرة ، فقد قيل إن عروة بن الزبير كان له بستان فيه من الرّطب الشيء الكثير، فكان إذا جاء وقت الرّطب فتح ثلمة في الجدار ثم يأذن للناس بدخوله فيأكلون ويحملون إلى بيوتهم[5]، وكان لإسماعيل بن عياش مزرعة يربي فيها الماشية ، وربما سكن فيها أحياناً[6]،ويروى أن وهب بن منبه كان له في داره بصنعاء جوزة، وقد أطعم منها عمرو بن دينار[7]،ولقدكان البعض من العلماء يعيش على هذه البساتين المثمرة ،فقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي يمتلك بستاناً خلفه له أبوه [8].

يظهر من هذا أن اهتمام العلماء كان منصباً على البساتين المثمرة ، خاصة وأننا نجد أن هذه المناطق كانت مشهورة بزراعة التمور والفواكه وغيرها مثل البصرة والمدينة

---

(١) الضجاع : مفردها مضجع ، قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أي تتجافى عن مضاجعها التي اضطجعت فيها ، وفي الحديث كانت ضجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أدماً حشوها ليف – والإدم الجلد الرقيق – {ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٥١٢ } ومن خلال ما سبق يبدو أن الضجاع هي الفرش .

(٢) النمارق : هي الوسائد { ابن سيده : المخصص ج١ سفر٤ ص٧٤ } .

(٣) الذهبي : السير ج٨ ص٧٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٤٥ – ابن فرحون : الديباج المذهب ص٢٠ }.

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص١٣٢ .

(٥) المصدر نفسه ج٤ ص٤٢٦ .

(٦) المصدر نفسه : ج٨ ص٣١٥ .

(٧) المصدر نفسه : السير ج٤ ص٥٤٨ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٠ –أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ص٥٦ .

المراكب :

كانت الحمير وسيلة المواصلات السائدة عند العلماء نظراً لرخص أسعارها من جهة، ولكونها أقرب إلى التواضع من جهة أخرى، فلقد روي أن شعبة بن الحجاج كان له حمار قيمته مع سرجه ولجامه ثمانية عشر درهماً [1] وكان لا يتواصل إلا به ، كما روي أن سالم بن عبدالله بن عمر كان يركب حماراً عتيقاً زرياً – أي كبيراً ومسناً – فقام أولاده بقطع ذنبه حتى يتركه ويركب غيره، ولكنه ركبه وهو مقطوع الذنب ، فقاموا بقطع إذنه، فركبه ولم يتركه، فعمدوا إلى قطع أذنه الأخرى، فاستمر في ركوبه[2] تواضعاً منه، فما كان منهم إلا أن تركوه بعد ذلك، وهكذا لم يكن لمعظم العلماء إلا الحمير تنقلهم من مكان لآخر ومنهم عكرمة (مولى ابن عباس)[3] ، وعمرو بن دينار[4] ، وآخرون .[5]

وكان البعض من العلماء يستخدمون وسائل أخرى للركوب مثل الخيل والبغال ، ولكنهم قليل مقابل من كانوا يركبون الحمير، وذلك لكون هذه الدواب أغلى ثمناً ، وأكثر رفعةً لصاحبها، وهذا الأمر كان يتجنبه بعض العلماء، قيل إن الليث بن سعد خرج يوماً وهو على دابة فارهة، فقوّموا ثيابه ودابته وخاتمه بثمانية عشر ألف درهم[6] وكان للإمام أبي

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٢٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٤٤ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٧٠ .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٤ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص١٥ .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص١٨،٢٧ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٩١ .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص٤٦٠ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٤٧٩ .

(٥) مثل يونس بن عبيد ، وجابر بن زيد ، والحسن البصري الذي كان يذهب على حماره إلى المسجد { أبو نعيم : الحلية الأولياء ج٣ ص٢١ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٦٨،١٨٠ } .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص١٥٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٤٤ .

حنيفة بغلة يتنقل عليها[1]، كما كان لمطرف بن عبدالله بن الشخّير[2] خيل يركب عليه وينتقل به من مكان لآخر[3] .

ومن خلال النظر إلى حال هؤلاء العلماء الذين كانوا يركبون الخيل والبغال ، نجد أنهم كانوا من التجار والميسورين ، ولهذا ما كان لهم أن يظهروا بين الناس إلا كذلك ، وقد أنعم الله عليهم .

وكان العلماء يستخدمون للسفر الإبل الطويل – الحج أو الغزو– فكان لعبدالله بن عون ناقة يغزو عليها ويحج وكان بها معجباً[4]، كما ذكر أن الأوزاعي سافر من الشام إلى مكة على بعير له[5] ، وكان لعلي بن الحسين بعير يحج عليه ويغزو[6]، ولعل أهم ما يميز العلماء عن غيرهم أنهم كانوا رحماء بهذه الدواب فلقد ذكر أن علي بن الحسين لم يكن يضرب بعيره أبداً [7]، كما ذكر أن غلاماً لعبدالله بن عون ذهب ليستقي على ناقته ، فرجع وقد ضربها على وجهها حتى سالت عينيها على خدها ، فلما نظر إليها قال سبحان الله أفلا غير الوجه ، وبدا عليه التأثر ، وأعتق الغلام .[8]

المظاهر التعبدية :

إن من أهم المظاهر البارزة في حياة العلماء – والتي كان الناس يرونها بوضوح ويحسون بأثرها أثناء التعامل معهم – المظاهر التعبدية من صلاة وصيام وقيام وقراءة للقرآن ومكث في المسجد ... الخ ، وقد أشرنا إلى بعض هذه الجوانب التعبدية في

---

(١) الذهبي: السير ج٦ ص٣٩٩ ، وممن كانوا يستخدمون البغلة وسيله لتنقلاتهم علي بن الحسين والحسن البصري، وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين { الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٨ - ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٢١ – ج٧ ص١٨٠ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٨٦ } .

(٢) هو مطرف بن عبدالله بن الشخير ، الإمام القدوة الحجة البصري ،(ت٨٦هـ/٧٠٤م) { الذهبي : السير ج٤ ص١٨٨– ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٤١ } .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٨١ .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص٣٧٠،٣٧١ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٦ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٩ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص١١١ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٣٠ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٦ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٣٣ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٣٠ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢١٦ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٣٣ .

(٨) الذهبي : السير ج٦ ص٣٧١ .

حياة العلماء في الفصل الأول عند حديثنا عن العوامل التي أدت إلى ارتفاع مكانة العلماء ، وكذلك في الفصل الثاني عند الحديث عن جلوس العلماء في بيوقم وبخاصة في الليل ، وعليه فإننا سنحاول هنا أن نتحدث عن المظاهر التعبدية المتعلقة بالمسجد حيث كان العلماء يمضون جزءا كبيرا من أوقاقم فيه .

التصاق العلماء بالمساجد :

لئن كان عامة الناس وكبار القوم لا يرتبطون بالمسجد إلا في أوقات الصلاة وبخاصة صلاة الجمعة ، وإذا كان لبعض شرائح المجتمع مثل الحكام والأدباء والشعراء والتجار في ذلك الوقت مجالس خاصة في البيوت أو القصور ، فإن العلماء لم يكن يطيب لهم الجلوس إلا في المساجد ، ففيها كانوا يؤدون الصلاة ويقرءون القرآن ويكثرون من التسبيح والتهليل والتكبير ، ويلتقون ببعضهم البعض ، بحيث يفضي كل منهم بما عنده للآخر ، وكذلك يتذاكرون ويتدارسون مسائل الفقه والحديث والتفسير ... الخ، إذ كان المسجد بالنسبة لهم المكان الأول الذي يرتادونه، وهو الشعاع الذي ينير لهم الطريق ويملأ قلوبهم بالإيمان .

عرف عن العلماء أنهم يؤدون الصلوات في المسجد جماعة طوال حياتهم ، حتى لقد صار هذا السلوك منهم مثالا تنظر إليه الأجيال بعين الإكبار والإجلال ، فلقد ذكر أن سعيد بن المسيب لم يكن يرى إلا بين بيته والمسجد لمدة أربعين سنة ، وقال: "ما نظرت إلى أقفية المصلين منذ أربعين سنة [1]"، يعني أنه كان دائما في الصف الأول ، ولقد ذكر عن الأعمش أنه لم تفته التكبيرة الأولى لمدة سبعين سنة [2] .

وهذا سليمان بن طرخان التيمي لم يكن يطيب له أن يصلي قيام الليل إلا في المسجد ، فكان هو وابنه يدوران في المساجد ، فيصليان في هذا المسجد مرة،

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٤ . وذكر أيضا أنه لم تفته صلاة الجماعة أربعين سنه ، وقال سعيد ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنه ، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنه ، إشارة إلى المحافظة على الصف الأول { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣١ – ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٣٨٠ – ابن خلكان:الوفيات ج٢ ص٣٧٥ }.

(٢) الذهبي : السير ج٦ ص٢٢٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١٣ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٠١ .

وفي هذا مرة أخرى حتى يطلع الفجر [١] .

وأما عن جلوسهم ومكثهم في المسجد – في غير أوقات الصلاة – فكان أحب شيء إليهم ، بل وكانوا يفضلونه على الجلوس في بيوتهم ، فلقد ذكر الذهبي[٢] فيما رواه ابن جريج أن المسجد كان فراش عطاء بن أبي رباح لمدة عشرين سنة، وفي رواية أخرى يبيت في المسجد لمدة عشرين سنة [٣]، وهذا الأمر لا يصدر إلا عن رجل ملك عليه حب المسجد قلبه ومشاعره، فلا يريد أن يفارقه، فهو يجلس ويبيت في خير البقاع إلى الله تعالى بأحب الأعمال إليه (الصلاة والذكر وتعليم الناس ... الخ).

وهذا سعيد بن المسيب كان يحب الجلوس في المسجد لا يكاد يفارقه إلا ليعود إليه، وله في ذلك مواقف عجيبة ، فقد روي أن الوليد بن عبدالملك لما قدم المدينة وأراد أن يزور المسجد بعد التوسعة التي نفذها عمر بن عبدالعزيز ، صدرت الأوامر بإخراج كل من في المسجد حتى يتسنّى للخليفة أن يتجول فيه دون أن يزاحمه أحد ، فلما جاءوا إلى سعيد وأخبروه رفض الخروج ، واحتالوا عليه بكل الوسائل فلم يوافق على الخروج وبقي في المسجد وحده [٤]، ولما توفي علي بن الحسين وصلوا عليه في

---

(١) الذهبي : السير ج٦ ص١٩٧ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٢٨ .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ج٦ ص٣٢٧ ، الرواية الأولى وردت في ترجمة عطاء بن أبي رباح، والثانية وردت في ترجمة ابن جريج ، وعليه فالرواية الثانية تؤيد الأولى إذ يقول : يبيت في المسجد ، ولعله عَرَفَ ذلك من خلال ملازمته له لمدة ثمانية عشر سنه ، ولعل القارئ لا يصدق ذلك ، ولكن هناك ما يدل على صحة الرواية ، فهذا الجلوس من عطاء في المسجد كان في أواخر حياته ، لأن موت عطاء كان في سنة ١١٤هجرية ومولد ابن جريج كان في سنة ٨٠ هجرية ، وعليه فمن المحتمل أن ابن جريج حين لزم عطاء كان عمره ١٦ سنه أو أقل تقريباً إذ غير معقول أن يكون لزمه للعلم وعمره أقل من ذلك خاصة أننا نجد في خبر بداية ابن جريج لطلب العلم أنه جاء إلى عطاء فقيل لـه: هل تعلمت القرآن ؟ فقال : لا فقال : أذهب حتى تتعلم القرآن وعد ، فعاد بعد فترة وقد تعلم القرآن ، فقيل له:هل تعلمت الفريضة فقال : لا ، فذهب ثم عاد وقَبِلَهُ بعد ذلك ، ومما يدل على أن ملازمة ابن جريج لعطاء في المسجد كانت في أواخر حياة عطاء ما يرويه أيضاً عن صلاته حيث يقول : لزمت عطاء ثمانية عشرة سنه وكان بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مئتي آية ، ومن هنا فأن اقامة عطاء في المسجد كانت دائمة ، ويحتمل أيضاً بأن إقامة وجلوس عطاء في المسجد كانت كثيرة { الذهبي : السير ج٥ ص٨٧،٨٨ ، ج٦ ص٣٢٧،٣٣٢،٣٣٣ } .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٠٠ – البلاذري : أنساب الأشراف القسم الخامس B ١٠ ص٢٢٨،٢٢٩ .

المسجد خرج جميع الناس في جنازته إلا سعيد بن المسيب فإنه بقي في المسجد وحده ، فقيل له : يا أبا محمد ألا تشهد هذا الرجل الصالح في البيت الصالح ؟ فقال سعيد : أصلي ركعتين في المسجد أحب إلي من أن أشهد هذا الرجل الصالح في البيت الصالح[1]، والخبر يدل على حب سعيد للمسجد والصلاة فيه، ويدل على أنه فضل ذلك على اتباع الجنازة،وحينما قدم جيش يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة في موقعة الحرة، خرج الناس لقتال هذا الجيش، بقي سعيد بن المسيب جالسا في المسجد الليالي الطويلة لا يكاد يفارقه وكان يصلي فيه وحده [2].

وهذا سليمان بن طرخان التيمي أيضا كان من عادته أنه إذا لم يكن في عمل يرضي الله تعالى كالصلاة أو زيارة المرضى أو غير ذلك ، يجلس في المسجد يسبح الله تعالى ، وكان له وقت محدد لذلك من العصر إلى المغرب[3] ، ويروي لنا سفيان الثوري عن شيخه عمرو بن قيس الملائي الكوفي فيقول :" كنت أطلبه في السوق، فإن لم أجده في السوق وجدته في البيت أما يصلي أو يقرأ القرآن فإن لم أجده في البيت وجدته جالسا في بعض مساجد الكوفة "[4]. ويتضح لنا من خلال الخبر أن ذلك كان في النهار في غير وقت الصلاة ، فكأنه وزع وقته ما بين السوق والبيت والمسجد .

ومما يذكر عن محبة العلماء للجلوس في المسجد أن البعض منهم كانوا لا يفتتحون يومهم إلا بالجلوس فيه، فقد ذكر الذهبي[5] أن الإمام الأوزاعي كان يثبت في المسجد بعد الصلاة يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، وكذلك نافع (مولى ابن عمر)[6] كان يجلس بعد صلاة الصبح في المسجد، ولا يأذن لأحد أن يأتيه فإذا طلعت

(١) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٢٢ .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٢٢٨ .

(٣)المصدر نفسه ج٦ ص١٩٩ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٤١،٤٢ .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص٢٥٠ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠٠ — أبو نعيم : الحلية ج٥ ص١٠١ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص١١٤ — الحنبلي : محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي ص٢٣ .

(٦) هو نافع : الإمام الثبت ، عالم المدينة أبو عبدالله القرشي ثم العدوي ، العمري مولى ابن عمر وراويته وكان كثير الحديث متواضعا ، وكان لا يفتي في حياة سالم — أي سالم بن عبدالله بن عمر — (ت١٢٠ هـ/٧٣٧م) {الذهبي: السير ج٥ ص٩٥ — ابن قتيبة : المعارف ص٢٠٣ — ابن حبان : المشاهير ص١٢٩ — ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص١٧٤،١٧٥ — وأنظر أيضا ترجمته في : ابن خلكان : الوفيات ج٥ ص٣٦٧ — ابن=

الشمس خرج [1] .

ونظراً للارتياح الذي كان يجده العلماء عند جلوسهم في المسجد، فقد كان البعض منهم حريصين على أن تكون لهم لقاءات ومجالس يجلسون فيها مع بعضهم – غير حلقات العلم – فيجلسون في المسجد ليلاً أو نهاراً ويتحدثون في أمور دينهم ودنياهم، وعددهم لم يكن يتجاوز الخمسة أو السبعة ، فقد كان الشعبي وإبراهيم النخعي يجلسان في المسجد يتذاكران الحديث [2]، وكان الزهري وعروة بن الزبير يجلسان مع عدد قليل من العلماء في حلقة صغيرة بالليل في المسجد ويتحدثون في مسائل العلم وغيرها[3] ، ويروى أيضاً أن علي بن الحسين وعروة بن الزبير كانا يجلسان كل ليلة بعد العشاء الآخرة في مؤخرة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثان ، وربما كان حديثهما عن جور بعض الحكام، وكيف أنهما لا يستطيعان تغيير هذا الجور[4] ، وفي رواية أخرى كان علي بن الحسين وسليمان بن يسار يجلسان بين القبر والمنبر في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يتجاذبان الحديث حتى ارتفاع الضحى .[5]

وهناك مظهر آخر يدل على تعلّق العلماء بالمسجد ورغبتهم في قضاء أكثر الأوقات فيه ، ألا وهو ممارسة البعض منهم وظيفة القضاء فيه – أي في المسجد –، فلقد روي أن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف – قاضي المدينة – كان يقضي في المسجد[6] ، وروي أيضاً أن

=كثير : البداية ج٩ ص٣١٩ – السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت ٩١١هـ) طبقات الحفاظ ص٤٠ ، تحقيق / علي محمد عمر ، مكتبة وهبه ، ط أولى ١٩٧٣م }.

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٩٨ – الفسوي : المعرفة والتاريخ ص٦٤٦،٦٤٧ .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٥٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص٤٢٤ ، والعلماء هم أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث، وعبدالرحمن بن المسور ، وإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبه .

(٤) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٨١ .

(٥) المصدر نفسه ج٥ ص٢١٧ .

(٦) الذهبي : السير ج٥ ص٤١٨،٤١٩ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٦٩ .

عبدالله بن حبيب بن ربيعة [1] كان يقضي في المسجد، فقيل له لو تحولت إلى فراشك فقال : "حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة تقول الملائكة : اللهم اغفر له اللهم ارحمه فأريد أن أموت وأنا في مسجدي "[2] ، وروي أيضاً أن محارب بن دثار[3] كان يقضي في المسجد[4] وقد بلغ من حب حماد بن سلمة للمسجد ان قسم نهاره إلى أربعة أجزاء، جزء يصلي،وجزء يحدّث،وجزء يقرأ وجزء يسبح،وقد توفى وهو يصلي في المسجد [5].

وهكذا كان العلماء مرتبطين بالمساجد في جميع ساعات النهار وبعضٍ من ساعات الليل وبخاصة في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولعل أهم ما كان يدفعهم إلى ذلك الرغبة في اكتساب أكبر قدر من الحسنات ، والفوز بما أعده الله تعالى يوم القيامة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن العلماء بجلوسهم في المسجد كانوا يحيون سنة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وكبار التابعين[6] في المحافظة على أداء رسالة المسجد .

المظاهر العلمية :

وسوف نتحدث هنا عن مظهرين هامين في حياة العلماءوهما الحلقات العلمية، والرحلةفي طلب العلم ذلك لأن هذين الأمرين كانا يأخذان من العلماءجلّ أوقاتهم .

---

(١) من القرّاء أو علماء القراءات، سمع عثمان وعلي وبن مسعود وحذيفة وغيرهم ، وقد أقرأ القرآن الناس أربعين سنه (ت ١٠٥ هـ/٧٢٣م) { الذهبي: السير ج٤ ص٢٦٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٠٥ } .

(٢) الذهبي:السير ج٤ ص٢٦٧– ابن الجوزي:المنتظم ج٧ص١٠١– الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد ج٩ص٤٣٠.

(٣) هو محارب بن دثار الكوفي الفقيه قاضي الكوفة(ت ١١٦هـ/٧٣٤م){الذهبي : السير ج٥ ص٢١٧،٢١٨} .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٢١٨ .

(٥) المصدر نفسه ج٧ ص٤٤٨ .

(٦) قال محمد بن عمر الواقدي: "كان مجلس القاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبدالله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد ، ثم جلس فيه بعدهما عبدالرحمن بن القاسم وعبيدالله بن عمر، ثم جلس فيه بعدهما الأمام مالك بن أنس ، فكان تجاه خوفه عمر بين القبر والمنبر، كما روي أن مكان الإمام مالك في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو المكان الذي كان يوضع فيه فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف ، وكان يجلس في الروضة في حياة نافع وبعد موته" { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٨٨ – ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ } .

أولا – الحلقات العلمية :

لا يخفى علينا أن أهم وظيفة للعلماء في تلك الفترة نشر العلم وتدريسه، ومن هنا كانت تقام حلقـات العلم للطلاب وغيرهم في المسـاجد، لأنه لم يكن هناك أمـاكن للتـدريس غيرها، إلا ما كان من تلك الحلقات المصغرة التي تقام في بيوت العلمـاء . ومن الطبيعي أن معظم العلماء – إن لم يكن جميعهم – كانت لهم حلقات سواء كـانت صغيرة أو كبيرة ، وكانوا يحافظون على استمراريتها لفترات طويلة . يروي لنا الشعبي كيـف أنه رحل إلى المدينة لطلب العلم من خلال الجلوس في بعض حلقات العلم التي كانت تقام في المسجد النبوي فيقول :" قـدمت المدينة سنة ثماني عشرة ومائة فوجدت لمالك حلقة ووجدت نافعا قد مات "[1] ومن خلال هذه الرواية نستنتج أن حلقة نـافع استمرت حتى قبيل وفاته فالراوي يقول : أنه وجد حلقة للإمام مالك ، أما نافع فقـد توقفت حلقته بمـوته وهذا أبو حنيفة يصف لنا تجربته مع إحدى حلقات العلماء الـتي لم تكن تتوقف إلا لظروف خاصة مقنعة فيقول :" لزمت حلقة حماد بـن أبي سـليمان عشر سنين ، ثم نازعتني نفسي للـرئاسة فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي ، فلما جاءه نعي قرابة له، قد مـات وترك مالا وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج حتى وردت علي مسائل لم أسمعها منـه فكنـت أجيـب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ، ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحوا من سـتين مسألة فوافقني في أربعين ، وخالفني في عشرين ، فآليت على نفسي ألا أفارقـه حـتى يموت " [2] .

من خلال هذه الروايات يتضح لنا أهمية حلقـات العلـم في حياة العلماء ؛ لأن التدريس والفتيا في هذه الحلقات كان يأخذ معظم أوقاتهم ، ما عدا الليل والذي كانوا يخصصونه للعبادة ، وهذا الأمر جعل العلماء في تواصل مستمر مع كثير من النـاس . وروي أن سعـيد بن جبير كـان يجلس للنـاس في حلقته بعد صـلاة الفجر وبعد

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٣٩٧ ، ٣٩٨ .

صلاة العصر[1] ، وكذلك كان أبو حازم سلمة بن دينار[2] ، وكانت حلقته تقـــام في المسجد النبوي في المدينة .[3]

ولعل أهم ما كان يشجع العلماء ويزيدهم رغبة في التفرّغ للتعليم وقضاء معظـم الأوقات مع الطلاب اجتماعهم في مكان واحد، وهذا غالباً ما كان يحدث في المساجد، فكانت تقام في المسجد الواحد الكثير من حلقات العلم وفي فروع العلم المختلفـــة ، فكان العالم منهم يجد نفسه بين كثير من إخوانه فيدفعه ذلك إلى المزيد وبذل الوقـــت والجهد للتعليم بعيداً عن منـــزله وأهله .

يروى أنه كان لزيد بن أسلم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، فكان علي ابن الحسين يأتي إلى المسجد ويتخطى كل الحلقات الأخرى الموجودة لعلماء من قريش وغيرهم حتى يجلس إلى حلقة زيد، فقيل له : "أتجلس إلى هذا العبد ، فقال : إنما يجلس الرجل حيث ينتفع[4] "، والشاهد هنا أنه كانت تعقد كثير من حلقات العلم في المسجد الواحد وفي وقت واحد، ومما يدل على ذلك أيضاً أن حلقة الأمام مـــالك كانت تقام في مكان واحـــد مع حلقة شيخه ربيعـــة بن أبي عبدالرحمن[5] إلا أن حلقة

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٦ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٥٩ .

(٢) هو سلمة بن دينار ، الأمام القدوة الواعظ شيخ المدينة النبوية ، أبو حازم ، مولاهم المدني الأعـــرج الأفـــزر الأحدب التّمار القاص ، الزاهد ، عالم المدينة ، ولد في أيام ابن الزبير وبن عمر ، وكان رحمه الله شيخاً كثير العلـم كبير القدر ومناقبه كثيرة وكان فارسياً وأمّه رومية (ت ١٤٠هـ/٧٥٧م) { الذهبي : السير ج٦ ص٩٦ – ابـــن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢١٢ – انظر أيضاً بن حبان : المشاهير ص١٢٩ – أبو نعيم : الحليـــة ج٣ ص٢٢٩ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص٥٣،٥٤ } .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص١٠١ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٢ – ابن حبان : المشاهير ص١٢٩ – ابـــن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢١٢ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص٥٤ } .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٣١٦ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢١١ – ابن كثير : البدايـــة ج٩ ص١٠٦ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص٥٣ .

(٥) هو ربيعة بن أبي عبدالرحمن أبو عثمان ، القرشي التيمي من موالي آل المنكدر ويقال له ربيعه الـــرأي ، أدرك جماعة من الصحابة ، وكان من أئمة الاجتهاد ، وعنه أخذ مالك بن أنس رضي الله عنه (ت ١٣٦هـــ/٧٥٣م) ، {الذهبي : السير ج٦ ص٨٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٣٤٩ – ابن خلكان : الوفيـــات ج٢ ص٢٨٨ – وأنظر أيضاً ترجمته في ابن حبان : المشاهير ص١٣١،١٣٢ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٥٠ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٤٥،٢٤٦ } .

مالك كانت أكبر.[1]

ومن المواقف العملية في حياة العلماء والتي تدل على اهتمامهم وحبهم لمجالس العلم وتفرغهم لتعليم الناس، ما ذكرناه عن عطاء بن أبي رياح سابقاً من جلوسه في المسجد الحرام عشرين سنه ، وكان خلالها يقوم بالتعليم[2] والفتيا وبخاصة أيام موسم الحج [3] .

وهكذا نجد أن العلماء كانوا حريصين على إقامة حِلَق ومجالس العلم حيث يقضون فيها معظم أوقاتهم ، والأمثلة على ذلك – بالإضافة إلى ما سبق ذكره –كثيرة فهذا سعيد بن المسيب كان له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] وكذلك محمدبن عجلان كان له حلقة كبيرة[5] وكذلك موسى بن عقبة[6] وإخوانه ، وكان للحسن البصري حلقة واسعة في مسجد البصرة، وكذلك يونس بن حبيب[7] ، كما كان للشعبي ، والأعمش ، ومسعر بن كدام حِلَق علم في مساجد الكوفة [8]، وبناءً على ما سبق فإن هذا الاهتمام من العلماء بالعلم وبتعليمه للناس في حلقات ثابتة ودائمة ليعد من أهم المظاهر البارزة التي تميّز العلماء عن غيرهم من الناس ، فبينما

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص٧٧ .

(٢) أنظر صفحة ١٧٨من هذا الفصل إذ كان ابن جريج يجلس إليه وغيره .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص٨٢ ، ومن ذلك أيضاً ما ذكر عن الأمام أبو حنيفة فقد كان يصلي صلاة الفجر ثم يجلس للناس يعلمهم ويفتيهم حتى الظهر ثم من بعد الظهر إلى العصر ثم إلى المغرب ثم إلى العشاء { الخطيب لبغدادي : تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٥٦ } .

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص٣٢٥ – المزّي: جمال الدين ابن الحجاج يوسف المزّي (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج١١ ص٧١ تحقيق د/ بشار عواد معروف ،ط أولى ، ١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة.

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٣١٩ .

(٦) هو موسى بن عقبه بن أبي عياش أبو محمد القرشي مولاهم الأسدي ، وكان عالماً بالمغازي النبوية ألفها في مجلد فكان أول من صنف ، قال الواقدي : كان لابراهيم وموسى ومحمد بن عقبه حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا كلهم فقهاء ومحدثين (ت ١٤١هـ/٧٥٨م) { الذهبي : السير ج٦ ص١١٧ – ابن حبان : المشاهير ص١٣١ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٣١ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص٦٣ } .

(٧) الذهبي : السير ج٤ ص٥٧٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٩١ – الزبيدي : بغية الوعاة ص٤٢٦ .

(٨) الذهبي : السير ج٤ ص٣٠٢ ، ج٦ ص٢٣٣ ، ج٧ ص١٧٠ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٣١٠ – ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص١٤٢ .

العلماء منشغلون بالتدريس والتعليم والوعظ والإرشاد والفتيا، نجد غيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى إما في البيوت أو في الأسواق ، ومن هنا استحق العلماء التقدير والثناء من جميع الناس .

ثانيا : الرحلات العلمية :

إضافة إلى حلق العلم ومجالسه التي كان يعقدها العلماء في أوقات كثيرة مختلفة فإن الرحلة في طلب العلم وتعليمه كانت تأخذ نصيبا من حياة العلماء، وكانت الرحلة من السمات المميزة للعلماء في هذه الفترة ، فالعالم كان يدع أهله وولده متنقلا من مدينة لأخرى ومن بلد لآخر ، ولو استعرضنا بعض الأمثلة لهذه الرحلات، لوجدنا أن العلماء كانوا يبذلون جهودا مضنية وشاقة نظرا لما تعترضهم من متاعب السفر وقلة المال، إضافة إلى أن هذه الرحلات كانت تأخذ منهم أوقاتا طويلة قد تصل إلى شهور عديدة وأحيانا إلى سنين، وفي بعض الأحيان قد لا يرجع العالم وإنما يمكث في البلد الذي رحل إليه .

قال سعيد بن المسيب :" إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد "[1] ومن العلماء الذين لم يكونوا يستقرون في بيوهم وبين أهليهم عبدالله بن المبارك الذي كان كثير الترحال والتطواف ، رحل إلى اليمن ، والشام ، ومصر ، والعراق ، والجزيرة [2]، وكذلك مجاهد بن جبر، كان أحب شيء إليه الرحلة لطلب غريب العلم وعجائبه وبخاصة فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، ذكر عنه أنه لم يكن يسمع بأعجوبة إلا ورحل لمشاهدتها،فقد ذكر الذهبي[3] بسنده أنه ذهب

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٢٢٢ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٩٠ – ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٩٤ ، وقف على طبعه وتصحيحه/ إدارة الطباعة المنيرية ، طبعة ١٩٧٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان – الخطيب البغدادي . الرحلة في طلب الحديث ص١٢٧-١٢٩، حققه وعلق عليه /نور الدين عتر ، ط أولى ١٩٧٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص٣٧٩ .

(٣) المصدر نفسه : ج٤ ص٤٥٦ .

إلى بئر برهوت[١] بحضرموت في اليمن وذهب إلى بابل لمشاهدة هاروت وماروت .

ويصف لنا مكحول عالم الشام رحلته في طلب العلم فيقول: "طفت الأرض كلها في طلب العلم ، أتيت مصر وأعتقت بها – كان عبدا – فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت العراق فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى ، ثم أتيت المدينة ... ثم أتيت الشام فغربلتها كل ذلك أسأل عن النفل[٢] فلم أجد أحدا يخبرني عنه حتى مررت بشيخ من بني تميم يقال له (زياد بن جارية) جالسا على كرسي فسألته فقال : حدثني حبيب بن سلمة قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل في البداءة الربع وفي الرجعة الثلث "[٣].وهذا الليث بن سعد رحل إلى كل من الشام والحجاز[٤] ورحل سفيان الثوري إلى صنعاء[٥] ثم إنه في سبيل العلم وقول الحق ظل متنقلا متخفيا من مكة وإلى البصرة وإلى الكوفة [٦]، وغير هؤلاء العلماء كثير ممن كانوا يرحلون في طلب العلم وتعليمه [٧].

ومن أهم النتائج التي ترتبت على هذه الرحلات أن العلماء كانوا يحصلون على مرادهم ومبتغاهم من العلوم المختلفة كالحديث والتفسير وعلوم اللغة ، وهو الأمر الذي من أجله كانوا يرحلون ، ولكننا لا نشك في أن هذه الرحلات كان لها نتائج أخرى غير علمية وبخاصة في الجانب الاجتماعي ، فالعلماء من خلال تفرغهم لتعليم

---

(١) برهوت ، واد باليمن، وقيل برهوت بئر بحضرموت، وقيل:هو اسم البلد الذي فيه هذه البئر ، وقيل أنه واد بقرب حضرموت، { ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٤٠٥،٤٠٦ } .

(٢) النفل : الغنيمة والهبة ، والجمع أنفال ، وفي التتريل العزيز ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ سورة الأنفال : آية (١) ، أي الغنائم وأحدها نفل { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٦٩٤،٦٩٥ } .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص١٥٨ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٤٥٣ .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص١٤٥ .

(٥) المصدر نفسه : ج٧ ص٢٥٦،٢٥٧،٨ .

(٦) المصدر نفسه : ج٧ ص٢٥٧ – ٢٦٢. وسبب اختفاؤه ملاحقة الخليفة أبو جعفر المنصور له .

(٧) من هؤلاء العلماء عكرمة مولى ابن عباس رحل إلى مصر وأفريقيه ومرو وجرجان والجند من اليمن { الذهبي : السير ج٥ ص١٥ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٢٨٣ } وكذلك الزهري ظل متنقلا بين الحجاز والشام لمدة ٤٥سنه{ الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٥ } وكذلك نافع مولى ابن عمر رحل إلى مصر ليعم أهلها السنن { الذهبي : السير ج٥ ص٩٧ } وكذلك أبو قلابة الجرمي سافر إلى المدينة لأجل حديث واحد { ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص٤٢٩ } .

الناس وأخذ العلم من زملائهم الآخرين استطاعوا أن يكونوا علاقات قوية بأفراد المجتمع الذي كانوا يرحلون إليه ، فقد مر بنا كيف أن العالم معمر بن راشد حين رحل إلى اليمن – صنعاء – واستمر فترة قام أهل صنعاء بتزويجه [1] ، وهذه الحالة وإن كانت لا توجد لها حالات مشابهة – على الأقل في المصادر التي بين أيدينا – إلا أنها تدل على أن مثلها ممكن الحدوث وخاصة للعلماء الذين كانت رحلاتهم تستمر لفترات طويلة، وتدل كذلك على عمق العلاقات التي كانت تربط العلماء بأفراد المجتمع .

وإضافة إلى ذلك فالرحلات العلمية كان لها أثر كبير في تقوية الروابط الاجتماعية فيما بين العلماء أنفسهم ، فيروى أن عكرمة لما رحل إلى الجند، كان مما أهدى إليه طاووس بن كيسان نجبا [2] أو نجيبا بستين دينارا [3]، وكذلك عبدالله بن المبارك كان حين يقدم على إخوانه العلماء يصلهم بالثياب وأحيانا بالغلمان [4] ، ولذلك كانوا يكنون له كل الحب والاحترام. ويروى أن الليث بن سعد حينما قدم إلى المدينة أرسل له الإمام مالك طبقا فيه رطب، فوضع الليث في الطبق ألف دينار وأعاده إليه [5] . وهذا كله لم يكن ليحصل لولا تلك الرحلات التي عمقت آواصر الأخوة فيما بينهم .

المظاهر الترفيهية :

المزاح والضحك :

كان للضحك الخفيف والمزاح المباح وقت في حياة العلماء؛ لأنهم مثل غيرهم من الناس يعتريهم من الملل والسأم والتعب، الكثير، خاصة وأنهم كانوا يقضون معظم أوقاتهم في طلب العلم وتعليمه نهارا والإكثار من العبادة، كالقيام وقراءة القرآن ليلا، والنفس بطبيعتها تمل من الجد المتواصل ، وتحتاج ما يدخل عليها السرور والانشراح ،

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٨ .ويذكر الخطيب البغدادي أن معمر هو أول من رحل في طلب الحديث { الرحلة في طلب الحديث ص٩٤ } .

(٢) النجب أو النجيب : الفاضل من كل حيوان ، أو البعير أو الفرس إذا كان كريمين عتيقين ، وقيل النجيب من الإبل الخفيف السريع منها { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٥٨٠ } .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص١٥ .

(٤) المصدر نفسه : ج٨ ص٤١٠ والغلمان هم الصبيان الصغار السن ، ويبدو أنهم العبيد الصغار للخدمة .

(٥) المصدر نفسه : ج٨ ص١٥٠ .

كي تعاود نشاطها بجد واهتمام ، ومن هنا كان الكثير من العلماء يمزحون ويضحكون، ولكن فيما لا يخرجهم عن حدود الأدب والشرع .

كان العلماء يمزحون ويضحكون مع بعضهم البعض ومع الآخرين ، فقد ذكر أن سفيان الثوري كان مزاحا وكان يضحك حتى يستلقي ويمد رجليه [1]، كما روي أن محمد بن سيرين كان كثير المزاح والضحك ، وربما ضحك في بعض الأحيان حتى تدمع عيناه [2].

هذا وقد اشتهر بعض العلماء بالمزاح مثل الأعمش والشعبي وغيرهم من العلماء إذ كان لهم نوادر مستحسنة ، وقد أمدتنا المصادر بكثير من هذه النوادر نذكر منها هنا ما يكفي للاستدلال والتوضيح ، من ذلك ما ذكر عن الأعمش أنه كان له ولد مغفل فقال له يوما: " اذهب فاشتر لنا حبلا للغسيل، فقال الولد: طول كم ؟ قال عشرة أذرع فقال في عرض كم ؟ قال : في عرض مصيبتي فيك "[3] ومن نوادره أيضا أنه كان جالسا ذات يوم في موضع وفيه خليج ماء وقيل نهر فجاء رجل عليه سواد فلما بصر بالأعمش وعليه فروة صغيرة قال: "قم عبرني هذا الخليج وجذب بيده فأقامه وركبه وقال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ (سورة الزخرف : ١٣) فلما توسط به الأعمش الخليج قال:﴿ وقل رب أنزلني مترلا مباركا وأنت خير المترلين ﴾ (سورة المؤمنون :٢٩) ثم رمى به ورجع [4]، ومن نوادره المشهورة أن أحد أصحابه جاءه ذات يوم وقال له : " يا أبا محمد : ما يمنعك من اخذ شعرك ؟ قال : كثرة فضول الحجامين ، فقال له : نجيئك بحجام – أي حلاق – لا يكلمك حتى تفرغ، فأتاه بحجام محدث وأوصاه به ، فلما اخذ نصف شعره قال له : يا أبا محمد كيف حديث كذا وكذا – يسأله – فصاح الأعمش صيحة وقام يعدو وبقي نصف شعره

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٢٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص٦٠٨ .

(٣) المصدر نفسه ج٦ ص٢٣٩ .

(٤) المصدر نفسه ج٦ ص٢٣٧،٢٣٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١٣ –أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٥٣ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٠١،٤٠٢ .

غير مخلوق لمدة شهر[١] ، ونوادر الأعمش وأخبـــاره في المــزاح والضحــك كثــيرة وموجوده في كثير من المصادر.[٢]

ولقي رجلٌ الشعبي ومعه امرأة تمشي فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال له : هــــذه وأشار إلى المرأة[٣]، وجاءه ذات يوم رجل يريد أن يسأله فقال له : ما اســـم زوجـــة إبليس ؟ فقال الشعبي : ذاك عُرسٌ ما شهدته ...)[٤] وهناك أخبـــار كثيرة حـــــول مـــزاح ونوادر الشعبي[٥] .

وممن عرف عنهم المزاح أيضـــاً شـــريح[٦]، فـــقد تقـــدم إليـــه رجـــلان في شـــيء فأقر أحدهما وهو لا يعلم ، فقضـــى عليـــه فراجعـــه فقـــال : قـــد شـــهد عليـــك

---

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٢٣٨ .

(٢) جاء في كتاب نثر الدر أن الأعمش خرج يوماً على أصحابه وهو يضحك ، فقال لأصحابه أتدرون مما أضحك ؟ فقالوا : لا قال : إني كنت قاعداً في بيتي ، فجعلت ابنتي تنظر في وجهي فقلت : يا بنية ما تنظرين في وجـــهي ؟ فقالت: أتعجب من رضا أمي بك ، وسأله أحدهم عن أكل الذباب فقال له : أن اشتهيت فكل { الأبي : نثر الدر ج٢ ص١٤٢،١٤٤ } ولمزيد من التفاصيل حول مزاح الأعمـــش ونـــوادره أنظـــر { الذهـــبي : الســـير ج٦ ص٢٣٠،٢٣١،٢٣٤،٢٣٧،٢٣٨،٢٣٩،٢٤٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١٣،١١٤ – أخبار الظـــراف والمتماجنين ص٨٤-٨٩ ، طبعه وحققه / محمد أنيس مهرات ، ط أولى ، ١٩٨٧م، دار الحكمة ، بيروت – أبـــو نعيم : الحلية ج٥ ص٤٧ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٠١،٤٠٢ } .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٣١١ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٣٢٤ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٣١٢ ... فقال الرجل : هذا عالم العراق يُسأل عن مسألة فلا يجيب ؟ فقال : ردوه ، نعم له زوجه ، قال الله عز وجل ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ (سورة الكهف : الآية ٥٠) ولا تكـــون الذرّية إلا منَ الزوجة ،فقال الرجل فما كان أسمها ؟ قال الشعبي : ذلك أملاك ما شهدته (ابن الجوزي : أخبـــار الظراف والمتماجنين ص٧٩،٨٠) .

(٥) من ذلك أن رجلاً سأله عن المسح على اللحية عند الوضوء فقال : خللها بأصابعك ، فقال الرجل : أخاف ألا تبلها ، فقال الشعبي : فانقعها من أول الليل ، وسأله آخر هل يجوز للمحرم أن يحك جسده ؟ قال نعـــم . فقـــال الرجل : مقدار كم ؟ قال : حتى يبدو العظم { الأبي : نثر الدر ج٢ ص١٤٥ – ابن الجوزي : أخبـــار الظـــراف والمتماجنين ص٨١} ولمزيدٍ من التفاصيل حول نوادر الشعبي أنظر: { الذهبي : السير ج٤ ص٣١١ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص١٥٧ – ابن الجوزي : أخبار الظـــــراف ص٨١-٨٣ – الأبي : نـــثر الـــدر ج٢ ص١٤٦،١٥٠) .

(٦) هو شريح بن الحارث بن قيس ، أبو أمية الكندي الفقيه القاضي ، وقيل أنه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقد استقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة والإمام علي علـــى البصـــرة،وكـــان شـــاعراً وفيـــه دعابـــة (ت ٨٠هـــ/٦٩٩م) وكان عمره ١٢٠سنة { الذهبي: السير ج٤ ص١٣١ – وكذلك أنظر ترجمته في ابن ســـعد: =

ابن أخت خالتك[1] – يعني أنك أقررت على نفسك – وكذلك روي أن عكرمة مولى ابن عباس كان يمزح، قال له رجل:فلان قذفني في النوم، فقال: اضرب ظله ثمانين[2] .

وكان أبو حازم (سلمة بن دينار)يمزح أحياناً ولكن مزاحاً يريد من خلاله الوصول إلى هدفٍ فقد ذكر أنه كان ذات مرة يطوف ، وإذا بامرأة سافرة عن وجهها تطوف وقد فتنت الناس بجمالها ، فأنكر عليها ذلك وقال : يا أمة الله استتري ، فأجابته بقول الشاعر :

أنا من اللائي لم يحججن يبغينَ ريبةً ولكن ليقتلن البريء المغفلا .

فقال أبو حازم :" يا أهل بيت الله تعالوا ندع الله أن لا يعذب هذا الوجه بالنار" فذكر ذلك لسعيد بن المسيب ، فقال :" لو كان من بعض أهل العراق لقال : يا عدوة الله ولكن ظرف أهل الحجاز "[3] ، ولقد كان الحسن البصري يقول : "نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئاً "[4] .

مما تقدم نستنتج أن هؤلاء العلماء وغيرهم[5] لم يكونوا يرون في المزاح والضحك أيحرج ما دام ذلك في حدود مقبولة ولم يكن فيه كذب أو غيبة أو نميمة أو تجريح.

وربما استنكر البعض على العلماء هذا المزاح والضحك، ظناً منهم إن ذلك مما لا يليق بهم كعلماء ، ومتناسين في نفس الوقت أن المزاح والضحك إذا لم يخرج بصاحبه عن حدود الأدب فهو مباح، وقد عجب أحد هؤلاء من الشعبي حين رآه يمزح فقال له : أو تمزح ؟ فأجاب الشعبي

=الطبقات ج٦ ص١٣١ – ابن حبان : المشاهير ص١٦٠ – ابن عبدالهادي الدمشقي : طبقات ج١ ص١١٨ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٣٢ –الشيرازي : طبقات الفقهاء ص٨٠،٨١ – ابن عساكر :تهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص٣٠٥-٣١٧ –ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٦٠ –ابن كثير : البداية ج٩ ص٢٢ –السيوطي : طبقات الحفاظ ص٢٠ } .

(١) الذهبي : السير ج٤ ص١٠٥ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٣٥– ابن الجوزي : أخبار الظراف ص٨٠،٨١ .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص١٩ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ج٧ ص١٣٦ .

(٥) مثل إبراهيم النخعي ، وعمرو بن دينار ، سعيد بن المسيب ، ومسعر بن كدام { الذهبي : السير ج٥ ص٣٠٤ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٤٨ – ابن الجوزي : أخبار الظراف ص٤٣،٨٣ }

قائلاً :" قراء داخل وقراء خارج نموت من الغم " [1] أي إذا كنا مشغولين بالعلم والقراءة داخل البيت وخارجه طول الوقت فهو الغم الذي يجلب الهم ويضر بالنفس والبدن .

ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نعمم هذا الأمر على جميع العلماء لأن البعض منهم تجنبوا المزاح والضحك ، ليس لكونه مكروهاً أو محرماً ، ولكن خوفاً من أن يجرهم إلى إثم أو قطيعة وهم الحريصون على المحبة والأخوة والابتعاد عن الذنوب ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لخوفهم من أن يفسر هذا الفعل منهم على غير وجهه وهم القدوة للناس ، ولذلك قيل إن عبدالله بن عون لم يكن يمازح أحداً ولا يماري أحداً ولا ينشر ولا ينشد شعراً [2] وروي عن الأوزاعي أنه كان يقول : " كنا نمزح ونضحك ، فلما صرنا يقتدى بنا ، خشيت أن لا يسعنا إلا التبسم " [3] وكان هشام الدستوائي [4] أيضاً يقول : "عجبت للعالم كيف يضحك ثم يقول ليتنا ننجوا لا علينا ولا لنا " [5] .

وهناك من العلماء من وقفوا من المزاح موقفاً أكثر تشدداً [6] ، من الناحية العملية وليس من الناحية النظرية، فهم لم يقولوا بكراهيته أو حرمته ، ولكن عملهم

---

[1] أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٣٢٤ .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص ١٥٣، وابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٢ .

[3] الذهبي: السير ج٧ ص١٣٢- أبو نعيم:حلية ج٦ ص١٤٣-والحنبلي:محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي ص٢٩

[4] الإمام الحافظ أبو بكر هشام بن أبي عبدالله سنبر البصري الرّبعي مولاهم ، وهو ثقة ثبت في الحديث ، وكان شديد الخوف من الله تعالى كثير البكاء (ت ١٥٢هـ/ ٧٦٨م) { الذهبي : السير ج٧ ص١٤٩،١٥١- ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧٢،وانظر أيضاً ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٧٩ — ابن قتيبة : المعارف ص٢٢٣ — ابن حبان : المشاهير ص٢٤٩،٢٥٠- أبو نعيم :الحلية ج٦ ص٢٧٨ — ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٥٥،٢٥٦ - السيوطي : طبقات الحفاظ ص٨٤] .

[5] الذهبي : السير ج٧ ص١٥٢، وابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٥٦ .

[6] من هؤلاء العلماء ربعي بن خراش . آلى على نفسه ألا تفتر أسنانه بالضحك حتى يعلم أين مصيره ، فما ضحك إلا بعد موته— أي أنهم رأوا على وجهه ابتسامة بعدما فارقت روحه جسده — وعلي بن الحسين . كان يقول : من ضحك ضحكة مج مجة من العلم ، وقيل أن الحسن البصري كان رجلاً محزوناً ، وقد ذكرنا عنه غير ذلك والله أعلم { الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٦ - ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٠٠ - أبو نعيم : الحلية ، ج٣ ص١٣٣،١٣٤ —ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٦٢ } .

هذا يدل على قوة عزيمتهم وزهدهم وانشغالهم الدائم بأمر الحساب والعقـــاب؛ لأن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته أنهم كانوا يمزحون ويضحكـون [١] ، وبالتالي فمن غير المعقول أن يأتي أمثال هؤلاء العلماء ويخالفون سنته .

اللعب بالنرد والشطرنج :

ورد في بعض المصادر – وخاصة التي بين يدينا – أن هناك قليل من العلماء كانوا يلعبون أحياناً بعض الألعاب التي كـــانت موجـــودة في تلـــك الفـــترة كـــالنرد [٢]، والشطرنج[٣]، فيذكر لنا الذهبي[٤] عن شاهد عيان أنه رأى عكرمة مولى (ابن عباس) يلعب بالنرد ، كما يذكر الذهبي[٥] أن محمد بن اسحاق[٦] كان يلعب بـــالديوك [٧]، وورد في كتاب نثر الدرر أن الشعبي كان إذا اختضب وملّ لاعَبَ ابنته بالنرد حتى

---

(١) ابن الجوزي : أخبار الظراف ص٥٤،٥٦،٥٧،٦٠،٦١،٦٣،٦٤،٦٥ .

(٢) النرد:هـــو عبارة عن قطع صغيرة من العاج (سن الفيل) أو العظم أو الخشب وله أوجه سته ولكل وجه من الأوجه الستة نقاط مرتبة من الواحد إلى الستة جميعها وهي منقسمة بحيث يكون مجموع النقاط في وجهين متقابلين سبعة ، وهو أعجمي معرب ، وقد وضعه (أرد شير بابك) ولهذا يقال النرد شير ، نسبة إلى واضعه { الآجـــرّي: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري } (ت ٣٦٠هـــ/ ٩٧٠م) تحريم النرد والشطرنج والملاهي ص ٦٠ ، تحقيـــق / محمد سعيد عمر أدريس ، ط أولى ١٩٨٤م ، دار أحياء السنة النبوية – مكة .

(٣) الشطرنج : فارسي معرب،مأخوذ مـــن المشاطرة وهي المقاسمة ، لأن كل من الطرفين له شطر ما يستحقه من اللعب وهو النصيب ، { الآجري : تحريم النرد والشطرنج ص٦٨ } وممن كان يلعب الشطرنج من العلماء ســـعيد بن جبير { ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٣٧٤ } ..

(٤) السير ج٥ ص ٢٧.

(٥) المصدر نفسه : ج٧ ص٥٤ .

(٦) محمد بن إسحاق بن خيار ، العلاّمة الحافظ الأخباري ، مولى قيس بن مخرمة ، كان عالماً بالمغازي والسير وأيام الناس (ت ١٥٢هـــ/٧٦٨م) { الذهبي : السير ج٧ ص٣٣،٥٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٥٧ – ابـــن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٢١ – خليفة بن خياط: الطبقات ص٢٧١، تحقيق د/ أكرم ضياء العمـــري ، ط أولى ، ١٩٦٧م ، مطبعة العاني ، بغداد } .

(٧) الديوك . قال الآجري : بعضهم يلعب بالتحريش بين الديكه وغير ذلك من الطير ، كل هذه معاصي من أمـــر الجاهلية نهى الله عز وجل عنها ونهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ونهى عنـــها العلمـــاء . { تحـــريم الـــنرد والشطرنج ص١٩٠،١٩١ } هذا ما استطعنا أن نتوصل إليه وقد يكون اللعب بالديوك غير ذلك ، ولا ندري ما إذا كانت هذه الظاهرة تمارس بين الناس بصورة علنية أم أنها تمارس في الخفاء ؟ وإن كان الراجح أنها ليست ظـــاهرة معلنة ؛ لأنها من الأمور المنهي عنها شرعاً وسيكون للمحتسب دوره في منعها .

يعلق الخضاب [(١)].

إذن يبدو أن هذه الظاهرة كانت نادرة ومحدودة الانتشار بين العلماء ، بخـــلاف ظاهرة المزاح والضحك مثلاً ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى موقف الشرع من هـــذه الألعاب . وإذا تتبعنا أقوال العلماء في ذلك فسنجد أن الكثير منهم قد أفتوا بتحريمها، وأقوالهم في ذلك صريحة ومشهورة ، وذهب البعض منهم إلى أن اللعب بهـــا مكـــروه كراهية تنــزيه ،كما اختلفوا في تحريم اللعب بها إذا كانت مجردة عن القمار [(٢)].

وعليه يمكن أن نستنتج من خلال ما سبق ما يلي :

– أن ممارسة بعض العلماء لهذه الألعاب كان مرتبطاً بظرف معين ، مثل الشـــعبي الذي كان يلعب أثناء اختضابه وذلك حتى يعلق الخضاب، ومع ابنته الصغيره ، ولعـــل لعب الآباء مع الأبناء له ما يبرره .

– أما العلماء الآخرين الذين كانوا يمارسون بعض هذه الألعاب ، فلم يرد أنهـــم كانوا يلعبونها في أوقات كثيرة ، ولعل التحريم – على مذهب القائلين بتحـــريم هـــذه

---

(١) الآبي : نثر الدر ج٢ ص١٥٢ .

(٢) قال الآجرّي في (باب ذكر تحريم اللعب بالنرد وشدة التغليظ على من لعب بها)، واللاعب بهذه النرد من غـير قمار عاص لله عز وجل ... فإن لعب بها وقامر بها فهو أعظم لأنه أكل الميسر وهو القمار وقد نهى الله عز وجـــل عن الميسر ، ثم قال: "وســـأذكر السنن فيما قلته ليرتدع من لعب بالنرد" ثم ساق خمسة عشر حديثاً تدل على تحريم اللعب بالنرد والميسر أشهرها قول النبي صلى الله عليه وسلم :" من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله " {أخرجـه البخاري في (الأدب المفرد) رقم (١٢٦٩،١٢٧٢) والإمام مالك في الموطأ في باب اللعب النرد رقم (٩٠٥) وابـن حبان في الصحيح في ذكر إثبات اسم العصيان لله ورسوله صلى الله عليه وسلم باللاعب بالنرد في الدنيـــا رقـــم (٥٨٧٢)}. ثم أورد الأجري بعد ذلك في باب ذكر تحريم الشطرنج وفساد أهلها ثمانية أحاديث {الأجري : تحـريم النرد والشطرنج والملاهي ص١٠٧-١٤٩} وقد عزز المحقق قول الآجرّي بذكره أقوال العلماء في حكـــم الـــنرد والشطرنج مفصلة وتوصل إلى أن أقوال الفقهاء في حكم النرد تلخص في ثلاثة أقوال :- الأول : أنه حرام مطلقـــاً على أي وجه كان سواء بالمال أو بغيره وعليه الجمهور. الثاني:أنه مكروه كراهة تنزيه وليس بحرام وهو قول لبعـض الشافعية كأبي إسحاق الفزاري فيما ذكره النووي . الثالث : التفصيل بين أن يكون بالقمار أو بغيره ، والراجـــح القول الأول وهو الذي دلت عليه الآيات والأحاديث ، وقد ذكر الحافظ المنذري وابن قدامة وشيخ الإسلام ابـــن تيمية الإجماع عليه ، { الأجري : تحريم النرد والشطرنج ص١١٣-١٢١ } أما الشطرنج فقد اتفق الجمهور علـــى تحريمه على وجه القمار ، واختلفوا في تحريمه إذا كان مجرداً عن القمار ، تفاصيل كل ذلك ذكرها المحقق { أنظـــر : الأجري : تحريم النرد والشطرنج ص١٣٨-١٤٦ } .

الألعاب في كل الظروف والأحوال – لم يكن قد بلغهم ، أو لعلهم من العلماء الذين لم يكونوا يرون تحريمها أو كراهيتها، وكانوا يلعبون بها بدون قمار ، حيث لم يثبت لنا أنهم كانوا يلعبون بها مقامرةً ، ثم إن هؤلاء العلماء الذين ذكر عنهم ذلك كانوا من العلماء العاملين الذين يمضون جل أوقاتهم في تحصيل العلم وتعليمه ، ومن ثم فقد يعتبر لعبهم هذا من باب الترويح عن النفس والابتعاد عن دائرة الأعمال اليومية المرهقة كي تعود النفس وهي أكثر نشاطاً من ذي قبل .

الـغِنـــــاء :

الغِنــاء بالكسر والمد رفع الصوت ، وكل من رفع صوته ووالاه فصوتـه عنـد العرب غناء ،والغِناء من الصوت: ما طُرّب به، وقد غنّى بالشعر وتغنى به، ويقال غنّى فلان يُغنّي أُغنيّة وتَغَنّي بأغنية حسنه ، وجمعها الأغاني ، وغَنيّ بالمرأة : تغزل بها ، وغنّى بالرجل وتغنّى به : مَدَحَه أو هجاه [1].

لم يكن الغِناء محل اهتمام يذكر عند كثير من العلماء ، ذلك لأن الكثير منـهم إن لم نقل جميعهم كانوا مشغولين بما هو أهم وأنفع، وهو التفرغ لطلب العلـم وتعليمـه وقراءة القرآن و ... الخ . ولقد رأينا في المباحث السابقة كيف كان العلماء يوزعـون أوقاتهم فيما بين المسجد والبيت وحلق العلم والتنقل بين البلدان ، وذكرنا كيـف أن العلماء كانوا يسمرون على الذكر والتسبيح والقيام ... فكيف سيجد العلماء وقتـاً للغِناء مع ما فيه من حضر وكراهة – أي الغِناء بشكل عام – ثم إن الغِنـاء ليـس كالمزاح أو اللعب المباح حتى ينشغل به العلماء ، ومع ذلك فإن هناك بعض العلمـاء كانوا يستمعون إلى الغِناء أو يغنون بأنفسهم وهؤلاء العلماء قليل لا يتجاوز عددهـم الخمسة فما فوق ، بحسب ما توفر لدينا من معلومات .

وقبل الحديث عن هؤلاء العلماء لابد أن نذكر أن جمهور العلماء قد ذهبـوا إلى تحريم الغِناء المقـترن ببعـض الآلات كالمزمار والعود والطنبور [2] وما شابه ذلك ،

(١) ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص١٠٤٢،١٠٢٥ .

(٢) الطنبور : الطنبار معروف ، فارسي معرب دخيل وقيل : الطنبور الذي يلعب به { ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٦١٧ } .

وكذا الغِناء الباعث على الهوى والمجون والذي فيه وصف للخمر أو النساء .

قال الآجرّي :" جميع هذا محرم بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بمحق هذا وبطلانه لأنه من الجاهلية فحرمه الله عز وجل " [١] .

وذكر ابن الجوزي[٢] عن الطبري إجماع العلماء على كراهة هذا النوع من الغِناء والمنع منه وقال : " إنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد " [٣].

إلا أننا نجد أن البعض من العلماء قد قالوا بإباحة الغِناء الذي يخلو من كل ما سبق وزاد بعضهم على أن يكون في الأعياد والأعراس وقدوم الغائب فقط [٤].

وعليه فإن الروايات التي تحدثت عن سماع العلماء للغِناء لم توضح لنا ماهية هذا الغِناء ، إلا أن بعض العلماء كان يسمع الغِناء من النساء أو يتخذ القيان .

روى الذهبي[٥] أن إبراهيم بن سعد كان ممن يترخص في الغِناء وذلك على عادة أهل المدينة ، فلامه البعض على ذلك فانزعج وحلف أن لا يحدث حتى يغني ، ولعل إبراهيم كان يسمع حيناً ويغني بنفسه حيناً آخر .

ويُروى أيضاً أن الماجشون أبا يوسف يعقوب بن دينار[٦] كان ممن يُعلّم الغِناء

---

(١) الآجري : تحريم النرد والشطرنج والملاهي ص١٩٢،١٩٣ . ثم ساق الآجرّي ستة أحاديث تدل على ذلك من ص١٩٤-٢٠٢ .

(٢) تلبيس إبليس : ص٢٣٠ ، قام بنشره وتصحيحه والتعليق عليه / إدارة الطباعة المنيرية ١٣٦٨هـ ، مكتبة الدعوة الإسلامية.وقد ساق ابن الجوزي أقوال العلماء الأربعة في كراهية هذا النوع من الغناء والمنع منه بالتفصيل {تلبيس أبليس ص٢٢٨-٢٣٠ }

(٣) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الأمام الحافظ الكبير القرشي المدني ، كان ثقة صدوق (ت ١٨٤هـ/ ٨٠٠م) {الذهبي: السير ج٨ ص٣٠٤ – ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٣٧١،٣٧٢ – ابن سعد: الطبقات ج٧ ص٣٢٢ – ابن حبان : المشاهير ص٢٢٥ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٦ ص٨١ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص١٠٧ } .

(٤) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص٢٢٣-٢٢٦ – الأجري : تحريم النرد والشطرنج ص٤٠٠،٤٠١ .

(٥) السير ج٨ ص٣٠٦،٣٠٩ .

(٦) الماجشون الإمام المحدث أبو يوسف يعقوب بن دينار، أو ابن ميمون وهو ابن أبي سلمة المدني مولى آل المنكدر، وقد ذكر الذهبي أنه توفى ووضع على المغتسل ثم أفاق وعاش وله في ذلك حكاية في تاريخ دمشق (ت ١٢٠هـ/٧٣٧م) وأحاديثه في الكتب الستة { الذهبي : السير ج٥ ص٣٧٠ – ابن حلكان : الوفيات ج٦ ص٣٧٦ } .

ويتخذ القينات ولا يخفى ذلك على الناس[1] وكان يجالس عروة بن الزبير وعمر بن عبدالعزيز بالمدينة [2]، ولعل يعقوب هذا قد أثّر على ولده يوسف بن يعقوب[3] فنشأ على الترخص في سماع الغِناء ، قال ابن معين :" كنا نأتي يوسف بن الماجشون ويحدثنا وجواريه في بيت آخر يضربن بالمعزفة [4] ، وقد علّق الذهبي على ذلك بقوله : أهل المدينة يترخصون في الغِناء وهم معروفون بالتسمُح فيه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الأنصار يعجبهم اللهو [5].

كما يروى أن عبدالله بن عبدالله بن أويس (ت ١٦٩هـ/٧٨٥م) قدم بغداد ومعه جوار يضربن – يعني القيان – فقال أبو نعيم – صاحب كتاب حلية الأولياء : " فقلت لا والله لا أسمع منه شيئاً [6]، كما يذكرلنا البلاذري[7] أن هشام بن عروة كان يسمع الغِناء في بعض الأيام، فقد واعد قوماً من أهل المدينة أن يذهبوا إلى مترل جارية تغني، فلما سمع قال: " أعيذك بالله، إنه لينبغي أن يكتب على صدرك آية الكرسي وبين كتفيك المعوذتان ثم خرج" ، ومن هنا فإن خروجه قد يكون رجوعه عن السماع أو لكراهيته له .

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الغِناء عند هؤلاء العلماء كان من النوع الثاني الذي أباحه العلماء إذ لم يرد في رواية واحدة أنه استُعمل في هذه الأغاني الآلات المحرمة كالمزمار وغيرها اللهم إلا الدَّف الذي ذكر أن بعض الجواري كن يضربن به في بيت يوسف بن يعقوب وهذا قد أباحه العلماء ، كما لم يرد أنه سمع في مثل هذه الأغاني كلام فيه فحش أو مجون ، وهذا ظننا بالعلماء ، الأفاضل ، والله أعلم .

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣٧٠،٤٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ج٥ ص٣٧٠ .

(٣) هو يوسف بن يعقوب بن دينار ، الإمام المحدث المعمّر ، أبو سلمة التيمي المنكدري مولاهم المدني : وثّقه يحي بن معين وأبو داود (ت ١٨٥هـ/٨٠١م) وعاش ٨٨ سنة { الذهبي : السير ج٨ ص٣٧١،٣٧٢ – ابن حبان : المشاهير ص٢٢٢ } .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص٣٧٢ .

(٥) المصدر نفسه : ج٨ ص٣٧٢ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣١٤ .

(٧) أنساب الأشراف : القسم الخامس B1 ص٥٦ .

الفصل الرابع

مصادر معيشة العلماء

العناصر :

- التجارة والحرف .
- الأعمال الإدارية .
- مصادر الدخل الأخرى .

تمهيـــد :

لما خلق الله تعالى الإنسان اقتضت حكمته أن لا يعيش إلا بطعام وشراب ، ومـن هنا أمر سبحانه وتعالى هذا الإنسان بالسعي والحركة لطلب الرزق وطلب المعاش فقال تعالى ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليـه النشور ﴾[١] وقال تعالى ﴿ وجعل لكم فيها معايش قَلَيلاً ما تشـكرون ﴾[٢] وقـال ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾[٣] .

وإذا نظرنا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله ، نجد أنهم كـانوا يسعون ويعملون لكسب معاشهم ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم كنـت أرعها على قراريط لأهل مكة" [٤]،كما اشتغل صلى الله عليه وسلم في شبابه بالتجارة. وهذا نبي الله موسى كان يرعى الغنم قال تعالى ﴿ ما تلك بيمينك يا موسى قال هـي عصايّ أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ﴾[٥] ونبي الله داود كان يعمل حداداً قـال تعالى ﴿ وأَلَنـَّا له الحديد ﴾ [٦].وقد قيل إن آدم عليه السلام كان حراثـاً ، ونـوح نجاراً، وإدريس خياطاً ، وابراهيم ولوط زرّاعين ، وصالح تاجراً[٧] .

وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم أمته في الكسب الحلال عن طريق العمـل باليد والاشتغال بالتجارة فقال:" أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مـبرور"[٨]

---

(١) سورة تبارك : الآية ١٤

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٠

(٣) سورة الجمعة : الآية ٩

(٤) أخرجه البخاري في باب الإجارة رقم (٢١٠٢) والقراريط : مفردها قيراط ، والقيراط من الوزن معروف وهـو نصف دانق { ابن منظور ج٣ ص٦٢ } .

(٥) سورة طه : الآية ١٧،١٨.

(٦) سورة سبأ : الآية ١٠ .

(٧) ابن قدامة : أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م) مختصر منهاج القـاصدين ص٨٢ ، كتاب آداب الكسب والمعاش ، علق عليه / شعيب الأرنؤط ، ، وعبدالقادر الأرنؤط ، مكتبـة دار الـتراث ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .

(٨) رواه أحمد في المسند برقم (١٦٩٢٨) .

ومن هذا المنطلق حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الكسب الحلال، فكانوا من أجل ذلك يتّجرون ويعملون في كثير من الحرف، يروى أن أبا بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم كانوا يشتغلون في تجارة البز ، وكان سعد بن أبي وقاص يُبْرِي النبل، وكان الزبير بن العوام جزاراً، وكذلك عمرو بن العاص[1]، وكان عمر بن الخطاب دلالاً يسعى بين البائع والمشتري[2] وكان علي بن أبي طالب يعمل بيده[3] .

وفي هذه الفترة من (٥٠هـ إلى ١٥٠هـ) موضع الدراسة نجد أن الكثير من العلماء كانوا يعملون في حرف عدّة أهمها التجارة، والبعض منهم كانوا يشتغلون بالعمل الإداري كالقضاء وغيره، وهناك عدد منهم اعتمدوا في كسبهم على مصادر أخرى كالزراعة وغيرها،ونتيجة لذلك فقد أصبح البعض منهم من ذوي الثراء والغناء، فهذا الليث بن سعد مثلاً كان يكسب في السنة عشرين ألف دينار[4]، وقيل أن الإمام مالك لما توفى ترك من الذهب (٢٦٢٧) دينار ومن الدراهم (١٠٠٠) درهم [5] ، كما يروى أن سعيد بن المسيب خلّف مائة دينار وقيل ألفين أو ثلاثة آلاف[6].

وسنحاول في هذا الفصل أن نتتبع مصادر دخلهم المتنوعة كالحرف والتجارة وما يتعلق بهما من معاملات شخصية، المرتبات الرسمية مقابل أعمال ومناصب في الدولة وأخيراً نقف عند المصادر الأخرى التي كان يعتمد عليها العلماء في معيشتهم ومنها مجال العطاء وهل له صفة الخصوصية أم هو عطاء عام كعطاء غيرهم من الناس .

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص٢٤٩ – ابن رسته: أحمد بن عمر بن رسته (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) الأعلاق النفيسه ج٧ ص١٩٢ ، ط أولى ،١٩٨٨م ، دار أحياء التراث العربي ، القاهرة – التوحيدي: أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ /١٠٠٩م) البصائر والذخائر ج٥ ص٤٢ ، تحقيق / وداد القاضي ، ط أولى ،١٩٨٨م ، دار صادر ، بيروت ، لبنان

(٢) التوحيدي : البصائر ج٥ ص٤٢ .

(٣) المحاسبي : الحارث بن أسد (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) المكاسب ص٥٩ ، دراسة وتحقيق / عبدالقادر عطاء ، ط أولى ، ١٩٨٧م ،مؤسسة الكتاب الثقافية ، (بدون مكان للطبع) .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص١٤٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص١٤ .

(٥) الذهبي : السير ج٨ ص١٣٣ .

(٦) المصدر نفسه : ج٤ ص٢٣٩ .

التجـــارة والحـــرف :

اهتم العلماء بالعمل في مجال التجارة والحرف، حتى لُقبَ البعض منـــهم باســـم الحرفة التي يمارسها ، فنجد في المصادر وبخاصة التراجم منها أسماء تدل على ذلك مثـل مطر الورّاق[1]، وعثمان البتي[2]، وحمزة بن حبيب الزّيات [3]، وهناك من العلماء مـــن صارت الحرفة تذكر من ضمن الألقاب والصفات الرئيسية فيه،فكما كان يقال: العالم، المحدث، الفقيه ... الخ ، يقال أيضاً : الخياط،الخزاز مثل ذلك فطر بن خليفة [4] العـالم المحدث الصدوق الحنّاط [5]، وعمرو بن قيس الكوفي البزّاز [6] الحافظ ... وهكذا .

ولأن العلماء كانوا يحرصون على الكسب النقي الحلال الذي لا يشوبه شيء فقد أتجه الكثير منهم إلى هذا الميدان – التجارة والحرف – لطيب مكسبهما،والجدول التالي يوضح لنا ذلك ، وقد قمنا بترتيبه زمنياً بحسب سنة الوفاة :

---

(1) مطر الوراق: الأمام الزاهد الصادق ، مولى عنباء بن أحمر اليشكري ، كان من العلماء العاملين ، وقد نهاه البعض عن بيع المصاحف فقال : كان الحسن البصري والشعبي لا يريان به بأساً (ت ١٢٥هـ/٧٤٢م) { الذهـــبي : السير ج٥ ص٤٥٢ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٧ ص١٤٣ – وأنظر أيضاً : خليفة بن خيـــاط : الطبقات ص٢١٥ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٧٥ – ابن حبان : المشاهير ص١٥٣ } .

(2) عثمان البتي : فقيه البصرة ، أبو عمرو وأسم أبيه مسلم وقيل أسلم ، واصله من الكوفة ، وثقه أحمد بن معـــين وكان صاحب رأي وفقه ، وكان يبيع البتوت وهي ثياب معروفة بالبصرة ، وهي أكسية غليظة (ت ١٤٧هـــ/٧٦٤م) { الذهبي : السير ج٦ ص١٢٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠٩ – ابن سعد : الطبقـــات ج٧ ص٢٥٧ } .

(3) هو حمزة بن حبيب الزيّات بن إسماعيل ، الأمام القدوة ، شيخ القراءة ، أبو عمارة التيمي ، مولاهم الكـــوفي ، وكان أحد القراء السبعة ، وأصله فارسي، وكان أماماً قيماً لكتاب الله ، قانتاً شديد الورع رفيع الذكر عالمـــاً بالحديث والفرائض (ت ١٥٨هـ/٧٧٤م) { الذهبي : السير ج٧ ص٩٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٨٨ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٣٨٥ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٢١٦ – وأنظر أيضاً : ابـــن حبـــان : المشاهير ص٢٦٦ – أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ص٥٢،٥٣ } .

(4) فطر بن خليفة : الشيخ العالم المحدث الصدوق ، أبو بكر الكوفي المخزومي مولى عمرو بن حريث رضي الله عنه، وثقه أحمد بن حنبل ، وقال ابن سعد ثقة أن شاء الله (ت ١٥٣هـ/٧٦٩م) {الذهبي : الســير ج٧ ص٣٠،٣١ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٣٦٤ – خليفة بن خياط : الطبقات ص١٦٨ – ابن حبان : المشاهير ص٢٦٦}

(5) الذهبي : السير ج٧ ص٣٠ .

(6) المصدر نفسه : ج٦ ص٢٥٠ .

م	اسم العالم	النسب	سنة الوفاة	الحِرَفَة	المصادر
١	زاذان أبو عمرو	مولى	٨٢هـ/٧٠٠م	بزاز يبيع الكرابيس[1]	الذهبي : السير ج٤ ص٢٨٠ – ابن الجوزي :المنتظم ج٦ ص٢٥١،٢٥٢ – أبو نعيم:الحلية ج٤ ص٩٩٩ .
٢	أبو الضحى مسلم بن صبيح القرشي	مولى	١٠٠هـ/٧١٨م	عطار[2]	الذهبي : السير ج٥ ص٧١ .
٣	القاسم بن مخيمرة الهمداني	عربي	١٠٠هـ/٧١٨م	تاجر	الذهبي : السير ج٥ ص٢٠٣ – ابن سعد :الطبقات ج٥ ص٣٤٩
٤	أبو صالح السَّمَّان	مولى	١٠١هـ/٧١٩م	زيات[3]	الذهبي : السير ج٥ ص ٣٦ – ابن حبان : المشاهير ص١٢٢
٥	مورق العجلي	عربي	١٠٨هـ/٧٢٦م	تاجر	الذهبي : السير ج٤ ص٣٥٤– خليفة بن خياط : الطبقات ص٢٠٩ .
٦	محمد بن سيرين	مولى	١١٠هـ/٧٢٨م	بزّاز[4] ، و زيّات	الذهبي : السير ج٤ ص٦٢٠ – ابن الجوزي :المنتظم ج٧ ص١٣٩– ابن خلكان :الوفيات ج٤ ص١٨٢–ابن قتيبة : المعارف ص٢٥٠– ابن رسته :الأعلاق النفيسه ج٧ ص١٩٣
٧	ميمون بن مهران	مولى	١١٧هـ/٧٣٥م	بزّاز	الذهبي :السير ج٤ ص٦٢٠ – ابن الجوزي :المنظم ج٧ ص١٨٤ – ابن سعد :الطبقات ص٤٧٨ – ابن قتيبة : المعارف ص٢٢٠

(١) الكرابيس : هي الثياب القطنية ، وهي أثواب فارسية ، وبائعها يسمى كرابيسي { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٢٣٨ } .

(٢) العطار:هو الذي يبيع العطر وغيره من الطيب وأحياناً يسمى داري { ابن منظور:لسان العرب ج٢ ص٨١٠}.

(٣) الزيّات: هو الذي يبيع الزيت وقد يقوم بعصره { ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٦٨ } .

(٤) البزّاز : هو الذي يبيع البز وحرفته البزازه { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٢٠٧ } .

٨	أبو داود عبدالرحمن بن هرمز	مولى	١١٧هـ/٧٣٥م	وراق [1]	الذهبي : السير ج٥ ص٦٩ .
٩	عبدالله بن كثير	مولى	١٢٠هـ/٧٣٧م	عطار (داري)	الذهبي : السير ج٥ ص٣١٨ –خليفة بن خياط : الطبقات ص٢٨٢
١٠	مطر الوراق	مولى	١٢٥هـ/٧٤٢م	وراق	الذهبي: السير ج٥ ص٤٥٢– خليفة بن خياط:الطبقات ص٢١٥–ابن عساكر:تهذيب التاريخ ج٧ ص١٤٣
١١	عبدة بن أبي لبابة	مولى	١٢٧هـ/٧٤٤م	تاجر	الذهبي : السير ج٥ ص٢٢٩ .
١٢	أشعث بن سوار الكندي	مولى	١٣٠هـ/٧٤٧م	نجار (توابيتي) [2]	الذهبي : السير ج٦ ص٢٧٥،٢٧٦
١٣	مالك بن دينار	مولى	١٣١هـ/٧٤٨م	وراق	الذهبي : السير ج٥ ص٣٦٢،٣٦٤– ابن سعد :الطبقات ج٧ ص٢٤٣ – ابن قتيبة : المعارف ص٢٥٠ –ابن رسته : الأعلاق النفيسة ج٧ ص١٩٣ – التوحيدي:البصائر والذخائر ج٥ ص٤٢،٤٣ .
١٤	الحسن بن الحر بن الحكم	مولى	١٣٣هـ/٧٥٠م	تاجر	الذهبي : السير ج٦ ص١٥٣–ابن عساكر:تهذيب التاريخ ج٤ ص١٦٣
١٥	خير بن نعيم بن مره بن كريب	عربي	١٣٧هـ/٧٥٤م	زيات	ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧ .
١٦	يونس بن عبيد	مولى	١٣٩هـ/٧٥٦م	خزاز [3] ، وبزاز	الذهبي : السير ج٦ ص٢٨٩،٢٩٣– ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص٢٥ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٦ .

(١) الوراق : هو الذي عمله الكتابة في الورق ، مثل كتابة المصاحف وغيرها ، ثم يبيعها { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٩١٢ } .

(٢) هكذا ورد في تسميته ، النجار التوابيتي صاحب التوابيت .

(٣) الخز كما سبق نوع من الثياب وبائعه خزاز ، وعليه فإن الخزاز هو الذي يبيع ثياب الخز { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٨٢٥ } .

١٧	داود بن أبي هند	مولى	١٣٩هـ/٧٥٦م	خزاز ، خياط	الذهبي :السير ج٦ ص٣٧٧ – ابن الجوزي:المنتظم ج٨ ص٢٥–أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٩٢ – ابن عبدالهادي : الطبقات ج١ ص٢٣٠
١٨	أبو العلاء أيوب بن أبي مسكين	عربي	١٤٠هـ/٧٥٧م	قصاب [1]	الذهبي :السير ج٦ ص١٤٣ – ابن سعد: الطبقات ج٧ ص٣١٢ – ابن حبان :المشاهير ص٢٨٠ – ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب ج١ ص٢٠٨
١٩	إسماعيل بن أبي خالد	مولى	١٤٦هـ/٧٦٣م	طحان [2]	الذهبي :السير ج٦ ص١٧٦ – ابن عبدالهادي :الطبقات ج١ ص٢٣٩ – السيوطي :طبقات الحفاظ ص٦٧
٢٠	عمرو بن قيس الملائي	عربي	١٤٦هـ/٧٦٣م	بزاز	الذهبي :السير ج٦ ص٢٥٠ – ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص٩٩ – أبو نعيم :الحلية ج٥ ص١٠٠ – الخطيب البغدادي : التاريخ ج١٢ ص١٦٣ .
٢١	محمد بن سوقة	مولى	١٤٦هـ/٧٦٣م	بزاز	ابن الجوزي :المنتظم ج٧ ص٢٨٢ – ابن سعد:الطبقات ج٦ ص٣٤٠ .
٢٢	عثمان البتي	مولى	١٤٧هـ/٧٦٤م	بياع البتوت	الذهبي :السير ج٦ ص١٤٨ –ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص١٠٩
٢٣	كهمس ابن الحسن التميمي	مولى	١٤٩هـ/٧٦٦م	يعمل في الجص	الذهبي :السير ج٦ ص٣١٧ –خليفة بن خياط : الطبقات ص٢٢١ .
٢٤	أبو حنيفة : النعمان بن ثابت	مولى	١٥٠هـ/٧٦٧م	خزاز	الذهبي :السير ج٦ ص٣٩٤ –ابن الجوزي:المنتظم ج٨ ص١٢٩–ابن قتيبة:المعارف ص٢٥٠– ابن رسته: الأعلاق النفيسه ج٧ ص١٩٣– التوحيدي:البصائر والذخائر ج٥ ص٤٤

[1] القصاب : هو الجزار وحرفته القصابة { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٩٥ } .

[2] الطحان : الذي يلي الطحين وحرفته الطحانة{ ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٥٧٤ }

٢٥	مقاتل بن حيان	مولى	١٥٠هـ/٧٦٧م	خراز [1]	الذهبي :السير ج٦ ص٣٤٠ –ابن عبدالهادي :الطبقات ج١ ص٢٦٩ وفيه الخزاز بدلا من الخراز ، لكن الصواب هوالخراز لأن الذهبي أوضح ذلك فقال بـراء ثم زاي (السير ج٦ ص٣٤٠)
٢٦	هشام الدستوائي	مولى	١٥٢هـ/٧٦٨م	بائع الثياب الدستوائية	الذهبي :السير ج٧ ص١٤٩ – ابن حبان :المشاهير ص٢٤٩،٢٥٠ –ابن عبدالهادي :الطبقات ج١ ص٢٥٥
٢٧	صالح بن رستم (أبو عامر)	مولى	١٥٢هـ/٧٦٨م	خزاز	الذهبي : السير ج٧ ص٢٨ .
٢٨	فطر بن خليفة	مولى	١٥٣هـ/٧٦٩م	حناط [2]	الذهبي : السير ج٧ ص٣٠ – ابن سعد :الطبقات ج٦ ص٣٦٤ .
٢٩	حمزة بن حبيب الزيات	مولى	١٥٦هـ/٧٧٢م	زيات + بيع الجبن والجوز	الذهبي :السير ج٧ ص٩٠ – ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص١٨٨ – ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٣٨٥ – ابن خلكان :الوفيات ج٢ ص٢١٦ .
٣٠	أبو جعفر الرازي	خراساني	١٦٠هـ/٧٧٦م	تاجر	الذهبي :السير ج٧ ص٣٤٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٦٠ .
٣١	أبو الأشهب (جعفر بن حيان العطاردي)	عربي	١٦٥هـ/٧٨١م	خراز	الذهبي : السير ج٧ ص٢٨٦ .
٣٢	حماد بن سلمة	مولى	١٦٧هـ/٧٨٣م	بزاز	الذهبي :السير ج٧ ص٤٤٤ – ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص٢٩٥ – ابن عبدالهادي :الطبقات ج١ ص٣٠٦ – ابن حبان :المشاهير ص٢٤٧ .

[1] قال ابن منظور : وقد خرز الخف وغيره يخرزه ويخرزه خرزا ، والخراز : صانع ذلك وحرفته الخرازه { لسان العرب ج١ ص٨١١ } ومن هنا يتضح لنا أن الخراز هو من يصنع الأحذية أو الخفاف أو أي شيء آخر من الجلود مثل الدلو وغيره .

[2] الحناط : بائع الحنطة والحناطة حرفته { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٧٣٧ } .

٣٣	أبو شهاب الحناط	عربي	١٧٢هـ/٧٨٨م	حناط	الذهبي : السير ج٨ ص٢٢٦ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٣٩١ .
٣٤	إسماعيل بن زكريا بن مرة	مولى	١٧٣هـ/٧٨٩م	تاجر طعام	ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٤٦– ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٣٢٦ .
٣٥	خالد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن زيد	مولى	١٧٩هـ/٧٩٥م	طحان	الذهبي : السير ج٨ ص٢٧٧ .
٣٦	عيسى بن ميمون	عربي	١٨٠هـ/٧٩٦م	خزاز	الذهبي : السير ج٨ ص٢٧٦ .
٣٧	علي بن هاشم	مولى	١٨٠هـ/٧٩٦م	خزاز	الذهبي : السير ج٨ ص٣٤٣ .
٣٨	عبدالله بن المبارك	مولى	١٨١هـ/٧٩٧م	تاجر	الذهبي : السير ج٨ ص٣٧٩ – ابن عبدالهادي :الطبقات ج١ ص٤٠٢ .
٣٩	مفضل بن فضالة	عربي	١٨١هـ/٧٩٧م	يعمل الأرحيه[1]	الذهبي : السير ج٨ ص١٧٢ .
٤٠	سفيان بن حبيب	عربي	١٨٣هـ/٧٩٩م	تاجر	الذهبي : السير ج٨ ص٣٥٠ .

ومن خلال هذا الجدول يتضح لنا ما يلي :

– أن نسبة العلماء المشتغلين بالتجارة والحرف تبلغ ٢٥% تقريبا من مجموع العلماء الذين شملتهم الدراسة والذين يبلغ عددهم ١٨٠ تقريبا .

– أن ثلث [2] هؤلاء العلماء كانوا يشتغلون – كما ورد في المصادر – في تجارة البز أو الثياب أو الخز ، لأن الخز كما سبق تعريفه هو نوع من الثياب ، ولا نجد تفسيرا واضحا لذلك غير قول، لسعيد بن المسيب إذ يقول :"ما من تجارة أحب إلي من البز ما لم تقع فيه الأيمان "[3]، وهذا يدلنا على أن العلماء كانوا يحبون تجارة البز ، وسبب ذلك على ما يبدو من قول سعيد بن المسيب، سهولة الحصول على الأرباح من ورائها؛ لكونها تجارة واسعة الانتشار ويحتاج إليها معظم الناس، ومن هنا فالربح الذي

[1] الأرحيه : مفردها رحى والرحى هي الحجر العظيم ، والرحى معروفة التي يطحن بها والجمع أرحيه ، والمرحي : الذي يسوي الرحى { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص١١٤٤،١١٤٥ } .

[2] عددهم ١٤ من ٤٠ المسجلين في الجدول .

[3] ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣٤ .

قد يحصل عليه التاجر ليس فيه أي شبهة وليس فيه أي يمين وهذا ما كان يحرص عليه العلماء في تجارتهم،ومن هؤلاء العلماء مثلا زاذان أبو عمرو[1]، وعيسى بن ميمون [2]، وعلي بن هاشم[3] .

– وهناك نسبة أيضا تبلغ الربع[4] تقريبا من هؤلاء العلماء كانوا يشتغلون في التجارة بشكل عام ، ولم تحدد لنا المصادر ماهية هذه التجارة ، ومن هؤلاء مثلا أبو جعفر الرازي[5]، وإسماعيل بن زكريا بن مرة [6]، ومورق العجلي [7]، وسفيان بن حبيب [8].

– واحتلت تجارة الزيت والسمن المرتبة الثالثة بعد تجارة البز والتجارة العامة ،

---

(1) زاذان أبو عمر الكندي مولاهم الكوفي البزاز الضرير ، أحد العلماء الكبار (ت ٨٢هـ/٧٠٠م) { الذهبي : السير ج٤ ص٢٨٠،٢٨١ } .

(2) عيسى بن ميمون : الإمام المحدث، اسمه أبو عبيدة التيمي الرقاشي البصري الخزاز (ت ١٧٢هـ/٧٨٨م) {الذهبي : السير ج٨ ص٢٧٦ } .

(3) علي بن هاشم بن البريد : الإمام الحافظ الصدوق أبو الحسن ، مولاهم الكوفي مولى امرأة قرشية (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م) { الذهبي : السير ج٨ ص٣٤٢-٣٤٤ } .

(4) عددهم ٨ وهناك أيضا بعض العلماء كانوا يدفعون بعض أموالهم إلى زملاء لهم ليتاجروا بها ، ثم يأخذون أرباحها ، سنذكرهم لاحقا .

(5) هو عيسى بن ماهان عالم الري ولد بالبصرة (٩٠هـ/٧٨٠م) ،وثقه يحي بن معين وأبو حاتم ، وكان يتجر إلى الري ويقيم به (ت ١٦٠هـ/٧٧٦م) {الذهبي: السير ج٧ ص٣٤٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٥٩،٢٦٠}

(6) أبو زيد الخلقاني : مولى أسد بن خزيمة ، كوفي الأصل وكان يتجر في الطعام كان ثقة {ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٤٥ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٣٢٦ } .

(7) مورق بن عبدالله العجلي : الأمام الثقة التاجر ، ويكنى أبا المعتمر ، وكان يضع الصرر من المال عند أصحابه ويقول : أن أحتجتم فأنفقوها ، فيكون آخر عهده بها (ت ١٠٨هـ/٧٢٦م) { الذهبي :السير ج٤ ص٣٥٣،٣٥٤ – خليفة بن خياط : الطبقات ص٢٠٩ } .

(8) سفيان بن حبيب الحافظ الثبت ، أبو محمد البصري البزاز ، وثقه أبو حاتم { الذهبي : السير ج٨ ص٣٥٠ } .

ومن هؤلاء العلماء الذين كانوا يتاجرون في الزيت، أبو صالح السمان [1]، وخير بن نعيم بن مرة [2]. وفيهم من كان يضيف إلى تجارة الزيت أشياء أخرى مثل حمزة بن حبيب الزيات الذي كان يتاجر في الجبن والجوز [3]، ومحمد بن سيرين الذي كان يتاجر في البز أيضا [4].

وأما أصحاب الحرف من العلماء فإنهم يشكلون الثلث[5] تقريبا ، وهذه الحرف متنوعة، وتختلف من عالم لآخر، فمثلا أبو الضحى مسلم بن صبيح[6] كان (عطاراً) ومقاتل بن حيان [7] (خرّازاً) وأشعث بن سوار الكندي[8] (نجاراً) وإسماعيل بن أبي خالد[9] (طحاناً)

---

[1] أبو صالح السمان : وأسمه ذكوان بن عبدالله ، القدوة الحافظ الحجة ، مولى أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ،كان من كبار علماء المدينة ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب (ت ١٠١هـ/٧١٩م) وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة { الذهبي : السير ج٥ ص٣٦ — ابن حبان : المشاهير ص١٢٢،١٢٣ } .

[2] خير بن نعيم بن مرة: أبو نعيم الحضرمي ولي القضاء والقصص في آخر خلافة بني أمية وأول خلافة بني العباس وكان فقيها ، ولم يكن في قضاة مصر أفقه منه { ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧ } .

[3] الذهبي : السير ج٧ ص٩٠ — أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ص٥٢.كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ، ثم يجلب منها الجوز والجبن .

[4] الذهبي : السير ج٤ ص٦٢٠ .

[5] عددهم ١٦ من أصل ٤٠ ويضاف إلى الأربعين من كانوا يشتغلون أحيانا في التجارة .

[6] هو أبو الضحى مسلم بن صبيح القرشي الكوفي مولى أبي سعيد بن العاص كان من أئمة الفقه والتفسير ، ثقة حجة (ت ١٠٠هـ/٧١٨م) في خلافة عمر بن عبدالعزيز { الذهبي :السير ج٥ ص٧١ } .

[7] مقاتل بن حيان بن دوال دور ومعناه بالفارسية الخراز — الإمام العالم المحدث الثقة — البلخي ، هرب من خراسان أيام أبي مسلم إلى بلاد كابل فدعاهم إلى الله فأسلم على يده خلق، وكان من العلماء العاملين{ الذهبي: السير ج٦ ص٣٤٠،٣٤١ — ابن حبان :المشاهير ص٣٠٩ — خليفة بن خياط :الطبقات ص٣٢٢ } .

[8] أشعث بن سوار الكندي الكوفي النجار التوابيتي ، وهو الذي يقال له صاحب التوابيت وهو مولى ثقيف ، وهو قاضي الأهواز ، وكان أحد العلماء على لين فيه { الذهبي :السير ج٦ ص١٧٣،١٧٤ } .

[9] إسماعيل بن أبي خالد ، الحافظ الأمام الكبير ، أبو عبدالله البلخي ،الأحمسي ، مولاهم الكوفي ، كان محدث الكوفة في زمانه مع الأعمش ، وكان حجة متقنا عالما عاملا (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م) بالكوفة { الذهبي :السير ج٦ ص١٧٦،١٧٧،١٧٨ — ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٢٣٩،٢٤٠ — ابن سعد :الطبقات ج٦ ص٣٤٤ — وأنظر : ابن حبان : المشاهير ص١٧٨ — السيوطي : طبقات الحفاظ ص٦٦،٦٧ } .

وكهمس[1] (جصاصاً) ، وأبو داود عبدالرحمن بن هرمز[2] (وراقاً) وأبو شهاب[3] (حناطاً) وآخر خياطً ... وهكذا .

ومن خلال الجدول نلاحظ أيضا أن البعض من هؤلاء العلماء كانوا يعملون في حِرَف قد تعد في نظر البعض اليوم من الحرف الحقيرة التي تسيء إلى صاحبها وتجعله في المجتمع أقل مكانة وتقديرا، ومن هؤلاء العلماء أيوب بن أبي مسكين[4] وكان جزاراً، وجنيد الحجام[5]، ومفضل بن فضالة [6] الذي كان يعمل الأرحيه ، وأبو الأشهب ، جعفر بن حيان العطاردي[7] وكان خرّازاً ، وغيرهم[8] ، وعليه فالذي نستنتجه من خلال ذلك ما يلي:

---

[1] كهمس ابن الحسن التميمي :الحنفي البصري ، العابد أبو الحسن من كبار الثقات ،حدث عنه عبدالله بن المبارك وأخرون ، قال الذهبي :وخلق كثير ، وثقه أحمد بن حنبل ، وهو مولى بني قيس بن ثعلبه { الذهبي :السير ج٦ ص٣١٦،٣١٧ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١٩ – خليفة بن خياط :الطبقات ص٢٢١ – ابن حبان :المشاهير ص٢٣٩ } .

[2] هو أبو داود عبدالرحمن بن هرمز الأعرج ، كان عالما في العربية ، والحديث والأنساب (ت ١١٧هـ/٧٥٣م) وكان يكتب المصاحف { الذهبي :السير ج٥ ص٦٩،٧٠ } .

[3] هو أبو شهاب الحناط ، اسمه عبدربه بن نافع الكوفي ، ثم المدائني ، وثقه يحي بن معين {الذهبي :السير ج٨ ص٢٢٦،٢٢٧ } .

[4] هو أيوب بن أبي مسكين: أبو العلا ، الفقيه ، مفتي أهل واسط { الذهبي :السير ج٦ ص١٤٣ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٣١٢ – ابن العماد الحنبلي :عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ، (بدون تاريخ) } .

[5] هو جنيد الحجام هكذا ورد اسمه، ولم نذكره في الجدول لأن الذهبي لم يفرد له ترجمة، وإنما جاء ذكره في ترجمة الأعمش ، وكان محدثا ، وقد جاءه الأعمش ليحلق رأسه لديه {الذهبي : السير ج٦ ص٢٣٨ } .

[6] هو مفضل بن فضاله بن عبيد : الإمام الحجة ، القدوة قاضي مصر ، وكان من أهل الدين والورع والفضل وكان مجاب الدعوة { الذهبي :السير ج٨ ص١٧١،١٧٢ – أبو نعيم :الحلية ج٨ ص٣٢١ – ابن كثير : البداية ج١٠ ص١٧٩ } .

[7] هو أبو الأشهب : جعفر بن حيان العطاردي ، الخراز ، حدث عنه خلق كثير منهم ابن المبارك ، وثقه يحي بن معين وأبو حاتم (ت ١٦٥هـ/٧٨١م) { الذهبي :السير ج٧ ص٢٨٦،٢٨٧ } .

[8] منهم مثلا أيوب السختياني الذي ذكر أنه كان يبيع الجلود السختيانية { ابن قتيبة : المعارف ص٢٥٠ – ابن رسته : الأعلاق النفسية ج٧ ص١٩٣ } .

– أن العلماء لم يكونوا يجدون أي حرج أو غضاضة في ممارستهم لهذه الحرف والأعمال كصناعة الأحذية والحجامة وغيرها؛ لأنهم بطبيعة الحال أعرف من غيرهم بالحسن والقبيح ، والصواب والخطأ .

– أن ممارستهم لهذه الحرف لم تكن لتنقص من قيمتهم ومترلتهم بين الناس ، بل على العكس ، كانت تزيدهم علواً ورفعة، بسبب احتكاكهم المباشر بالناس من خلال البيع والشراء ، وتبادل المنافع ، وقد رأينا كيف أن البعض من العلماء – وكانوا من العبيد – مثل عكرمة مولى ابن عباس، ونافع مولى ابن عمر وغيرهم، كانت لهم مكانة كبيرة في المجتمع [1].

–أن النظرة القاصرة إلى أصحاب هذه الحرف، كما هو الحال في العصور المتأخرة لم تكن موجودة في تلك الفترة، بدليل أننا لم نجد في المصادر أحداً من العلماء، أوغيرهم يعيب على هؤلاء ممارستهم لهذه الأعمال والحرف أو يقلل من شأنهم لأن قيمة الإنسان في الإسلام بما يحمله من إيمان وتقوى لا بالعمل الذي يمارسه أيّاً كان شكله أو نوعه، فالإسلام قد ترك للفرد حرية اختيار العمل الذي يريده ويهواه مادام في إطار الحلال والشرع، ومما يؤيد أن هذه النظرة لم تكن موجودة في المجتمع، أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يمارسون مثل هذه الأعمال والحرف كما أسلفنا[2]، وظل الأمر كذلك في عهد التابعين وتابيعهم ، إذ أن الفارق الزمني ليس كثيراً بين الفترة التي ندرسها وبين فترة الصحابة ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث على العمل أيّاً كان ، ولم يرد عنه قط أنه عاب أي عمل من مثل هذه الأعمال ، وعليه فإن هذه المظاهر كانت مألوفة وبارزة في حياة العلماء ويراها الناس بوضوح .

وأخيراً نلاحظ – من خلال الجدول – أن ٧٥% من هؤلاء العلماء الذين كانوا يعملون في التجارة ، والحرف ، كانوا من الموالي و ٢٥% من العرب. وهذا الأمر

(١) مثلاً عكرمة ظل عبد طوال حياة عبدالله بن عياش و لم يعتقه إلا علي بن عبدالله بعد أن توفي والده ، وقد وصل ذات مره إلى البصرة فازدحم عليه الناس وتكاثروا عليه حتى صعد فوق ظهر أحد البيوت ليراه الناس كلهم ويسمعوه { الذهبي : السير ج٥ ص١٥ ، ١٦ ، ١٨ } .

(٢) أنظر ص ١ ، ٢ من هذا الفصل .

يناقض ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن العرب لم يكن لهم عمل في هذه الفترة إلا في السياسة والحكم والحرب ، بينما الموالي هم القائمون بالحرف والصناعات والتجارة ، وأن العرب كان يحتقرون الموالي ويعتبرونهم طائفة منحطة لا تكاد تختلف عن طائفة الرقيق في شئ [1] ، وذلك لمزاولتهم تلك الأعمال . وعليه فإن هذه النسبة ٢٥٪ من " العرب الذين يزاولون الزراعة والتجارة والرعي والصناعات المختلفة مما يتعلق بكل ذلك من قريب أو بعيد لا يمكن أن يحتقروا عملا يزاولونه بأنفسهم، ولا يمكن أن يزدروا أصحاب هذا العمل بأي حال من الأحوال وهم أصحابه " [2].

وإضافة إلى ما ذكرناه في الجدول، فإن هناك صورا أخرى من الأعمال التجارية التي كان يعتمد عليها العلماء في كسب معاشهم، منها ما يمكن أن نطلق عليه المضاربة [3]، ومنها أن بعض العلماء كانوا يقومون بتسليم مبلغ معين إلى شخص أو أكثر – وقد يكون هذا الشخص تاجر أو غير تاجر – ليتاجر له به، ولا يكون بينهما شرط ، وإنما يقوم بذلك من باب الخدمة للعالم لا غير .

يروى أن سفيان الثوري ذهب إلى اليمن بمبلغ أربعة آلاف مضاربة ، فأنفق الربح، وكان له مال أو بضاعة عند أبي جعفر الرازي التاجر، وكان أحيانا يفرق مالا على بعض إخوانه يتاجرون له به، ثم يلقاهم في موسم الحج ويحاسبهم ويأخذ منهم

---

(1) أمين : أحمد أمين . فجر الإسلام ص١٨١ ط الثانية عشر ١٩٧٨م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة – زيدان : جورجي زيدان . تاريخ التمدن الإسلامي ج٤ ص٧٠ ، دار الهلال – القاهرة . (بدون طبعة وتاريخ) – فلوتن : فان فلوتن . السيارة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ص٣٧ – ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه/حسن إبراهيم حسن ، ومحمد زكي إبراهيم . ط ثانية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥م ، القاهرة .

(2) المقداد : د/محمود المقداد . الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي ص٢١٣، ط أولى ١٩٨٨م، دار الفكر دمشق . قال هذا في معرض رده على رأي أحمد أمين وجرجي زيدان وفان فلوتن وغيرهم ، غير أنه لم يورد أي دليل على اشتغال العرب بالحرف والصناعات والتجارة في هذه الفترة { المرجع نفسه ص٢١١-٢١٣ }.

(3) المضاربة : أن تعطي أنسانا من مالك يتجر فيه ، على أن يكون الربح بينكما ، أو يكون له سهم معلوم من الربح وكأنه مأخوذ من الضرب في الأرض لطلب الرزق { الذهبي :السير ج٧ ص٢٤١ } .

الربح[1] ، وهكذا كان يفعل بعض العلماء الكبار[2] .

وهذا الأعمش كانت له بضاعة عند أحد إخوانه، فكان يأتيه ويقول لــــه : قــد ربحت كذا وكذا وهو لم يبع منها شيئا[3] .

وصورة أخرى كان بعض العلماء يمارسونها، وهي بيع بعض المحاصيل الزراعيــة في السوق، من ذلك ما يروى عن الليث بن سعد، فقد باع ذات يوم ثمرة من قوم بمبلــغ معين تم الاتفاق عليه[4]، وكذلك كان يفعل بعض العلماء [5].

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن من بين هؤلاء العلماء من كان يمــارس التجــارة ثم تركها، إما بسبب التفرغ للعلم، وإما لتوفر المال من مصادر أخرى، وإما لكونهم كانوا يتركون ذلك لوكلائهم ، من هؤلاء أبو حنيفة النعمان، حيث يذكر لنا ابن الجـوزي[6] أنه كان في أول أمره يبيع الخز ثم تشاغل بالعلم، أما الذهبي فلم يذكر ذلك، ويبدو أنه كــان يعتمد في تجـــارته على بعض الوكلاء [7]وكذلك عبدالله بن كثير يقول عنــه الذهبي[8] : أنه كــان يبيع العطــر قــديما ، هناك أيضا القاسم بن مخيمرة الهمــداني،

---

[1] الذهبي :السير ج٧ ص٢٧٧ — ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص٢٦٠ — ابن سعد :الطبقات ج٦ ص٣٧٢ ، ويذكر الذهبي أيضا أن سفيان مات وله مائة دينار بضاعة {السير ج٧ ص٢٤١ } .

[2] من هؤلاء العلماء سعيد بن المسيب كان له مال يتجر له فيه ومقداره أربعمائة دينار وذلك في تجارة الزيت {ابن كثير :البداية ج٩ ص١٠١ — المزي: تهذيب الكمال ج١١ ص٧٤ — ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهـــب ج١ ص١٠٢ }، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن سعد من أن سعيد بن المسيب كان يحب تجارة البز ، ولكن يبدو أن تجارة البز لم تتيسر له فكان يتجر في الزيت { الطبقات الكبرى ج٥ ص١٣٤ } ومنهم أيضا الأمام مالك كان له أربعمائــة دينار يتجر له فيها ، وعليها كان يعتمد في معيشته { ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٩ } .

[3] الذهبي : السير ج٦ ص٢٣٣ — ابن سعد : الطبقات ج٦ ص١٤٣ .

[4] الذهبي : السير ج٨ ص١٢٩ .

[5] منهم مثلا أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث فقد أحتاج ذات يوم إلى مال فأمر أحد أولاده أن يأخذ بعـــض المحاصيل الزراعية ويبيعها في السوق ، قال الراوي فظل في السوق أياما لا يبيع طعاما ولا زيتا أحد غيره ، ويبدو أن الزيت كان مخزونا لديه { مصعب الزبيري : نسب قريش ص٣٠٤ } .

[6] ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص١٢٩ .

[7] كتب أبو حنيفة ذات مرة إلى وكيل له أن في ثوب كذا وكذا عيبا فإذا بعته فبين { الخطيب البغدادي : تــاريخ بغداد ج١٣ ص٣٥٨ } ومن يتضح لنا أن أنه كان يعتمد في تجارته على الوكلاء .

[8] السير ج٥ ص٣١٨ .

والذي كان يعمل في التجارة ، فلما فرض له عمر بن عبدالعزيز من بيت المال تـــرك التجارة [1] .

الأخلاق التجارية للعلماء :

مما يتصل بالبيع والشراء والحرف، المعـــاملات والأخلاق المتعلقة بهما، فإن لكـــل مهنة أخلاق، وفي هذا المجال يجد الدارس أن العلماء التجار يتميزون عن غيرهم إلى حد كبير ، وذلك بالالتزام بأخلاق هذه المهنة ، إذ المتعارف عليه عند الكثـــير ، ضيـــاع الأمانة ، والغش ، إلا من رحـــم الله ، ولكن العلمـــاء – لكونهم يخافون الله تعـــالى – ضربوا لنا أمثلة رائعة وحية في المعاملات التجارية تمثلت فيما يلي :

– عدم مدح السلعة عند بيعها، إذ المتعارف عليه أن التاجر يمدح سلعته ، ولكـــن العلماء لم يكونوا كذلك ، فيذكر أن رجلا أراد أن يشتري ثوبا من يونس بن عبيد [2]، فقال يونس لغلامه : انشر الرزمة، ففعل الغلام وقال عند نشرها صلى الله عليه وسـلم وضرب بيده عليها، فما كان من يونس إلا أن أمر الغلام برفع الرزمة ورفض البيـــع منها مخافة أن يكون ذلك مدحا [3].

– بيان عيب السلعة أيضا عند بيعها وفي هذا المجال يـــروى أن عمرو بن قيـــس الملائي اشترى ثوبا وكان غزله ضعيفا ، فكان إذا جاء أحد يشتريه يخبره بذلك ، وظل الثوب مدة لم يشتره أحد حتى جاءه رجل فاشتراه وقال له قد أبرأناك منه [4] .

– عدم التعامل بالعملة الرديئة أو الناقصة وإتلافها أو إخفائها، من ذلك ما يذكر عن محمد بن سيرين كان إذا وقع عنده درهم زيف أو ناقص لم يشتر به، فلمـــا تـــوفي

---

(1) الذهبي : السير ج٥ ص٢٠٣ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٣٤٩ .

(2) هو يونس بن عبيد بن دينار ، الإمام الحجة أبو عبدالله ،مولاهم البصري وكان عالما ثقة زاهدا (ت ١٣٩هـ/٧٥٦م) { الذهبي : السير ج٦ ص٢٨٨،٢٩٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٥ } .

(3) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٠ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٦ .

(4) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٩٩ – الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد ج١٢ ص١٦٤،١٦٥ ، ومن أمثلة ذلـــك أيضا ما يحكى عن أبو حنيفة ، فقد كتب إلى وكيل له أن في ثوب كذا وكذا عيبا فإذا بعته فبين عيبه ، فباع وكيله ونسي أن يبين العيب، فلما علم أبو حنيفة بذلك تصدق بثمن الكمية كلها التي كان فيها ذلك الثوب{الخطيـــب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٥٨ } .

وجدوا عنده خمسمائة درهم بعضها زيوف وبعضها ناقصة [1]، وكذلك القاسم بن مخيمرة الهمداني كان إذا وقعت عنده الدراهم الزيف كسرها ولم يبعها[2] .

– الأمانة وترك الغش والخداع. وفي هذا السبيل كان العلماء أمناء في تجارتهم إلى أقصى أحد، فهذا يونس بن عبيد جاء إليه رجل يشتري منه مطرفا، وكان قد حان وقت الصلاة، فقال عندي مطرف بمائتي درهم ، وذهب ليصلي ، فلما رجع وجد أن ابن أخيه قد باع المطرف بأربعمائة درهم ، فما كان منه إلا أن قال للرجل : يا عبدالله هذا المطرف بمائتين فإن شئت خذه وخذ المائتين ، وإن شئت فدعه [3].

وهذا محمد بن سيرين اشترى زيتا بأربعة آلاف درهم، فوجد في جالون منه فأرة ، فقام بصب الزيت كله في الشارع[4]، مخافة أن تكون الفأرة قد وقعت قبل ذلك في المعصرة ولوثت جميع الزيت، فهو يفعل ذلك كله خوفا من غش المسلمين، وهذا أيضا زاذان أبو عمرو، كان إذا جاءه المشتري نشر له الثوب، وساومه مرة واحدة فقط [5].

– القناعة بالربح اليسير . لأن العلماء لم يكن همهم الأول جمع الأموال بقدر ما كان همهم توفير القوت الكافي، فهذا حماد بن سلمة كان إذا فتح حانوته وكسب في ثوب حبة أو حبتين – أي درهم أو درهمين – أغلق الحانوت وانصرف[6] .

وهناك أمر مهم لا ننسى أن نذكره هنا، وهو أن العلماء لم يكونوا ينشغلون بالسوق والتجارة عن ذكر الله والعمل الصالح ، كما يفعل غيرهم ، ولعل هذا مما كان يميز العلماء عن الآخرين ، فهذا عمرو بن قيس الملائي كان يأتي السوق صائما واستمر على ذلك عشرين سنة وأهله لا يعلمون[7]، وكان إذا نظر إلى أهل السوق وهم في

---

[1] الذهبي : السير ج٤ ص٦٢٠ ، والدراهم الزيوف سبق التعريف بها في ص٧٩ من الفصل الأول .

[2] المصدر نفسه : ج٥ ص٢٠٣ .

[3] المصدر نفسه ج٦ ص٢٨٩ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٦ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٥ .

[4] الذهبي :السير ج٤ ص٦١٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٣٩ ، إلا أنه ذكر في نفس الصفحة رواية أخرى مفادها أنه طعاما وليس زيتا وأنه أخبر عن أصل الطعام بشيء كرهه ، فتركه وتصدق به وبقي المال عليه فحبس.

[5] الذهبي : السير ج٤ ص٢٨١ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٩٩ .

[6] الذهبي :السير ج٧ ص٤٤٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٥ .

[7] ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٩٩ .

غفلتهم بكى وقال: "ما أغفل هؤلاء عما أعدَ لهم" (١)، ومثله داود بن أبي هند أيضا كان يأتي السوق صائما وأهله لا يعلمون استمر على ذلك أربعين سنة(٢)، وهذا محمد بن سيرين قال عنه شاهد عيان : "رأيت محمد بن سيرين في السوق ،فما رآه أحد إلا ذكر الله تعالى" (٣) وهذا يدل على ملازمته لذكر الله تعالى وعلى الطاعة والعبادة، حتى أصبحت رؤيته تذكر الناس بالله .

العوامل التي جعلت العلماء يحرصون على التجارة :

– من أهم العوامل التي دفعت العلماء إلى العمل في التجارة والحرف هو الحصول على المال اللازم الذي عن طريقه ينفقون على أنفسهم وأولادهم ، وحتى لا نذهب بعيدا في طرح وجهات النظر حول هذا الموضوع فإننا نستشهد بجوانب عملية من حياة العلماء ، ولنستمع إلى العلماء وهم يتحدثون حول ذلك ، و يجيبون على تساؤلات البعض من الناس، قال أحدهم للعالم خير بن نعيم بن مرة الحضرمي :" وأنت أيضا تتجر ؟ قال: فضرب بيده على كتفي وقال : انتظر حتى تجوع ببطن غيرك ، فقلت في نفسي كيف يجوع الإنسان ببطن غيره ، قال فلما بليت بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم "(٤) لقد أدرك (خير بن نعيم) أن هذا الرجل لا يعرف لماذا يتاجر المرء ويتعب لأنه لم يتزوج بعد أو لم يرزق الأولاد فقال له : انتظر حتى تجوع ببطن غيرك فلما رزق بالعيال عرف أنه لا بد من السعي والعمل من أجل الإنفاق عليهم وإلا أصابهم الجوع .

– ومن أهم العوامل أيضا تحري المال الحلال، فقد كان العلماء يرون أن الحرف – الأعمال اليدوية –والتجارة من أفضل الطرق للحصول على الرزق الحلال، حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك(٥) ، ولهذا نجد أنهم كانوا يفضلون المال من التجارة على ما سواه ، فهذا أبو وائل (شقيق بن سلمة)كان يقول: "درهم من

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٢٥١ .

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٣٧٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٥ .

(٣) الذهبي: السير ج٤ ص٦١٠ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧ .

(٥) سبق ذكره الحديث وتخريجه في ص ١٩٨ من هذا الفصل .

تجارة أحب إلي من عشرة من عطائي"(١)، وفي ذات مرة دخل جابر بن زيد على مالك بن دينار وهو يكتب، فقال: يا مالك ما لك إلا هذا ؟ تنقل كتاب الله هذا والله الكسب الحلال.(٢)

– وحتى تظل للعلماء شخصيتهم القوية والمستقلة ، كان عليهم أن يعتمدوا على أنفسهم ، وأن لا يمدوا أيديهم إلى الآخرين ، ولهذا كانوا يفضلون التجارة على ماسواها ، كان سفيان الثوري يقول :" لئن أخلف عشرة دراهم ويحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس" (٣) وفي ذات مرة نظر إليه رجل وفي يده دنانير فقال له :" يا أبا عبدالله تمسك هذه الدنانير ، فقال له : اسكت فلولاها لتمندل بنا الملوك(٤) أي سخروا منا. وقال آخر لعبدالله بن المبارك: " أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ، ونراك تتجر وتأتي بالبضائع الكثيرة فكيف ذا ؟ فقال عبدالله : إنما أفعل ذلك لأصون وجهي وأكرم عرضي وأستعين به على طاعة ربي "(٥) .

وهناك أسباب أخرى يمكن أن نضيفها إلى ما سبق، ولكنها ليست بدرجة ما سبق في الأهمية ، فقد كان من ضمن اهتمامات العلماء ، الإنفاق على إخوانهم العلماء ممن فرغوا أنفسهم للعلم أو من الفقراء ، يدلنا على ذلك قول عبدالله بن المبارك أيضا

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٥٤ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص١٠١ ، وكان أبو وائل يتمنى العمل في التجارة على ما يبدو ، لأنه كان يعتمد على عطائه الذي كان ألفين سنه { أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٠١ } .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص٣٦٤ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٤٣ ، ويذكر أن سفيان الثوري كان يقول لإخوانه وهم يتحدثون عن السعي للرزق : عليكم بعمل الأبطال لكسب الحلال والأنفاق على العيال { أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٨٠ } .

(٣) الذهبي : السير ج٧ ص٢٤١ .

(٤) المصدر نفسه : ج٧ ص٢٤١ – أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٨٠ .

(٥) الذهبي : السير ج٨ ص٣٨٧ ، وهذا سعيد بن المسيب أيضا يقول عن سبب اهتمامه بالمال وأمساكه له " اللهم أنك تعلم أني لم أمسكه بخلا ولا حرصا ، ولا محبة للدنيا وشهواتها ، وإنما أريد أن أصون وجهي من بني مروان حتى القى الله فيحكم في وفيهم ، وأصل منه رحمي وأؤدي منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار " { ابن كثير : البداية ج٩ ص١٠١ } .

لأحد إخوانه العلماء: "لولاك وأصحابك ما اتجرت" [1] فهو يحمل همّ الإنفاق على إخوانه من العلماء الذين تفرغوا للعلم أو غيرهم .

الأعمال الإدارية :

لم تكن الأعمال الإدارية التي تتبع الدولة في هذه الفترة كثيرة كما هو الحال اليوم، وإنما كانت قليلة ومحدودة مثل تولّي الإمارة ، والقضاء ، والزكاة ، وكذلك الخراج ، وبيت المال وغيرها من الأعمال. وقد تولّى بعض العلماء مثل هذه الأعمال كالإمارة والقضاء وبيت المال، غير أن أهم عمل إداري كانوا يتولّونه القضاء، وبالرجوع إلى المصادر نجد أن هناك عدداً من العلماء عملوا في مجال القضاء نذكر منهم : شريح بن الحارث[2] (ت ٨٠هـ/٦٩٩م) ويحيى بن يعمر[3] (ت ٩٠هـ/٧٠٨م) ، وابن أبي مليكة [4] (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) ويحيى بن سعيد[5] (ت ١٤٣هـ/٧٦٠م) ومعاوية بن صالح [6] (ت ١٥٨هـ/٧٧٤م)

---

[1] الذهبي: السير ج٨ ص٣٨٦، وللمزيد حول موضوع انفاق العلماء على إخوانهم أنظر الفصل الخامس ص٢٢٨.

[2] ولاّه عمر بن الخطاب قضاء الكوفة ، ثم عزله ابن الزبير ، ثم أعاده الحجاج على القضاء { الذهبي :السير ج٤ ص١٠٢،١٠٣،١٠٤ } .

[3] وليَ القضاء بمرو ، وولي القضاء للأمير قتيبة بن مسلم الباهلي ثم عزله { الذهبي : السير ج٤ ص٤٤٢ — ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٩٣ } .

[4] الذهبي : السير ج٥ ص٨٩ ، وهو عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكه ، الإمام الحجّة الحافظ ، أبو بكر القرشي التميمي المكي،وكان عالماً مفتياً صاحب حديث وإتقان { الذهبي : السير ج٥ ص٨٨،٨٩،٩٠ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٨٠ — وانظر أيضاً : خليفة بن خياط : الطبقات ص٢٥٧ ، أورده في الطبقة الثالثة من أبناء المهاجرين من قبائل قريش -ابن حبان: المشاهير ص١٣٥ — والسيوطي:طبقات الحفاظ ص٤١ } .

[5] الذهبي : السير ج٥ ص٤٧٠ — ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٤٢،٤٣ ، وهو يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو، الإمام العلاّمة المجود ، عالم المدينة في زمانه وتلميذ الفقهاء السبعة ،أبو سعيد الأنصاري الخزرجي النجاري وقد تولى القضاء في المدينة في أيام الوليد بن عبدالملك ، ثم تولى القضاء أيام أبي جعفر المنصور {الذهبي: السير ج٥ ص٤٦٨،٤٧٠،٤٧١ — ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص٤٢،٤٣ —وأنظر في : خليفة بن خياط : الطبقات ص٢٧٠ — ابن حبان :المشاهير ص١٣٠ — السيوطي: طبقات الحفاظ ص٥٧ } .

[6] الذهبي : السير ج٧ ص١٦٠ وهو معاوية بن صالح بن حدير بن سعيد الحضرمي ،الأمام الحافظ الثقة ، وقد رحل إلى الأندلس وهناك تولّى القضاء ، وكان من أوعية العلم { الذهبي : السير ج٧ ص١٥٨،١٥٩،١٦٢ — ابن عبدالهادي: الطبقات ج١ ص٢٧٣،٢٧٤— أنظر أيضاً ابن سعد: الطبقات ج٧ ص٥٢١ —خليفة بن خياط : =

وعافية بن زيد[1] (ت١٨٠هـ/٧٩٦م) وغوث بن سليمان بن زياد [2] (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م) وشريك بن عبدالله [3] (ت ١٧٧هـ/٧٩٣م) .

ولم تذكر لنا المصادر مقدار الراتب الذي كان يتقاضاه القاضي وهل هو راتب محدد لكل من يتولى القضاء أم لا ؟ إلا أنه ذكر أن إياس بن معاوية الذي ولي قضاء البصرة لعمر بن عبدالعزيز كان يأخذ في الشهر مائة درهم[4]، وعبدالرحمن بن حجيرة [5] كان يأخذ في الشهر مائتي دينار[6]، ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى[7] كان رزقه مقابل ذلك في الشهر مائة ردهم [8].

ومن خلال هذه الروايات يتضح لنا أن العلماء الذين تولوا القضاء كانت لهم رواتب شهرية، ولكنها لم تكن محددة ومقدرة فالبعض يتسلم مائتي دينار والبعض مائة درهم .. وهكذا، ولعل ذلك يعود إلى شخصية القاضي وزهده أو غناه أو لكونه يتسلم أيضا العطاء ، وهناك حالات استثنائية ، فبعض العلماء لم يكونوا يتقاضون أي

=الطبقات ص٢٩٦ ذكره في الطبقة الثالثة من أهل المغرب – ابن حبان : المشاهير ص٣٠٢ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص٧٧ } .

(1) الذهبي : السير ج٧ ص٣٩٨،٣٩٩ ، وهو عافية بن زيد بن قيس الكوفي ، وكان من العلماء العاملين والقضاة العادلين { الذهبي :السير ج٧ ص٣٩٨،٣٩٩ – والإعلام بوفيات الأعلام ص٨٢ ، حققه وعلق عليه / رياض عبدالحميد مراد وعبدالجبار زكار ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط أولى ،١٩٩١م – وأنظر : ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٣٣١ – ابن كثير : البداية ج١٠ ص١٧٦ } .

(2) ولي القضاء بمصر ثلاث مرات وكذلك ولي القضاء بالكوفة { ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٩،٣٠٠ } .

(3) الذهبي : السير ج٨ ص٢٠٠ .

(4) المصدر نفسه:ج٥ ص١٥٥– ابن الجوزي:المنتظم ج٧ص١٢١–ابن عساكر:تهذيب تاريخ دمشق ج٣ص١٧٩ .

(5) هو عبدالرحمن بن حجيرة أبو عبدالله الخولاني روي عن ابن عمر وأبي هريرة (ت ٨٣هـ/٧٠١م){ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٥٢،٢٥٣ – ابن حبان :المشاهير ص١٩٤} .

(6) ابن الجوزي :المنتظم ج٦ ص٢٥٢ .

(7) هو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، العلامة الإمام مفتي الكوفة وقاضيها ، أبو عبدالرحمن الأنصاري ، وكان نظيرا للأمام أبي حنيفة في الفقه (ت ١٨٤هـ/٧٦٥م) {الذهبي : السير ج٦ ص٣١٠،٣١١،٣١٥ – ابن عبدالهادي : الطبقات ج١ ص٢٦٤،٢٦٥ – ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٣٥٨ – وأنظر :خليفة بن خياط : الطبقات ص١٦٧ – الشيرازي :طبقات الفقهاء ص٨٥ – ابن خلكان :الوفيات ج٤ ص١٧٩ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص٧٤ } .

(8) الذهبي : السير ج٦ ص٣١٢ .

مقابل عل القضاء ، منهم الحسن البصري الذي ذكر أنه لم يكن يأخذ علـى القضـاء أجرا ، وقد يـرجع هذا الأمر إلى الخليفة أو الوالي فهو الذي يحدد مقدار الراتب لكل قاض بحسب ما يراه ، ثم إن هناك من العلماء من جمع بين القضاء والتجارة منهم خـير بن نعيم بن مرة ، الذي تولى القضاء في نهاية خلافة بني أمية وأول خلافة بني العباس[1] وسبق أن أوضحنا أنه كان تاجرا ، وكذلك مفضل بن فضالة الذي ولي القضاء بمصـر مرتين وكان يعمل الأرحية [2]، بل هناك من العلماء من جمع بين القضاء وأكـثر مـن عمل في وقت واحد ، نستدل على ذلك من خلال هـذه الروايـة الـتي تذكـر أن عبدالرحمن بن حجيرة ولي القضاء وبيت المال والقصص وكان يأخذ مقابل كل عمـل مائتي دينار إضافة إلى عطائه مائتي دينار وجائزة مائتي دينار فكان مجموع ما يـأخذه في الشهر ألـف دينار[3]، ومع ذلك يبدو أن مثل هذه الحالات كانت نادرة ، ومن هنـا نستنتج أن الجمع بين العمل الإداري والتجاري لم يكن مستهجنا في هذه الفترة ، إذ لا غضاضة في ذلك مادام الفرد يقوم بواجبه خير قيام ، ونستنتج أن جلـوس العلمـاء للقضاء بين الناس لم يكن يأخذ منهم أوقاتا كثيرة ، وذلـك بسـبب قلـة الخصـوم والمشاكل في هذه الفترة ، فقد روي أن القاضي غوث بن سليمان عندما عينه الخليفـة أبو جعفر المنصور قاضيا على الكوفة – وكان يسكن مصر – لم يوافـق إلا بعـد أن اشترط عليه أن يمكث فيها حتى ينقطع عنه الخصوم وأجابه أبو جعفر إلى ذلك قـال: "فجلست فحكمت بينهم ثم انقطع الخصوم فناديت الخصوم فلم يأت أحد فرحلت من وقتي إلى مصر " [4].

واشتغل العلماء بأعمال أخرى غير القضاء ، مثل ولاية الصدقات ، والخـراج ، وموسم الحج ، وولاية الدواوين ، وأحيانا الولاية العامة ، وغيرها مـن الأعمـال .

---

[1] ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٧ .

[2] الذهبي : السير ج٨ ص١٧٢ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦٤ .

[3] ابن الجوزي :المنتظم ج٦ ص٢٥٣ .

[4] المصدر نفسه : ج٨ ص٣٠٠ .

ومن أمثلة ذلك أن طاووس بن كيسان اليماني أستعمل من قبل والي اليمن على بعض الصدقات ، فكان يأتي الرجل ويقول له : تزكي يرحمك الله ، فإن فعل وإلا تركه[1] ، وكذلك تولى نافع (مولى ابن عمر) لعمر بن عبدالعزيز صدقات اليمن [2].

ومن الوظائف التي تولاها العلماء والتي تتصل بالمال ، ولاية الخراج وبيت المال (الخزانة) فقد روي أن ميمون بن مهران ولي خراج الجزيرة وقضاءها لعمر بن عبدالعزيز [3]، وكذلك ولي أبو الزناد (عبدالله بن ذكوان) بيت مال الكوفة لعمر بن عبدالعزيز أيضا ، وكان أبو الزناد كاتبا لبعض الولاة في المدينة ، وقد قدم على هشام بن عبدالملك بحساب ديوان المدينة [4]. ويذكر أيضا أن عالم الديار المصرية الليث بن سعد ولي ديوان العطاء [5].

هذا فيما يخص الأعمال التي كانت تتعلق بجمع الأموال وإنفاقها ، والذي نستنتجه من خلال ذلك أن الخلفاء والأمراء كانوا يعهدون بمثل هذه الأعمال للعلماء الذين يقبلون بها ، وذلك لأمانتهم وورعهم، فهذا سعيد بن المسيب يقول : " لئن أؤتمن على بيت مال أحب إلي من أن أؤتمن على امرأة "[6] ونستنتج أيضا أن كثيرا من هؤلاء العلماء وممن سنتكلم عنهم فيما بعد تولوا لعمر بن عبدالعزيز ، وهذا أمر له دلالته ، لكون العلماء كانوا يعتبرون عمر بن عبدالعزيز واحدا منهم ، وقد كان يقرب منه العلماء منذ أن كان أميرا على المدينة أيام الوليد بن عبدالملك .

---

(1) الذهبي : السير ج٥ ص٤٤ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص٥٤١ .

(2) الذهبي : السير ج٥ ص٩٨ .

(3) المصدر نفسه:ج٥ ص٧٣ – ابن الجوزي :المنتظم ج٧ ص١٨٤ – ابن سعد:الطبقات ج٧ ص٤٧٨ – أبو نعيم: الحلية ج٤ص٨٦ ؛ وفي رواية أخرى أوردها أبو نعيم :أنه كان كاتب عمر بن عبدالعزيز { الحلية ج٤ ص٨٢}.

(4) الذهبي : السير ج٥ ص٤٤٧،٤٤٨ .

(5) المصدر نفسه :ج٨ ص١٥٧ .

(6) المصدر نفسه : ج٥ ص٧٧ .

وإضافة إلى ما سبق فقد تولّى بعض العلماء الإمرة العامة (الوالي أو نائب الخليفة على إقليم معين) فقد كان أبو بكر بن محمد(١) أميراً على المدينة أيام خلافة سليمان بن عبدالملك ، ثم أقرَّه عمر بن عبدالعزيز ، وقد كان قبل ذلك قاضياً عليها ، كما أنه ولِيَ موسم الحج لمدة سنتين(٢) ، وتولّى الفقيه أبان بن عثمان بن عفان (٣) ولاية المدينة أيضاً لمدة سبع سنوات(٤) . وكان عبادة بن نسي(٥) قاضياً على الأردن في خلافة عبدالملك بن مروان ثم عينه عمر بن عبدالعزيز بعد ذلك والياً عليها(٦) ، ويذكر أيضاً أن الليث بن سعد قد ولِيَ الجزيرة أيام أبي جعفر المنصور(٧) ، كما لا ننسى أن نذكر أن رجاء بن حيوة كان بمثابة الوزير لسليمان بن عبدالملك ، ثم لعمر بن عبدالعزيز (٨) .

وهناك بعض الأعمال الإدارية الأخرى والتي لا تتعلق بالمال كثيراً ، وقد تولاّها بعض العلماء مثل خالد بن مهران (الحذاء) (٩) الذي استعمل على القبة(١٠) ودار

---

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي النجّاري المدني أحد الأئمة الأثبات وكان من أعلم أهله زمانه بالقضاء وكان من العباد (ت١٢٠هـ /٧٣٧م){الذهبي : السير ج٥ ص٣١٣،٣١٤ – ابن الجوزي :المنتظم ج٧ ص٢٠٦ – ابن حبان : المشاهير ص١٢٥} .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص٣١٤ – ابن الجوزي :المنتظم ج٧ ص٢٠٦ – ابن سعد :الطبقات ج٥ ص٣٤١ .

(٣) هو أبان بن عثمان بن عفان ، الإمام الفقيه الأمير بن أمير المؤمنين عثمان (ت ١٠٥هـ /٧٢٣م) { الذهبي : السير ج٤ ص٣٥١،٣٥٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٠٠} .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٣٥٢ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٠٠ .

(٥) الإمام الكبير قاضي طبرية أبو عمرو الكندي الأردني ، وكان سيداً شريفاً ، وافر الجلالة ذا فضل وصلاح وعلم، وثقه يحي بن معين وغيره (ت ١١٨هـ/٧٣٦م) { الذهبي: السير ج٥ ص٣٢٣، ٣٢٤ – وأنظر : ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٩ – خليفة بن خياط : الطبقات ص٣١٠ } .

(٦) الذهبي : السير ج٥ ص٣٢٤ .

(٧) المصدر نفسه :ج٨ ص١٥٧ .

(٨) المصدر نفسه :ج٤ ص٥٥٧ .

(٩) هو خالد بن مهران الملقب بالحذاء ، مولى أبي الأعلم ، الإمام الحافظ الثقة (ت ١٤١هـ/٧٥٨م) { الذهبي : السير ج٦ ص١٩٠،١٩٢– ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص ٣٢ } .

(١٠) القبة قد تكون موضع بالبصرة على درجة من الأهمية أو في وسط البصرة لأن بن منظور قال :وقبة الإسلام هي البصرة وهي خزانة العرب فمن المحتمل ذلك { ابن منظور :لسان العرب ج٣ ص٤ } وقد ورد عند ابن سعد :أن خالد بن مهران استعمل على (القتب) بدلا من القبه{الطبقات ج٧ ص٢٦٠}وبالرجوع إلى معنى كلمة القتب عند ابن منظور تبين أن معناها لا يتفق مع ما ورد في سياق النص ، وعليه فمن المحتمل أن القبة بناء أو محل يجبى إليه =

العشــور[1] بالبصرة ، وإسماعيل بن أبي خالد الذي استعمله المنصــور على خزانـــة الكسوة [2]عند قدومه بغداد[3]، وكذلك سليمان بن يسار الذي ولي سوق المدينة لعمر بن عبدالعزيز [4]وعمرو بن قيس الثوري السكوني[5] الذي ولي إمرة الغزو لعمر بـــن عبدالعزيز أيضا [6].

وإذا كان هؤلاء العلماء يعتمدون في حياهم المعيشية على هذه الأعمال الإدارية ، بما يصرف عليهم من رواتب شهرية محددة ، فإن هناك علماء لا يقلون عددا أو مكانـة من أولئك ، كانوا يتهربون من العمل الإداري مع الدولة وبخاصة في مجـــال القضـــاء وغيره بسبب خوفهم من عدم العدل والقضاء بالحق[7] والذي من أبرز نتائجه العقـاب الأليم في الآخرة ، وكذلك خوفا على أنفسهم من الفتنة التي قد تحـدث لهـم عنـد جلوسهم مع السلطان أو اتصالهم به ، وقد ذكرنا عددا من هؤلاء العلماء في الفصـــل

=الخراج وما سواه إذ أن الكلام الذي ورد بعد ذلك يقول ودار العشور الذي معناه يتفق مع ذلك كما سيأتي .

(1) الذهبي :السير ج٦ ص١٩٢ — ابن سعد :الطبقات ج٧ ص٢٦٠ ، أما دار العشور : فقد ورد في كتاب الأموال في باب(ما يأخذ العاشر من صدقة المسلمين وعشور أهل الذمة والحرب)عن زياد بن بن حدير قال: "استعملني عمر على العشر فأمرني أن أخذ من تجار المسلمين ربع العشر ومن تجار أهل الذمة مثل ما أخذ من تجار المســـلمين وأن أخذ من نصارى بني ثعلب العشر ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشر ، وفي رواية لحفيد زياد قال :كنت مـــع جدي زياد بن حدير على العشور"{ أبي عبيدة : الأموال ص٢١٣،٢١٤ }ومن خلال هذه الروايات التي يوردهـــا أبو عبيد يتضح لنا أن الموظف الذي يلي أخذ العشور من المسلمين وأهل الذمة والمحاربين على أختـــلاف مقـــداره يسمى العاشر ، وبالطبع فإن هذا العاشر يحتاج إلى مكان يضع فيه العشور ، وبتطور الدولة الإســـلامية واتســـاع رقعتها زاد مقدار ما يدفعه المسلمون وغيرهم من العشور وأصبح للعشور بعد ذلك دار تسمى دار العشـــور .

(2) أما خزانة الكسوة:فيبدو أنها المكان الذي يوضع فيه الملابس أو الكسوة الخاصة ببيت مال المسلمين أو بالخلافة.

(3) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦٧ .

(4) الذهبي : السير ج٤ ص٤٤٨ — ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٧٥ .

(5) هو عمرو بن قيس بن ثور بن مازن السكوني الكندي وشيخ أهل حمص ، الأمام ، الكبير (ت ١٤٠هـ/٧٥٧م) { الذهبي: السير ج٥ ص٣٢٢،٣٢٣ } .

(6) الذهبي :السير ج٥ ص٣٢٣ .

(7) أخرج أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار فأمـــا الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للنـــاس على جهل فهو في النار " { كتاب الأقضية باب في القاضي يخطئ رقم (٣٥٧٣) } .

الأول [1]، ويمكننا أن نضيف بعض الأمثلة هنا لتأكيد هذه الظاهرة ، ولتوضيح أن مورد رزق العلماء ومعاشهم لم يكن مرتبطاً بممارستهم لهذه الأعمال الإدارية في كثير من الأحيان ، فقد روي أن الليث بن سعد استعفى من الخليفة أبو جعفر المنصور عندما عرضَ عليه أن يولّيه إمرة مصر فأعفاه[2] وكان مورد رزقه من الزراعة [3] وغيرها ، وكذلك أبو حنيفة النعمان الذي أُجبَر على تولّي القضاء فرفض فأُمر به إلى السجن ، فمات فيه ببغداد وقيل بل دخل في القضاء وقضى بقضية واحدة وبقي يومين ثم مرض ومات[4] ، وكان مورد رزقه من التجارة [5].

مصادر الدخل الأخرى :

وهناك مصادر دخل أخرى غير التجارة والحرف والأعمال الإدارية ، كان العلماء يعتمدون عليها في معيشتهم ، ومن أهم هذه المصادر ما يلي :

– العطاء :

عرفنا أن الراتب الشهري كان يعطى لمن يعمل أي عمل إداري مع الدولة ، أما العطاء فقد كان يعطى لجميع المسلمين المدونة أسماؤهم في الدواوين وأهم هذه الدواوين (ديوان الجند)[6] الذي يشترك جميع أفراده في الجهاد والقتال ، وكان العطاء يصرف في شهر محرم من بداية كل سنة هجرية [7]، وبما أن العلماء في هذه الفترة كانوا من أكثر الناس اهتماماً بالجهاد والفتح والمشاركة فيه ، فقد كان معظمهم ينالون العطاء السنوي،وهذا ما جعل الكثير منهم يعتمد في معيشته على العطاء ويتفرغ

---

(1) أنظر الفصل الأول ص٨١،٨٢ .

(2) الذهبي :السير ج٨ ص١٤٦ – ابن خلكان :الوفيات ج٤ ص١٢٩ .

(3) الذهبي :السير ج٨ ص١٢٩ .

(4) المصدر نفسه ج٦ ص٤٠١،٤٠٢ – ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص١٤٣ .

(5) كان تاجر يبيع الخز { الذهبي : السير ج٦ ص٣٩٤ } .

(6) تأسس ديوان الجند في سنة ٢٠هـ/٦٢٠م ، أسسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك عندما توسعت الفتوحات الإسلامية وزاد عدد المشتركين في الجهاد وفيه يتم إحصاء الجند باسمائهم وتقدير أعطياتهم { الطبري : التاريخ ج٤ ص١١٢،٢٠٩،٢١٠ – أبي عبيد : الأموال ص٩٩ } .

(7) الذهبي: السير ج٥ ص٤٤٧ ، ومما يدل على أن العطاء كان يصرف سنوياً ما ذكر عن أبو وائل (شقيق بن سلمة كان إذا خرج عطائه وهو الفين أمسك ما يكفي أهله سنه وتصدق بالباقي { أبو نعيم :الحلية ج٤ ص١٠١}

للعلم ، إذ أن الفتوحات لم تكن دائمة ، ومن الأمثلة التي تدل على ذلك أن سعيد بن المسيب كان له في بيت المال ثلاثون ألف هي عطاؤه ، وكان يأبى أن يأخذها[1] ، ويروى أن الأوزاعي ترك عند وفاته ستة دنانير كانت ما تبقى من عطائه [2]، وكان بعض العلماء الذين ليس لهم عطاء يحرصون على تثبيت أسمائهم في الديوان، فهذا الزهري يقول: "نشأت وأنا غلام لا مال لي في الديوان " .. فلما قابل الخليفة عبدالملك قال له : إن رأي أمير المؤمنين أن يصل رحمي ويفرض لي فإني رجل لا ديوان لي فعل" [3] فأمر بضم اسمه في الديوان .

– الأرزاق الشهرية والجوائز والهدايا:كان بعض العلماء يعتمدون في معيشتهم على ما يصرف لهم من أرزاق شهرية – غير الراتب الذي يكون مقابل العمل الإداري – من الأمراء أو من بيت المال أو من بعض إخوانهم[4] ، فهذا الأعمش كان له راتب من بيت المال في الشهر خمسة دنانير قررت له في أواخر عمره [5]، وكذلك ابن أبي ذئب كان يتسلم شهرياً خمسة دنانير قررها له أمير المدينة [6]، وكان يزيد بن عبدالملك يجري على رجاء بن حيوة ثلاثين ديناراً في كل شهر، فلما ولِيَ هشام الخلافة قطعها عليه ثم أعادها[7] ، كما كان لإبراهيم بن طهمان [8] جراية من بيت المال وكان يأخذها كل شهر [9].

– وأما الجوائز والهدايا فقد كان الخلفاء والأمراء يغدقون على العلماء بالمال و غيره فكان البعض منهم يقبل والبعض يرفض : فقد سُئل عطاء الخراساني من أين معاشك ؟

(1) الذهبي :السير ج٤ ص٢٢٦ – ابن سعد :الطبقات ج٥ ص١٢٨ ، وسبب عدم أخذه للعطاء المشاكل التي بينه وبين بعض خلفاء بني أمية وكان يقول حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

(2) الذهبي :السير ج٧ ص١٢٧ .

(3) ابن الجوزي :المنتظم ج٧ ص٢٣١،٢٣٣ .

(4) حول ذلك أنظر الفصل الخامس ص٢٢٨ ، ٢٢٩.

(5) الذهبي :السير ج٦ ص٢٣٥ .

(6) المصدر نفسه جح٧ ص١٤١ .

(7) المصدر نفسه :ج٤ ص٥٥٩ .

(8) إبراهيم بن طهمان بن شعبة ، الإمام عالم خراسان (ت ١٦٣هـ/٧٧٩م) { الذهبي :السير ج٧ ص٣٧٨،٣٧٩،٣٨٤ – ابن حبان : المشاهير ص٣١٤ – وأنظر : السيوطي :طبقات الحفاظ ص٩٠} .

(9) الذهبي :السير ج٧ ص٣٨٢ – ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص٢٦٥ .

قال: " من صلة الإخوان وجوائز السلطان "[1]. ووهب أمير حلوان إبراهيم النخعي ألف درهم وكساه أثواباً [2]. وأعطى عبدالملك بن مروان ربيعة بن أبي عبدالرحمن خمسة آلاف دينار فلم يقبلها ثم أعطاه جارية فلم يقبلها أيضاً[3]. الزراعة وما يتعلق بها: كان بعض العلماء يعتمدون في معيشتهم على العمل في مزارع غيرهم ، أو كانت لهم مزارع. فهذا الليث بن سعد كان له مزارع وكان يبيع من ثمارها[4] ، ومن العلماء من كان يعمل بيده في أرضه أو مع الآخرين ، مثل إبراهيم بن أدهم الذي كان يحصد الزرع ويحرس البساتين ، وربما اشتغل في بعض الأحيان بقطع الحطب ثم بيعه [5] ، ومثله ما روي عن سفيان الثوري أنه كان يقوم بحراسة البساتين[6] ، أما العالم شعيب بن أبي حمزة [7]، فكانت له أرض وكان يعمل فيها بيده ، حتى أن يده مَجِلَت من العمل [8].

– وهناك من العلماء من كان مورد رزقه من التعليم – مُعلّم كتّاب – فكان عطاء بن أبي رباح مُعلّم كتّاب[9] وكذلك غيره من العلماء [10] ، فكان هؤلاء العلماء يأخذون أجوراً – لم تذكر المصادر مقدارها –

---

(1) الذهبي :السير ج٦ ص١٤٢ .

(2) المصدر نفسه ج٤ ص٥٢٣ .

(3) المصدر نفسه :ج٦ ص٩٢ .

(4) المصدر نفسه :ج٨ ص١٢٩ .

(5) المصدر نفسه ج٧ ص٣٨١،٣٨٢،٣٨٩،٣٩٠،٣٩٢،٣٩٥ –ابن عساكر :تهذيب تاريخ دمشق ج٢ ص١٧١.

(6) الذهبي :السير ج٧ ص٢٥٩ .

(7) هو شعيب بن أبي حمزة ، الأمام المتقن الثقة الحافظ ، أبو بشر الأموي مولاهم الحمصي ، كتب عن الزهري نحو ألف وسبعمائة حديث (ت ١٦٢هـ/٧٧٨م) { الذهبي :السير ج٧ ص١٨٧،١٨٩،١٩١ – وأنظر: ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٤٦٨ – ابن حبان : المشاهير ص٢٨٨ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص٩٤ } .

(8) الذهبي :السير ج٧ ص١٨٩ ، ومجلت أي صلبت وثخن جلدها وظهر فيها ما يشبه البَثَرَ من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة ، وفي حديث فاطمة أنها شكت إلى علي عليهما السلام مجل يديها من الطحن ، وقيل المجل أن يكون بين الجلد واللحم ماء من أثر العمل { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٤٤٢ } .

(9) الذهبي :السير ج٥ ص٨١ – ابن قتيبة :المعارف ص١٣٨ – التوحيدي : البصائر والذخائر ج٥ ص٤٤ .

(10) مثل القاسم بن مخيمرة الهمداني ، وهشام بن عروة بن الزبير ، والأعمش ، هؤلاء كانوا معلّمو كتاب{ابن قتيبة: المعارف ص٢٣٨ – ابن رسته : الأعلاق النفيسه ج٧ ص٩٤ } .

مقابل تعليمهم للصبيان ، والدليل على ذلك أنه ذكرت حالات استثنائية لبعض العلماء الذين كانوا يعلمون ولا يأخذون أجرا، مثل الضحاك بن مزاحم [1] الذي قيل إنه " كان فقيه مكتب كبير إلى الغاية فيه ثلاثة آلاف صبي فكان يركب حمارا ويدور على الصبيان " [2] ومن هنا فلعل السر في إقبال الطلاب لديه بهذه الأعداد الكبيرة كونه لم يكن يأخذ أجرا على التعليم ، أما طريقة التدريس فلعله كان يقوم بتقسيمهم إلى مجموعات ويجعل على كل مجموعة عريفا منهم ثم يتنقل بينهم بالوسيلة المشار إليها.

– هذا وقد كان بعض العلماء يعيش على ما ورثه من أبويه ، من ذلك أن العالم داود الطائي ورث من أمه أربعمائة درهم ، فقيل إنه مكث يتقوت منها ثلاثين سنة [3]، وقيل عشرين سنة [4]، فلما نفذت أخذ ينقض سقف البيت ويبيع من خشبه [5]، كما يروى أن إسماعيل بن عياش ورث من أبيه أربعة آلاف أنفقها كلها في طلب العلم[6] وكان للخليل بن أحمد الفراهيدي بستان ورثه من أبيه فكان يعيش منه [7].

– وكان بعض العلماء يمتلكون أكثر من بيت ،فكانوا يؤجرون بعضها ، ويقيمون في الأخرى ، فيذكر أن عبدالله بن عون كان له بيت للإيجار وكان وكيله الذي يتسلم كراءه نصراني[8] ،كما كان له حوانيت يكريها أيضا ،وكان يكريها من النصارى فقيل له في ذلك فقال:"إن لهذا إذا جاء رأس الشهر روعه وأنا أكره أن أروع المسلم" [9].

---

(1) الذهبي:السير ج٤ص٥٩٩– ابن الجوزي:المنتظم ج٧ص١٠١– ابن قتيبة:المعارف ص٢٣٨– ابن كثير:البداية ج٩ ص٢٢٣ .

(2) الذهبي :السير ج٤ ص٥٩٩ .

(3) المصدر نفسه ج٧ ص٤٢٤ .

(4) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٧٩ .

(5) الذهبي : السير ج٧ ص٤٢٤ .

(6) المصدر نفسه : ج٨ ص٣١٥ – ابن عساكر :تهذيب تاريخ دمشق ج٣ ص٤٢ .

(7) الذهبي:السير ج٦ ص٣٩٦ – ابن سعد: الطبقات ج٧ ص٢٦٤ – أبو الطيب اللغوي:مراتب النحويين ص٥٦.

(8) الذهبي : السير ج٦ ص٣٦٩ – ابن سعد :الطبقات ج٧ ص٢٦٤ .

(9) ابن الجوزي :المنتظم ج٨ ص١٥٤ .

الفصل الخامس

العلاقات الاجتماعية للعلماء

العناصر :

- علاقة العلماء ببعضهم البعض .
- علاقة العلماء بالطلاب .
- علاقة العلماء بعامة الناس .
- علاقة العلماء بالخلفاء والأمراء .

تمهيد :

العلاقات مفردها علاقة ، والعلاقة هي الحب ، وتعلّق به أي أحبه ، والعلاقة أيضاً هي علاقة الخصومة ، وعلِقَ به عَلَقاً أي خاصمه[1] ، ومن هنا فالعلاقة بالآخرين إما أن تكون علاقة حب وود وإخاء ، وإما أن تكون علاقة خصومة وعداء ، وعلاقة العلماء بغيرهم كانت في معظمها علاقة حب .

ولقد كان لوضع العلماء في المجتمع كونهم معلمين ومرشدين للناس أثر في تعدد علاقاتهم الاجتماعية ، فالعلماء يعرفون أكثر من غيرهم أهمية التعايش بين أفراد المجتمع ومخالطتهم ، وأثر ذلك عليهم وعلى الناس ، ويعرفون أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حبب هذا السلوك للمؤمن فقال: " المؤمن مَأْلَفَةٌ ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلَف "[2] وقال :" المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " [3]. والعلماء أولى الناس عملاً بهذا السلوك ، كونهم قدوة الناس .

ولذلك سوف نرى بأن علاقات العلماء الاجتماعية لم تكن منحصرة فيما بينهم فقط ، وإنما اتسعت لتصل إلى جميع أفراد المجتمع ، وفي هذا الفصل سنحاول أن نتتبع هذه العلاقات المتعددة والمختلفة للعلماء ، وفي مقدمتها علاقتهم ببعضهم البعض ، ثم بعد ذلك علاقتهم بطلابهم باعتبار أنهم من أقرب الناس إليهم وأكثرهم اختلاطاً بهم ، ثم علاقتهم بعامة الناس ، وأخيراً علاقتهم بالخلفاء والأمراء .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٨٦٢،٨٦٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند رقم (٢١٧٧٣) .

(٣) رواه ابن ماجة في كتاب الفتن رقم (٤٠٢٢) .

علاقة العلماء ببعضهم البعض :

قبل أن ندخل في الحديث مباشرة عن علاقة العلماء ببعضهم يمكننا أن نحدد العناصر التي توضح علاقة العلماء فيما بينهم وأهم هذه العناصر هي :

- التعاون المادي ويدخل فيه تقديم الطعام والهدايا والكسوة .
- تبادل الزيارات .
- الإيثار بين العلماء .
- الاحترام المتبادل والاعتراف بالفضل لبعضهم البعض .
- بعض صور الخلاف بين العلماء .

أولاً -التعاون المادي :

إذا كان المال هو أحب شيء إلى النفس ، فإن العلماء كانوا من المبادرين إلى إنفاق هذا المال، وبخاصة على بعضهم البعض ، فقد ذكر أن خيثمة بن عبدالرحمن ورث مائتي ألف درهم فأنفقها كلها على إخوانه الفقهاء والقرّاء(١) ، وذكر أيضاً أن حبيب بن أبي ثابت أنفق على إخوانه مائة ألف .(٢)

ومن أشهر المواقف في هذا المجال ما رويَ عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن الذي أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار ،ولم يبق معه شيء ، ثم جعل يسأل إخوانه(٣). وهكذا نجد أن البعض من العلماء كان يعتمد في معيشته على ما يحصل عليه من إخوانه ،ومن هؤلاء عطاء الخراساني الذي قيل له : من أين معاشك ؟ فقال :" من صلة الإخوان وجوائز السلطان " (٤) .

وإذا كان البعض من العلماء ينفق على جميع إخوانه بصورة عامة ، فإن البعض منهم كانوا يتعهدون زملاءهم بمبالغ معينة ، أحياناً شهرية ، وأحياناً سنوية ، وأحياناً في أوقات متفرقة ، فقد روي أن الليث بن سعد كان يتعهد الإمام مالك بمائة دينار في

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٢١٣ — أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٣ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٩٦ .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٩٠ .

(٤) المصدر نفسه : ج٦ ص١٤٢ .

السنة ، وأعطاه ذات مرة ألف دينار[1] ، وبالطبع فإن الإمام مالك لم يكن محتاجا إلى هذه المبالغ لأنه كان متيسرا كما أوضحنا ذلك في الفصل السابق ، ولكنه كان يقبلها ليؤكد بذلك على عمق الأخوة التي كانت تربطهم ببعض ويزيدها رسوخا .

ويبدو أن أهم دافع لهؤلاء العلماء الذين كانوا يتعهدون إخوانهم ، هو إعانتهم على نشر العلم وتعلمه وتفريغهم لتحقيق هذا الهدف ، ولهذا فقد ذكر أن عبدالله بن المبارك كان يفرق الأموال في البلدان دون بلده ، فعاتبه بعض إخوانه على ذلك فقال: "إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث ، فأحسنوا في طلبه لحاجة الناس إليهم،فإن تركناهم ضاع علمهم،وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم "[2] وقيل لسفيان الثوري: "ما منعك من الزهري ؟ أي من السماع منه – فقال :" قلة الدراهم ، وقد كفانا معمر " [3] –يقصد معمر بن راشد البصري – ومن هذا المنطلق كان العلماء لا يتوانون في إعانة إخوانهم والنفقة عليهم في أي وقت وحيثما كانوا ، فكان عبدالله بن المبارك ينفق على بعض إخوانه في سفرهم لأداء فريضة الحج ، فيتحمل تكاليف السفر من مواصلات وكسوة وغيرها، وحتى الهدايا وما يتبعها من حاجات أهلهم ، وعند عودهم يرسل من يزين بيوتهم بالجص قبل دخولهم إليها .[4]

ووصلت علاقة العلماء – في هذا المجال – إلى حد أعلى من هذا فكان المتيسر منهم يقوم بكسوة إخوانه، استشعارا منه بحقوق الأخوة وواجباتها، وحتى لا يكون مميزا عنهم ، وحتى يظهر إخوانه هؤلاء بالمظهر اللائق بين الناس ، فقد روى لنا ابن

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص١٤٨،١٤٩ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣٠ وكذلك روي أن الليث بن سعد أعطى ابن لهيعه ألف دينار ، وأعطى منصور بن عمار الواعظ ألف دينار { الذهبي : السير ج٨ ص١٤٩ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣٠ } ومما يروى في هذا المجال أيضا أن خيثمه بن عبدالرحمن كان يجري على المسيب بن رافع في كل شهر ٥٠ درهما { أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٤ } .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص٣٧٨ .

(٣) المصدر نفسه : ج٧ ص٨ .

(٤) المصدر نفسه : ج٨ ص٣٨٥،٣٨٦ .

الجوزي[1] أن خيثمة بن عبدالرحمن كان يصرّ الدراهم ، فإذا رأى الرجل من إخوانه منخرق القميص أو الرداء ، يدعه حتى يخرج من عنده ، فيتلقاه من باب آخر ويعطيه الدراهم ويقول له : اشتر قميصاً أو رداءً ، كما يروى أن عبدالله بن المبارك كان حين يقدم على إخوانه العلماء في أي بلد يصلهم بالثياب الحسنة .[2]

ومظهر آخر من مظاهر علاقة العلماء مع بعضهم يتجلى في حرصهم على زيادة المحبة فيما بينهم ، وذلك عن طريق تبادل الهدايا والعطايا المختلفة المادية والعينية ، فيروى أن عكرمة (مولى ابن عباس) لما قدم الجند[3] من أرض اليمن كان من ضمن من لقيه هناك من العلماء طاووس بن كيسان الذي قام بإهدائه نجيباً قيمته ستين ديناراً [4]. وكذلك لما قدم عبدالله بن المبارك على معمر بن راشد وسمع منه أهدى إليه جارية وخمسين ديناراً [5]، كما روي عنه أنه كان يهدي إلى العلماء الغِلْمَةُ الخراسانية [6]– الغِلمة مفردها غلام – ولما زوج الإمام مالك ابنته بعث إليه الليث بن سعد بثلاثين حِمْلاً عصفراً [7] فأخذوا – أي أهل مالك – منه حاجتهم وباع ما بقي منه بخمسمائة دينار[8] ، ثم لما وصل الليث المدينة أهدى إليه الإمام مالك طبقاً مليئاً من رطب المدينة ، فجعل الليث على الطبق ألف دينار وأرسل به إلى الإمام .[9]

---

(١) المنتظم : ج٦ ص٢١٣ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٣،١١٤ . وقال الأعمش : رأيت على ابراهيم النخعي ثياب بيضاء فسألته عنها فقال : كسانيها خيثمه { أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٤ } وكان أبو حنيفة إذا اكتسى ثوباً جديداً كسى بقدر ثمنه إخوانه من الشيوخ والعلماء { الخطيب البغدادي ج١٣ ص٣٥٨ } .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص٤١٠ .

(٣) الجَنَد : بينها وبين صنعاء ٥٨ فرسخاً . وبها مسجد بناه معاذ بن جبل ، وكانت اليمن مقسمة في الإسلام إلى ثلاث ولايات أحدها الجَنَد ومخاليفها وهو أوسطها ، وقد نسب إليها الكثير من أهل العلم منهم طاووس {ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص١٦٩ } .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص١٥ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٢٧ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦١ .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص٤١٠ .

(٧) العصفر : سبق التعريف به في الفصل الثالث ص ١٤٣.

(٨) الذهبي : السير ج٨ ص١٤٨ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص١٣ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣٠ .

(٩) الذهبي : السير ج٨ ص١٥٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص١٣ .

ومن اللطائف التي تذكر في هذا المجال والتي تدل على عمق محبة العلماء لبعضهم البعض ووقوفهم إلى جانب بعضهم وبخاصة في وقت الحاجة ،أن المسيب بن رافع[١] ولد له ابن فاشترى له خيثمة بن عبدالرحمن ظئرا [٢] وبعث بها إليه.[٣]

وصورة أخرى من صور التآلف والمحبة بين العلماء التي تدل على عمق العلاقة فيما بينهم ، تتمثل في دعوة بعضهم البعض لتناول الطعام ، فقد كان خيثمة بن عبدالرحمن يصنع الخبيص والفالوذج ثم يدعو إخوانه العلماء ، إبراهيم النخعي ، والأعمش وغيرهم ويقول لهم : " ما اشتهيه ، كلوا ما أصنع إلا من أجلكم " [٤].

هذه الظاهرة كانت موجودة عند العلماء حتى إنهم لم يكونوا يعتبرون إكرام إخوانهم بالطعام الكثير إسرافا، فهذا الأوزاعي يدعوا إبراهيم بن أدهم لتناول الطعام لديه فيجيبه ، ثم بعد ذلك يدعو إبراهيم بن أدهم أخاه الأوزاعي لتناول الطعام فيحضر فيجد طعاما كثيرا فيقول لإبراهيم: " أما تخاف أن يكون هذا سرفا ، فقال : إنما السرف ما كان في معصية الله ، فأما أنفقه الرجل على إخوانه فهذا من الدين"[٥] ؛ولهذا نجد أن بعض العلماء اشتهروا بين إخوانهم بهذه المزية – إكرام إخوانهم – فقد روي أن عبدالله بن المبارك كان له غلام يصطحبه معه حيثما سار وذلك من أجل عمل الفالوذج لإخوانه العلماء [٦] ، كما روي أن خارجة بن مصعب [٧] اعتاد أن يطعم أصحاب

---

(١) هو المسيب بن رافع ، أبو العلاء وقد طلبه ابن هبيرة للقضاء ، فقال :" ما يسرني أني وليت القضاء وأن لي سواري مسجدكم هذا ذهبا " (ت ١٠٥هـ/٧٢٣م) { ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٩٣ – خليفة بن خياط : الطبقات ص١٥٥ – ابن حبان : المشاهير ص١٧٤ } .

(٢) الظئر : هي المرضعة لغير ولدها { ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٦٣٩ } .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٣٢١ – ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٨٧ ، وفي رواية أبو نعيم : أنه اشترى له خادما {أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٤ } .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢١٣ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٣ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص٣٩٣ – ابن كثير : البداية ج١٠ ص١٣٨،١٣٩ .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص٤١٠ . وكان الليث بن سعد يعمل لأصحابه الفالوذج ويعمل فيه الدنانير ، ليحصل من أكل كثيرا أكثر من أصحابه {ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٢٧ } .

(٧) خارجه من مصعب بن خارجه ، الأمام ، العالم المحدث ، شيخ خراسان (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م) { الذهبي : السير ج٧ ص٣٢٦،٣٢٨ – خليفة بن خياط : الطبقات . ذكره في الطبقة الثالثة من أهل خراسان .ص٣٢٣} .

الحديث الذين يأتونه ، ويغضب على من لا يأكل منهم[1]، وكان عبدالرحمن بن أبي ليلى[2] ويجتمع عنده في بيته إخوانه من القُرَّاء ، وبعد أن يفرغوا من الدرس ، يقوم بتقديم الطعام لهم ، ونادراً ما كانوا يتفرقون إلا عن طعام [3].

وكان العلماء في مناسبات الاستقبال والتوديع يقومون بصنع الطعام لبعضهم البعض ، فلقد ذكر أن معمر بن راشد لما عزم على السفر – الرحلة – عمل له أيوب السختياني سفرة طعام[4] ، كما ذكر أن سفيان الثوري لما وصل إلى صنعاء عمل له عبدالرزاق طعاماً ودعاه [5] وكذلك لما وصل سليمان بن يسار دمشق وكان قادماً من المدينة ، دعاه يزيد بن جابر وصنع له طعاماً [6]، ومما يروى أن عمرو بن دينار رحل إلى صنعاء وهناك استضافه وهب بن منبه وأطعمه من جوزه كانت له في داره [7] ، ويبدو أنه لم يقتصر على ذلك بل صنع له طعام أيضاً .

ثانياً – تبادل الزيارات :

وكان العلماء يتبادلون الزيارات فيما بينهم في أيام المناسبات وغيرها ، كالأفراح. ويعودون بعضهم عند المرض ... الخ ، ولعل أهم دافع لذلك هو القيام بواجب الأخوة التي بينهم ، والحرص على توثيق الصلة والألفة التي بينهم ، فلقد ذكرت المصادر الكثير من هذه الزيارات التي كانت تتم بين العلماء ، فكان الأعمش يداوم على زيارة

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٣٢٨ .

(٢) عبدالرحمن بن أبي ليلى ، الإمام العلامة ، المحدث ، الحافظ ، أبو عيسى الأنصاري الكوفي ، الفقيه وكان من العباد (ت ٨٢هـ/٧٠٠م) وهذا العالم هو والد العالم محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى { الذهبي : السير ج٤ ص٢٦٢،٢٦٧ – وأنظر ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٢٥٢ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٣٥٠ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢١٦ – السيوطي : طبقات الحفاظ ص١٩ } .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٢٦٥ .

(٤) المصدر نفسه : السير ج٧ ص٨ .

(٥) المصدر نفسه : ج٧ ص٢٧٧ .

(٦) المصدر نفسه : ج٤ ص٤٤٨، ج٧ ص١٧٧ . ويزيد بن جابر لم نجد له ترجمة وقد ترجم الذهبي لولده عبدالرحمن {السير ج٧ ص١٧٧ } .

(٧) الذهبي: السير ج٤ ص٥٤٨ .

أبي إسحاق السبيعي في منـــزله ،ويطيل الجلوس معه [1]، كما كان يداوم على زيـــارة مجاهد بن جبر، وكان مجاهد يقول له: "لو كنت أطيق المشي لأتيتك" [2]، ويـــروى أن محمد بن إسحاق كان يعتاد زيارة الزهري ، فأتاه يوما وكان قد استبطأه فقال له: "أيـن كنت؟ قال وهل يصل إليك أحد مع حاجبك ، قال فدعا حاجبه فقال له : لا تحجبه إذا جاء" [3].

ويبدو أن العلماء الكبار في هذه الفترة كانوا هم المقصودون بالزيارات أكثر مـن غيرهم ، وذلك لفضلهم ومكانتهم ،كالحسن البصري وسعيد بن المسيب[4] ، فقد ذكر أن قتادة [5] (عالم التفسير) أقام عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام في المدينـــة ، وكـــان خلالها يستفيد من علمـــه ، حتى أن سعيد قـــال له في اليوم الثالث: "إرتحل يا أعمـــى فقد أنزفتني" [6]– أي أخذت علمي كله – وطبعا كان هذا القول من ســـعيد مجـــرد مداعبة لصاحبه .

وكان العلماء يحرصون كثيرا على زيارة بعضهم البعض عند المرض وقلما نجـــد أحدهم يموت إلا وقد زاره الكثير من إخوانه وفي كثير من الحالات يحضرون عند موته، فمثلا لما مرض الأعمش عـــاده إبراهيم بن أدهم[7] ، ويـــروى أن سعيد بن المسيب لما

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣٩٧ .

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٢٣٤ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٠١ .

(٣) الذهبي : السير ج٧ ص٣٦ .

(٤) كان ميمون بن مهران يتردد على الحسن البصري بالزيارة ويطيل الجلوس لديه { أبـــو نعيـــم : الحليـــة ج٤ ص٨٢،٨٣ } ويروي لنا ابن سعد أن بعض العلماء كانوا في زيارة للحسن البصري ، فجلسوا حتى أنتصف النهار فقال لهم أبنه : خفوا عن الشيخ فأنكم قد شفقتم عليه ، فإنه لم يطعم طعاما و لم يشرب شرابا ، فقال : مه وانتهره، دعهم فوالله ما شيء أقر لعيني من رؤيتهم ، وكان عبدالله بن عون يزور محمد بن سيرين كل يوم عيد { ابن سعد: الطبقات ج٧ ص٢٠١ } .

(٥) هو قتادة بن دعامة السدوسي ، حافظ العصر وقدوة المفسرين ، الضرير (ت ١١٨هـ/٧٣٦م) { الذهـــبي : السير ج٥ ص٢٦٩،٢٧٠،٢٨٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٨٤ } .

(٦) الذهبي : السير ج٥ ص٢٧١ .

(٧) المصدر نفسه ج٦ ص٢٣٠.لم يذكر المصدر من إبراهيم ولعله إبراهيم بن أدهم لتقارب وفاتهما فالأعمش توفى سنة ١٤٨هـ،وإبراهيم بن أدهم سنة ١٦٢هـ،وأما إبراهيم التيمي فقد توفى سنة ٩٢هـ والنخعي سنة ٩٦هـ .

مرض مرضه الذي توفيّ فيه دخل عليه نافع بن جبير[1] ليعوده ، وبينما هو عنده إذ أغمي عليه ، فقال نافع وجهوه – أي نحو القبلة – ففعلوا ، فلما أفاق سعيد قال من أمركم أن تحولوا فراشي إلى القبلة أنافع ؟ فأجاب نعم[2] ، ويروى أيضاً أن حماد بن سلمة عاد سفيان الثوري[3] ، وحضر ساعة موته [4].

وكان البعض من العلماء يُعزون إخوانهم عند موت أي واحدٍ من أقاربهم ، فيروى أن عبدالله بن عون وسليمان بن طرخان التيمي أتيا شعبة بن الحجاج يُعزيانه بوفاة أمه [5].

ثالثاً– الإيثار بين العلماء :

وهو صورة رائعة من صور الترابط الاجتماعي فيما بين العلماء ، تتمثل في قيام البعض منهم بتطبيق مبدأ الإيثار – وهو أعلى مراتب الأخوة – والمساواة فيما بينهم ، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[6] هذه الصورة قلما تتكرر في العصور التالية إلا في القليل النادر ، ولم نسمع بمثلها إلا في أيام الصحابة ، ولا غرابة في ذلك فجيل وعصر التابعين هو امتداد لجيل وعصر الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً .

فهذا الحسن بن حي يأتي إليه أخوه فضيل بن مرزوق[7] ، فيخبره بأنه ليس عنده شيء ، فما كان منه إلا أن أخرج ستة دراهم ودفعها إليه وقال : "ليس معي غيرها ، فقال له : سبحان الله أليس عندك غيرها ، وأنا آخذها ؟ فأبى إلا أن يأخذها ، فأخذ

---

(١) نافع بن جبير ابن مطعم بن عدي ، الفقيه ، الأمام الحجة أبو عبدالله القرشي ، وكان من خيار الناس وكان يحج ماشياً (ت ٩٩هـ/٧١٧م) { الذهبي : السير ج٤ ص٥٤١،٥٤٢،٥٤٣ }.

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٢٤٤،٢٤٥ .

(٣) المصدر نفسه : ج٧ ص٤٤٩ – الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٤٧٧ .

(٤) الذهبي : السير ج٧ ص٢٥١ .

(٥) المصدر نفسه ج٧ ص٢١٧ .

(٦) سورة الحشر : الآية ٩ .

(٧) فضيل بن مرزوق المحدث أبو عبدالرحمن العنـزي مولاهم الكوفي ، وثقه سفيان بن عيينه ، ويحيى بن معين (ت قبل ١٧٠هـ/٧٨٦م) { الذهبي : السير ج٧ ص٣٤٢،٣٤٣ } .

ثلاثة وترك ثلاثة "[1]، وهذا العالم يحي بن سعيد خرج ذات مرة إلى إفريقيه في ميراث له، فطلب له ربيعة بن أبي عبدالرحمن البريد ، فلما رجع ومعه الميراث وهو خمسمائة دينار أتاه الناس يسلمون عليه ، ثم أتاه ربيعة ، فأغلق يحيى عليهما الباب ودعا بالمال وقال "يا أبا عثمان ، والله ما غيبت منه دينارا إلا ما أنفقناه في الطريق ، ثم عد ٢٥٠ دينارا فدفعها إلى ربيعة وأخذ هو مثلها"[2] ، فقاسمه كل ما جاء به .

ومن اللطائف العجيبة في هذا المجال والتي تعبر عن عمق العلاقة بين العلماء وأنها نتاج للأخوة المقصود بها وجه الله تعالى، ما يحكى عن عبدالله بن المبارك ، أنه ذات مرة كان في سفر ولم تكن زوجته معه ، فاشترى جارية (ملك يمين) ولكنه لم يصبها وقام ببيعها فقيل له في ذلك فقال :" إني لما خلوت بها ذكرت إخواني فتذهمت – أي فكرهت – أن أنال شهوة لا ينالوها وليس في يميني ما يسعهم " [3].

إن هذا المبدأ – المساواة والإيثار – والذي يمثل أعلى صور التكامل الاجتماعي لم يكن موجودا عند الأغنياء من العلماء فقط ، ولكنه كان خلقا متأصلا بين جميع العلماء غنيهم وفقيرهم ، يؤيد هذا أن العالم شعبة بن الحجاج وكان من الفقراء ، كان يعوله بنو أخيه[4]،وذات يوم جاءه أحد إخوانه وهو سليمان بن المغيرة [5] باكيا ويقول: " مات حماري وذهبت مني حوائجي وذهبت مني الجمعة ، فقال له شعبة : بكم أخذته ؟ قال بثلاثة دنانير قال شعبة فعندي ثلاثة دنانير والله ما أملك غيرها ثم دفعها إليه "[6] ، وهؤلاء جماعة من العلماء يصل عددهم إلى أربعين يصفهم واحد منهم فيقول: "لقد

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٣٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ج٥ ص٤٧٢ – المزي : تهذيب الكمال ج٣١ ص٣٥٧،٣٥٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦١ .

(٤) الذهبي : السير ج٧ ص٢٢٣ .

(٥) هو سليمان بن المغيره ، الأمام الحافظ القدوة ، أبو سعيد القيسي البصري ، مولى بني قيس بن ثعلبه ، قال عنه شعبة : سليمان سيد أهل البصرة (ت ١٦٥هـ/٧٨١م) { الذهبي : السير ج٧ ص٤١٥،٤١٨،٤١٩ – ابن حبان: المشاهير ص٢٤٧ – السيوطي. طبقات الحفاظ ص٩٧ } .

(٦) الذهبي : السير ج٧ ص٢١١،٤١٩ .

رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيها أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا " [١].

ونتيجة لتعمق هذا المبدأ في نفوس هؤلاء العلماء – مبدأ الأخوة – فقد تجاوز البعض منهم الإيثار بالمال إلى الإيثار بالنفس ، وهذا ما حدث من أحد العلماء ، فقد روى الذهبي ، وابن الجوزي[٢] بسندهما أن إبراهيم التيمي[٣] حبس حتى توفى في محبسه وكان سبب ذلك " أن الحجاج أرسل في طلب إبراهيم النخعي ، فجاء الذي يطلبه فقال: أريد إبراهيم ، فقال إبراهيم التيمي : أنا إبراهيم ، فأخذه بشرطي وهو يعلم أنه يريد زميله إبراهيم النخعي ، ولم يستحل أن يدله عليه ، فأتى به الحجاج فأمر بحبسه ، ولم يكن لهم في الحبس ظل من شمس ولكن من البرد ، وكان كل اثنين في سلسلة ، فتغير إبراهيم فجاءته أمه فلم تعرفه حتى كلمها ، فمات في السجن"، وهذا الخبر لم يتفرد الذهبي وابن الجوزي بذكره بل ذكر ابن سعد[٤] وابن خلكان[٥] ما يؤيد صحته .

وإضافة إلى ما سبق ذكره فإن العلماء كانوا يسعون إلى قضاء ديون بعضهم ، حينا بعلم المدينين وحينا بدون علمهم ، من ذلك أن الليث بن سعد قضى عن الإمام مالك دينا قدره خمسمائة دينار[٦]، وبعث إلى ابن لهيعة حين احترقت كتبه ألف دينار[٧]، وقضى الحسن بن عمارة[٨] دينا عن مسعر بن كدام يصل إلى سبعمائة درهم وذلك

---

(١) الذهبي: السير ج٥ ص٣١٦ – الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٦٧٨ وفيه زيادة لئن أفاد الرجل فائدة ليلا ليغدون بها ، ولئن أفادها بكرا ليروحن بها – ابن عبدالهادي : الطبقات ج١ ص٢١١ .

(٢) الذهبي: السير ج٥ ص٦٢ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٠٦ – وأيضا ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٢٨٥.

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي من تيم الرباب ويكنى أبا أسماء ، الإمام الفقيه (ت ٩٢هـ/٧١٠م) {الذهبي : السير ج٥ ص٦٠،٦١ـ ابن الجوزي ج٦ ص٣٠٥،٣٠٦- ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٨٥ } .

(٤) يذكر أن إبراهيم النخعي كان مستخف في بيت أبي معشر { ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٨٤،٢٨٥} .

(٥) يذكر أن إبراهيم النخعي كان هاربا من الحجاج مدة أيامه ثم ظهر بعده { وفيات الأعيان ج٢ ص٣٩ } ومما يؤيد صحة هذا الخبر أيضا أن الذهبي يذكر في أثناء حديثه عن ترجمة إبراهيم التيمي أنه قتل على يد الحجاج ، وقال: بل مات في حبسه { الذهبي : السير ج٥ ص٦١ } .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص١٤٨ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣٠ .

(٧) الذهبي : السير ج٨ ص٢٦ .

(٨) الحسن بن عمارة بن المضرب ، حدث عن الزهري وعمرو بن دينار وغيرهم ، وولي القضاء ببغداد أيام خلافة أبو جعفر المنصور (ت ١٥٣هـ/٧٦٩م) { ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٦٩ } .

دون أن يعلم ، وقال للدائن " أعط مسعراً كلما أراد ، وإذا اجتمع لك عليه شيء فتعال إليَّ حتى أعطيك " [١].

ومن العجيب أن التعاون والترابط بين العلماء كان يستمر عند البعض منهم إلى ما بعد موت أحدهم ، وذلك عن طريق رعاية أهل بيت المتوفى ، فلقد ذكر أن يعلي بن حكيم[٢] توفي بالشام وترك أمه ، فكانت تأتي أيوب السختياني ، وأتاها أيوب ثلاثة أيام بالغداة والعشي يقعد على بابها وتقعد معه ، ولم يزل يصلها ويرعاها حتى ماتت .[٣]

أما في حالة تباعد العلماء عن بعضهم البعض ، فقد كانوا يتواصلون بالرسائل من الحجاز إلى مصر ومن العراق إلى الحجاز وهكذا .. فهذا الإمام مالك والليث بن سعد تبادلا بالرسائل بينهما[٤]وقد أوردت لنا بعض المصادر نصوص هذه الرسائل كاملة[٥]. وكان الأوزاعي يكتب إلى قتادة من البصرة ويقول له: "إن كانت الدار فرقت بيننا وبينك فأن أُلفة الإسلام بين أهلها جامعة " [٦]، ويذكر أن الحسن البصري لما بلغه قتل أخيه العالم سعيد بن جبير على يد الحجاج قال : " اللهم ياقاصم الجبابرة اقصم الحجاج فما بقي بعدها إلا ثلاثاً حتى وقع الدود في بطنه فمات"[٧].

رابعاً – الاحترام المتبادل والاعتراف بالفضل لبعضهم البعض :

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٦٩ . الدائن : هو المقرض والمدين المقترض .

(٢) يعلي بن حكيم ، مكي ثقة ، حدث عن سعيد بن جبير وطاووس وعمر بن عبدالعزيز وجماعة آخرون وتوفي في الشام قبل أيوب السختياني { الذهبي : السير ج٥ ص٤٥١ } .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص٤٥١،٤٥٢ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٥٠،٢٥١ .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص١٤٨ .

(٥) أورد الفسوي نص رسالة الليث بن سعد إلى الإمام مالك ، وأجاب الإمام مالك على الليث ، وكلا الرسالتين تدور حول السؤال عن الأحوال ، وتبادل الآراء حول كثير من المسائل العلمية والرسالتين مطولتين تقعان في عشر صفحات تقريباً {المعرفة والتاريخ ج١ ص٦٨٧ إلى ص٦٩٧ } .

(٦) الذهبي : السير ج٧ ص١٢١ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٩ .

من أبرز الظواهر الإيجابية في علاقة العلماء مع بعضهم البعض ذلك الاحترام والتقدير السائد فيما بينهم ، وكذا الاعتراف بالفضل لبعضهم البعض ، وقد تجلى ذلك في مواقف كثيرة من حياتهم ، فكان بعضهم مثلا لا يحدث في حضور أو مجلس زميله ، ولو كان أعلم منه أو أكبر منه ، اعترافا منه بفضله ، فهذا يحي بن سعيد الأنصاري ، كان يجلس في مجلس ربيعة بن أبي عبدالرحمن ، فإذا غاب ربيعة حدثهم أحسن الحديث، وكان كثير الحديث ، وأسن من ربيعة – أي أكبر منه – ، فإذا حضر ربيعة كف يحيى إجلالا لربيعة وهو فيما هو فيه ، وكان كل واحد منهما مبجلا لصاحبه[1]. وجلس عبدالله بن المبارك ذات يوم في حلقة حماد بن زيد ، فقال أصحاب الحديث لحماد: " سل أبا عبدالرحمن أن يحدثنا . فقال يا أبا عبدالرحمن تحدثهم فإنهم قد سألوني ذلك ؟ فقال : سبحان الله يا أبا إسماعيل أحدث وأنت حاضر !! فقال له : أقسمت عليك لتفعلن،فقال خذوا،حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد...فما حدث بحرف إلا عن حماد "[2]

ومن مظاهر هذا الاحترام بين العلماء أن البعض منهم كان يقوم من مجلسه عند حضور زميله أو مروره من مجلسه ، فيذكر أن عامر الشعبي مر بمجلس إبراهيم النخعي فقام له إبراهيم عن مجلسه ، فأثنى عليه الشعبي وقال له :" أما إني أفقه منك حيا وأنت أفقه مني ميتا وذاك أن لك أصحاب يلزمونك ، فيحيون علمك "[3] أي يحيون علمك بعد موتك ، وأما أنا فليس لي ذلك ، وهذا الإمام مالك يدخل عليه عبدالله بن المبارك ، قال الراوي :" فرأينا مالكا تزحزح له في مجلسه ثم أقعده بجانبه ، وما رأيت مالكا تزحزح لأحد غيره " [4].

ومن مظاهر هذا الاحترام أيضا الاعتراف بالفضل لبعضهم سواء في حياتهم أو بعد مماتهم فهذا سفيان الثوري كان يقول : إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة – أي مدة سنة – مثل ابن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام "[5]. ويزور ابن المبارك

---

(١) الذهبي : السير ج٦ ص٩٢ – الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٤٨ .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص٣٨٢،٣٨٣ .

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص٢٥٦ .

(٤) المصدر نفسه ج٨ ص٤٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ج٨ ص٣٨٩ .

أحد أصحاب سفيان بعد موته ويقول له: أخرج لي حديثه، فأخرجه، فجعل يبكي ويقول: رحمه الله ما أرى أنّي أرى مثله أبداً [1]،وهذا الليث بن سعد وهو من هو في فضله وعلمه يقول عن يزيدبن أبي حبيب:"كان يزيد بن أبي حبيب سيدنا وعالمنا"[2] .

ومن مظاهر الاحترام المتبادل بين العلماء ذلك الاستقبال الذي كان يلقاه القادم من رحلةٍ ما ، أو عند الوصول من أداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من إخوانه العلماء الذين كانوا يفرحون ويُسرّون بمقدم زملائهم ، فيخرجون لاستقبالهم إلى خارج المدينة التي هم فيها ، ثم يجتمعون ويتحدثون وغالباً ما يتم في مثل هذه الجلسات بعض المناقشات والمناظرات الفقهية ، ومما يروى أن سفيان الثوري كان بمكة فبلغه مقدم الأوزاعي ، فخرج يستقبله إلى ذي طوى – موضع قرب مكة – "فلما لَقِيَهُ حل رسنَ البعير من القِطَار[3] ، فوضعه على رقبته فجعل يتخلل به ، فإذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ "[4] وهذا يدل على تقدير سفيان للأوزاعي ، فقد أخذ حبل الجمل المربوط بالجِمَال الأخرى وجعله على رقبته وجعل يمرَ به بين الناس . ولما قدم الأوزاعي إلى المدينة كان أول ما دخل المسجد النبوي فبلغ مالكاً مقدمه فأتاه مسرعاً فسلم عليه ثم جلسا يتذاكران أبواب العلم [5].

من كل ما سبق يتضح لنا أن علاقة العلماء ببعضهم كانت وثيقة ومتميزة طابعها الحب والإخلاص ومقصدها الله تعالى وحده ، ولأنها كانت كذلك فقد ترفّعت عن الصغائر والمطامع الدنيوية وزالت معها الحواجز التي عادةً ما تكون بين الأصدقاء ،

---

(1) الذهبي : السير ج٧ ص٢٧٠ .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٦٨ .

(3) الرسن : الحبل . والرسن : ما كان من الأزّمة على الأنف ، وقد رَسَنَ الناقة يرسنها ، وقيل رَسَنها شدّها ، وقال أيضاً الرسن هو الحبل الذي يقاد به البعير { ابن منظور : لسان العرب ج١ ص١١٦٨} . أما القطار : فهو قطار الإبل ، أي تشد الإبل على نَسقٍ واحد خلف واحد ، وقطَرَ الإبل قرّب بعضها على بعض على نسق { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص١١٥ } .

(4) الذهبي : السير ج٧ ص١١٢ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص١٢٧ .

(5) الذهبي : السير ج٧ ص١٣٠ .

ولنقف عند هذا الخبر الذي يبين لنا ذلك ، فهؤلاء بعض العلماء منهم قتادة يدخلون مترل الحسن البصري فإذا هو نائم وعند رأسه سلة فيها خبز وفاكهة قال الراوي: "فجذبناها فجعلنا نأكل ، فانتبه فرآنا فسره ذلك ، فتبسم "(١). ويذكر عبدالله بن عون أيضا أنه دخل مترل الحسن البصري في يوم حار وهو غير موجود فنام على سريره ، قال :" فلقد انتبهت وإنه ليروحني "(٢) (أي يحرك المروحة عليه) .

خامسا – بعض صور الخلاف بين العلماء :

إن علاقة العلماء ببعضهم البعض لم تكن تخلو من بعض صور الخلاف ، والتي عادة ما تقع في إطار الأسرة الواحدة ، فالخلاف سنة من سنن الله تعالى في خلقه ولا يخلو منه أي مجتمع بشري قال تعالى ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾(٣) ، ومن هنا فإن العلماء كغيرهم من البشر يخطئون ويصيبون ويحبون ويكرهون ، على تفاوت فيما بينهم .

وفي هذا المجال يمكننا أن نوضح باختصار بعض صور أو مظاهر الخلاف بين العلماء مع الإشارة إلى الأسباب التي أدت إلى ذلك ، وذلك على النحو التالي :

١– الامتناع عن أخذ الحديث من بعضهم البعض : فقد كان كثير من العلماء يتوقفون عن أخذ الحديث من بعض زملائهم ، بسبب صحبتهم للخلفاء أو القبول بتولي أعمال إدارية مع الدولة كالقضاء وغيره ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها أن بعض العلماء توقفوا عن أخذ الحديث من عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة ؛ لأنه كان ممن يخدم الدولة وأصبحت له منزلة كبيرة ، مع أنه كان أعلم أهل زمانه بحديث ابن مسعود(٤). وترك بعض العلماء حديث الحجاج بن أرطأة لأنه صحب المهدي إلى خراسان في خلافة أبي جعفر المنصور ، وولي القضاء(٥). وتوقف بعض العلماء عن

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٥٧٧ .

(٢) المصدر نفسه : ج٦ ص٣٦٦ .

(٣) سورة هود : الآية ١١٨، ١١٩ .

(٤) الذهبي : السير ج٧ ص٩٣، ٩٥ – ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٢٩٦، ٢٩٧ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص٧٣ .

الكتابة عن معاوية بن صالح ، لتوليه القضاء وصحبته الخلفاء وتقديم الهدايا لهم وفي ذلك يقول عنه زميله يحيى بن سعيد:"ما كنا نأخذ عنه ذلك الزمان ولا حرفاً"(١)

٢- المقاطعة أو الهجر : فقد كان البعض من العلماء يقاطعون بعض زملائهم ويهجروهم ولا يكلموهم أبداً ولنفس الأسباب السابقة ، فلقد روي أن سفيان الثوري غضب من زميله شريك حين تولّى القضاء ولم يكلمه حتى مات، وكان يقول: " أي رجل هو لو لم يفسدوه "(٢)، وكذلك رفضه مقابلة العالم أبي جعفر الرازي الذي كان يتاجر له ، وقاطعه لصحبته بعض الخلفاء وكتب إليه " أُرْدُدْ إلينا بضاعتنا لسنا في حاجة إلى أرباحها " (٣).

ومما يذكر في هذا المجال أيضاً تلك القطيعة التي كانت بين الزهري وأبي حازم والتي استمرت لفترة طويلة على ما يبدو ، ويظهر ذلك من كلام الزهري عندما قال عن أبي حازم " إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته " (٤) ، ولعل أهم سبب لذلك هو صحبة الزهري للخلفاء التي جعلت بعض العلماء ينفرون منه ومنهم أبو حازم ، وهذا أدى بدوره إلى أن الزهري يقف من أبي حازم نفس الموقف ، خاصة وأنه كان يُعَرِّض به عند الخلفاء .(٥)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن العلماء كانوا يرون في التقرب من الخلفاء أو تولّي أي عمل إداري معهم خطراً

---

(١) المصدر نفسه : ج٧ ص١٦٠،١٦١ .

(٢) ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٦٥،٤٦٦ . وقيل أن شريكاً أُدْخل على المهدي فقال : لابد من ثلاث إما أن تلي القضاء ، أو تؤدب ولدي وتحدثهم أو تأكل عندي أكلة ، ففكر ساعة ، ثم قال الأكلة أخفُ علي ، فأمر المهدي الطباخ أن يصلح ألواناً من المخ المعقود بالسكر وغير ذلك ، فأكل . فقال الطباخ : يا أمير المؤمنين ليس يفلح بعدها ، قال : فحدثهم بعد ذلك وعلمهم وولي القضاء { الذهبي : السير ج٨ ص ٢٠٧} .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٥٩،٢٦٠.

(٤) المصدر نفسه : ج٨ ص٣٤ . ولكن يبدو أن في هذا مبالغة لأن الزهري كان يتنقل من المدينة إلى الشام كثيراً ، أما أبو حازم فكان مستقراً في المدينة .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٤ .

على دينهم [1]، وبالتالي كانوا يقفون تلك المواقف من زملائهم الذين ابتلوا بصحبة الخلفاء أو تولّي أي عمل لهم ، ولعل في هذا النص ما

يؤكد ذلك ، فقد قيل لعبدالله بن المبارك إن اسماعيل بن عليه[2] قد وُلِّيَ القضاء فكتب إليه هذه الأبيات :

يَاجَاعل العلم لَهُ بَازياً ... يصطادُ أموال المساكينِ
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلةٍ تذهب بالدِّينِ
فصرت مجنوناً بها بعدما ... كنت دَوَاءً للمجانين
أين رواياتك في سردها ... عن ابن عونٍ وابن سيرينِ
أين رواياتك فيما مضى ... في ترك أبواب السلاطينِ [3]

وثمة صورة عجيبة من صور القطيعة التي كانت تحصل بين العلماء ، نراها متمثلة في موقف العالم عثمان بن الحكم الجذامي[4] من زميله الليث بن سعد الذي أشار على والي مصر أن يولّي عثمان القضاء ، فما الذي حدث ؟ بالرغم من عدم قبول عثمان القضاء ، إلا أنه هجر الليث ولم يعد يلقاه أو يكلمه[5] ، وقد كانت بينهما علاقة ود وإخاء .

٣- العداء والخصومة : في بعض الحالات كان الخلاف يصل بين بعض العلماء إلى حد العداء أو المخاصمة ، وسبب ذلك على ما يبدو لنا هو التنافس العلمي الحاد بينهم ، بيد أن مثل هذه الحالات كانت قليلة مقارنة بالصور الآنفة الذكر ، فقد روي أن أبا الزناد كان يعادي ربيعة بن أبي عبدالرحمن وهما فقيها المدينة في زمنهما ، فسعى

(١) من ذلك ما روي عن القاضي شريك أنه ذات مرة ذهب إلى الصيرفي ليتسلم راتبه ، فضايقه في النقد ، فقال الصيرفي : أنك لم تبع به بَزّاً . فقال شريك : والله بعتُ أكبر من البزّ بعت به ديني { الذهبي: السير ج٨ص٢٠٨}.

(٢) لم نجد له ترجمة ولعله من زملاء عبدالله بن المبارك .

(٣) الذهبي : السير ج٨ ص٤١١،٤١٢ .

(٤) هو عثمان بن الحكم الجذامي روى عن موسى بن عقبه وغيره وكان فقيهاً متديناً (ت ١٦٣هـ/٧٧٩م) {ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٦٧ } .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٦٧ .

أبو الزناد بربيعة لدى والي المدينة حتى جُلد وحلق رأسه ولحيته ، وكان الماجشون يعقوب بن أبي سلمة يُعِينُ ربيعة على أبي الزناد [1]، فلما تغير الوالي أرسل إلى أبي الزناد فطيَّن [2] عليه في بيت، فلما رأى ربيعة أن أبا الزناد يهلك بسببه لم يسعه السكوت فشفع فيه ، فأخرجوا أبا الزناد وقد عاين الموت وذبل ومالت عنقه .[3]

هذا الموقف الذي حصل بين هذين العالمين يدل على أن العلماء بشر وغير معصومين ، وأن العالم مهما بلغ فضله وعلمه وتقواه فإنه قد يزل ، وتنتصر فيه رغبة النفس على ميزان العقل والشرع ، فأبو الزناد مع فضله وعلمه يسعى بالوشاية بأخيه ربيعة ، ويدل هذا الموقف أيضاً "على اختلاف مستويات التعامل الأخلاقي بين العلماء، حتى ولو تقاربا في المرتبة العلمية ، فقد نسيَ أبو الزناد أنه كان يشترك مع ربيعة في حلقة واحدة ووشى به ، في حين لم ينسَ ربيعة ذلك وأظهر ترفعه وترك حقه لله وشفع لأبي الزناد وقد كان يهلك ، فسجل التاريخ الموقفين" [4]، والذي نستنتجه من خلال بعض الروايات أن سبب هذا العداء بين ربيعة وأبي الزناد هو التنافس العلمي بينهما فقد ذُكر أن أبا الزناد كان يتبعه ثلاثمائة تابع من طالب فقه وشعر وغيره ثم لم يلبث أن بقي وحده وأقبلوا على ربيعة ، وكان ربيعة يقول : شبر من حظوة خير من باع من علم ، وكان أبو الزناد أفقه من ربيعة ، قال أبو حنيفة : " قدمت المدينة فأتيت أبا الزناد ورأيت ربيعة فإذا الناس على ربيعة ، وأبو الزناد أفقه الرجلين ، فقلت له أنت أفقه أهل بلدك والعمل على ربيعة ؟ فقال: ويحك كفٌّ من حظٍّ خيرٌ من جرابٍ

---

(١) الذهبي : السير ج٦ص٩١، ج٥ ص٤٤٧ — الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٦٦٠، ولم تذكر لنا هذه المصادر من هو الوالي الذي فعل هذا بربيعة وما السبب اللهم إلا سعاية أبي الزناد هي التي جعلته يفعل ذلك.

(٢) طـيَّن عليه : أي أدخله بيتاً وأغلق عليه باب البيت بجدار ليقتله جوعاً أو عطشاً،وهذا نوع من أنواع العقاب أو الإعدام ، وكان سائداً في تلك الفترة ، ومثال ذلك : ما حدث بين نفيس ونجاح ومرجان ملوك دولة بني نجاح حيث قتل نفيس عمة ابن زياد وابن أخيها بأن بنى عليهما جداراً وهما قائمان يناشدانه الله حتى ختمه عليهما ... {عمارة : نجم الدين عمارة بن علي اليمني (ت ٥٦٩هـ /١١٧٣م) تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص٨٠ ، حققه وعلق عليه/محمد علي الأكوع ، ط أولى ١٩٦٧م، مطبعة لجنة البيان العربي } .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص٤٤٧ — الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٦٦٠ .

(٤) العُمري : أكرم ضياء العمري ، قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي ج٢ ص٦٩ ، ط أولى ١٤١٤هـ ، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر — من ضمن سلسلة كتاب الأمة رقم ٤٠ .

من علم" [1]. ومن هنا يبدو أن سبب هذا الخلاف هو التنافس والحسد ، والذي يؤيد هذا أن هذه الحالة ليست وحيدة إنما هناك حالات أخرى مشابهة إلى حد ما ، مثل ما حصل بين شعبة بن الحجاج وخالد الحذاء ، إذ أراد شعبة أن يضع من شأن خالد بن مهران الحذاء ، فجاء إليه حماد بن سلمة ومعه عالم آخر وقالا له :" مالك أجننت ؟ أنت أعلم: وهدداه فأمسك "[2] ، وكذلك ما كان يحصل بين الإمام مالك ومحمد بن إسحاق ، فقد كان محمد بن إسحاق يتكلّم في مالك ويقول :" ائتوني ببعض كتبه حتى أبين عيوبه أنا بيطار – أي طبيب – كتبه "[3]، وكان مالك يقول في ابن إسحاق : " انظروا إلى دجال من الدَّجاجلة – أي كذاب – يقول : أعرضوا عليَّ عِلْم مالك ، نحن نفيناه من المدينة "، وكان يقول فيه أيضاً : " يا أهل العراق من يفسد عليكم بعد محمد بن إسحاق "[4].

هذه بعض صور الخلاف التي كانت تحصل بين العلماء ، ومن الطبيعي أن يحصل ذلك ، فالخلاف لا يخلو منه أي مجتمع بشري، ولكن صور الخلاف هذه بين العلماء ، تختفي مقابل تلك الصور الرائعة من صور الحب والتعاون والإخاء .

علاقة العلماء بالطلاب :

على الرغم من قلة المعلومات حول هذا الموضوع ، إلا أنها توضح مدى علاقة العلماء بطلابهم وأنها– ابتداءً– كانت تتصف بكثير من التواضع والتقدير والاحترام ، ويرجع منبع هذا التواضع من العلماء مع طلابهم إلى العلم الذي يحملونه والذي يظهر في سلوكهم وأعمالهم وحياتهم واقعاً عملياً دون تكلف أو عناء ، ومن هنا كان الطلاب يتعلّمون من شيوخهم العلماء العمل والأدب قبل العلم .

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٤٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص١٩١ .

(٣) المصدر نفسه ج٧ ص٣٩ .

(٤) المصدر نفسه ج٧ ص٥٠ ، ٥١، ٥٣ .

قالت أم مالك لولدها في بداية مشواره العلمي: " تَعَلَّمْ من أدبه قبل علمه"[1] – أي من شيخه ربيعة – وفعلاً تعلم الإمام مالك من شيوخه التواضع والأدب ، فيحدّث يوماً أصحابه ويرجع بهم إلى ذكرياته أيام كان طالباً فيؤكد في نفوس جالسيه ذلك فيقول :" كنت آتي نافعاً وأنا غلام حديث السن معي غلام لي ، فينزل من دَرَجه فيقعد معي ويحدثني ".[2]

كان العلماء يهتمون بطلابهم كثيراً ، فيتفقدون الغائب منهم ، ويزورون المريض ، وينفقون على المحتاج ويتلمسون أحوالهم. كان أبو يوسف[3] (القاضي) طالباً في حلقة أبي حنيفة فمرض مرضاً شديداً ، فعاده أبو حنيفة مراراً [4] وكان أبو حمزة السكري إذا مرض عنده من قد رحل إليه – أي من الطلاب – زاره ورأى ما يحتاج إليه من النفقه فيأمر به[5] ، وروي أيضاً أن أبا يوسف كان من الطلاب الفقراء ، فقال له أبوه يا بني لا تمدّن رجلك مع أبي حنيفة – أي لا تجلس في حلقة علمه – فأنت محتاج قال : "فآثرت طاعة أبي فأعطاني أبو حنيفة مائة درهم وقال إلزم الحلقة ، فإذا نفدت هذه فأعلمني ، ثم بعد أيام أعطاني مائة أخرى " [6].

ومما كان يعزز علاقة العلماء بالطلاب ويزيدها رسوخاً أن العلماء لم يكونوا يأخذون أجراً على عطائهم العلمي ، وبالذات العلماء الذين كانوا يدرّسون الحديث والفقه والعربية في حلق العلم في المساجد ، وإنما كانوا يعلّمون لوجه الله تعالى ، يدل على ذلك أن الكثير من هؤلاء العلماء كانوا ينصرفون إلى التجارة والحرف لكسب معاشهم كما أوضحنا ذلك في الفصل السابق ، والبعض منهم كان يعتمد على إخوانه وقد أوضحنا ذلك أيضاً في هذا الفصل ، ولهذا كانت علاقة العلماء بالطلاب تسمو

---

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ص٢٠ .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص٩٧ ، ج٨ ص١٠٧ – الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٦٤٦ .

(٣) هو الإمام المجتهد ، العلاّمة المحدث ، قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الكوفي (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) – ذكرناه هنا كطالب – { الذهبي : السير ج٨ ص٥٣٥،٥٣٦،٥٣٨ } .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص٥٣٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٣٠ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص٣٨٦ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٠٢ .

(٦)الذهبي:السير ج٨ ص٥٣٦ –ابن الجوزي:المنتظم ج٩ ص٧٢– ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب ج١ص٣٠٠

إلى ما فوق الماديات والأغراض الزائلة .

ونتيجة لهذا فإن العلماء لم يكونوا يقبلون من الطلاب حتى مجرد الهدية وذلك لكي لا تتغير نياهم وبالتالي تقل أجورهم عند الله تعالى ، وفي هذا المجال يذكر أن أحد طلاب الحديث قدم من مكة على الأوزاعي وهو بالشام وأهدى إليه بعض الطرائف فلم يقبل منه الأوزاعي وقال له :" إن شئت قبلت منك ولم تسمع مني حرفا ، أو خذ هديتك وأسمع "[1] ، وقدم أحد طلاب حماد بن سلمة من الصين ، وقدم إليه هدية ، فكان موقفه نفس موقف زميله الأوزاعي .[2]

ولعل من أهم النتائج التي ترتبت على حسن علاقة العلماء بطلابهم أن الطلاب كانوا يبادلون مشايخهم وأساتذهم نفس التقدير والشعور والاحترام ، فهذا الزهري يقول :" كنت آتي عروة بن الزبير فأجلس على بابه مليا ولو شئت أن أدخل دخلت ، فأرجع وما أدخل إعظاما له" [3]. وهؤلاء طلاب سعيد بن المسيب يقولون : كنا نجلس إلى ابن المسيب فما يستطيع أحد منا أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدئ الحديث أو يأتي رجل يسأله عن شيء "[4] وذلك احتراما وهيبة .

ومما يدل على أن علاقة العلماء بالطلاب كانت جيدة وتتسم بكثير من العطف والرعاية من جانب العلماء ، قيام البعض منهم بتزويج طلابهم الفقراء ، فهذا سعيد بن المسيب حين يأتيه طالبه ابن أبي وداعة ويخبره بوفاة زوجته يقول له : "فهل تتزوج فيجيب الطالب: ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين ؟ فيقول سعيد : أنا أزوجك " ويزوجه ، ثم بعث له بعد شهر من زواجه عشرين ألف درهم [5] .

ولم تكن علاقة العلماء بطلابهم تنتهي عند هذا الحد ، تدريسهم والنفقة عليهم إن كانوا من المحتاجين ، بل إننا نجد أن البعض منهم كانوا يعمقون صلاهم بطلابهم إلى

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص١٣٢ .

(٢) المصدر نفسه : ج٧ ص٤٤٩ . والصين كما نعلم بلاد بعيدة عن الشام وبها الكثير من الطرائف ولكن حماد آثر أن لا يأخذ شيئا من هذه الطرائف حتى ولو كانت من الصين .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٤٣٢ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٦٣ .

(٤) المصدر نفسه ج٥ ص٣٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ج٤ ص٢٣٣،٢٣٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٤،٣٢٥ .

أبعد من ذلك ، فيطعمونهم مما أهدي إليهم ، أو يدعونهم إلى تناول الطعام في منـزلهم ، فهذا مندل بن علي[١] كان في مجلسه يوما مع طلابه فجيء إليه بسلة فيها رطب هدية فقال لطلابه كلوا ما فيها[٢] . ويروي لنا أحد الطلاب شيئا من ذلك فيقول: "هيأ الإمام مالك دعوة للطلبة وكنت فيهم فذهبنا إلى داره فلما دخلنا قال : هذا المستراح وهذا الماء ثم دخلنا البيت ولم يدخل معنا مكان الجلوس ، ثم دخل بعد ذلك ، ثم جيء بالطعام ، فلما خرجوا سألته عن امتناعه عن الدخول معنا في أول الأمر فقال الإمام : " لعلي أقول ههنا أبا فلان وهنا أبا فلان وقد يسيء بعضكم فيظن أني تركته بغضا فيه ، فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم "[٣] ، ومن هذا النص نستنتج أن العلماء كانوا حريصين على مشاعر الطلاب ، وهؤلاء كانوا يدركون أن شيوخهم لا يفرقون بين طالب وآخر مهما كانت الأسباب ، حتى في المجلس .

وفي سبيل العلم كان كثير من الطلاب يتواضعون لمشايخهم ويقومون على خدمتهم بل ويسهرون على راحتهم ، ومن أمثلة ذلك أن الزهري كان يقوم بخدمة شيخه عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ، حتى إنه كان يستقي له الماء[٤] . وكان عبدالرحمن بن مهدي[٥] يسهر عند شيخه سفيان الثوري أثناء مرضه ويقوم على خدمته حتى إنه كان يترك صلاة الجماعة [٦] لانشغاله بتمريض شيخه .وعموما فإن الطلاب كانوا

---

(١) هو مندل بن علي أبو عبدالله العنـزي ، المحدث ، حدث عن أبي اسحاق الشيباني ، الأعمش وغيرهم (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م){ابن الجوزي:المنتظم ج٨ ص٣٠٢،٣٠٣ – الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٣ ص٢٤٧}.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٠٣ .

(٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ص٢٠ .

(٤) الذهبي : السير ج٤ ص٤٧٧ – الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٥٦٠ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٦٢ .

(٥) هو عبدالرحمن بن مهدي ، الإمام الحافظ الكبير الناقد وكان سمع من سفيان الثوري كما أنه عرض حديثه على سفيان ولزمه في البصرة عند هروبه حتى توفى (ت ١٩٨هـ/٨١٥م) وقد ذكرناه هنا كطالب وليس كعالم {الذهبي : في ترجمة سفيان الثوري : السير ج٧ ص٢٣٥،٢٤٥ ابن عبدالهادي الدمشقي : الطبقات ج١ ص٤٧٧،٤٧٨، ٤٨٠ } .

(٦) الذهبي : السير ج٧ ص٢٥٠ .

ينـزلون العلماء من أنفسهم منـزلة عظيمة حتى إن أحدهم ليقول: "كل من كتبت عنه – أي الحديث – فأنا له عبد " [1].

علاقة العلماء بالناس :

اهتم العلماء بأمر الناس وخاصة العامة منهم ، فكانوا يحبون لهم الخير والعيش في أحسن حال ، ومن أجل ذلك عمل العلماء كل ما في وسعهم لإسعاد الناس والقرب منهم .

وبداية نذكر هذا الخبر الذي يدل على اهتمام العلماء بأمر الناس ، فقد روي أن العالم رجاء بن حيوه أشار على الخليفة سليمان بن عبدالملك بأن يولي أحد زملائه من العلماء القضاء فلما وصل الخبر إلى هذا العالم غضب من رجاء ، فأخبر رجاء بذلك فقال :" إني نظرت للعامة ولم أنظر له "[2] إن همه الأول أمر الناس وراحتهم وتحقيق العدل فيما بينهم ، وأما هذا العالم فإنه مادام ورعا تقيا – ولا نظن أن رجاء يختار غير ذلك – فإنه سيعرف كيف يحتاط لنفسه ولدينه .

ولقد بلغ من اهتمام بعض العلماء بأمر العامة من الناس أن يتمنى أن تكون الخلافة من نصيب العلماء حتى يسيروا فيهم بالحق والعدل ، قال أحد العلماء :" ما رأيت مثل الأوزاعي كان رجل عامة ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي "[3].

ومن هذا المنطلق – الحرص على سعادة الناس وراحتهم – اتجه العلماء إلى عمل كل ما من شأنه تحقيق هذا الأمر ، ويأتي في مقدمة ذلك أن العلماء كانوا شديدي الاختلاط بالناس ، حريصين على الجلوس معهم والتحدث إليهم، حتى إن أحد المتابعين لحياة بعض العلماء ليعجب من هذا السلوك ، فيصف عبدالله بن عون قائلا :" لو رأيته قلت ليس من تلك الطبقة شديد الاختلاط بالناس" [4] ومعنى ذلك أن شريحة العلماء لها خصوصية مثل غيرها من الشرائح الهامة في المجتمع ، ولكن العلماء يتركون كل

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٢٠٨ .

(٢) أبو نعيم : الحلية ج٥ ص١٧١ .

(٣) الذهبي : السير ج٧ ص١١٣ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٦٧ .

تلك الخصوصيات ويتزلون إلى الناس ومستوياهم ، فهذا ابن أبي ذئب كان كريماً مع الناس يجلس إليه من أراد ويغشاه أي رجل ولم يكن يطرد أحداً[1] من مجلسه مهما كان، وأما الليث بن سعد فقد كان كثير الاختلاط بالناس ولا يتناول طعامه إلا معهم، قال أحد أصحابه :"صحبت الليث عشرين سنه لا يتغدّى ولا يتعشى إلا مع الناس"[2] وهذا يدل على كرم الليث وسماحته وتواضعه للناس ومخالطتهم ، غنيهم وفقيرهم .

ولذلك فإن مما يميز العلماء عن غيرهم من أعيان المجتمع ذوي المكانة كالخلفاء والأمراء وكبار التجار ، أنهم كثيري الاختلاط بالناس ، في كل الأوقات وفي جميع الأماكن في المساجد أثناء الصلوات وغيرها ، وفي الأسواق وفي البيوت وكانوا يزورون المرضى ويشهدون الجنائز ، فهذا الإمام مالك كان يصلي في المسجد الجمعة والجماعات ، ويجلس فيه للناس ويعود المرضى[3]. وكان أيوب السختياني يحرص على لقاء الناس والبشاشة تعلو وجهه ، حتى قيل إنه لم يكن هناك أشد تبسماً في وجوه الرجال منه ، وكان الرجل ليأتي مجلسه ويظن أنه لا يعرفه ولا يهتم به حتى إذا مرض أو مات قريب له أتاه يتفقده ويواسيه حتى يرى الرجل أنه من أعزّ الناس على أيوب[4] ولما لزيارة المريض من أثر واضح في توثيق عُرى المحبة والألفة بين الناس ، خاصة بين الزائر والمزور ، ولما لها أيضاً من أثر ملموس في التخفيف من آلآم المريض وحالته النفسية ، فقد كان العلماء يحرصون كثيراً على ألا تفوقم مثل هذه الزيارات ، لأنّ في فواقا فوات الأجر عليهم ، فكان أبو قلابة الجرمي يزور المرضى ، ومثله ابن أبي ذئب[5]، وكان عبدالله بن عون يسأل في المسجد عمّا إذا كان هناك مريض ليقوم بزيارته .[6]

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص١٤١ .

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص١٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ج٨ ص٦٤ — ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٤٤ — ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣٦ .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص١٧ — ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٤٩ — أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٨ .

(٥) الذهبي:السير ج٧ص١٤١— ابن الجوزي:المنتظم ج٧ص٩٢ — ابن عساكر:تهذيب تاريخ دمشق ج٧ص٣٤٠ .

(٦) أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٢٥٢ .

وأما عن مخالطة العلماء للناس في الأسواق فكانت من الأمور المألوفة لديهم ، ليس لأنهم يحبون الجلوس فيها ، ولكن لأن الكثير منهم كانوا من التجار وأصحاب الحرف وقد أوضحنا ذلك في الفصل السابق ، ولأن العلماء لابد لهم من شراء حاجاتهم ، فقد كان الكثير منهم يخرجون إلى الأسواق ويشترون حوائجهم بأنفسهم ، فقد روي أن سالم بن عبدالله كان يخرج إلى السوق فيشتري حوائجه بنفسه[1]، وكان عكرمة مولى ابن عباس يخرج إلى السوق ويلتقي بالناس ويستمع إليهم ، حتى قال : "إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة ، فينفتح لي خمسون بابا من العلم"[2]. وخروج العلماء لشراء حوائجهم بأنفسهم لا يتعارض مع ما ذكرناه سابقا من أن الطلاب كانوا يقومون بخدمة شيوخهم ، فخدمة الطالب لشيخه لم تكن في كل الأوقات ، ثم إن بعض العلماء كانوا يرفضون خدمة الناس لهم وبخاصة فيما يتعلق بحاجات أهلهم مثل أيوب السختياني .

ومما يميز العلماء عن غيرهم ، أنهم كانوا يفضلون مجالسة الفقراء والمساكين ، دون الأغنياء ، فكانوا بذلك يدخلون السرور عليهم ويشعرونهم بأنهم جزء من هذا المجتمع وأن الفقر ليس عيبا في حد ذاته ، وإنما العيب ما كان في معصية الله تعالى ، إضافة إلى ذلك فإن العلماء كانوا يجالسون الفقراء لأنهم بعيدين كل البعد عن فتن الدنيا وزخرفها وأموالها ، فكانوا نتيجة لذلك بعيدين عن هموم الدنيا وأقرب إلى الله والدار الآخرة [3]، كان سفيان الثوري يقول للرجل الفقير أدن مني ويقربه إليه ويقول له : "لو كنت غنيا ما أدنيتك "، حتى قيل إنه لم يكن يرى أذل من الغني في مجلسه ولا أعز من الفقير في مجلسه[4] ، وكان بكر بن عبدالله المزني من العلماء الأغنياء ، ومع

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٤٦١ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٤ . وكان سعيد بن المسيب يكثر من الاختلاف إلى السوق { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣١ } .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص١٨ .

(٣) من ذلك ما رواه أبو نعيم بسنده عن سفيان الثوري قال: "كان عون بن عبدالله يقول: كنت أجالس الأغنياء ، فكنت أكثر الناس هما وأكثرهم غما ، أرى مركبا خير من مركبي ، وثوبا خيرا من ثوبي ، فأهتم ، فجالست الفقراء فاسترحت " { الحلية ج٤ ص٢٤٣ } .

(٤) الذهبي : السير ج٧ ص٢٧٥ – أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٦٥ .

ذلك كان يقول :" إني لأرجو أن أعيش عيش الأغنياء ، وأموت موت الفقراء "، وكان رحمه الله يلبس أحسن ثيابه ثم يذهب إلى المساكين ، فيحدثهم ويقول لعلهم يفرحون بذلك[1] ، وكذلك كان يفعل عطاء الخراساني[2] ، وعبدالله بن المبارك الذي كان يقول :" ليكن مجلسك مع المساكين " [3].

ولكن الذي يظهر أن بعض العلماء كرهوا الاختلاط بالناس ، ويبدو أن السبب في ذلك خوفهم من الوقوع في المفاسد ، أو السكوت عليها أو لعدم استطاعتهم تغيير مثل هذه المفاسد ، قيل إن سفيان الثوري قال لجعفر بن محمد (الصادق): "مالي أراك اعتزلت الناس ؟ فقال : يا سفيان فسد الزمان وتغير الإخوان ، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد "[4] وذكر أن الإمام مالك استمر في مخالطة الناس فترة طويلة ثم ترك ذلك ، حتى شهود الجماعة ، فقيل له في ذلك ، فقال :" ليس كل أحد يقدر أن يتكلم بعذره"[5]. وذكر الذهبي : أن عروة بن الزبير بنى له قصرا بالعقيق وخرج إليه واعتزل الناس فقالوا له : "جفوت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيت مساجدهم لاهية ،وأسواقهم لاغية ،والفاحشة في فجاجهم عالية ، فكان فيما هنالك عما هم فيه عافية " [6].ومن هنا يتضح لنا أن هؤلاء العلماء كانوا يعتزلون الناس خوفا من الفتنة والوقوع في المعصية، وليس كبرا أو ترفعا عن مخالطة الناس وعامتهم .

إلا أن هذا السلوك – مخالطة الناس ، أو ترك مخالطتهم لعذر – لا ينطبق على جميع العلماء ؛ لأننا نجد أحد العلماء وهو الحجاج بن أرطأة يتخذ سلوكا مغايرا لما كان عليه معظم العلماء، فكان لا يحضر الجمعة والجماعات ويقول: "أحضر مسجدكم حتى يزاحمني فيه الحمالون والبقالون ، وكان يقول أيضا: "لا تتم مروءة الرجل حتى يترك

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٥٣٤ – ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢١٠ .

(٢) الذهبي : السير ج٦ ص١٤٢ .

(٣) المصدر نفسه : ج٨ ص٣٩٩ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١١

(٥) الذهبي : السير ج٨ ص٦٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٤٤ .

(٦) الذهبي : السير ج٤ ص٤٢٧ . وكان سعيد بن المسيب لا يدخل أي بيت في المدينة غير بيته وبيت أبنته أحيانا { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣١ } وكان طاووس يجلس في بيته لنفس الأسباب { أبو نعيم: الحلية ج٤ ص٤}

الصلاة في الجماعة "[1]، ولعل عمل هذا العالم كان ناتجا عن كبر وحب للظهور ، ولهذا نجده يعترف بذلك ويقول: " أهلكني حب الشرف" [2]، ولعل الإمام الذهبي لم يتجاوز الصواب عندما علق على هذه التصرفات قائلا : " لعن الله هذه المروءة ، ما هـي إلا الحمق والكبر كيلا يزاحمه السوقة "[3] .وعليه فالذي يبدو أن هذه الحالة فردية ؛ لأن العلماء كما نحسبهم كانوا يترفعون عن مثل هذه الهفوات .

وأما عن حسن علاقة العلماء بجيرانهم ، فقد كانوا يحرصون كثيرا علـى عـدم إيذائهم ، وكانوا يقفون معهم في وقت الحاجة ، ويقدمون إليهم ما يقدرون عليه مـن خدمات وفي هذا المجال تذكر لنا المصادر مواقف عجيبة للعلماء قلما تتكرر أو نجد لهـا مثيلا إلا في القليل النادر فهذا أحد جيران العالم أبي حمزة السكري قرر أن يبيـع داره فقالوا له بكم تبيعها ؟ فقال: "بألفين قيمة الدار وألفين حق جوار أبي حمزة ، فبلغ ذلك أبا حمزة ، فوجه إليه بأربعة آلاف وقال له : خذها ولا تبـع دارك " [4]، وكـان "إذا مرض الرجل من جيرانه تصدق بمثل نفقة المريض بما صرف عنه من العلة " [5] .

وروي عن القاضي شريح بن الحارث أخبار ومواقف تدل على حسن تعامله مـع جيرانه وتقديره لهم ، من ذلك أنه كان "إذا مات لأهله سنورا (قطا) أمر بها فـألقيت في جـوف داره ، ولم يكن له مثعب [6] شـارع إلا في جـوف داره اتقـاء لأذى

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٧٢،٧٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٢٣ .

(٢) الذهبي : السير ج٧ ص٧٢،٧٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٢٣ .

(٣) الذهبي : السير ج٧ ص٧٢ .

(٤) الذهبي : السير ج٧ ص٣٨٧ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٣ ص٢٦٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٠٢ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج٣ ص٢٦٩ .

(٦) الثعب مسيل الوادي ، ومثاعب المدينة مسايل مائها { الفيروز آبـادي : مجد الدين محمد بن يعقـوب (ت٨١٧ هـ / ١٤١٤م) ، القاموس المحيط ج١ ص٤٢ – المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، (بدون تاريخ ومكان الطبع) } ومن خلال هذا التعريف ومن خلال النص يتضح لنا أن المساكن أو المنازل كان لها مثاعب أو شـارع وهو المثعب – لخروج الماء من المترل إليها ، سواء كان ماء المطر أو الماء الناتج عن الاستخدام المترلي لغرض النظافة والوضوء وغيرها ،ومن هنا فإن شريح لم يكن له مثعب إلا في جوف داره ، ويبدو أنه كان له حفـرة كبـيرة في حوش مترله تستوعب كل ذلك والدليل على ذلك أنه كان يجعل ميازيبه في داره .

المسلمين" [1] وكان يجعل ميازيبه في داره[2] ، ومن خلال هذا الخبر نستدل على أن شريحا كان له منزل ذو حوش واسع ولهذا كان يجعل مسالك البيت وميازيبه إليه إضافة إلى دفنه للحيوانات -كالقطط فيه - وكل ذلك لكي لا يؤذي جيرانه المسلمين .

وإضافة إلى ذلك فإن العلماء كانوا يحرصون في أيام المناسبات والأعياد على مشاركة جيرانهم الفرح فيرسلون إليهم مما يصنعونه من الطعام أو الحلوى ، فكان أيوب السختياني في عيد الفطر يرسل بقصاع الطعام إلى جيرانه قبل أن يخرج من داره[3]، وأخيرا فلعل ما حدث من أبي حنيفة ليمثل خير دليل على اهتمام العلماء بجيرانهم وتفقدهم لأحوالهم حتى ولو كانوا من العصاة [4].

كان العلماء في تعاملهم واختلاطهم بالناس يحرصون على زيادة الألفة والمحبة ، ونبذ الخلاف والشقاق ، فكانوا لأجل ذلك يقابلون السيئة بالحسنة ، والجهل بالحلم ، مع كرم ولين جانب ، ولم تكن هذه الممارسات والأخلاق تصدر عن تكلف منهم ، وإنما كانت سجية فيهم وطبع جبلوا عليه ، لأنها لو كانت غير ذلك ، لما صبر أحدهم على الشتم والإهانة ، فهذه الأخلاق ورثوها من الأنبياء نتيجة للعلم الذي يحملونه ويبتغون به وجه الله تعالى .

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص١٨٦– ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٤٢– أبو نعيم:الحلية ج٤ ص١٣٥، ١٣٦.

(٢) ابن سعد : الطبقات ج٦ ص١٤٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٥٠ .

(٤) ذكر الخطيب البغدادي بسند طويل أنه كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكافي يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله فتناول الطعام ، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غنى بصوت مسموع ، يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته وهو يصلي الليل كله ، وفي بعض الليالي فقد أبو حنيفة صوته ، فسأل عنه فقيل له أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس ، فصلى أبو حنيفة الفجر وركب بغلته ، واستأذن على الأمير فلما أن رآه رحب به ووسع له بجانبه وقال له ما حاجتك ، فأخبره ، فقال الأمير :" يفرج عنه وكل من أخذ تلك الليلة " – إكراما لأبي حنيفة – فركب أبو حنيفة والإسكافي يمشي وراءه فلما وصلوا البيت قال أبو حنيفة للفتى: "هل أضعناك ؟ قال: لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق"وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه { الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٦٢،٣٦٣ } .

يذكر أن رجلاً زاحم سالم بن عبدالله ، فاستنكر عليه ذلك ، فقال له الرجل :" ما أراك إلا رجل سوء ، فقال سالم : ما أحسبك أبعدتّ "[١].وبلغ وهب بن منبه أن رجلاً يشتمه فقال للذي نقل إليه الخبر" ما وجد الشيطان رسولاً غيرك " ولم يلبث أن جاء الرجل الذي كان يشتمه ، فسلم على وهب ، فرد عليه السلام بأحسن منه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جانبه[٢].وروي أن علي بن الحسين خرج من المسجد يوماً فقابله رجل فسبّه ، فقام إليه أصحابه ومواليه ليفتكوا بالرجل فقال لهم : اتركوا الرجل ، ثم أقبل عليه وقال له : " ما ستر الله عليك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل، فألقى إليه خميصةً كانت عليه وأمر له بألف درهم" [٣] وكان موسى الكاظم[٤] إذا بلغه أن رجلاً يؤذيه بعث إليه بصرة فيها ألف دينار[٥] . هكذا كان خلق العلماء مع الناس ، لا يخاصمون أحداً [٦] ولا يغتابون أحداً بل وأكثر من ذلك لم يكونوا يسمحون لأحد من الناس أن يغتاب الآخرين لديهم ، فكان سعيد بن جبير لا يدع أحداً يغتاب عنده[٧] ، أما محمد بن سيرين فكان إذا ذكروا عنده رجلاً بسيئة ذكره هو بأحسن ما يعلم .[٨]

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٤ .

(٢) المصدر نفسه ج٧ ص١٤٢ — أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٧١ — ابن كثير : البداية ج٩ ص٢٧٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٧ .

(٤) موسى الكاظم : الأمام القدوة السيد أبو الحسن العلوي والد الأمام علي بن موسى المدني ، قال عنه أبو حاتم : ثقة صدوق أمام من أئمة المسلمين ، وكان من العباد يحيي الليل في الصلاة والذكر (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م) {الذهبي: السير ج٦ ص٢٧٠،٢٧١،٢٧٤ } .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٢٧١ .

(٦) من ذلك أن سعيد بن المسيب لم يكن يخاصم أحد حتى قيل لو أراد إنسان رداءه لرمى به إليه ، وروي أن إبراهيم النخعي قال : ما خاصمت رجلاً قط { ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣٤ ، ج٦ ص٢٧٣ } .

(٧) الذهبي : السير ج٤ ص٣٣٦ . وبلغ الحسن البصري أن رجلاً اغتابه فبعث إليه طبق حلوى وقال له : بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فكافأتك { ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٧١} .

(٨) الذهبي : السير ج٤ ص٦٢٠ — ابن سعد : الطبقات ج٧ ص٢٠٠. ومما يذكر في هذا المجال أن رجلاً ذكر رجلاً آخر عند إياس بن معاوية بشيء يكرهه ،فجعل إياس ينظر في وجهه ولا يقول شيئاً حتى فرغ ثم قال له: "هل غزوت السند ؟ فقال: لا.فقال : أفغزوت الهند ؟ فقال :لا.ثم قال:أفغزوت الروم ؟ فقال :لا . فقال إياس =

وإضافة إلى ما ذكرناه فإن علاقة العلماء الاجتماعية بالناس لم تكن لتقف عند حد معي، ولهذا نجد أنهم كانوا يتزلون إلى مستوى الناس وعامتهم في كثير من أمور الحياة ، فالبعض من العلماء كانوا يتزوجون من عامة الناس ويزوجونهم[1] ، وكانوا يحضرون مناسبات الأفراح كالزواج[2] وغيرها ، بل وكانوا يستعيرون منهم بعض الحاجات التي تنفعهم ثم يرجعونها إليهم[3]، وكانوا يقبلون الهدية، وأحياناً يثيبون عليها[4] ، وكانوا يقبلون ودائع الناس ويحفظونها عندهم[5] ، ... الخ .

علاقة العلماء بالخلفاء والأمراء :

لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن علاقة العلماء بالخلفاء والأمراء كانت غير ودية وغير متوافقة في كثير من الأحيان ، وإذا كان هناك ثمّة علاقة بين الطرفين ، فإنها محدودة ، ولا ترقى إلى مستوى العلاقات التي غالباً ما تكون بين الأصدقاء والإخوان إلا في حالات قليلة .

غير أننا هنا يجب أن نفرّق بين علاقة العلماء بالخلفاء كعلاقة اجتماعية تحددها

= للرجل : قد سلم منك الديلم والهند والروم ، ولم يسلم منك هذا ، وإنما هو أخوك ، فقال الرجل فلم أعد لهذا {ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٣ ص١٨١ } .

(١) مثال ذلك : تزوج خالد بن مهران (الحذاء) من بني مجاشع ونزل عليها في محل الحذائين { الذهبي : السير ج٦ ص١٩٢- ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٢}، وتزوج عبدالله بن عون من امرأة عربية وكان من الموالي ، فقيل أن الأمير بلال بن أبي برده ضربه بالسياط من أجل ذلك { الذهبي : السير ج٦ ص٣٧٠ } وهذه الرواية أن صحت فهي تدل على جهل الأمير بلال بن أبي برده بمبادئ وتعاليم الإسلام الحنيف التي لا تقيم للتعصب للجنس أو اللون أي وزن،وفي نفس الوقت لا تدل على الموقف العام للعرب من الموالي إذ أنها حالة فردية،يناقضها ما ذكرناه من تكريم الخلفاء والأمراء للعلماء ، ومنهم العلماء الموالي مثل : عطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، وعبدالله بن المبارك ، وغيرهم .

(٢) مثال ذلك أن شهر بن حوشب دعي إلى وليمة عرس فأجاب وجلس وأكل من الطعام ، ولكنه لما سمع المزمار وضع أصبعه في أذنه وخرج { الذهبي : السير ج٤ ص٣٧٣،٣٧٤ } .

(٣) مثال ذلك أن عبدالله بن المبارك استعار قلماً من رجل ثم أعاده إليه { ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦٠ } وسليمان بن طرخان التيمي استعار ثوباً من رجل ولبسه ثم رده { الذهبي : السير ج٦ ص١٩٨ } .

(٤) من ذلك أن سفيان الثوري كان يقبل الهدية من بعض الناس ويثيب عليها { الذهبي : السير ج٧ ص٢٦٦ } .

(٥) ومن ذلك أن أبا حنيفة مات وعنده ودائع بخمسين ألف ، ولم يُضيّع منها ولا درهماً واحداً {الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٥٩ } .

ظروف الطرفين ورغباتهم ، وبين علاقتهم بهم كأئمة تلزم لهم الطاعة بموجب البيعة لهم بالخلافة ، فالأولى علاقة اجتماعية وهي موضوع بحثنا ، والثانية علاقة شرعية سياسية وهي لا تهمنا في هذا الجانب .

وعموماً فيمكننا أن نقسم العلماء من حيث علاقتهم بالخلفاء إلى قسمين :

القسم الأول : ويضمّ العلماء الذين كانوا لا يرغبون في مجالسة ومخالطة الخلفاء والأمراء ومن في مستواهم، ونسبة هؤلاء كبيرة مقارنةً بغيرهم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتب إليه والي فارس[1] يستدعيه إليه لتعليم ولده بالنهار ومنادمته بالليل فرفض الخليل ذلك وكتب إلى الوالي :

أبلغْ سَليمانَ أني عَنْهُ في سَعةٍ ... وفي غنى غيرِ أني لستُ ذَا مالِ

والفقرُ في النفسِ لا في المالِ نعرفهُ ... ومثلُ ذاكَ الغنى في النفسِ لا المالِ .[2]

ومنهم أيضاً حماد بن سلمة كتب إليه أحد الأمراء يقول له :" إنه قد وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها ، فكتب إليه حماد في ظهر الكتاب " إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحد فإن كانت وقعت مسألة فأتنا وسلنا ما بدا لك " [3].

وليس غريباً أن نجد من العلماء من يعلن عن هذا المبدأ في مجلس الخليفة ، والخليفة يسمعه ، فقد روي أن عمرو بن عبيد قال للخليفة أبي جعفر المنصور عندما سأله " هل لك من حاجة ؟ فقال عمرو : نعم ، فقال أبو جعفر : ما هي ؟ قال عمرو لا تبعث إليّ حتى آتيك ، قال : إذن لا تأتيني . قال : عن حاجتي سألتني "[4] وكذلك روي أن سفيان الثوري قال لأحد الخلفاء مثل ذلك .[5]

ومن العلماء الذين اشتهروا بمقاطعة الخلفاء سعيد بن المسيب، فقد طلب منه عبدالملك بن مروان ذات مرة أن يحادثه فرفض وقال للرسول :" قل له إني لست

---

(١) هو الأمير سليمان بن حبيب بن الملهب بن أبي صفرة .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٠ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٢٤٥،٢٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ج٨ ص٢٩٥ .

(٤) المصدر نفسه ج٨ ص٦٠،٦١ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص٢٦٣ .

من حُدَّاثِهِ[1] ، كما أن عبدالملك خطب من سعيد ابنته لابنه الوليد فرفض أيضاً .[2]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن العلماء كانوا يتواصون فيما بينهم ، ويحذرون بعضهم بعضاً على ترك أبواب السلاطين أو مخالطتهم أو الدخول عليهم ، ولهم في ذلك أقوال مأثورة ، قال ميمون بن مهران :" ثلاث لا تبلون نفسك بها ، لا تدخل على السلطان وإن قلت آمرُهُ بطاعة الله "، وكان يقول أيضاً :" لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه "[3] وقال أبو حازم :" إن خير الأمراء مَنْ أَحَبَّ العلماء وإن شر العلماء مَنْ أَحَبَّ الأمراء" [4]. وكان حماد بن سلمة يقول :" إذا دعاك الأمير لتقرأ عليه (قل هو الله أحد) فلا تأته "[5]. ومما يروى عن جعفر بن محمد قوله :" الفقهاء أمناء الرسل فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم "[6] .

ولكن هذا العزوف عن مخالطة السلاطين ليس معناه الانقطاع التام عنهم ؛ لأن العالم بمركزه العلمي قد لا يستطيع ذلك ؛ لأن بعض الخلفاء والأمراء كانوا يُكْرِهُوْنَ بعض العلماء على الدخول عليهم ، وفي بعض الأحيان يحضرون مجالسهم ، وفي أحيان أخرى يكون اللقاء اتفاقاً ، وعليه فإن السؤال الذي يطرح نفسه هنا،كيف كان موقف هؤلاء العلماء عند مقابلتهم لأهل السلطة ؟ ونترك الإجابة لبعض المواقف من حياة العلماء لتتحدث عن نفسها ، روي أن سفيان الثوري قال :" أُدْخِلت على أبي جعفر المنصور بمنى – ولنلاحظ العبارة (أُدخلت) أي أنه أُكره على الدخول عليه – فقلت له : " اتق الله فإنما أُنزلت في هذه المنزلة وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار ، وأبناؤهم يموتون جوعاً ، حج عمر فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً ، وكان

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٢٢٦،٢٢٧ – ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٣٠ .

(٢) الذهبي : السير ج٤ ص٢٣٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٢ .

(٣) الذهبي : السير ج٥ ص٧٧ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٥٨ . وتكملة الثلاث ولا تصغين بسمعك إلى هوى ، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه ، ولا تدخل على امرأة ، ولو قلت : أعلّمُها كتاب الله .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص١٠١ .

(٥) المصدر نفسه : ج٧ ص٤٤٨ – وأورد أبو نعيم أيضاً أن سفيان الثوري كان يقول :" إذا دعوك لتقرأ عليهم (قل هو الله أحد) فلا تأتهم . ولو خيرت بين ذهاب بصري وبين أن أملأ بصري منهم لاخترت ذهاب بصري " {أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٨٧ } .

(٦) الذهبي: السير ج٦ ص٢٦٢ .

ينـــزل تحت الشجر، فقال : أتريد أن أكون مثلك ؟ قلت لا ولكن دون ما أنت فيـه، وفوق ما أنا فيه ، قال : اخرج " [١].

وذكـــر ابن الجوزي[٢] بسند طويل أن العالم بن أبي ذئب لما لقي المنصور قال له : " يا أمير المؤمنين قد هلك الناس فلو أغنيتهم بما في يدك من الفيء ؟ فقال : ويلك لولا ما سددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في مترلك وتذبح ، فقال ابـن أبي ذئب : فقد سد الثغور وجيّش الجيوش وفتح الفتوح وأعطى الناس أعطياهم من هـــو خير منك ، قال ومن هو ويلك ؟ فقال عمر بن الخطاب ، فنكس المنصـــور رأســـه — والحراس بجانبه لو شاء أن يأمرهم بقتله لفعل — ثم قال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز".

هكذا كان موقف أكثر العلماء عند لقائهم بالخلفاء ومـــن هـــم في حكمـــهم ، الحرص على قول الحق ولو كان فيه ذهاب نفوسهم ، والنصـــح والأمـــر بـــالمعروف والنهي عن المنكر[٣] ، وما عدا ذلك فأمر غير وارد عند هؤلاء العلماء الذي تشـــربت نفوسهم بالعلم والإيمان ، وبالتالي فإهم أكبر من أن يداهنوا حاكماً أو سلطاناً بمـدح أو ثناء ، أو يمدون أيديهم طلباً للمال أو الجاه ، كما قد يفعل غيرهم .

وأما عن موقف العلماء عند جلوس الخلفاء أو الأمراء إليهم فقد روى لنا شـــاهد عيان فقال:" لم نر نحن ولا الذين من قبلنا مثل الأعمش ما رأيت الأغنياء والســـلاطين عنـــد أحدٍ أحقر منهـــم عند الأعمش مع فقره وحاجته "[٤].وروى شاهد عيان آخـــر فقال: " ما رأيت الأمير أذل منه في مجلس سفيان "[٥] أي سفيان الثوري .

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٢٦٢،٢٦٣ .

(٢) المنتظم ج٨ ص٢٣٢،٢٣٣ – الذهبي : السير ج٧ ص١٤٣،١٤٤ .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن مواقف العلماء وأمرهم بالمعروف وهيهم عن المنكر عند الخلفاء أو الأمراء يمكن الرجوع إلى موقف كل من ، عطاء بن أبي رباح ، وسالم بن عبدالله ، وحماد بن سلمة ، وعمرو بن عبيد ، ومحمد بن سيرين ، وغيرهم { الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٢ ، ج٥ ص٨٤ – ابن الجـــوزي : المنتظـــم ج٧ ص١٤٠،١٦٧ ، ج٨ ص٦٠،٢٩٥،٢٩٦ } أو أنظر الفصل السادس محور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١١٢ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٤٨ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٤٠٠ .

(٥) الذهبي : السير ج٧ ص٢٧٥ .

وقد يلتقي الخليفة بالعالم اتفاقاً كما أسلفنا ، فلا يأبه به العالم ولا يقيم له أي وزن أو اعتبار ، من أمثلة ذلك أن الخليفة الوليد بن عبدالملك دخل ذات يوم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعيد بن المسيب جالس ، فتقدم إليه وسلّم عليه وقال : كيف حال سعيد فلم يزد سعيد على أن رد السلام وقال : كيف حال أمير المؤمنين ، قال الراوي :" فوالله ما تحرك من مكانه "(١). ودخل الخليفة المهدي ذات يوم المسجد فقام له جميع الناس ما عدا ابن أبي ذئب فقالوا له :" لماذا لا تقم لأمير المؤمنين . فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين " ، فتقدم إليه الحرّاس قاصدين إيذائه فقال لهم الخليفة : " دعوه فلقد قامت كل شعرة في رأسي " (٢).

وهذا أيوب السختياني كانت تربطه بيزيد بن الوليد علاقة ود وصداقة ، فلما صار يزيد خليفة ، كان أيوب يدعو الله تعالى فيقول :" اللهم أنسه ذكري" (٣).

من خلال هذه النصوص والأخبار نستنتج أن العلماء لم يكونوا يهتمون بإقامة علاقات مع الخلفاء ، كما هو حال غيرهم من كبار الشعراء أو التجار ، ليس ذلك فحسب بل لم يكونوا يرغبون في لقائهم أو التحدث إليهم .

ولكن يا تُرى ما الذي يجعل العلماء يفعلون هذا ؟ ما الذي يجعل أحدهم يرفض تزويج ابنته من ولد الخليفة ويرفض التحدث إليه ، والكثير من الناس يتمنون ذلك ؟ وما الذي يجعل آخر يرفض القيام للخليفة حين دخوله المسجد أو أي مكان آخر بينما يقوم له جميع الناس ويتمنون حتى مجرد السلام عليه ؟ ما الذي يجعل العلماء يزهدون في كل ذلك ؟ إنه ليس هناك من سبب سوى العزة بالله وقوة الإيمان به ، والزهد في الدنيا بكل مغرياتها ، والتعلق بالآخرة ونعيمها . ومن جانب آخر كان العلماء ينظرون إلى عصر الخلفاء الراشدين وسيرتهم في الناس وعدلهم في الرعية ، فيرون في حكم هؤلاء الخلفاء إعراضاً عن تلك السيرة الحسنة ، ويظهر لنا ذلك بوضوح من حديثهم مع الخلفاء ، مثل ذكرهم لبعض مواقف من سيرة عمر بن الخطاب .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٠٠،٣٠١ .

(٢) الذهبي : السير ج٧ ص١٤٣ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٣٤ .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٢٢ .

ومن جانب آخر فقد كان هؤلاء العلماء ينتقدون على الخلفاء اتخاذهم البطانة السيئة التي تعينهم على المعصية ولا تعينهم على الطاعة ، فقد قال المهدي لسفيان الثوري :" يا أبا عبدالله اصحبني حتى أسير فيكم بسيرة العمرين ، فقال سفيان : أمّا وهؤلاء جلساؤك فلا "[١]وقال أبو جعفر المنصور لعمرو بن عبيد:" يا أبا عثمان أعنّي بأصحابك أستعنّ بهم ، فأجابه بقوله : أظهر الحق يتبعك أهله " [٢].

إذن يتضح لنا أن من أهم الأسباب التي كانت تجعل العلماء يعرضون عن الخلفاء ومجالستهم ، ما يلي :

- الخوف من أن يفتنوا في دينهم .
- بعد الخلفاء والأمراء عن سيرة الخلفاء الراشدين .
- البطانة السيئة التي كانت تحيط ببعض الخلفاء .
- بعد البعض من الخلفاء عن الحق وعدم عَمَلِهم بالعلم الذي يحملونه .

والذي يؤيد ذلك كله أن العلماء كانوا على علاقة جيدة بالخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي لم يكن فيه شيء من هذه الصفات التي ذكرناها،إذ بطانته من العلماء.[٣]

وأما القسم الثاني : فيضمّ العلماء الذين كانوا يتصلون بالخلفاء والأمراء ، ويخالطونهم ، والبعض منهم كان يطلب الأعطيات والجوائز ، ولكن هؤلاء قليل مقابل أولئك العلماء الذي أبوا إلا العزة والتعفف والزهد .

ومن هؤلاء العلماء الزهري الذي كان يجالس الخليفة عبدالملك بن مروان ثم لزم ابنه الوليد ، ثم سليمان بن عبدالملك ثم عمر بن عبدالعزيز ثم يزيد الذي عينه على قضائه ثم هشام بن عبدالملك الذي جعله مع أولاده يعلمهم ويحج معهم[٤] ، ولهذا قال بعض العلماء عنه – أي عن الزهري – أي رجل

---

(١) أبو نعيم : الحلية ج٦ ص٣٧٨ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٦٠ .

(٣) أنظر الفصل الرابع ص ٢٦٩ .

(٤) الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٠،٣٣١ .

هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك[١] ومنهم أيضاً القاضي شريك[٢]، والشعبي[٣]،وأبو الزناد، وإياس بن معاوية [٤]، وإبراهيم النخعي [٥].

ولكن هناك من العلماء من كان يدخل على الخلفاء ويجالسهم ولكن بهدف بيان الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد قيل للإمام مالك : إنك تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون فقال : فأين المُكَلّمْ بالحق[٦] . وكذلك الحسن البصري كان يدخل على الخلفاء والأمراء ويعيبهم[٧] . وكذلك الليث بن سعد كان له كل يوم مجلس يجلس فيه مع الوالي ، فإن رأى منكراً كتب إلى الخليفة فيأتيه الجواب بعزل الوالي[٨] ، وكذلك رجاء بن حيوة الذي كان يجالس سليمان بن عبدالملك ثم عمر بن عبدالعزيز ويشير عليهما بكل ما فيه مصلحة الأمة .[٩]

وأمر آخر يجب أن لا نغفل عنه عند الحديث عن العلاقة بين العلماء والخلفاء والأمراء ، لأن هذا الأمر من الأهمية بمكان إذ من خلاله نستطيع أن نحدد إلى أي مدى كانت هذه العلاقة ناجحة وودية ، وهذا الأمر هو تقديم المال من الخلفاء للعلماء ، وقد رأينا في علاقة العلماء ببعضهم كيف كان لتقديم المال فيما بينهم أثر كبير في تقوية أواصر المحبة والأخوة ، ولكن الأمر هنا يختلف ، فالكثير من العلماء كانوا يرفضون أعطيات وجوائز الخلفاء وهداياهم ، وكانوا يرفضون أن يقوم الخلفاء بقضاء

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٩ .

(٢) كان يجلس أحياناً في مجلس أبي عبدالله وزير المهدي ، وقيل أن شريك أدخل على المهدي فخيره أما أن يلي القضاء وأما أن يعلم أولاده ، أو يأكل عنده ، وأختار أن يأكل فلما انتهى قال الطباخ للخليفة ليس يفلح بعدها ، فحدثهم وولي القضاء ، وقيل أنه قبل ذلك ولي القضاء للمنصور بالكوفة { الذهبي :السير ج٨ ص٢٠٣،٢٠٧}.

(٣) كان يجالس عبدالملك بن مروان ثم سافر إلى مصر لمجالسة عبدالعزيز بن مروان فمكث شهر أو أكثر ورجع {ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٩٣} .

(٤) كانوا يدخلون على الخلفاء والأمراء ويجيزونهم وممن أجازهم الأمير ابن هبيره {ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٤٠ } .

(٥) كان يأتي الأمراء فيسألهم الجوائز وممن أجازه ابن الأشتر { ابن سعد : الطبقات ج٦ ص٢٧٧ } .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص١١١ .

(٧) المصدر نفسه : ج٤ ص٦١٥ .

(٨) المصدر نفسه : ج٨ ص١٥٠ — ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣١ .

(٩) الذهبي : السير ج٤ ص٥٦٠ .

حوائجهم، ومن هؤلاء العلمـــاء عطاء بن أبي رباح[١] وسالم بن عبدالله[٢] ، ومحمد بـن سيرين [٣]، ومعمر بن راشد[٤] ، وربيعة بن أبي عبدالرحمن [٥]، وطاووس بن كيســان [٦]، وسعيد بن المسيب[٧] ، والأعمـــش[٨]
وعمرو بن عبيد[٩] ، وحماد بن سلمة [١٠]، وغيرهم .

---

(١) قال له الخليفة عبدالملك بن مروان : سئلتنا حوائج غيرك فما حاجتك ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة { الذهبي : السير ج٥ ص٨٤ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٦ } .

(٢) دخل هشام بن عبدالملك المسجد الحرام فإذا هو بسالم بن عبدالله فقال له :" يا سالم سلني حاجة ، فقال سالم : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره " فلما خرج سالم خرج هشام في أثره وقال له :" الآن سـلني : فقـال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ، فقال من حوائج الدنيا ، فقال سالم : ما سألت من يملكها فكيـف أسأل من لا يملكها " { الذهبي : السير ج٤ ص٤٦٦ — ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١١٤، ١١٥ } .

(٣) أمر له الأمير ابن هبيرة بجائزة مثل غيره من العلماء الذين دخلوا عليه مثل اياس وأبو الزناد ، فأبى أن يقبلـها فقيل له أترد عطية الأمير فقال : إن تتصدق علي فقد أغناني الله ، أو تعطيني على العلم أجراً فـلا آخـذ {ابـن الجوزي: المنتظم ج٧ ص١٤٠ } .

(٤) بعث إليه والي اليمن بذهب فلم يقبله ورده { الذهبي : السير ج٧ ص١١ } .

(٥) لما قدم ربيعه على أبي العباس السفاح أمر له بجائزة فلم يقبلها ، فأعطاه خمسة آلاف درهم ليشتري بها جاريـة فأبى أن يقبلها {ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٣٥١ — أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٢٥٩ } .

(٦) بعث إليه محمد بن يوسف والي اليمن بسبعمائة دينار فأبى أن يأخذها ، وقال عمر بن عبدالعزيز لطاووس أرفع حاجتك إلى أمير المؤمنين سليمان بن عبدالملك فقال مالي إليه حاجة {الذهبي :السير ج٥ ص٤٠،٤١ — أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٤،١٦ } .

(٧) كان عطاؤه في بيت المال ثلاثون ألف وكان يرفض أن يأخذه وكان يقول حتى يحكم الله بيني وبين بني أميـة {الذهبي : السير ج٤ ص٢٢٦ } .

(٨) أرسل الأمير عيسى بن موسى إلى الأعمش بألف درهم وصحيفة ليكتب فيها حديثاً ، فكتب الأعمش فيـها بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الله أحد) ووجه بها إليه ، فلما وصلت إلى الأمير بعث إليه يشـتمه ويقـول :" أظننت أني لا أحسن كتاب الله ؟ فبعث إليه : أظننت أني أبيع الحديث " { الذهبي :السير ج٦ ص٢٣٦،٢٣٧ } .

(٩) قال له المنصور :" قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك . قال : لا حاجة لي فيها ، فقال الخليفة : والله لتأخذها . فقال عمرو والله لا أخذها " و لم يأخذها {ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٦٠ } .

(١٠) أعطاه الأمير محمد بن سلمان أربعين ألف درهماً وقال له أستعين بها على ما أنت عليه ، فقال لـه حمـاد : أرددها على من ظلمته بها ، فقال : والله ما أعطيتك إلا ما ورثته ، فقال لا حاجة لي فيها ، فقال الأمير : تقسمها ، فقال حماد : لا و لم يأخذها { ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٩٦ } .

وهناك من العلماء من كان يقبل أعطيات الخلفاء والأمراء ، ولكنه بعد ذلك يقوم بتوزيعها ، وتقسيمها على المستحقين من الفقراء والمساكين ، ولا يأخذ منها شـــيئا ، ومن هؤلاء العلماء خارجة بن زيد [1]، ومالك بن دينار[2] ، والأوزاعي[3] ، وشعبة بن الحجاج [4]، وغيرهم .

. . .

(١)أجازه سليمان بن عبدالملك بمال فقسمه { الذهبي : السير ج٤ ص٤٣٩ } .

(٢)أعطاه أمير البصرة مال فاشترا به رقابا وأعتقهم { الذهبي : السير ج٦ ص١٢٠ — ابن الجوزي : المنتظـم ج٧ ص٢٠٥ } .

(٣) الذهبي : السير ج٧ ص٢١٩ .

(٤) وهب له المهدي ثلاثين ألف درهم فقسمها { الذهبي : السر ج٧ ص٢١١ } .

الفصل السادس

دور العلماء في المجتمع

العناصر :

- العطاء المادي .
- تلمس هموم أفراد المجتمع وقضاء حوائجهم وحل مشكلاتهم .
- رعاية الأرامل والمحتاجين وعتق الرقيق .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره على المجتمع .

تمـــهـــيد :

لئن كانت وظيفة العلماء الأساسية في المجتمع تعليم الناس وإرشادهم إلى ما فيـــه الخير لهم في الدنيا والآخرة ، حيث كان يستغرق منهم ذلك جلّ أوقاتهم ، فإنهم مـــع هذا كله كانوا يشاركون أفراد المجتمع حياتهم بكل ما فيها من هموم وغموم ومشـــاكل وآلام وأفراح وأحزان ، ومن ثَمّ كانوا يسعون إلى حل المشكلات الاجتماعية بقـــدر جهودهم واستطاعتهم ، تارة منفردين، وتارة بتعاون بعضهم البعض ، وأحيانـــاً عـــن طريق أصدقائهم ، وأحياناً أخرى عن طريق السلطان إذا لم يجدوا وسيلة إلا ذلـــك . وكان العلماء الأغنياء والميسورون هم رواد هذا الميدان ، يبذلون من أموالهم بســـخاء عجيب ، بحيث إن الفقراء والمساكين والمحتاجين والجائعين وغـــيرهم كـــانوا يجـــدون حاجتهم عند هؤلاء العلماء، وإضافة إلى ذلك فقد كان العلماء الذين هم من أصحاب الدخل المتوسط والفقراء يشاركون إخوانهم الأغنياء في تلمس هموم الناس وحاجـــاتهم ويقومون بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورعايـــة الأرامـــل والمزمنـــين والمحتاجين ،كما كان للعلماء جميعهم دور ملحوظ في عتق الرقيق ومعاملتهم المعاملـــة الحسنة .

وسنحاول في هذا الفصل أن نرسم صورة عن دور العلماء في هذا الميدان متتبعين عطاءهم المادي في مختلف المجالات من إنفاق وإطعام طعام وتدخّل في رفع الهموم بقضاء الحوائج والديون ، والتدخل أيضاً لحل مشاكل الناس ، ورعاية المحتاجين ، وعتق الرقيق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

العطـــــاء المـــادي :

سنحاول في هذا المجال أن نتتبع دور العلماء نحو أفراد المجتمع وذلك من خلال ما يلي :

النفقة عليهم ، وإطعام الطعام ، وقضاء الديون .

١- النفقة على أفراد المجتمع :

كان للخلفية الفكرية عند العلماء أثر كبير في توجيههم نحو مجـــالات الإنفـــاق المختلفة في المجتمع ، فالعلماء يعرفون مقدار الأجر والجزاء الذي يجده الـــمُنفِق عنـــد الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعـــون مـــا أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[١]

وكما كان العلماء ينفقون على بعضهم البعض وعلى طلاب العلم فقـــد كـــانوا ينفقون على غيرهم من أفراد المجتمع من الفقراء والمساكين والمحتاجين والمعوزيـــن ، أو ممن أصابهم الضُرّ والغرم وغيرهم .. وفي مختلف أبواب الخير ، فهذا العالم محمـــد بـــن سوقة – وكان من التجار – يروى عنه أنه أنفق مائة ألف درهم وفي روايـــة أخـــرى عشرين ومائة ألف على المحتاجين [٢]، وكان يقول :" أحب الأشياء إليَّ إدخال السرور على المؤمنين "[٣] . وكان عبدالله بن المبارك ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألـــف درهم[٤] . وكذلك موسى الكاظم كان ينفق نفقات كبيرة ، كان يجعل صرراً بثلاثمائـــة دينار وصرراً بأربعمائة دينار وبعضها بمائتين ثم يوزعها على المحتـــاجين في المدينـــة [٥]. ولقد كان بعض العلماء يتورعون عن أخذ المال من الحكام وبدلاً مـــن ردّه يقومـــون بإنفاقه على المحتاجين [٦] ولقد بلغ الأمر ببعـــض العلـــماء أن يحرموا أنفسهم من أجل

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٢ .

(٢) الذهبي : السير ج٦ ص١٣٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٢ - أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٥ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٢ .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص٣٨٦ – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١٠ ص١٥٨ .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٢٧١ .

(٦) من هؤلاء العلماء خارجة بن زيد ، الأوزاعي ، وشعبة بن الحجاج وغيرهم { الذهبي : السير ج٤ ص٤٣٩ ، ج٧ ص١٢٩، ٢١١ } .

الآخرين والبعض الآخر يقترض المال كي ينفق على المحتاجين ، فقد روي أن محمد بن المنكدر حج فوهب كل ما معه حتى بقي في إزار ، فلما كان في بعض الطرق أُعْطِيَ من أحد الأجواد أربعة آلاف درهم[1]. كما روي أن ابن شهاب الزهري كان ينفقْ كثيراً فإذا فرغ ما معه اقترضَ من عبيدِهِ ووعدهم بأن يسددهم ضعف ما أعطوه[2] ، ولقد مر به ذات مرة رجل وهو في طريقه إلى الحج وكان هذا الرجل من التجار ، فأخذ منه الزهري بأربعمائة دينار ديناً إلى أن يرجع ، وما لبث أن فرَّقَها على أهل القرية والتاجر لم يغادر بعد ، حتى رأى الزهري في وجهه الكراهية ، وكأن التاجر شك في عدم قدرة الزهري على سداد الدين ، فلما رجع الرجل من الحج قضاه الزهري وأمر له بثلاثين ديناراً زيادة .[3]

لقد كان العلماء بعملهم هذا يعيشون مع أفراد المجتمع آمالهم وآلامهم ويحسون بحاجاتهم ، فيسعون إلى توفيرها وقضائها ، فهذا الليث بن سعد اشترى منه قوم ثمرة – أي ثمرةً جاهزة للحصاد – فاستغْلَوْها – أي أنها باهضة الثمن – فاستقالوه فأقالهم ، أي أنه بعد أن تم البيع والشراء تراجع المشترون لأنهم رأوا أن الثمرة غالية ، فوافق الليث على ذلك ، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل أمر لهم بخمسين ديناراً ، فكلمه ابنه الحارث عن سبب ذلك فقال :" اللهم غفراً ، إنهم قد كانوا أمَّلُوا فيها أملاً ، فأحببت أن أعوضَّهم عن أملهم بهذا "[4] . لقد عرف الليث أن الحاجة هي التي دفعتهم إلى الشراء ، فأعطاهم ذلك المال من ماله الخاص تعويضاً لهم عن الربح الذي كانوا قد أمَّلوا أن يحصلوا عليه من وراء بيع الثمرة، ثم إنهم لم يذهبوا إلا ونفوسهم طيبةً بذلك . وفي هذا المجال يروى أيضاً أن ابن أخٍ لمحمد بن سوقة طلب منه شيئاً فبكى، فقال الفتى: " يا عم لو علمت أن طلبي يبلغ منك هذا ما طلبتك ، فقال : ما بكيت لطلبك ولكن

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣٥٩ – أبو نعيم : حلية ج٣ ص١٤٩ – البلاذري : أنساب الأشراف ، القسم ٥ B.١ص٢٢٨ .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص٣٣٨ .

(٣) المصدر نفسه : ج٥ ص٣٤٠، ٣٤١ .

(٤) المصدر نفسه : ج٨ ص١٤٩ – ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣١ .

بكيت لأني لم أبتدئك قبل طلبك "[1].

وإذا كان العلماء ينفقون على أفراد المجتمع بشكل عام فإنهم كانوا يخصون بالنفقة والصدقة الفقراء والمساكين ومن هم في حكمهم ، وذلك لكونهم من أكثر الفئات احتياجاً في المجتمع ، بل وكانوا يحثون غيرهم على ذلك سواءً بالقول أو بالفعل (القدوة) ، وفي ذلك يروى أن شعبة بن الحجاج كان في مجلسه وحوله كثير من الناس فجاء سائل يسأل ، فقال لهم شعبة تصدقوا فلم يتصدق أحد ، فقال لهم مرةً ثانيةً تصدقوا وذكر لهم حديثاً في فضل الصدقة ، فلم يتصدق أحد ، ثم كرر القول وذكر حديثاً آخر وثالثاً فلم يفعلوا ، عند ذلك قال لهم :" قوموا عني فوالله لا أحدثكم ثلاثة أشهر ودخل منزله وأخرج عجيناً فأعطاه السائل وقال هذا طعامنا اليوم "[2] ، من خلال هذا الخبر يتضح لنا أن شعبة كان رحيماً بالمساكين ولم يكن يألو جهداً في مساعدتهم وقضاء حوائجهم . ولم يكن هذا حال شعبة وحده مع الفقراء والمساكين ، وإنما كان هناك كثير من إخوانه على شاكلته ، فقد ذُكر أن عبدالله بن المبارك كان يتصدق في كل يوم على ثلاثمائة مسكين[3]. وكذلك روي أن حيوة بن شريح كان يأخذ عطاءه – وكان في السنة ستين ديناراً – فلا يرجع إلى منزله حتى يتصدق به كله[4] ،كما روي أن عمرو بن العلاء النحوي كان يشتري كل يوم كوزاً وريحاناً بفلسين فإذا جاء المساء تصدق بالكوز وترك الريحان في البيت .[5]

لقد كان العلماء يفعلون ذلك استشعاراً منهم بالمسؤولية تجاه إخوانهم الفقراء وكذلك طلباً للأجر والثواب من الله تعالى ، ومن هنا لم يكونوا يترددون في إنفاق

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٨٣ – أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٧،٦ .

(٢) الذهبي : السير ج٧ ص٢٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ج٨ ص١٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ج٦ ص٤٠٥ – أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١٠١ .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص٤١٠ .

معظم أموالهم[١] حتى إنهم لم يكونوا يخشون الفقر على أولادهم ، لأنهم يعلمون أن رزقهم بيد الله لا بأيديهم ، ولهذا روي أن عبدالله بن عون أنفق ذات يوم عشرين ألف درهم فقال له بعض أصحابه :" لو تركت لولدك شيئاً ، فقال : أتصدق بها لنفسي وأترك الله لولدي ، قال الراوي : فلم يكن في المسعوديين أحسن حالاً من ولد عبدالله بن عون " [٢].

لقد كان العلماء يقدمون كل هذه النفقات ونفوسهم طيبةً راضية بل وكانوا يعاملون هؤلاء المحتاجين بتلطف وأدب عجيب ، فكان علي بن الحسين إذا ناول السائل الصدقة قبَّلهُ أولاً ثم ناوله[٣] ، ويروى أن عبدالله بن المبارك جاءه سائل ذات يوم فأمر له بدرهم ، فلما ذهب قالوا له: " إن هؤلاء السّوال يتغدون بالشواء والفالوذج فكان يكفيه قطعة بدلاً من درهم ؟ فأمر برده وقال : إنما ظننت أنهم يتغدون على البقل والخل ، فأما إذا كان غداؤهم الشواء والفالوذج فلا بد من عشرة دراهم"، وأمر له بها[٤] .

ولم يكن العلماء يفعلون كل ذلك رياءً لكي يشكرهم الناس ، وإنما كانوا يفعلونه لوجه الله تعالى ، ولهذا كان البعض منهم يحرص على صدقة السر كثيراً فيذكر أن عبدالله بن عون كان إذا أعطى إنساناً أو وصل إنساناً بشيء فعل ذلك سراً بحيث لا يطلع عليه أحد[٥] ، وكذلك كان علي بن الحسين كان يخرج الصدقة في الليل بحيث لا يعرفه أحد [٦].

---

(١) ذكرنا عن الليث بن سعد أن غلته كانت في السنة عشرين ألف دينار ، و لم تجب عليه الزكاة قط ، لأنه كان يتصدق وينفق معظم أمواله {الذهبي : السير ج٨ ص١٤٨} . وفي رواية أخرى ثمانين ألف دينار بدلاً من عشرين {الذهبي : السير ج٨ ص١٥٢ } .

(٢) أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٢٤٢ . والمسعوديين : الأسرة التي ينتسب إليها عبدالله بن عون .

(٣) المصدر نفسه : ج٣ ص١٣٧ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦٣ .

(٥) المصدر نفسه : ج٨ ص١٥٣ .

(٦) المصدر نفسه : ج٦ ص٣٣٨ .

٢- إطعام الطعام :

مما يتصل بالعطاء المادي إطعام الطعام ، فلم يكن للعلماء في يوم من الأيام حيلهم الخاصة بعيدا عن الآخرين ، بل كانوا كما أسلفنا من أكثر الفئات اختلاطا بالناس وبالمجتمع وعرف عنهم الكرم والجود وبخاصة مع المحتاجين والمعدمين ، ومن هذا المنطلق كان العلماء يقيمون الضيافات والسفر الكبيرة في بيوتهم ، ويدعون إليها أفراد المجتمع من إخوانهم وطلابهم وأصدقائهم ومن الفقراء والمساكين ، وكثيرا ما كانوا يفعلون ذلك في شهر رمضان المبارك ، فلقد اشتهر محمد بن المنكدر بإطعام الطعام لجميع الناس(١) ، وكان الزهري يطعم الناس الثريد ويسقيهم العسل(٢) ، وروي عن الليث بن سعد أنه كان يطعم الناس في الشتاء الهرائس(٣) بعسل النحل وسمن البقر وفي الصيف سويق اللوز بالسكر (٤).

وممن اشتهر من العلماء بإطعام الطعام وبشكل كبير عبدالله بن المبارك الذي كان يعمل الولائم العظيمة المشهودة وفي فترات متعاقبة ويقدم فيها أغلى وألذ الأطعمة في ذلك الزمان ، فلقد عمل سفرة ذات مرة وقدم للناس خمسة وعشرين خوانا(٥) فالوذجا(٦) ، ويصف لنا شاهد عيان إحدى هذه السفر التي كان يعملها ابن المبارك فيقول :" رأيت سفرة ابن المبارك حملت على عجلة "(٧)، والعجلة كما عرفها ابن منظور: هي التي يجرها الثور(٨) والجمع عجل ، ومن هنا يتضح لنا عظمة هذه السفرة

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣٥٦ .

(٢) المصدر نفسه : ج٥ ص٣٣٥ .

(٣) الهرائس مفردها هريسه وهي الحب المطبوخ بعد أن يتم هرسه وسميت كذلك لأن البر الذي هي منه يدق ثم يطبخ ويسمى صانعه هراسا { ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٧٩٦ } .

(٤) الذهبي : السير ج٨ ص١٥٠ .

(٥) الخوان : الذي يؤكل عليه ، معرب والجمع أخونه ، وقيل الخوان : المائدة ، معربة ، وفي حديث أبي سعيد فإذا أنا بأخاوين عليها لحوم منتنه ، وهي جمع خوان وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل {ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٩٢٤ } .

(٦) الذهبي : السير ج٨ ص٣٨٦ .

(٧) المصدر نفسه : ج٨ ص٤٠٩ .

(٨) لسان العرب ج٢ ص٦٩٥ .

بحيث إنها من كِبرها لم يستطع الخدم أن يحملوها وإنما حُمِلت على عَجَلة ، ومما يؤيد ذلك رواية أخرى يرويها شاهد عيان آخر فيقول: "رأيت بعيرين مُحمَّلين دجاجاً مشوياً لسُفرة ابن المبارك "[1]، ومن الواضح أن البعير الواحد يحمل حمولة كبيرة فما بالنا ببعيرين ، فهذا كله يدل على عظمة اتساع هذه السفرة وعلى تنوع الأطعمة فيها بحيث إنها شملت الدجاج المشوي ويدل أيضاً على كرم ابن المبارك وطيبة نفسه التي لا تكتمل سعادتها إلا بإطعام الناس وإدخال السرور عليهم .

ومما يذكر في هذا المجال أيضاً ، ولكن بصورة أخرى ، أن الليث بن سعد (فقيه مصر) كان يخرج في سياحة نهرية ويصطحب معه كثيراً من الضيوف ، فكان يتخذ سفينة له ولعياله ، وسفينة لمطبخه ، وسفينة لأضيافه[2] ، ولم تذكر لنا الرواية حجم السفينة من هذه السفن أو العدد الذي تستوعبه ، ولكن الرواية في حد ذاتها تبين لنا أيضاً أن هذا العالم كان يطعم وينفق على الآخرين نفقة من لا يخشى الفقر .

وكان العلماء في رمضان أجود ما يكونون فكانوا يطعمون الناس ويكسونهم وينفقون عليهم ، فقد روي أن حماد بن أبي سليمان كان يُفطّر في شهر رمضان خمسمائة إنسان، وفي رواية أخرى كان يُفطّر في كل يوم خمسين إنساناً ، فإذا جاء العيد كساهم ثوباً ثوباً .[3]

وكان بعض العلماء يطعمون خلقاً كثيراً ولا يرون في ذلك إسرافاً [4]، وكان بعضهم يستلف ليطعم الناس فإذا لم يجد سلفاً يعمد إلى راحلته التي ليس له إلا هي فيذبحها ، فقد روي أن الزهري نزل ذات مرة بحي من أحياء الأعراب في البادية ، وكان يخرج إليهم ليعلّمهم ويعظهم ، فالتمس سلفاً فلم يجد فأمر براحلته فذبحت ودعا

---

(١) الذهبي : السير ج٨ ص٤٠٩ .

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص١٥٠ .

(٣) المصدر نفسه : ج٥ ص٢٣٤،٢٣٨ . ومما يروى في هذا المجال أيضاً أن سعد بن إبراهيم كان في العشر الأواخر من رمضان يرسل ولده فيدعوا المساكين ليفطروا معه {أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٧٠ } .

(٤) من ذلك ما روي عن الحسن البصري فقد قيل له : إنك تنفق من هذه الأطعمة وتكثر ، فقال : ليس في الطعام سرف {ابن قتيبه: عيون الأخبار ج٤ ص٢٣٤ } .

أهل الحي فأكلوا[١] . وكان من عادة بعض العلماء عند عودهم من أداء فريضة الحج أن يعملوا الولائم ، ويدعوا الناس ليأكلوا[٢] ، وإضافة إلى ذلك نجد أن البعض منهم كان يقوم بفتح مزرعته أيام نضج الثمار للناس فيدخلون ويأكلون [٣]، وهكذا نجد أن العلماء كانوا يهتمون بأفراد المجتمع فلا يتركون جائعاً أو محتاجاً إلا وقاموا بسد خلته ، رحمهم الله جميعاً .

٣- قضاء الديون :

كان للعلماء دور ملحوظ في قضاء الديون عن المدينين من أفراد المجتمع ، فكانوا يقضون الديون من أموالهم فإذا لم يجدوا فعن طريق غيرهم من الناس ، وما من شك في أن العلماء كانوا يبدءون أولاً بقضاء ديون أقاربهم ثم غيرهم ، فقد ذكر الذهبي[٤] أن الشعبي كان لا يموت قريب له وعليه دين إلا قضى عنه دينه، وبعد قضاء ديون الأقارب كان العلماء يهتمون بقضاء ديون أصدقائهم وإخوانهم ، فقد روي أن علي بن الحسين دخل على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه ، فجعل محمد يبكي، فقال له علي: " ما شأنك ؟قال عَلَيَّ دين،قال:كم هو؟قال خمسة عشر ألف دينار،فقال هي عليَّ" [٥]. وروي أن موسى بن جعفر (الكاظم) أعطى أحد القادمين إلى المدينة ثلاثمائة دينار كانت ديناً عليه .[٦]

ومن الأخلاق الكريمة للعلماء في هذا الجانب ، أن البعض منهم كان يعمد إلى قضاء الدين عن المدينين دون علمهم ، وذلك حتى لا يمسهم أي حرج ، فقد ذكر

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٣٤٠ .

(٢) كان أيوب السختياني إذا رجع من مكه خبز خبزاً وطبخ لحماً سكباجاً ، فكان كل من جاء يسلّم عليه وضع بين يديه ويأكل معه وهكذا {أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٠ } اللحم السكباج ... .

(٣) من هؤلاء العلماء عروة بن الزبير كان إذا جاء وقت الرطب ثلم حائطه – و لم يكتف بفتح بابه – فيدخل الناس ويأكلون ويحملون معهم { الذهبي : السير ج٤ ص٤٢٦ – الفسوي : المعرفة والتاريخ ج١ ص٥٥٢ } .

(٤) السير ج٤ ص٢٩٨،٢٩٩ .

(٥) المصدر نفسه : ج٤ ص٣٩٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٣٠ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٤١ .

(٦) الذهبي : السير ج٦ ص٢٧١ .

الذهبي[1] أن عبدالله بن المبارك كان كثير الاختلاف إلى طرسوس[2] ، فكان أحد الشباب يحضر مجلسه فقدم ذات مرة ولم يجده فسأل عنه فقالوا : محبوس على عشرة آلاف درهم ، فسأل عن الغريم حتى عرف مكانه ثم أعطاه عشرة آلاف درهم وحلّفه ألا يخبر أحداً ما عاش ، فأُخرِج الشاب ولم يعلم من قضى عنه دينه ، فلما جاء إلى ابن المبارك أخبره بالخبر فقال له : احمد الله .

ونظراً لاهتمام العلماء بأمر الناس وتدبير شؤونهم فقد كانوا يدركون – أي الناس – أن العلماء هم خير معين لهم في توفير ما يحتاجونه وخاصة من النقود ومن ثم كانوا يقترضون منهم ، ولكن البعض من العلماء كانوا لا يقبلون هذه الأموال عندما يأتي المدينون لتسديدها ، فقد ذكر أن علي بن الحسين كان إذا أقرض قرضاً لم يسترده وإذا عار ثوباً لم يرتجعه[3] ، كما ذكر أن أحد الناس اقترض من الحسن بن الحر ألفاً ، فلما ذهب ليردها أعادها وقال :اشتر بها لولدك سكراً .[4]

تلمس هموم أفراد المجتمع وقضاء حوائجهم وحل مشاكلهم:

نتيجة لاختلاط العلماء بكافة أفراد المجتمع في المساجد والأسواق والبيوت ومجالس العلم وغيرها ، فقد كانوا على معرفة كاملة بهموم المجتمع والمشاكل التي يعاني منها أفراده ، ومن ثم فقد كانوا يبذلون كل ما في وسعهم لتخفيف تلك الهموم وحل تلك المشاكل ، ولقد كانوا يفعلون كل ذلك من منطلق العاطفة والأخوة الإسلامية التي تربطهم بأبناء مجتمعهم ، وفي هذا المجال يذكر أن شعبة بن الحجاج دخل ذات يوم على الخليفة من أجل أخٍ له كان قد اشترى طعاماً فخسر فيه فحبس ،

---

(١) السير : ج٨ ص٣٨٦،٣٨٧ . وروي أن رجلاً سأل عبدالله بن المبارك أن يقضي عنه دينه فكتب له إلى وكيل له ، فلما ورد عليه الكتاب ، قال له الوكيل كم الدين الذي سألته قضائه ؟ قال سبعمائة درهم ، وإذا عبدالله قد كتب إليه أن يعطيه سبعة آلاف درهم ، فراجعه الوكيل وقال :" أن الغلاّت قد فنيت ، فكتب إليه عبدالله : إن كانت الغلاّت قد فنيت فأن العمر أيضاً قد فني فأجز نه ما سبق به قلمي"{الذهبي : السير ج٨ ص٣٨٦ } .

(٢) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب ، ولها سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب {ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص٢٨ } .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٣٠ .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص١٥٣ – ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص١٦٣ .

فلما بلغ ذلك سفيان الثوري عابه على دخوله على الخليفة فقال شعبة : هو لم يحبس أخوه[1] ، بمعنى أنه إذا حبس أخوه سيدخل على الخليفة ، وكذلك هشام بن عروة يدخل على الخليفة ليقضي عنه من دين لحقه وهو مائة ألف لأنه أنفق هذا المبلغ على بعض الشباب من أقاربه ، زوجهم وأولم عنهم واتخذ لهم منازل[2] .

وعليه فالذي نلاحظه أن العلماء كانوا يهتمون أولاً بقضاء حوائج أقاربهم ، مهما كانت حتى ولو تحملوا في سبيل ذلك الديون الكبيرة ، وأما بقية أفراد المجتمع من الأصدقاء والجيران والفقراء والمحتاجين وغيرهم ، فقد كان العلماء سبّاقين إلى قضاء حوائجهم وحل مشاكلهم ، فقد روى الذهبي[3] بسنده أن ربيعة بن أبي عبدالرحمن لم يكن أحدُ أسخى منه لصديق أو لابن صديق أو لأي رجل يقصده حتى صار إلى فقه وفضل كبير. كما روي أن شعبة بن الحجاج كان يهتم كثيراً بحوائج الناس وقضائها وبخاصة جيرانه الفقراء حتى إنه كان يقول لجلسائه :" لولا حوائج لنا إليكم ما جلست إليكم " قال الراوي :" كان حوائجه يسأل لجيرانه الفقراء " [4].

وإذا تتبعنا هذا الجانب الهام من حياة العلماء سنجد أن معظم الحالات التي كانوا يسعون فيها إنما كانوا يقضونها من أموالهم ، وهذا ليس بالأمر الهين لأن حب المال عند الإنسان مقدم على كثير من الأشياء قال تعالى ﴿ وتحبون المال حباً جماً ﴾[5] ولكن العلماء كانوا أعظم وأكبر من ذلك ، كان حب الله ورسوله عندهم مقدم على كل شيء، روي أن علي بن الحسين كان إذا مشى في حاجة ووقفت قضاها من ماله[6]. كما روي أن رجلاً كلّم حماد بن أبي سليمان ليتوسط عند أبي الزناد وذلك حينما قدم الكوفة على الصدقات ، ليستعين به في بعض أعماله عسى أن يصيب منه ألف درهم ،

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٢٤٤ .

(٢) الذهبي : السير ج٦ ص٤٥ – ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص١٠١ – ابن خلكان : الوفيات ج٦ ص٨١ .

(٣) السير : ج٦ ص٩٣ – ابن خلكان : الوفيات ج٢ ص٢٩٠ .

(٤) الذهبي : السير ج٧ ص٢٠٩ .

(٥) سورة الفجر : الآية ٢٠ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج٦ ص٣٢٨ .

فلم يفعل حماد ذلك ، ولكنه أمر للرجل بخمسة آلاف من ماله[1] . وروي أن عبدالله بن المبارك ذهب للحج فلما كان في بعض الطرق وجد فتاةً في حالة معدمة فدفع إليها ألف دينار ورجع ، فقالوا له: ما الذي ردك فقال:"استقبلني ما هو أفضل من الحج".[2]

ولم يكن عمل العلماء هذا – قضاء حوائجهم – قاصراً على الفقراء والمحتاجين وغيرهم ، وإنما كان يقصدهم أناس من ذوي الوجاهات ، فقد روي أن الأعمش كان يذهب مع بعضهم فيقضي حوائجهم .[3]

لقد كان العلماء يرون أن تلمس هموم الناس وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم أفضل من الصلاة والصيام والحج ، وأفضل من كثير من العبادات ، ولهذا نجد أن البعض منهم كان ينافس إخوانه في قضاء حوائج الآخرين من أفراد المجتمع ، فقد روي أن رجلاً كَلّمَ محمد بن سيرين وفرقد[4] ، ليعيناه في قضاء حاجة لهُ فقالا : حتى نشهد الجنازة ثم نخرج معك ، فذهب الرجل إلى الحسن البصري فكلّمه فخرج معه وقال :" أما إنهما لو مشيا معك لكان خيراً لهما ".[5]

وهناك من العلماء من كان يقضي حوائج الناس وهو في طريقه إلى السوق أو إلى المسجد وذلك تواضعاً منه واهتماماً بالناس مهما كانت منازلهم ومستوياتهم ، فقد ذكر

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص٢٣٨ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦٢ .والقصة كما رواها ابن الجوزي بسنده أن عبدالله بن المبارك كان يحج ومعه أحمال وصناديق وخدم كثيره ، وكان مع بعض خدمه قبجه (دجاجة) فلما كان في بعض الطرق نظر صاحب القبجه فإذا هي ميته فألقاها على كناسة وبقرب الكناسة باب صغير ، وابن المبارك قائم على دابته ونظر إلى جارية تخرج رأسها وترجع لتجد بذلك فرصة لكي لا يراها أحد ، فتغافل عنها عبدالله فخرجت وليس عليها إلا قميص ومقنعة فحملت تلك القبجة وودخلت الدار تعدوا ، فقال عبدالله لغلام له : أنزل وأقرع هذا الباب فخرجت تلك الجارية ، فسألها عبدالله عن حالها وقصتها مع القبجة الميتة . فقالت : أنا وأخت لي في هذه الحجرة ليس لنا في هذه الدنيا إلا هذا الإزار الواحد وكان والدنا رجلاً موسراً فمات فظُلِمنا وغُصبنا على أموالنا ، فبقينا على حال تحل لنا أكل الميتة . فقال عبدالله : ليس لكم قيم ، قالت لا والله ، فَرَقّ لها عبدالله وقال لغلامه : الحق ورد الأثقال ثم سأل وكيله أين النفقة وكانت ألف دينار فقال ها هي فقال لغلامه عد عشرين ديناراً لنفقتنا إلى مرو وصب الباقي في إزار هذه الجارية {ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦٢ } .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٢٢٩،٢٢٩ .

(٤) يبدو أنه رجل من أصحاب الحسن البصري ومحمد بن سيرين ، ولم نجد له ترجمة .

(٥) ابن سعد : الطبقات ج٧ ص١٩٦ .

ابن الجوزي[1] بسنده " أن امرأة قدمت من الريف في محفة وغوث (غوث بن سليمان بن زياد) قاضي مصر إذ ذاك ، فوافت غوث بن سليمان عند السراجين رائحاً إلى المسجد فشكت إليه أمرها وأخبرته بحاجتها ، فترل عن دابته في بعض حوانيت السراجين ولم يبلغ المسجد ، فكتب إليها بحاجتها ، وركب إلى المسجد ، فانصرفت المرأة وهي تقول: أصابت والله أمك حين سمتك غوثاً أنت والله غوث " ويبدو أن المرأة كانت تعرف غوثاً أو أن أحداً دلّها عليه .

ونظراً لما لقضاء الحاجات من أجر عندالله تعالى ، ولما تتركه من أثر كبير في المجتمع ، فقد كان البعض من العلماء أيضاً يبادر إلى هذا العمل بدون طلب من المحتاجين ، وكان البعض منهم أيضاً يعطي ضعف أضعاف ما يطلب صاحب الحاجة ، فقد روي أن رجلاً دخل على عبدالله بن المبارك وفي وجهه أثر الحاجة فلما خرج الرجل بعث إليه عبدالله أربعة آلاف درهم وكتب إليه :

وَفَتىً خَلا من مَالِه ومن المروءَة غَيْرُ خَالِ
أعْطَاكَ قَبْلَ سؤالِه وكَفاكَ مَكْروه السُّؤالِ [2]

ويروى أن امرأة جاءت إلى الليث بن سعد تطلب عسلاً لولدها المريض ، فأعطاها مرطاً من عسل[3] ، والمرط عشرون ومائة رطل . وأعجب من ذلك ما روي عن أبي حنيفة ، فقد قال له رجل :" إني وضعت كتاباً على خطك إلى فلان فوهب لي أربعة آلاف درهم ، فقال أبو حنيفة :" إن كنتم تنتفعون بذلك فافعلوه "[4]. وأبلغ من ذلك كله أن العلماء كانوا يسعون في قضاء حوائج أعدائهم[5] ومن يختلفون معهم في

(١) المنتظم : ج٨ ص٣٠٠ .

(٢) الذهبي : السير ج٨ ص٤١٠ .

(٣) المصدر نفسه : ج٨ ص١٤٩ — ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص١٤ — ابن خلكان : الوفيات ج٤ ص١٣١ .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص٤٠٠ .

(٥) من أمثلة ذلك أن خيثمه بن عبدالرحمن كان يقضي حوائج من يؤذونه وكان يقول :" أن هؤلاء يؤذونني ولا والله ما طلبني أحد منهم حاجةً إلا وقضيتها { أبو نعيم : الحلية ج٤ ص١١٦ } .

الرأي والمبدأ أو العقيدة .[1]

ومع إن العلماء كانوا يكرهون الدخول على الخلفاء والأمراء – كما أوضحنا ذلك سلفاً – إلا أنهم من أجل قضاء حوائج أبناء المجتمع الذي يعيشون فيه كانوا يفعلون ذلك[2]، بل كان البعض منهم يدخل على العصاة [3]. فقد ذكر ابن الجوزي[4] أن مالك بن دينار مشى مع رجل كان قد اشترى سمكةً بستة دراهم ليرشي بها الأمير الذي يطالبه بما لا يطيق فلما دخلوا على الأمير قال له مالك :" يا ذا الرجل أزل عن الناس ما تعتمده من الظلم ولا تعرض لهذا البائس ، فقال الأمير قد أزلت عنه المظلمة لمكانك يا أبا يحيى ، وادع الله لي دعوة فقال مالك : وما ينفعك أن دعوا لك وعلى بابك مائتان يدعون عليك " .

وإضافة إلى ذلك كله فقد كان للعلماء دور واضح في حل مشاكل الناس ، والقيام بأمورهم التي يستطيع العلماء تنفيذها ، فلقد كان أفراد المجتمع يرجعون إلى بعض هؤلاء العلماء وينزلون على حكمهم ، فقد ذكر أن حميد الطويل[5]كان يصلح بين سكان أهل البصرة في المشاكل التي كانت تحصل فيما بينهم ، وكان يقول لبعض

---

(١) من ذلك ما ذكر عن الأوزاعي أن رجلاً من النصارى أهدي إليه جرة عسل على أن يكتب له إلى والي بعلبك ، فرفض أخذ الهدية وكتب له ، فوضع عنه ثلاثين ديناراً {أبو نعيم : الحلية ج٦ ص١٤٣} .

(٢) من ذلك أيضاً أن الشعبي دخل على الأمير ابن هبيرة الفزاري أمير العراقين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى ، فقال له الشعبي : أيها الأمير أن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم ، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم ، فأطلقهم {ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٢٥ }.

(٣) من ذلك أن رجلاً جاء إلى الأعمش ليكلم له فلاناً من الناس وكان يشرب الخمر . فقال الشعبي : والله ما كلمته قط . فقال : الرجل أنه قد أخذني في الخراج فأرجو أن كلمته أن يقبل ، فمشى معه وكان بين أيديهم خمراً يشربونه فقال الرجل حين رأى الأعمش : لأسقينه خمراً ، فدخل الأعمش وكلمه فقال نعم ودعا بالصحيفه فمحا ما كان على الرجل ، ثم قال تغد يا أبا محمد وحاول أن يسقيه خمراً ثلاثاً ولم يستطع وخرج ولم يشرب إلا الماء {أبو نعيم : الحلية ج٥ ص٤٨،٤٩ } .

(٤) المنتظم : ج٧ ص١٨٧ .

(٥) هو حميد الطويل ، الأمام الحافظ ، أبو عبيدة البصري ، مولى طلحة الطلحات ، وكان من تابعي أهل البصرة وكان ثقة كثير الحديث(ت ١٤٢هـ/٧٥٩م) وقيل(ت ١٤٣هـ/٧٦٠م) {الذهبي:السير ج٦ ص١٦٣ – ابن سعد: الطبقات ج٧ ص٢٥٢– ابن عساكر:تهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص٤٥٨–وأنظر أيضا: ابن حبان: المشاهير ص١٥٠،١٥١ – ابن عبدالهادي الدمشقي: الطبقات ج١ ص٢٣٦،٢٣٧ – السيوطي: طبقات الحفاظ ص٦٥} .

إخوانه العلماء :" إذا أتاك الناس فلا تحملهم على أمر واحد ولكن خذ من هذا ومـــن هذا "[1] وأصلح بينهـــم . وكان خارجة بن زيد وطلحة بن عبدالله بن عـــوف[2] – وهما من علماء المدينة – ينتهي الناس إلى قولهما ، وكانا يقسمان المواريث بين أهـــل المدينة من الدور والنخيل والأموال ، كما كانا يقومان بكتابة الوثـــائق للنـــاس[3] ، وهكذا نجد أن العلماء كان لهم دور فعال في المجتمع في مختلف جوانب الحياة .

رعاية الأرامل والمحتاجين وعتق الرقيق :

وكما كان للعلماء دور في حل مشاكل الناس وتلمس همومهم فقد كان لهم أيضا دور كبير في رعاية الأرامل والمحتاجين والمزمنين ومن في حكمهم ، كان هؤلاء يجـــدون عند العلماء تعويضا عن الحرمان الذي يجدونه من بعد فقدهم لعائلهم ، و إصابتـــهم بالعجز الذي حل بهم بعد بلوغهم سن الشيخوخة ، أو لمرض نزل بهم ، وفي هذا المجال يذكر أن الزهري نزل مرة بقرية من القرى فشكا إليه أهل القرية أن عندهـــم ثمـــاني عشرة امرأة عمرية (أي كبيرات السن) وليس لهن من يقوم عـــلى خدمتهن ، فمـــاذا فعل الزهري ؟ هل رفع الأمر إلى الأمير أو الخليفة ؟ لا . وإنما استلف ثمانية عشر ألفـــا وأخدم كل واحدة خادما بألف .[4]

وهذا زبيد بن الحارث كان من عادته إذا نزل المطر وبخاصة في الليل طاف علـــى عجائز الحي يتفقدهن ويشتري لهن بعض الحوائج إن كانت لهن حاجة [5] . ومن خلال هذه الروايات نلاحظ أن العلماء لم يكن دورهم مقتصرا على تعلم العلـــم وتعليمـــه للناس وكفى وإنما كانت لهم أدوار متميزة في المجتمع ، قد تساوي هذه الأدوار ما يقوم به الخلفاء أو الأمراء ، ولم يكونوا يفعلون ذلك من أجل أن يحمدهم الناس ويشكروهم بل كانوا يعملون ذلك لكي يحمدهم الله تعالى ويرضى عنهم ، ولهذا نجـــد مـــن بـــين

---

(١) الذهبي : السير جج٦ ص١٦٧ .

(٢) هو طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري قاضي المدينة زمن يزيد ، وكان شريفا جوادا وكان حجة إماما ويقـــال له طلحة الندي ، (ت ٩٩هـــ/٧١٧م) { الذهبي : السير ج٤ ص١٧٤،١٧٥ } .

(٣) الذهبي : السير ج٤ ص٤٣٩ .

(٤) المصدر نفسه ج٥ ص٣٤٠ .

(٥) المصدر نفسه : ج٥ ص٢٩٧ .

العلماء من كان يعول أسراً كاملة من الأرامل والمحتاجين ولا يعلم أصحابها من يعولهم منهم علي بن الحسين قال الذهبي(١) :" لما مات علي وجدوه يعول مائة أهل بيت"، وفي رواية أخرى " كان ناس من أهل المدينة يعيشون ، لا يدرون من أين كان معاشهم ، فلما مات علي فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل ، وفي رواية أيضاً لما مات علي بن الحسين وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقل الجُربَ بالليل إلى منازل الأرامل " .

ولثقة العلماء بالله تعالى وإنه هو المعطي إن شاء أعطى وإن شاء منع وأنه سبحانه يخلف على المنفقين ، فقد كانوا يقومون برعاية كثير من المساكين رغم أن ذلك يكلفهم الكثير من الأموال ، فكانوا يعطون ولا يخشون الفقر ، وكانت رعايتهم لهؤلاء الفقراء والمساكين تستمر في أيام القحط والشدة مثل أيام الرخاء بل وأكثر من أيام الرخاء ، فيروى أن معاوية بن عبيدالله بن يسار(٢) " كان له في كل يوم كُرّ (٣) دقيق يتصدق به على المساكين ، وكان يلي ذلك مولى له ، فلما اشتد الغلاء أتاه فقال : قد غلا السعر فلو نقصنا من هذا ؟ فقال : أنت شيطان أو رسول شيطان صيِّرْهُ كُرّين فكان له في كل يوم بعد ذلك كرّان يخبزان للمساكين " (٤) .

ونموذج آخر لرعاية العلماء لمن يحتاجون إلى الرعاية المؤقتة ، فقد كان بعض العلماء يقومون بإعطاء المحتاجين القادرين على العمل رأس المال الذي من خلاله يكتسبون الرزق الحلال،فقد أورد الذهبي(٥) بسنده أن الحسن بن الحر العالم التاجر "كان

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٣٩٣،٣٩٤ .

(٢) هو معاوية بن عبيدالله بن يسار الوزير (ولد سنة ١٠٠هـ/٧١٨م) وكان خيراً فاضلاً عالماً ، وروي أنه يوم مات امتلئت الجسور فلم يعبر عليها إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) {ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٣٦ – الذهبي : السير ج٧ ص٣٩٨ } .

(٣) الكرّ:مكيال لأهل العراق{ابن سيده:المخصص ج٣ السفر ١٢ص٢٦٤}قال الذهبي:الكُرُّ يُشبع خمسة آلاف إنسان{السير : ج٧ ص٣٩٨} .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٨ ص٣٣٦ – الذهبي : السير ج٧ ص٣٩٨ .

(٥) الذهبي : السير ج٦ ص١٥٣ . وقد أورد ابن عساكر هذه الرواية مفصلة فقال :" كان يجلس على بابه فإذا مرّ به البائع يبيع الملح والشيء اليسير ولعل رأس ماله يساوي درهماً أو درهمين فيدعوه فيقول كم رأس مالك وكم عيالك فيخبره قائلاً درهم أو درهمين أو ثلاثة فيقول أن أعطاك إنسان خمسة دراهم تأكلها فيقول لا فيعطيه خمسة دراهم ويقول له أجعلها رأس مالك وأشتر بماوبع وخمسة أخرى ويقول أشتر بهذه لأهلك دقيقاًولحماً وأوسع =

إذا مرّ به من يبيع ملحاً ، أو من رأسُ ماله نحو درهمين ، فيعطيه خمسة ، يقول اجعلها رأس مالك، وخمسة أخرى ، فيقول: خذ بها دقيقاً وتمراً، وخمسة أخرى ،فيقول: خذ بها قطناً للمرأة ".

ومن العلماء الذين اشتهروا برعايتهم للنساء الفقيرات واصل بن عطاء الغزال [١] الذي ذكر أنه لم يُسَمَّ بهذا الاسم إلا لأنه كان يتردد على سوق الغزل ليتصدق على النسوة الفقيرات .[٢]

إن قيام العلماء برعاية وكفالة مثل هذه الفئات الاجتماعية التي من بينها من لا تستطيع أن تكسب قوتها ليمثل صورة مشرقة في حياة العلماء تجعلهم يعيشون في سعادة كبيرة ، لأن السعادة والرضا النفسي لا يتمثلان في إمساك الأموال واكتنازها بقدر ما يتمثلان في الوقوف بجانب الآخرين والشعور بسعادتهم وفرحتهم ، ولهذا نجد أن البعض من العلماء كان ينفق من أمواله كثيراً فيما يعود نفعه على جميع أفراد المجتمع من الفقراء والمحتاجين وغيرهم ، فقد روي أن عروة بن الزبير قام بحفر بئر ماء في المدينة ، ليشرب منها جميع الناس ، ولم يكن في المدينة بئر أعذب منها ، وعرفت بعد ذلك باسمه (بئر عروة)[٣] .

العلماء وصلاتهم بالرقيق :

ماذا عن موقف العلماء من تلك الفئة الأقل شأناً في المجتمع ؟ الرقيق أو العبيد كيف كان العلماء يعاملونهم ؟ بقسوة أم بلين وتلطف ؟ نستدل من خلال الروايات وإن كانت قليلة في هذا المجال أن العلماء كانوا يعاملون الرقيق معاملة كريمة حسنة ،

=عليهم حتى يأكلوا ويشبعوا ويعطيه خمسة أخرى ويقول هذه اشتر بها قطناً لأهلك ومرهم فليغزلوا وبع بعضه وأحبس بعضه حتى يكون لهم به مرفق أيضاً ، فإذا مرّ به إنسان مخرق الجيب يقول له : يا هذا ههنا ثم دعا له إبرة وخيطاً فخيط بها وإن كان مقطوع الشراك دعاه وأصلحه "{ تهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص١٦٤ } .

(١) هو واصل بن عطاء الغزال البليغ الأفوه أبو حذيفة المخزومي ، مولاهم البصري (ولد سنة ٨٠هـ/٦٩٩م) بالمدينة (ت ١٣١هـ/٧٤٨م) { الذهبي : السير ج٥ ص٤٦٤،٤٦٥ } .

(٢) الذهبي : السير ج٥ ص٤٦٥ .

(٣) المصدر نفسه : ج٤ ص٤٣٣ – البلاذري : أنساب الأشراف : القسم ٥ ، B_1 ص٥٣ – ابن خلكان : الوفيات ج٣ ص٢٧٥ .

مصحوبة بالرحمة والعطف ، كانوا يعاملوهم معاملة تليق بإنسانيتهم وآدميتهم ،كيف لا والعلماء يحملون ورث النبوة المستمد من هذا الدين الحنيف ، ولذلك نجد أن هؤلاء الرقيق لم يكونوا يشعرون وهم مع العلماء بأهم رقيق سواء كانوا ذكورا أم إناثا ، فقد ذكر أن محمد بن سيرين كانت له جارية ثم باعها من أم محمد بنت عبدالله بن عثمان بن أبي العاص ، فعلم أها تضربها وتعذها فأسرع إليها واستردها بعد أن كان قد أنفق ثمنها واستلف مالا وأعطى المرأة ، ثم إنه لم يستطع قضاء ذلك المال فحبس لأجل ذلك(١) ، ومما يذكر في هذا المجال أيضا أن عبدالله بن عون كان له غلام ، فذهب ذات يوم يسقي ناقة عبدالله وكانت تلك الناقة من أحب الدواب إليه ، فضربها حتى أسال عينها على وجهها ، فلما رأى عبدالله ناقته على تلك الحال لم يضرب الغلام أو يعنّفه ، وإنما تمالك نفسه ، وقال "سبحان الله أفلا غير الوجه ، اذهب فأنت حر لوجه الله " .(٢)

ومن هذا المنطلق كان العلماء يبادرون إلى عتق الرقيق كلما سنحت لهم الفرصة أو استدعت الظروف ، أو كلما أحسوا بأي ظلم يقع على هؤلاء الرقيق ، مفضلين بذلك الأجر من الله تعالى على كسب الدراهم والدنانير ، فقد روي أن مالك بن دينار وصل له ذات يوم مال كثير من أحد الأمراء فقام بشراء عدد من الرقاب ثم أعتقهم(٣) وروي أن عبدالله بن عون أعتق رقبتين وذلك لأنه رفع صوته على صوت أمه(٤) ،كما يروى أن عون بن عبدالله أعتق جاريةً له لأن أحداً من الناس أعطاه ثمنها ألف دينار

---

(١) الذهبي : السير ج٤ ص٦١٢،٦١٣ .

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٣٧٠،٣٧١ – ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٧ ص٢٦٦ . ومما يذكر في هذا المجال أيضاً أن علي بن الحسين كانت له جارية تقوم بخدمته فدعاها ذات يوم لتصب عليه الماء أثناء الوضوء وفي أثناء ذلك سقط الإبريق من يدها على رأسه فشجته ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية " والكاظمين الغيظ " فقال كظمت غيظي ، قالت " والعافين عن الناس " فقال عفى الله عنك فقالت " والله يحب المحسنين " فقال أنت حرة لوجه الله {ابن كثير : البداية ج٩ ص١٠٧ } ، كما تروى عن علي بن الحسين أخبار كثيرة في تعامله مع الرقيق وكيف كان يعتقهم { أنظر أيضاً ابن كثير : البداية ج٩ ص١٠٧ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٣٦ } .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص١٢٠ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٠٥ .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص٣٦٦ – أبو نعيم : الحلية ج٣ ص٣٩ .

– وكانت حسنة الصوت – وقال لها :" اذهبي فأنت حرة لوجه الله "[١] ، وهكذا نجد أن العلماء كانوا حريصين على عتق الرقيق كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثر ذلك على المجتمع :

قبل الحديث عن دور العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد من الإشارة إلى بعض الاحكام المتعلقة بهما مثل تعريفهما، وجوبهما، أهميتهما ، خطورة تركهما .

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

" المعروف : هو كل فعل حسن ، اختص بوصف زائد على حسنه ، إذا عرف فاعله ذلك ، أو دلّ عليه . والمنكر : كل فعل قبيح ، عَرَف فاعله قبحه ، أو دل عليه " [٢].

وجوبهما :

" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجبان إجماعاً ، ووجوبهما على الكفاية يسقط بقيام من فيه كفاية ، وقيل: بل على الأعيان [٣]، والمعروف ينقسم إلى: الواجب والندب ، فالأمر بالواجب واجب ، وبالمندوب مندوب ، والمنكر لا ينقسم : فالنهي عنه كله واجب "[٤] .

---

(١) الذهبي : السير ج٥ ص١٠٥- أبو نعيم : الحلية ج٤ ص٢٦٤ . ويروى في هذا المجال أيضاً أن الحسن البصري رأى عبداً أسوداً يشاطر الكلب رغيفاً كان معه ، فاستحسن منه هذا الفعل وأعتقه { ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ ص١٢٠ }

(٢) النجفي : محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ج٧ ص٦٧٤ ط أولى ، ١٩٩٢م ، دار المؤرخ العربي ، بيروت .

(٣) سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب هو على الأمة جميعاً ؟ فقال : لا ، فقيل : ولم ؟ قال : إنما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا على الضعَفةْ الذي لا يهتدون سبيلاً – إلى أن قال – والدليل على ذلك كتاب الله عز وجل﴿ولتكن منكم أمة﴾ ، إلى أخرها فهذا خاص غير عام ، كما قال الله عز وجل﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ ولم يقل على أمة موسى { النجفي : جواهر الكلام ج٧ ص٦٧٦،٦٧٧ } ومن هنا نستدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على العلماء وهو في حقهم فرض عين ، وفي حق غيرهم فرض كفاية .

(٤) النجفي : جواهر الكلام ج٧ ص٦٧٥،٦٧٦ .

أهميتهما وخطورة تركهما :

تأتي أهمية الأمر بالمعروف النهي عن المنكر في كونه يحفظان للأمة أخلاقها وشرائعها ، ويحفظان لها دينها ، وتكمن خطورة تركهما في ما سيترتب عليه من جهل بالدين والشريعة والأخلاق وكذا تفشي المفاسد والمنكرات في المجتمع ، ولهذا جعل الله الخيرية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم لكونها تأمر بالمعروف قال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون المنكر ﴾[1]

ونظرا لمعرفة العلماء بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب ذلك عليهم ، ولمعرفتهم أيضا بالضرر المترتب على تركه ، فقد كان لهم دور كبير وواضح في القيام بهذا الواجب ، والذي كان من نتائجه المحافظة على الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية الخيرة وكذا القضاء على العادات والأمراض السيئة في المجتمع .

هذا ولم يكن العلماء يخصون بهذا الواجب فئة من الناس دون غيرها وإنما قصدوا به جميع الفئات الاجتماعية من الخلفاء والأمراء وعامة الناس .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الخلفاء والأمراء :

لقد كان العلماء يدخلون على الأمراء والخلفاء فيأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر وذلك فيما يعود أثره على جميع الأمة بشكل عام ، والقضايا الاجتماعية التي تمس حياة الناس بشكل خاص ، ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال عطاء بن أبي رباح الذي دخل على الخليفة عبدالملك بن مروان وأخذ يأمره وينهاه ، وكان من ضمن ما قاله له : "يا أمير المؤمنين اتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس ، وتعهد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك ولا تغفل عنهم ، ولا تغلق دونهم بابك "[2] . ودخل ذات مرة أمير

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٦٦ .

مكة على سفيان الثوري فقال له:"اتق الله وإذا كبرت – أي تكبيرة الإحرام للصلاة – فأسمع ".[1]

هكذا كان العلماء أقوياء في قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي هذا المجال يذكر أن سعد بن إبراهيم دخل المسجد ذات يوم فرأى فتى سكرانا يطوف في المسجد : "فقال من هذا ؟ فقالوا : خال أمير المؤمنين ، فلم يتركه لأنه خال أمير المؤمنين وإنما أخذ السوط وضربه ثمانين في المسجد ، ثم ركب بغلته وتوجه نحو المدينة ، فلحق به الجند وأدخل على الخليفة فقال له :" ماذا فعلت يا أبا إسحاق بابن أخيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إني رأيت حد الله ضائعا سكران يطوف في المسجد .. فأقمت عليه حده ، فقال الخليفة جزاك الله خيرا ".[2]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع عامة الناس :

ومن ناحية أخرى كان العلماء لا يتأخرون في تقديم النصح للعامة وتوجيههم إلى القيام بأعمال الخير المختلفة وترك المحرمات والبعد عن الفاحشة ، قال يونس بن عبيد : " ما رأيت أحدا أنصح للعامة من أيوب السختياني والحسن البصري[3] فقد كان لمواعظهم ونصائحهم أثر واضح على حياة الناس ، نستدل على ذلك من خلال بعض المواقف منها ، أن حبيب العجمي (زاهد أهل البصرة وعابدهم) كان رجلا غنيا وذا دنيا واسعة ، بعيدا عن الخير وأهله ، فلما سمع موعظة الحسن البصري وقعت في قلبه، فخرج مما كان فيه وتصدق بأربعين ألف درهم وقنع باليسير .[4]

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٢٥٩ . ويروى أيضا أن الأوزاعي كتب إلى أبي جعفر المنصور في قضية بعض أسرى المسلمين المحتجزين عند الروم وقاله له : فليتق الله أمير المؤمنين وليتتبع بالمفادات بهم من الله سبيلا { أبو نعيم : الحلية ج٦ ص١٣٥،١٣٦ } .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٣٨ . ومما يروى في هذا المجال أيضا أن فتنة وقعت في الكوفة فما كان من الحسن بن الحر إلا أن عمل طعاما كثيرا ودعا الناس فلما أكلوا وشبعوا أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ولم يزد في ذلك على بعض الكلمات إذ قال لهم : رحم الله امرءا ملك لسانه وعالج ما في صدره ثم قال تفرقوا ، فتفرقوا وانتهت الفتنة { ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج٤ ص١٦٣ } .

(٣) الذهبي : السير ج٦ ص٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ج٦ ص١٤٣،١٤٤ – ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص١٩٧ – أبو نعيم : الحلية ج٦ ص١٤٩ .

لقد كان العلماء دائمي النصح لأفراد المجتمع يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر حتى في الأمور الصغيرة المتعلقة بالحياة اليومية ، فمن ذلك أن شعبة بن الحجاج رأى يوما على أحد أصحابه قميصا جيدا فقال له :" بكم اشتريت هذا ؟ فقال: بثمانية دراهم ، فقال له : ويحك أما تتقي الله ألا اشتريت قميصا بأربع دراهم وتصدقت بالباقي كان خيرا لك ، فقال الرجل : إنا مع قوم نتجمل لهم ، فقال شعبة : ايش نتجمل لهم "(١)، وكذلك يروى أن زبيد بن الحارث كان يأمر الصبيان الصغار بالصلاة ويثيبهم على ذلك فكان يقول لهم :" تعالوا فصلوا وأهب لكم جوزا ، فقيل له في ذلك، فقال: وما علي أن اشتري لهم جوزا بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة "(٢).

لقد كان العلماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتحملون في سبيل ذلك أسوأ المتاعب بل وكانوا يحزنون كثيرا عند عدم قدرتهم على تغيير المنكر ، فهذا كرز بن وبرة الحارثي(٣) كان إذا خرج من بيته أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فيضربونه حتى يغشى عليه(٤) . وهذا سفيان الثوري كان يقول :" إني لأرى المنكر فلا أتكلم فأبول أكدم دما "(٥) أي أنه من شدة حزنه على عدم استطاعته تغيير ذلك المنكر يتأثر ويحزن ويؤثر ذلك على جسمه فيبول بولا مخلوطا ببعض الدم .

* * *

وأخيرا فمن خلال ما سبق ذكره يمكننا أن نلخص دور العلماء في المجتمع في الآتي :

-إن العلماء من خلال العطاء المادي الذي كانوا يقصدون به الفقراء والمحتاجين والغارمين ، قد ساهموا بشكل مباشر وغير مباشر في حل مشكلات الفقر والحرمان

---

(١) الذهبي : السير ج٧ ص٢٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ج٥ ص٢٩٧ .

(٣) الزاهد القدوة أبو عبدالله نزيل جرجان وكبيرها دخلها سنة ٩٨هـ مع يزيد بن المهلب وكان من زهاد السلف وعبادهم { الذهبي : السير ج٦ ص٨٤،٨٥ } .

(٤) الذهبي : السير ج٦ ص٨٥ .

(٥) المصدر نفسه : ج٧ ص٢٥٩ .

التي مني بها بعض أفراد المجتمع ، وهذا الدور لم يقم به العلماء الأغنياء فقط كما لاحظنا ولكن شارك فيه العلماء الفقراء .

-إن العلماء لم يكتفوا بالعطاء المادي المتمثل في (الصدقة وقضاء الديون) لمن هم في حاجة إلى مثل ذلك فهذا الأمر لا يكلفهم سوى مد أيديهم إلى جيوبهم ، ولكن دورهم كان أكبر من ذلك بكثير بحيث إن برهم وعطفهم وإحسانهم شمل الكثير من الفئات الاجتماعية كالعجزة والأرامل والعبيد إذ كانوا – أي العلماء – يذهبون إلى بيوت هؤلاء فيتفقدون أحوالهم ويقضون حوائجهم ويتعهدونهم بالرعاية والزيارة .

-بذل العلماء جهودا كبيرة في السير بحركة المجتمع نحو الأفضل وذلك من خلال الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستهدفين بذلك العامة والخاصة على حد سواء ، وهذا الأمر كان له أثره الواضح في استمرارية ما يسمى بالحاكم العادل والمواطن الصالح في المجتمع الإسلامي في تلك الفترة ، وهذا الأمر يتضح أكثر عندما نعلم أن العلماء كانوا يعرضون أنفسهم للخطر عندما يوجهون نصائحهم للخلفاء والأمراء وأحيانا للعامة ، وكان بعضهم من أجل ذلك يضرب وبعضهم يعيش متخفيا وبعضهم يقتل ، وقد عاد هذا كله على أفراد المجتمع بالخير والصلاح بما فيهم العلماء أنفسهم .

الخـــاتمـــة

يمكننا أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث أو ساعد على إثباتها فيما يلي :

١- اتضح أن العلماء قد عاشوا بين إخوانهم وطلابهم وأبناء مجتمعهم عيشة عزيزةً مكرّمة ، فكانوا سادة القوم حتى إن منزلتهم فاقت المنزلة التي كان يتمتع بها الخلفاء والأمراء في أحيان كثيرة .

٢- ظهر واضحاً أن العلماء قد عاشوا مع أهلهم وأولادهم عيشة سعيدة هنيئة طابعها الود والحب والرحمة .

٣- تمتع العلماء بما أحل الله لهم فكان لكثيرٍ منهم أكثر من زوجة وسرية (ملك اليمين) .

٤- ظهر أن العلماء كانوا يمضون أكثر أوقاتهم في بيوتهم في قراءة القرآن والاشتغال بعلوم الحديث وقيام الليل ، هذا مع الاهتمام بتربية أولادهم على ما كانوا عليه .

٥- ظهر جلياً أن العلماء كانوا يلبسون أحسن الملابس مع الاهتمام بالزينة، ويأكلون أحسن الطعام ويشربون من أفضل ما لديهم ، وكانوا يسكنون بيوتاً نظيفة متواضعة وبعضهم منازل فاخرة مع الأثاث الجيد والبساتين المثمرة والمركب الحسن .

٦- لم تكن الأشياء السابقة تشغل العلماء عن الواجبات الأخرى .. بل كانوا يقضون أوقاتاً كثيرة للتعليم في المسجد (حلقات العلم) وكانوا يرحلون في طلب العلم وتعليمه .

٧- تأكد لنا أنّ العلماء لم يكونوا كالدراويش أو الرهبان يهتمون بالعبادة في زوايا المساجد ويعتمدون على غيرهم في كسب قوتِهم ، وظهر لنا أن الكثير منهم كانوا من التجار والحرفيين والزرّاع والعاملين .

٨- مَثَّلَ العلماء أعلى مستويات التعامل الأخلاقي مع أنفسهم ومع الآخرين، فكانت هذه العلاقة مضرب الأمثال وقدوة الأجيال . وثبت من خلال ذلك أن هذا

التعامل الرفيع لا يمكن أن يتحقق في أي فئة أو شريحة ما لم تكن تمتلك حظاً وافراً من بأفراد المجتمع ، ذلك بأن إيمانهم ومعرفتهم العلم تبتغي به وجه الله تعالى .

٩- تأكد لدينا بأن العلماء في هذه الفترة كانوا من أكثر فئات الأمة اهتماماً بالله يمنعاهم من أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام المعاناة والهموم التي قد يلقاها أفراد المجتمع . ومن هنا نستنتج بأن العلماء المخلصين ما وجدوا في أي مجتمع إلاّ ووجد معهم الخير والصلاح .

* * *

الملاحق

ملحق رقم (١)

أسماء العلماء الذين ورد ذكرهم عند الذهبي في كتابه (السير) والذين عاشوا في الفترة من ٥٠ -١٥٠هـ

م	الاســــــــــم	البلد	التخصص	النسب
١	أبان بن تغلب	الكوفة	مقرئ	عربي
٢	أبان بن صمعة	البصرة	حديث	عربي
٣	إبان بن عثمان بن عفان	المدينة	فقه	عربي
٤	إبراهيم النخعي	الكوفة	فقه	عربي
٥	إبراهيم بن أبي عبلة	فلسطين	حديث وفقه	عربي
٦	إبراهيم بن أبي يحيى	المدينة	حديث	عربي
٧	إبراهيم بن أدهم	الشام	حديث	خراساني
٨	إبراهيم بن سعد	المدينة	حديث	عربي
٩	إبراهيم بن طهمان	خراسان	عالم	عربي
١٠	إبراهيم بن عبدالحمن بن عوف	المدينة	فقه وحديث	عربي
١١	إبراهيم بن عبدالله أبو إسحاق	المدينة	حديث	مولى
١٢	إبراهيم بن محمد ابن المنتشر	الكوفة	عالم	عربي
١٣	إبراهيم بن محمد بن طلحة	المدينة	حديث	عربي
١٤	إبراهيم بن ميسرة	مكة	فقه	عربي
١٥	إبراهيم بن نافع	مكة	حديث	عربي
١٦	إبراهيم بن يزيد التيمي	الكوفة	فقه	عربي
١٧	الأحنف بن قيس	البصرة	حديث	عربي
١٨	الأحوص أبو	الكوفة	حديث	مولى
١٩	الأخفش الكبير	البصرة	لغة ونحو	مولى
٢٠	أبو إدريس الخولاني	دمشق	فقه وحديث	عربي
٢١	أسامة بن زيد أبو زيد الليثي	المدينة	عالم	مولى
٢٢	أبو إسحاق السبيعي	الكوفة	حديث	عربي
٢٣	أبو إسحاق الشيباني	الكوفة	حديث	مولى
٢٤	إسحاق بن عبدالله	المدينة	حديث وفقه	عربي
٢٥	إسرائيل بن يونس	الكوفة	حديث	عربي
٢٦	أسلم (والد زيد بن أسلم)	المدينة	فقه	مولى
٢٧	أبو أسماء الرحبي	الشام	من كبار العلماء	عربي
٢٨	إسماعيل بن أبي خالد	الكوفة	حديث وفقه	مولى
٢٩	إسماعيل بن جعفر	المدينة	حديث	عربي
٣٠	إسماعيل بن عياش	الشام	حديث	مولى
٣١	إسماعيل بن محمد بن سعد	المدينة	عالم	عربي
٣٢	أبو الأسود الدؤلي	البصرة	نحو	عربي
٣٣	أبو الأسود محمد بن عبدالرحمن بن نوفل	مصر	سير ومغازي	عربي
٣٤	الأسود بن هلال	الكوفة	حديث	عربي
٣٥	الأسود بن يزيد	الكوفة	حديث	عربي
٣٦	أبو الأشعث الصنعاني	دمشق	حديث	عربي
٣٧	أشعث بن سوار	الكوفة	حديث	عربي
٣٨	أشعث بن عبدالله ابن بن جابر	البصرة	حديث	عربي
٣٩	أشعث بن عبدالملك	البصرة	فقه ولغة	مولى

٤٠	أبو الأشهب جعفر بن حيان	البصرة	حديث	عربي
٤١	الأعرج أبو داود عبدالحمن بن هرمز	المدينة	حديث وفقه	مولى
٤٢	الأعمش (سليمان بن مهران)	الكوفة	حديث وفقه	مولى
٤٣	أنس بن سيرين	البصرة	حديث	مولى
٤٤	الأوزاعي عبدالرحمن بن يحمد	دمشق	حديث وفقه	عربي
٤٥	إياد بن لقيط السدوسي	الكوفة	عالم	عربي
٤٦	إياس بن معاوية بن قرة(القاضي)	البصرة	فقه	عربي
٤٧	أيمن بن نابل	مكة	حديث	مولى
٤٨	أبو أيوب العَلاء	واسط	فقه	عربي
٤٩	أيوب السختياني	البصرة	حديث وفقه	مولى
٥٠	أيوب القِرِّيَّة بن يزيد	البصرة	بلاغة ولغة	عربي
٥١	أيوب بن جابر	اليمامة	فقه وحديث	عربي
٥٢	أيوب بن عتبة	اليمامة	فقه	عربي
٥٣	أيوب بن عتبة اليمامي	اليمامة	فقه	عربي
٥٤	أيوب بن موسى	مكة	فقه	عربي
٥٥	ابان بن يزيد العطار	البصرة	حديث	عربي
٥٦	أبو بحريَّة عبدالله بن قيس الكندي	حمص	فقه	عربي
٥٧	أبو البختري الطائي	الكوفة	فقه	مولى
٥٨	برد بن سنان	دمشق	عالم	عربي
٥٩	أبو بردة بن أبي موسى الأشعري	الكوفة	فقه	عربي
٦٠	بريد بن عبدالله	الكوفة	حديث	عربي
٦١	بسر بن سعيد الحضرمي	المدينة	حديث	مولى
٦٢	بسر بن عبيدالله الحضرمي	المدينة	حديث	مولى
٦٣	أبو بشر اليشكري	البصرة	حديث	عربي
٦٤	بشر بن منصور	البصرة	حديث	عربي
٦٥	بشير بن كعب الحميري	البصرة	فقه	عربي
٦٦	بشير بن نهيك	البصرة	عالم	عربي
٦٧	بشير بن يسار	المدينة	فقه	مولى
٦٨	بكر النهشلي	الكوفة	حديث	
٦٩	أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث	المدينة	حديث وفقه	عربي
٧٠	أبو بكر بن محمد بن حزم	المدينة	فقه وحديث	عربي
٧١	أبو بكر عبدالله بن هرمز	المدينة	فقه	عربي
٧٢	بكر بن سوادة	مصر	فقه وحديث	عربي
٧٣	بكر بن عبدالله المزني	البصرة	فقه وحديث	عربي
٧٤	بكر بن مضر	مصر	حديث وفقه	عربي
٧٥	بكير بن عبدالله بن الأشج	مصر	حديث	عربي
٧٦	بلال بن أبي الدرداء	الشام	فقه وحديث	عربي
٧٧	بلال بن سعد بن تميم السكوني	دمشق	حديث	عربي
٧٨	بهز بن حكيم	البصرة	حديث	عربي
٧٩	بيان بن بشر	الكوفة	حديث	عربي
٨٠	تبيع بن عامر الحميري	اليمن	سير وأخبار	مولى
٨١	أبو التياح الضبعي	البصرة	فقه	عربي
٨٢	ثابت بن أسلم البناني	البصرة	حديث	مولى
٨٣	ثابت بن يزيد	البصرة	حديث	عربي
٨٤	ثمامة بن عبدالله بن أنس	البصرة	فقه وحديث	عربي
٨٥	ابن ثوبان عبدالرحمن بن ثابت	دمشق	حديث	عربي
٨٦	ثور بن يزيد	حمص	حديث	عربي

٨٧	جامع بن شداد	الكوفة	عالم	عربي
٨٨	جبير بن نفير	حمص	حديث	عربي
٨٩	جرير بن حازم	البصرة	حديث	عربي
٩٠	الجريري (سعيد بن إياس)	البصرة	عالم	عربي
٩١	أبو جعفر الرازي عيسى بن ماهان	البصرة	عالم	عربي
٩٢	أبو جعفر القارئ	المدينة	مقرئ	مولى
٩٣	أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين	المدينة	حديث وفقه	عربي
٩٤	جعفر بن ربيعة	مصر	فقه	عربي
٩٥	جعفر بن سليمان	البصرة	حديث	عربي
٩٦	جعفر بن محمد بن علي بن الحسين	المدينة	حديث وفقه	عربي
٩٧	أبو جمرة نصر بن عمران الضبعي	البصرة	حديث	عربي
٩٨	أبو الجوزاء أويس بن عبدالله	البصرة	حديث	عربي
٩٩	جويرية بن أسماء	البصرة	حديث	عربي
١٠٠	الحارث الأعور	الكوفة	فقه	عربي
١٠١	الحارث بن سويد التيمي	الكوفة	حديث	عربي
١٠٢	الحارث بن قيس	الكوفة	فقه	عربي
١٠٣	أبو حازم الأشجعي	الكوفة	حديث ولغة	مولى
١٠٤	أبو حازم سلمة بن دينار	المدينة	حديث	عربي
١٠٥	أبو الحباب سعيد بن يسار	المدينة	حديث	مولى
١٠٦	حبيب بن أبي ثابت	الكوفة	فقيه ومقرئ	مولى
١٠٧	حبيب بن الشهيد	البصرة	عالم	مولى
١٠٨	الحجاج بن أرطأة	الكوفة	فقه	عربي
١٠٩	حجاج بن حجاج	البصرة	حديث	عربي
١١٠	حرب بن أبي العالية	البصرة	حديث	عربي
١١١	حرب بن شداد	البصرة	حديث	عربي
١١٢	حرب بن ميمون أبو الخطاب	البصرة	حديث	عربي
١١٣	حريز بن عثمان	حمص	حديث	عربي
١١٤	حسان بن عطية	دمشق	حديث	مولى
١١٥	الحسن البصري	البصرة	فقه وحديث	مولى
١١٦	الحسن بن الحر	دمشق	حديث	عربي
١١٧	الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب	المدينة	حديث وفقه	عربي
١١٨	الحسن بن صالح بن حي	الكوفة	فقه	عربي
١١٩	الحسن بن عبيد الله بن عروة	الكوفة	فقه	عربي
١٢٠	حسين بن واقد	مرو	عالم	مولى
١٢١	أبو حصين الأسدي	الكوفة	حديث	عربي
١٢٢	حصين بن عبد الرحمن السلمي	الكوفة	حديث	عربي
١٢٣	حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب	المدينة	فقه	عربي
١٢٤	حفص بن ميسرة	صنعاء	حديث	عربي
١٢٥	حفصة بنت سيرين	المدينة	فقه	مولاه
١٢٦	الحكم بن عتيبة	الكوفة	حديث	مولى
١٢٧	حمّاد بن أبي سليمان	الكوفة	فقه	مولى
١٢٨	حمّاد بن زيد	البصرة	حديث	مولى
١٢٩	حمّاد بن سلمة	البصرة	نحو وحديث	مولى
١٣٠	حمران بن أبان	المدينة	فقه	فارسي
١٣١	أبو حمزة السكري محمد بن ميمون	مرو	حديث	خراساني
١٣٢	أبو حمزة القصاب	واسط	حديث	مولى
١٣٣	حمزة بن حبيب الزيّات	الكوفة	مقرئ	مولى

١٣٤	حميد الطويل	البصرة	حديث وفقه	مولى
١٣٥	حميد بن عبدالرحمن الحميري	البصرة	فقه	عربي
١٣٦	حميد بن عبدالرحمن بن عوف	المدينة	فقه	عربي
١٣٧	حميد بن هلال	البصرة	فقه وحديث	عربي
١٣٨	حنش بن عبدالله الصنعاني	الشام	حديث	عربي
١٣٩	حنظلة بن أبي سفيان	مكة	حديث	عربي
١٤٠	أبو حنيفة النعمان بن ثابت	الكوفة	فقه	مولى
١٤١	حيوة بن شريح	مصر	فقه	عربي
١٤٢	خارجة بن مصعب	خراسان	حديث	عربي
١٤٣	خارجه بن زيد	المدينة	فقه	عربي
١٤٤	خالد بن أبي عثمان	البصرة	حديث	عربي
١٤٥	خالد بن أبي عمران	المغرب	فقه	عربي
١٤٦	خالد بن الخليفة يزيد بن معاوية	دمشق	الكيمياء	عربي
١٤٧	خالد بن صفوان	الشام	بلاغة	عربي
١٤٨	خالد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد	واسط	حديث	مولى
١٤٩	خالد بن معدان	الشام	حديث وفقه	عربي
١٥٠	خالد بن مهران الحذاء	البصرة	حديث وفقه	عربي
١٥١	خصيف بن عبدالرحمن	الشام	فقه	عربي
١٥٢	خلف بن خليفة	الكوفة	حديث	مولى
١٥٣	الخليل بن أحمد الفراهدي	البصرة	نحو	عربي
١٥٤	خيثمة بن عبدالرحمن بن أبي سبرة	الكوفة	فقه	عربي
١٥٥	داود الطائي	الكوفة	فقه	عربي
١٥٦	داود بن أبي هند	البصرة	فقه وحديث	مولى
١٥٧	داود بن الحصين	المدينة	فقه	مولى
١٥٨	أم الدرداء	دمشق	فقه	عربية
١٥٩	رؤبة بن العجاج	البصرة	لغة	عربي
١٦٠	راشد بن سعد	حمص	حديث	عربي
١٦١	أبو رافع الصائغ	البصرة	حديث	مولى
١٦٢	ربعي بن حراش	الكوفة	حديث وفقه	عربي
١٦٣	الربيع بن أنس	مرو	حديث	عربي
١٦٤	الربيع بن خثيم	الكوفة	حديث	عربي
١٦٥	الربيع بن صبيح	البصرة	حديث	مولى
١٦٦	الربيع بن مسلم	البصرة	فقه وحديث	مولى
١٦٧	ربيعة بن أبي عبدالرحمن	المدينة	فقه وحديث	مولى
١٦٨	ربيعة بن يزيد	دمشق	حديث	عربي
١٦٩	أبو رجاء العطاردي	البصرة	حديث	عربي
١٧٠	رجاء بن حيوة	الشام	حديث وفقه	عربي
١٧١	رقبة بن مصقلة	الكوفة	حديث	عربي
١٧٢	روح بن القاسم	البصرة	حديث	عربي
١٧٣	زائدة بن قدامة	الكوفة	حديث	عربي
١٧٤	زاذان أبو عمرو الكندي	الكوفة	فقه وحديث	مولى
١٧٥	أبو الزاهرية حدير بن كريب	الشام	عالم	عربي
١٧٦	ابن زبر عبدالله بن العلا	دمشق	حديث	عربي
١٧٧	زبيد بن الحارث اليامي	الكوفة	حديث	عربي
١٧٨	الزبيدي محمد بن الوليد	حمص	فقه	عربي
١٧٩	أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس	مكة	حديث	عربي
١٨٠	الزبير بن عدي	الكوفة	عالم	عربي

١٨١	زر بن حبيش	الكوفة	مقرئ ومحدث	عربي
١٨٢	زرارة بن أوفى	البصرة	فقه	عربي
١٨٣	أبو زرعة بن عمر بن جرير البجلي	الكوفة	حديث	عربي
١٨٤	زفر بن الهذيل	البصرة	فقه	عربي
١٨٥	زكريا بن أبي زائدة	الكوفة	فقه	عربي
١٨٦	زكريا بن إسحاق	مكة	حديث	عربي
١٨٧	أبو الزناد عبدالله بن ذكوان	المدينة	حديث فقه	مولى
١٨٨	الزنجي مسلم بن خالد المخزومي	مكة	فقه	مولى
١٨٩	الزهري محمد بن مسلم بن شهاب	المدينة	فقه وحديث	عربي
١٩٠	زهير بن محمد التميمي	الشام	حديث	عربي
١٩١	زهير بن معاوية	الكوفة	حديث	عربي
١٩٢	زياد بن جبير	البصرة	حديث	عربي
١٩٣	زياد بن سعد	مكة	حديث	عربي
١٩٤	زياد بن علاقة	الكوفة	حديث	عربي
١٩٥	زياد مولى ابن عياش	دمشق	فقه	مولى
١٩٦	زيد بن أبي أنيسة	الجزيرة	حديث	مولى
١٩٧	زيد بن أسلم	المدينة	حديث وفقه	مولى
١٩٨	زيد بن علي بن الحسين بن علي	المدينة	فقه وحديث	عربي
١٩٩	زيد بن واقد	دمشق	فقه	مولى
٢٠٠	سالم بن أبي الجعد	الكوفة	فقه	مولى
٢٠١	سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب	المدينة	فقه	عربي
٢٠٢	ابن أبي سبرة	العراق	فقه	عربي
٢٠٣	سبلان سالم بن عبدالله	المدينة	عالم	مولى
٢٠٤	السدي إسماعيل بن عبدالرحمن	الكوفة	تفسير	مولى
٢٠٥	سعد بن إبراهيم	المدينة	فقه	عربي
٢٠٦	سعد بن عبيد أبو حمزة السلمي	الكوفة	حديث	عربي
٢٠٧	سعيد المقبري	المدينة	حديث	مولى
٢٠٨	سعيد بن أبي أيوب	مصر	حديث	مولى
٢٠٩	سعيد بن أبي الحسن البصري	البصرة	حديث	مولى
٢١٠	سعيد بن أبي بلال	مصر	فقه وحديث	مولى
٢١١	سعيد بن أبي هند	الحجاز	حديث	مولى
٢١٢	سعيد بن الحارث	المدينة	فقه	عربي
٢١٣	سعيد بن المسيب	المدينة	فقه وحديث	عربي
٢١٤	سعيد بن بشير	البصرة	حديث	عربي
٢١٥	سعيد بن جبير	الكوفة	فقه وحديث	مولى
٢١٦	سعيد بن عبد العزيز	دمشق	فقه	عربي
٢١٧	سعيد بن وهب	الكوفة	حديث	عربي
٢١٨	أبو السفر سعيد بن يحمد الهمداني	الكوفة	فقه	عربي
٢١٩	سفيان الثوري	الكوفة	فقه وحديث	عربي
٢٢٠	سفيان بن حبيب	البصرة	حديث	عربي
٢٢١	سفيان بن حسين	الكوفة	حديث	عربي
٢٢٢	أبو سلام منطور الحبشي	الشام	حديث	
٢٢٣	سلام بن أبي مطيع	البصرة	حديث	مولى
٢٢٤	سلام بن مسكين	البصرة	حديث	عربي
٢٢٥	أبو سلمة عبدالرحمن بن عوف	المدينة	فقه وحديث	عربي
٢٢٦	سلمة بن كهيل بن حصين	الكوفة	حديث	عربي
٢٢٧	سليم بن عامر الكلاعي	حمص	حديث	عربي

٢٢٨	سليم بن عتر	مصر	فقه	عربي
٢٢٩	سليمان بن المغيرة	البصرة	حديث	مولى
٢٣٠	سليمان بن بريدة بن الحصيب	مرو	حديث وفقه	عربي
٢٣١	سليمان بن بلال	المدينة	فقه	مولى
٢٣٢	سليمان بن حبيب المحاربي	دمشق	فقه	عربي
٢٣٣	سليمان بن طرخان التيمي	البصرة	حديث وفقه	عربي
٢٣٤	سليمان بن قتة التيمي	البصرة	مقرئ	مولى
٢٣٥	سليمان بن كثير	البصرة	حديث	عربي
٢٣٦	سليمان بن موسى	دمشق	فقه	مولى
٢٣٧	سليمان بن يسار	المدينة	فقه	مولى
٢٣٨	سماك بن حرب الذهلي	الكوفة	حديث	عربي
٢٣٩	سمي المدني	المدينة	حديث	مولى
٢٤٠	أبو سنان البرجمي	الكوفة	حديث	عربي
٢٤١	سهيل بن أبي صالح السمان	المدينة	حديث	مولى
٢٤٢	سويد بن غفلة	الكوفة	حديث	عربي
٢٤٣	سيار بن وردان	واسط	حديث	مولى
٢٤٤	سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)	البصرة	نحو	فارسي
٢٤٥	أبو شجاع القتباني	الاسكندرية	حديث وفقه	عربي
٢٤٦	شريح بن الحارث (القاضي)	الكوفة	فقه	فارسي
٢٤٧	شريح بن هاني الحارثي	الكوفة	فقه	عربي
٢٤٨	شريك بن عبدالله (القاضي)	الكوفة	فقه وحديث	عربي
٢٤٩	شريك بن عبدالله بن أبي نمر	المدينة	حديث وفقه	عربي
٢٥٠	شعبة بن الحجاج	البصرة	حديث	عربي
٢٥١	الشعبي (عامر بن شراحيل)	الكوفة	فقه	عربي
٢٥٢	أبو الشعثاء المحاربي	الكوفة	فقه	عربي
٢٥٣	أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي	البصرة	فقه	مولى
٢٥٤	شعيب بن أبي حمزة	حمص	حديث	مولى
٢٥٥	شقيق بن سلمة أبو وائل	الكوفة	حديث وفقه	عربي
٢٥٦	أبو شهاب الحناط	الكوفة	حديث	عربي
٢٥٧	شهاب بن حداش	واسط	حديث	عربي
٢٥٨	شهر بن حوشب	الشام	محدث ومقرئ	مولى
٢٥٩	شيبان النحوي	البصرة	نحو وحديث	مولى
٢٦٠	أبو صالح السمان	المدينة	حديث	مولى
٢٦١	أبو صالح باذام	المدينة	تفسير	مولى
٢٦٢	صالح بن أبي الأخضر	اليمامة	حديث	عربي
٢٦٣	صالح بن كيسان	المدينة	حديث	مولى
٢٦٤	صخر بن جويرية	البصرة	حديث	مولى
٢٦٥	صدقة بن عبدالله	دمشق	حديث	عربي
٢٦٦	صفوان بن سليم	المدينة	فقه	مولى
٢٦٧	صفوان بن عمرو	حمص	حديث	عربي
٢٦٨	صلة بن زفر	الكوفة	حديث	عربي
٢٦٩	الضحاك بن مزاحم	بلخ	تفسير	مولى
٢٧٠	أبو الضحى مسلم بن صبيح القرشي	الكوفة	فقه وتفسير	مولى
٢٧١	طاووس بن كيسان اليماني	اليمن	فقه وحديث	فارسي
٢٧٢	طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري	المدينة	فقه	عربي
٢٧٣	طلحة بن مصرف اليامي	الكوفة	مقرئ	عربي
٢٧٤	طلق بن حبيب العنزي	البصرة	عالم	عربي

٢٧٥	أبو طوالة (القاضي)	المدينة	فقه	عربي
٢٧٦	أبو ظبيان الجنبي	الكوفة	حديث	عربي
٢٧٧	عابس بن ربيعة	الكوفة	حديث	عربي
٢٧٨	عاصم بن أبي النجود	الكوفة	مقرئ ومحدث	مولى
٢٧٩	عاصم بن سليمان	البصرة	حديث	مولى
٢٨٠	عاصم بن عمر بن الخطاب	المدينة	فقه	عربي
٢٨١	عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان	المدينة	حديث	عربي
٢٨٢	عاصم بن محمد	المدينة	فقه	عربي
٢٨٣	عافية بن يزيد (القاضي)	الكوفة	فقه	عربي
٢٨٤	أبو العالية رفيع بن مهران	البصرة	مقرئ ومفسر	عربي
٢٨٥	أبو عامر الخزاز صالح بن رستم	البصرة	حديث	مولى
٢٨٦	عباد بن عباد	البصرة	حديث	عربي
٢٨٧	عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام	المدينة	فقه	عربي
٢٨٨	عباد بن منصور الناجي	البصرة	فقه	عربي
٢٨٩	عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت	المدينة	فقه	عربي
٢٩٠	عبادة بن نسي	الأردن	فقه وحديث	عربي
٢٩١	عباس بن سهل	المدينة	فقه	عربي
٢٩٢	عبثر بن القاسم	الكوفة	فقه وحديث	عربي
٢٩٣	عبد الرحمن بن أبي ليلى	الكوفة	فقه	عربي
٢٩٤	عبدالحميد الكاتب	الرقة	بلاغة	مولى
٢٩٥	عبدالحميد بن بهرام	المدينة	حديث	عربي
٢٩٦	عبدالحميد بن جعفر	المدينة	حديث وفقه	عربي
٢٩٧	عبدالحميد صاحب الزيادي	البصرة	عالم	عربي
٢٩٨	أبو عبدالرحمن السلمي (عبدالله بن حبيب)	الكوفة	مقرئ ومحدث	عربي
٢٩٩	عبدالرحمن بن أبي الزناد	المدينة	فقه وحديث	عربي
٣٠٠	عبدالرحمن بن أبي بكرة	البصرة	مقرئ	عربي
٣٠١	عبدالرحمن بن أبي نعم	الكوفة	حديث	عربي
٣٠٢	عبدالرحمن بن الأسود بن يزيد	الكوفة	فقه وحديث	عربي
٣٠٣	عبدالرحمن بن القاسم	المدينة	فقه	عربي
٣٠٤	عبدالرحمن بن زياد الأفريقي	أفريقيا	فقه وحديث	عربي
٣٠٥	عبدالرحمن بن شريح	مصر	حديث	عربي
٣٠٦	عبدالرحمن بن عائذ الأزدي	حمص	عالم	عربي
٣٠٧	عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة المسعودي	الكوفة	حديث وفقه	عربي
٣٠٨	عبدالرحمن بن غنم الأشعري	فلسطين	فقه	عربي
٣٠٩	عبدالرحمن بن يزيد	الكوفة	فقه	عربي
٣١٠	عبدالرحمن بن يزيد بن تميم	دمشق	حديث	عربي
٣١١	عبدالرحمن بن يزيد بن جابر	الشام	فقه	عربي
٣١٢	عبدالعزيز بن أبي حازم	المدينة	فقه وحديث	عربي
٣١٣	عبدالعزيز بن أبي رواد	مكة	حديث	مولى
٣١٤	عبدالعزيز بن رفيع	الكوفة	حديث	عربي
٣١٥	عبدالعزيز بن صهيب	البصرة	حديث	عربي
٣١٦	عبدالكريم بن مالك	الجزيرة	حديث	مولى
٣١٧	عبدالله بن أبي الهذيل العنزي	الكوفة	حديث	عربي
٣١٨	عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن حزم	المدينة	حديث	عربي
٣١٩	عبدالله بن أبي زكريا	دمشق	حديث وفقه	عربي
٣٢٠	عبدالله بن أبي مليكة	مكة	فقه وحديث	عربي
٣٢١	عبدالله بن أبي نجيح	مكة	تفسير	مولى

٣٢٢	عبدالله بن المبارك	مرو	حديث وفقه	مولى
٣٢٣	عبدالله بن المقفع	دمشق	بلاغة وأدب	فارسي
٣٢٤	عبدالله بن بريدة بن الحصيب	مرو	فقه وحديث	عربي
٣٢٥	عبدالله بن دينار	المدينة	حديث	مولى
٣٢٦	عبدالله بن شبرمة	الكوفة	فقه	عربي
٣٢٧	عبدالله بن شوذب	البصرة	حديث	عربي
٣٢٨	عبدالله بن طاووس بن كيسان	اليمن	حديث وفقه	مولى
٣٢٩	عبدالله بن عامر	دمشق	مقرئ	عربي
٣٣٠	عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم	المدينة	حديث	عربي
٣٣١	عبدالله بن عون بن أرطبان	البصرة	حديث	مولى
٣٣٢	عبدالله بن عياش	مصر	عالم	عربي
٣٣٣	عبدالله بن كثير	مكة	مقرئ ومحدث	مولى
٣٣٤	عبدالله بن لهيعة	مصر	حديث وفقه	عربي
٣٣٥	عبدالله بن محيريز	مكة	فقه	عربي
٣٣٦	عبدالله بن معقل	الكوفة	حديث	عربي
٣٣٧	عبدالملك بن أبي سليمان	الكوفة	حديث	عربي
٣٣٨	عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج	مكة	حديث	عربي
٣٣٩	عبدالملك بن عمير القاضي	الكوفة	حديث	عربي
٣٤٠	عبدالملك بن مروان	المدينة	فقه	عربي
٣٤١	عبدالواحد بن زيد	البصرة	حديث	عربي
٣٤٢	عبدالوارث بن سعيد	البصرة	مقرئ ومحدث	عربي
٣٤٣	عبدة بن أبي لبابة	الكوفة	حديث وفقه	مولى
٣٤٤	عبيد بن حنين	المدينة	حديث	مولى
٣٤٥	عبيد بن عمير	مكة	تفسير	عربي
٣٤٦	عبيدالله بن أبي بكرة	البصرة	حديث وفقه	عربي
٣٤٧	عبيدالله بن أبي جعفر	مصر	فقه	مولى
٣٤٨	عبيدالله بن أبي يزيد	مكة	حديث	مولى
٣٤٩	عبيدالله بن إياد	الكوفة	حديث	عربي
٣٥٠	عبيدالله بن عبدالله بن عتبه	المدينة	فقه	عربي
٣٥١	عبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم	المدينة	حديث	عربي
٣٥٢	عبيدالله بن عمرو بن أبي الوليد	الرقة	حديث	مولى
٣٥٣	أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود الهذلي	الكوفة	حديث	عربي
٣٥٤	عبيدة بن عمرو السلماني	الكوفة	فقه وحديث	عربي
٣٥٥	عبيس بن ميمون	البصرة	حديث	عربي
٣٥٦	أبو عثمان النهدي	البصرة	حديث	عربي
٣٥٧	عثمان البتي	البصرة	فقه	عربي
٣٥٨	عثمان البري	البصرة	فقه	مولى
٣٥٩	عدي بن ثابت	الكوفة	حديث	عربي
٣٦٠	عراك بن مالك الغفاري	المدينة	حديث	عربي
٣٦١	ابن أبي عروبة	البصرة	حديث	مولى
٣٦٢	عروة بن الزبير	المدينة	فقه وحديث	عربي
٣٦٣	عروة بن رويم	الأردن	فقه وحديث	عربي
٣٦٤	عطاء الخرساني	دمشق	حديث	عربي
٣٦٥	عطاء بن أبي رياح	مكة	فقه وحديث	مولى
٣٦٦	عطاء بن أبي ميمونة	البصرة	حديث	عربي
٣٦٧	عطاء بن السائب	الكوفة	حديث	عربي
٣٦٨	عطاء بن يسار	المدينة	فقه	مولى

٣٦٩	العطاف بن خالد بن عبدالله	المدينة	حديث	عربي
٣٧٠	عطية بن قيس	دمشق	مقرئ	عربي
٣٧١	ابن عقيل عبدالله بن محمد	المدينة	حديث	عربي
٣٧٢	عقيل بن خالد بن عقيل	الشام	حديث	مولى
٣٧٣	عكرمة (مولى ابن عباس)	المدينة	تفسير وحديث	مولى
٣٧٤	عكرمة بن عمار	البصرة	حديث	عربي
٣٧٥	العلا بن عبد الرحمن بن يعقوب	المدينة	حديث	مولى
٣٧٦	العلاء بن زياد	البصرة	حديث	عربي
٣٧٧	ابن علاثة محمد بن عبدالله	بغداد	فقه	عربي
٣٧٨	علقمة بن قيس	الكوفة	فقه	عربي
٣٧٩	علقمة بن مرثد أبو الحارث	الكوفة	فقه	عربي
٣٨٠	علقمة بن وقاص	المدينة	حديث	عربي
٣٨١	علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	المدينة	حديث وفقه	عربي
٣٨٢	علي بن رباح	مصر	حديث	عربي
٣٨٣	علي بن رباح		عالم	عربي
٣٨٤	علي بن ربيعة	الكوفة	عالم	عربي
٣٨٥	علي بن زيد بن جدعان	البصرة	حديث	عربي
٣٨٦	علي بن صالح بن حي	الكوفة	عالم	عربي
٣٨٧	علي بن عبدالله بن عباس	المدينة	حديث	عربي
٣٨٨	علي بن هاشم	الكوفة	حديث	مولى
٣٨٩	عمار الدهني	الكوفة	حديث	عربي
٣٩٠	عمارة بن حمزة	الشام	لغة	مولى
٣٩١	عمر بن أبي سلمة	المدينة	فقه	عربي
٣٩٢	عمر بن ذر	الكوفة	حديث	عربي
٣٩٣	عمر بن عبدالعزيز	الشام	فقه وحديث	عربي
٣٩٤	عمر بن عبيد البصري	الكوفة	حديث	عربي
٣٩٥	أبو عمران الجوني	البصرة	حديث	عربي
٣٩٦	عمران القطان	البصرة	حديث	عربي
٣٩٧	عمران بن حدير	البصرة	حديث	عربي
٣٩٨	عمران بن حطان	البصرة	حديث	عربي
٣٩٩	عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد	المدينة	فقه	عربية
٤٠٠	أبو عمرو الشيباني	الكوفة	حديث	عربي
٤٠١	أبو عمرو بن العلاء	البصرة	نحوي ومقرئ	عربي
٤٠٢	عمرو بن أبي عمرو	المدينة	فقه	مولى
٤٠٣	عمرو بن الحارث بن يعقوب	مصر	حديث	مولى
٤٠٤	عمرو بن دينار الجمحي	مكة	حديث	مولى
٤٠٥	عمرو بن شعيب بن محمد	الطائف	الفقيه القاضي	عربي
٤٠٦	عمرو بن عبيد	البصرة	عالم	عربي
٤٠٧	عمرو بن قيس الملائي	الكوفة	حديث وفقه	عربي
٤٠٨	عمرو بن قيس بن ثور	حمص	فقه وحديث	عربي
٤٠٩	عمرو بن مرة بن عبدالله بن طارق	الكوفة	حديث	عربي
٤١٠	عمرو بن ميمون الأودي	الكوفة	حديث	عربي
٤١١	عمرو بن ميمون بن مهران	الجزيرة	حديث	مولى
٤١٢	العمري عبدالله بن عبدالعزيز	المدينة	حديث	عربي
٤١٣	عمير بن سعيد	الكوفة	فقه	عربي
٤١٤	عمير بن هانئ العبسي	الشام	حديث	عربي
٤١٥	العوام بن حوشب	واسط	حديث	عربي

٤١٦	أبو عوانة الوضاح بن عبدالله	البصرة	حديث	مولى
٤١٧	عوانة بن الحكم	الكوفة	أنساب وتاريخ	عربي
٤١٨	عوف بن أبي جميلة	البصرة	حديث	فارسي
٤١٩	عون بن عبدالله	الكوفة	فقه	عربي
٤٢٠	عياض بن عمرو الأشعري	الكوفة	حديث	عربي
٤٢١	عيسى بن طلحة	المدينة	لغة	عربي
٤٢٢	عيسى بن عمر الثقفي	البصرة	نحو	عربي
٤٢٣	عيسى بن عمر الهمداني	الكوفة	مقرئ	عربي
٤٢٤	غالب القطان	المدينة	فقه	مولى
٤٢٥	ابن الغسيل عبدالرحمن بن سليمان	المدينة	فقه	عربي
٤٢٦	أبو الغصن (ثابت بن قيس)	المدينة	عالم	مولى
٤٢٧	غيلان بن جرير	البصرة	حديث	عربي
٤٢٨	الفأفاء أبو سلمة خالد بن سلمة	الكوفة	فقه	عربي
٤٢٩	فضيل بن غزوان	الكوفة	حديث وفقه	عربي
٤٣٠	فضيل بن مرزوق	الكوفة	حديث	مولى
٤٣١	فطر بن خليفة	الكوفة	حديث	مولى
٤٣٢	فليح بن سليمان	المدينة	حديث	مولى
٤٣٣	القاسم بن الفضل	البصرة	حديث	عربي
٤٣٤	القاسم بن عبدالرحمن	دمشق	حديث	مولى
٤٣٥	القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله	الكوفة	فقه	عربي
٤٣٦	القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق	المدينة	حديث وفقه	عربي
٤٣٧	القاسم بن مخيمرة الهمداني	الكوفة	حديث	عربي
٤٣٨	القاسم بن معن بن عبدالرحمن	الكوفة	فقه ونحو	عربي
٤٣٩	قبيصة بن ذؤيب	دمشق	فقه	عربي
٤٤٠	أبو قبيل المعافري	مصر	حديث	عربي
٤٤١	قتادة بن دعامة	البصرة	تفسير	عربي
٤٤٢	قرة بن خالد	البصرة	حديث	عربي
٤٤٣	قزعة بن سويد	البصرة	عالم	عربي
٤٤٤	أبو قلابة الجرمي	البصرة	فقه وحديث	عربي
٤٤٥	قيس بن أبي حازم	الكوفة	حديث	عربي
٤٤٦	قيس بن الربيع	الكوفة	حديث	عربي
٤٤٧	قيس بن مسلم	الكوفة	حديث	عربي
٤٤٨	كثير بن مرة	حمص	حديث	عربي
٤٤٩	كرز بن وبرة الحارثي	الكوفة	حديث	عربي
٤٥٠	كريب بن أبي مسلم	المدينة	حديث	عربي
٤٥١	كهمس بن الحسن التميمي	البصرة	حديث	مولى
٤٥٢	ليث بن أبي سليم	الكوفة	حديث	مولى
٤٥٣	الليث بن سعد	مصر	فقه وحديث	فارسي
٤٥٤	الماجشون أبو يوسف يعقوب بن دينار	المدينة	حديث	مولى
٤٥٥	الماجشون عبدالعزيز بن عبدالله	المدينة	فقه	مولى
٤٥٦	مالك (الإمام مالك بن أنس)	المدينة	فقه	عربي
٤٥٧	مالك بن أوس بن الحدثان	المدينة	فقه	عربي
٤٥٨	مالك بن دينار	الكوفة	حديث وفقه	عربي
٤٥٩	مالك بن مغول	الكوفة	حديث	عربي
٤٦٠	مبارك بن فضالة	البصرة	حديث	مولى
٤٦١	أبو المتوكل الناجي	البصرة	حديث	عربي
٤٦٢	مجاعة بن الزبير	البصرة	حديث	عربي

٤٦٣	مجالد بن سعيد	الكوفة	حديث	عربي
٤٦٤	مجاهد بن جبر	مكة	تفسير	مولى
٤٦٥	محارب بن دثار	الكوفة	فقه	عربي
٤٦٦	محمد بن إبراهيم التيمي	المدينة	فقه وحديث	عربي
٤٦٧	محمد بن أبي حفصة	المدينة	حديث	عربي
٤٦٨	محمد بن إسحاق بن يسار	المدينة	مغازي وسير	مولى
٤٦٩	محمد بن الحنفية	المدينة	حديث وفقه	عربي
٤٧٠	محمد بن المنكدر	المدينة	حديث وفقه	عربي
٤٧١	محمد بن جبير بن مطعم	المدينة	فقه	عربي
٤٧٢	محمد بن جحادة	الكوفة	فقه وحديث	عربي
٤٧٣	محمد بن جعفر	المدينة	حديث	مولى
٤٧٤	محمد بن راشد المكحولي	دمشق	حديث	مولى
٤٧٥	محمد بن زياد	حمص	حديث	عربي
٤٧٦	محمد بن سعد بن أبي وقاص	المدينة	حديث	عربي
٤٧٧	محمد بن سوقة	الكوفة	حديث	عربي
٤٧٨	محمد بن سيرين	البصرة	حديث وفقه	مولى
٤٧٩	محمد بن طلحة اليامي	الكوفة	حديث	عربي
٤٨٠	محمد بن عباد بن جعفر القرشي	مكة	حديث	عربي
٤٨١	محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى	الكوفة	فقه	عربي
٤٨٢	محمد بن عبدالرحمن (ابن أبي ذئب)	المدينة	فقه وحديث	عربي
٤٨٣	محمد بن عبدالله بن حسن	المدينة	حديث	عربي
٤٨٤	محمد بن عبدالله بن عمرو	المدينة	حديث	عربي
٤٨٥	محمد بن عبدالله بن مسلم الزهري	المدينة	فقه	عربي
٤٨٦	محمد بن عجلان	المدينة	حديث وفقه	مولى
٤٨٧	محمد بن عمرو بن عطاء	المدينة	حديث	عربي
٤٨٨	محمد بن عمرو بن علقمة	المدينة	حديث	عربي
٤٨٩	محمد بن كعب القرظي	المدينة	حديث وتفسير	مولى
٤٩٠	محمد بن مطرف	المدينة	حديث	عربي
٤٩١	محمد بن موسى الفطري	المدينة	حديث	مولى
٤٩٢	محمد بن واسع	البصرة	فقه وحديث	عربي
٤٩٣	محمد بن يحيى بن حبان	المدينة	فقه	عربي
٤٩٤	المخرمي عبدالله بن جعفر	المدينة	حديث	عربي
٤٩٥	أبو مخنف لوط بن يحيى	الكوفة	تاريخ	عربي
٤٩٦	مرة الطيب	الكوفة	حديث	عربي
٤٩٧	مرثد بن عبدالله اليزني	مصر	فقه	عربي
٤٩٨	مرحوم بن عبدالعزيز بن مهران	البصرة	حديث	مولى
٤٩٩	ابن أبي مريم أبو بكر بن عبدالله	حمص	حديث	عربي
٥٠٠	مسروق بن الأجدع	الكوفة	فقه وحديث	عربي
٥٠١	مسعر بن كدام	الكوفة	حديث	عربي
٥٠٢	مسلم بن يسار البصري	البصرة	فقه	مولى
٥٠٣	مسلم بن يسار الدوسي	المدينة	حديث	مولى
٥٠٤	المسيب بن رافع	الكوفة	فقه	عربي
٥٠٥	المصقل بن مهلهل	الكوفة	عالم	عربي
٥٠٦	مطر الوراق	البصرة	حديث	مولى
٥٠٧	مطرف بن طريف	الكوفة	حديث	عربي
٥٠٨	مطرف بن عبدالله بن الشخير	البصرة	حديث	عربي
٥٠٩	المطلب بن زياد	الكوفة	حديث	مولى

٥١٠	المطلب بن عبدالله المخزومي	المدينة	حديث	عربي
٥١١	معاذة بنت عبدالله (أم الصهباء)	البصرة	حديث	عربية
٥١٢	معاوية بن صالح	حمص	حديث وفقه	عربي
٥١٣	معاوية بن قرة بن إياس	البصرة	حديث	عربي
٥١٤	معبد بن عبدالله	البصرة	حديث	عربي
٥١٥	المعرور بن سويد	الكوفة	حديث	عربي
٥١٦	أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن	المدينة	مغازي وسير	مولى
٥١٧	معقل بن عبيدالله الجزري		حديث	مولى
٥١٨	معمر بن راشد	اليمن	حديث وفقه	مولى
٥١٩	المغيرة بن زياد	الجزيرة	حديث	عربي
٥٢٠	المغيرة بن عبدالرحمن	المدينة	فقه وأنساب	عربي
٥٢١	مغيرة بن مقسم	الكوفة	عالم	مولى
٥٢٢	مفضل بن فضالة	مصر	عالم	عربي
٥٢٣	المفضل بن فضالة	البصرة	حديث	مولى
٥٢٤	مقاتل بن حيان	بلخ	حديث وتفسير	فارسي
٥٢٥	مقاتل بن سليمان	بلخ	تفسير	
٥٢٦	مكحول الأزدي البصري	البصرة	حديث	عربي
٥٢٧	مكحول الدمشقي	دمشق	فقه	مولى
٥٢٨	أبو المليح الحسن بن عمر الرقي	الرقة	حديث	عربي
٥٢٩	منصور بن المعتمر	الكوفة	حديث وفقه	عربي
٥٣٠	منصور بن زاذان	واسط	حديث	مولى
٥٣١	المنهال بن عمرو	الكوفة	حديث	مولى
٥٣٢	ابن أبي المهاجر	دمشق	فقه وحديث	مولى
٥٣٣	مهدي بن ميمون	البصرة	حديث	مولى
٥٣٤	مورق العجلي	البصرة	حديث	عربي
٥٣٥	موسى الكاظم	بغداد	حديث وفقه	عربي
٥٣٦	موسى بن أبي عائشة	الكوفة	عالم	عربي
٥٣٧	موسى بن أعين	حران	حديث	عربي
٥٣٨	موسى بن طلحة	المدينة	حديث	عربي
٥٣٩	موسى بن عقبة	المدينة	سير ومغازي	مولى
٥٤٠	موسى بن علي بن رباح	مصر	حديث	مولى
٥٤١	موسى بن وردان	مصر	عالم	مولى
٥٤٢	ابن موهب	المدينة	حديث	عربي
٥٤٣	أبو ميسرة (عمرو بن شرحبيل)	الكوفة	حديث	عربي
٥٤٤	ميمون بن مهران	الجزيرة	حديث وفقه	مولى
٥٤٥	نافع (مولى ابن عمر)	المدينة	حديث وفقه	مولى
٥٤٦	نافع بن أبي نعيم	المدينة	مقرئ	مولى
٥٤٧	نافع بن جبير بن مطعم	المدينة	فقه	عربي
٥٤٨	نافع بن عمر بن عبدالله بن جميل	مكة	حديث	عربي
٥٤٩	نافع بن مالك	المدينة	فقه	عربي
٥٥٠	النضر بن عربي	حران	حديث وفقه	مولى
٥٥١	أبو نضرة المنذر بن مالك	البصرة	حديث	عربي
٥٥٢	نعيم بن عبدالله المجمر	المدينة	فقه	مولى
٥٥٣	هارون بن رئاب	البصرة	حديث	عربي
٥٥٤	هشام الدستوائي	البصرة	حديث وفقه	عربي
٥٥٥	هشام بن الغاز	دمشق	مقرئ	عربي
٥٥٦	هشام بن حسان	البصرة	حديث	مولى

٥٥٧	هشام بن سعد	المدينة	حديث	مولى
٥٥٨	هشام بن عروة	المدينة	حديث وسيرة	عربي
٥٥٩	هشيم بن بشير بن أبي خازم	بغداد	حديث	مولى
٥٦٠	الهقل بن زياد	دمشق	فقه	عربي
٥٦١	همام بن الحارث النخعي	الكوفة	فقه	عربي
٥٦٢	همام بن منبه	اليمن	حديث	فارسي
٥٦٣	همام بن يحيى بن دينار	البصرة	حديث	مولى
٥٦٤	واصل بن عطاء الغزال	البصرة	عالم	مولى
٥٦٥	ورقاء بن عمر	الكوفة	حديث	خوارزمي
٥٦٦	الوليد بن كثير المخزومي	المدينة	حديث	مولى
٥٦٧	وهب بن كيسان	المدينة	فقه	مولى
٥٦٨	وهب بن منبه	صنعاء	أخباري قصصي	فارسي
٥٦٩	وهيب بن خالد بن عجلان	البصرة	مقرئ	مولى
٥٧٠	يحيى بن أبي كثير	البصرة	عالم	مولى
٥٧١	يحيى بن أيوب البصري	مصر	حديث	مولى
٥٧٢	يحيى بن الحارث	دمشق	مقرئ ومحدث	عربي
٥٧٣	يحيى بن حمزة	دمشق	حديث	مولى
٥٧٤	يحيى بن زكريا	الكوفة	حديث	مولى
٥٧٥	يحيى بن سعيد	المدينة	مقرئ ومحدث	عربي
٥٧٦	يحيى بن وثاب	الكوفة	شيخ القراء	مولى
٥٧٧	يحيى بن يعمر	البصرة	مقرئ	عربي
٥٧٨	يزيد بن إبراهيم التستري	البصرة	حديث	
٥٧٩	يزيد بن أبي حبيب	مصر	حديث وفقه	مولى
٥٨٠	يزيد بن أبي زياد	الكوفة	حديث	مولى
٥٨١	يزيد بن أبي سمية	الشام	حديث	عربي
٥٨٢	يزيد بن أبي مالك (القاضي)	دمشق	فقه	عربي
٥٨٣	يزيد بن الأصم	الرقة	حديث	عربي
٥٨٤	يزيد بن زريع	البصرة	حديث	عربي
٥٨٥	يزيد بن صهيب	الكوفة	حديث	عربي
٥٨٦	يزيد بن عبدالله بن الشخير	البصرة	حديث	مولى
٥٨٧	يزيد بن عبدالله بن الهاد	المدينة	حديث	عربي
٥٨٨	يزيد بن عبدالله بن قسيط	المدينة	فقه	عربي
٥٨٩	يزيد بن عبيده السكوني	دمشق	عالم	عربي
٥٩٠	يزيد بن يزيد بن جابر	دمشق	حديث	عربي
٥٩١	يعقوب القمي	البصرة	تفسير وحديث	عربي
٥٩٢	يعقوب بن عبدالله بن الأشج	مصر	فقه	عربي
٥٩٣	يعقوب بن عتبة	المدينة	عالم	عربي
٥٩٤	يعلي بن حكيم الثقفي	مكة	حديث	عربي
٥٩٥	يوسف بن إسحاق السبيعي	الكوفة	حديث	عربي
٥٩٦	يوسف بن ماهك	مكة	حديث	مولى
٥٩٧	يوسف بن يعقوب الماجشون	المدينة	حديث	مولى
٥٩٨	يونس بن أبي إسحاق	الكوفة	حديث	عربي
٥٩٩	يونس بن حبيب	البصرة	نحو	مولى
٦٠٠	يونس بن عبيد	البصرة	حديث وفقه	مولى
٦٠١	يونس بن ميسرة	دمشق	عالم	عربي
٦٠٢	يونس بن يزيد	دمشق	حديث	مولى

خلاصة الملحق رقم (١)

أولا – عدد العرب والموالي :

العرب (٤١٤).

الموالي (١٨٨) .

ثانيا – توزع عدد العلماء في البلدان :

المدينة	مكة	الكوفة	البصرة	الشام بما فيها دمشق	حمص	مصر
١٣٥	٢٤	١٤١	١٣٦	٥٥	١٣	٢٢
خراسان	اليمن	واسط	الجزيرة	الرقة	بغداد	حران
٩	٧	٧	٧	٤	٢	٢

ثالثا – عدد العلماء نسبة إلى تخصصاتهم العلمية :

حديث	فقه	تفسير	القراءات	لغة ونحو
٣٤٧	١٧٠	١٤	٢٤	١٧
سير ومغازي	الأنساب	الأخبار والتاريخ	عام (بدون تخصص)	
٨	٢	٢	٣٤	

ملحق رقم (٢)

توزع العلماء في البلدان مقارنة بمن نزل بها من الصحابة

البلدان	عدد العلماء		عدد الصحابة	
	من كتاب الذهبي	من كتاب مشاهير علماء الأمصار	من كتاب الطبقات لابن سعد	من كتاب مشاهير علماء الأمصار
المدينة	١٣٥	١٩٨	لم يذكر العدد لأنها مستقر الصحابة	١٥٢
مكة	٢٤	١٠٧	٥٤	٦٢
الكوفة	١٤١	١٨٥	١٥٠	٥٥
البصرة	١٣٦	١٨١	١٤٣	٥٠
الشام(بما فيهادمشق)	٥٥	١٤٦	٩٠	٥٥
مصر	٢٢	٧٧	٣٢	٢٢
حمص	١٣	–	–	–
خراسان	٩	٣٧	٧	٥
اليمن	٧	٥٣	٢٩	١٥
الجزيرة	٥	–	٥	–
واسط	٥	٩	–	–
اليمامة	٤	–	٦	–
الطائف	١	–	٣٤	–

ملحق رقم (٣)

فهرست العلماء المترجم لهم في الهامش مرتب أبجديا

م	الاسم	سنة الوفاة	الصفحة
١	أبان بن عثمان بن عفان	١٠٥هـ-٧٢٣م	٢٢٠
٢	إبراهيم النخعي	٩٦هـ-٧١٤م	٦٨
٣	إبراهيم بن أبي عبلة	١٥٢هـ-٧٦٨م	٨٢
٤	إبراهيم بن أدهم	١٦٢هـ-٧٧٨م	٩٠
٥	إبراهيم بن سعد بن إبراهيم	١٨٤هـ-٨٠٠م	١٩٥
٦	إبراهيم بن طهمان	١٦٣هـ-٧٧٩م	٢٢٣
٧	إبراهيم بن يزيد التيمي	٩٢هـ-٧١٠م	٢٣٦
٨	أبو إسحاق السبيعي	١٢٧هـ-٧٤٤م	٩١
٩	إسماعيل بن أبي خالد	١٤٦هـ-٧٦٣م	٢٠٧
١٠	إسماعيل بن زكريا بن مرة	١٧٣هـ-٧٨٩م	٢٠٦
١١	إسماعيل بن عياش	١٨١هـ-٧٩٧م	١٥٥
١٢	أشعث بن سوار الكندي	١٣٠هـ-٧٤٧م	٢٠٧
١٣	أبو الأشهب جعفر بن حيان العطاردي	١٦٥هـ-٧٨١م	٢٠٨
١٤	الأعرج أبو داود عبدالرحمن بن هرمز	١١٧هـ-٧٥٣م	٢٠٨
١٥	الأعمش سليمان بن مهران	١٤٨هـ-٧٦٥م	٥٥
١٦	الأوزاعي عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد	١٥٧هـ-٧٧٣م	٥٣
١٧	أيوب السختياني	١٣١هـ-٧٤٨م	٨٣
١٨	أيوب بن أبي مسكين (أبو العلا)	١٤٠هـ-٧٥٧م	٢٠٨
١٩	أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث	٩٤هـ-٧١٢م	٧٢
٢٠	أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم	١٢٠هـ-٧٣٧م	٢٢٠
٢١	بكر بن عبدالله المزني	١٠٨هـ-٧٢٦م	٦٠
٢٢	بكر بن مضر	١٥٤هـ-٧٧٠م	١٧٣
٢٣	ثابت بن أسلم البناني	١٢٣هـ-٧٤٠م	١٣٧
٢٤	ابن جريج عبدالملك بن عبدالعزيز	١٤٩هـ-٧٦٦م	٦٩
٢٥	أبو جعفر الرازي	١٦٠هـ-٧٧٦م	٢٠٦
٢٦	أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين	١١٤هـ-٧٣٢م	١٠٣
٢٧	جعفر بن محمد بن علي بن الحسين	١٤٨هـ-٧٦٥م	١٣٨
٢٨	الحارث الأعور بن عبدالله	٦٥هـ-٦٨٤م	٩١
٢٩	أبو حازم سلمة بن دينار	١٤٠هـ-٧٥٧م	١٨٣
٣٠	حبيب بن أبي ثابت	١١٩هـ-٧٣٦م	٥٨
٣١	الحجاج بن أرطأة	١٥٠هـ-٧٦٧م	١١٤
٣٢	الحسن البصري	١١٠هـ-٧٢٨م	٤٧
٣٣	الحسن بن الحر بن الحكم	١٣٣هـ-٧٥٠م	١٠٨
٣٤	الحسن بن صالح بن حي	١٦٧هـ-٧٨٣م	١٠٩
٣٥	الحسن بن عمارة بن المضرب	١٥٣هـ-٧٦٩م	٢٣٦
٣٦	حماد بن زيد	١٧٩هـ-٧٩٥م	١٢٧
٣٧	حماد بن أبي سليمان	١٢٠هـ-٧٣٧م	١٢٩
٣٨	حماد بن سلمة	١٦٧هـ-٧٨٣م	٧٠
٣٩	أبو حمزة السكري	١٦٨هـ-٧٨٤م	١٦٠
٤٠	أبو حمزة الضبعي	١٢٧هـ-٧٤٤م	٥٤
٤١	حمزة بن حبيب الزيات	١٥٨هـ-٧٧٤م	٢٠٠

٤٢	حميد الطويل	١٤٣هـ-٧٦٠م	٢٧٧
٤٣	أبو حنيفة النعمان بن ثابت	١٥٠هـ-٧٦٧م	٨٤
٤٤	حيوة بن شريح بن صفوان	١٥٣هـ-٧٦٩م	٨٢
٤٥	خارجة بن زيد بن ثابت	٩٩هـ-٧١٧م	١٢٩
٤٦	خارجة بن مصعب	١٦٨هـ-٧٨٤م	٢٣٢
٤٧	خالد بن مهران الحذاء	١٤١هـ-٧٥٨م	٢٢٠
٤٨	الخليل بن أحمد الفراهدي	١٧٠هـ-٧٨٦م	١٦٠
٤٩	خيثمة بن عبدالرحمن بن أبي سبرة	٨٠هـ-٦٩٩م	١٠٧
٥٠	خير بن نعيم بن مرة بن كريب الحضرمي	١٣٧هـ-٧٥٤م	٢٠٧
٥١	داود بن أبي هند	١٣٩هـ-٧٥٦م	١٢٣
٥٢	داود بن نصير الطائي	١٦٥هـ-٧٨١م	٦١
٥٣	ابن أبي ذئب محمد بن عبدالرحمن	١٥٨هـ-٧٧٤م	٧٣
٥٤	ربيعة بن أبي عبدالرحمن	١٣٦هـ-٧٥٣م	١٨٣
٥٥	رجاء بن حيوة	١١٢هـ-٧٣٠م	٦٧
٥٦	زاذان أبو عمرو الكندي	٨٢هـ-٧٠٠م	٢٠٦
٥٧	زبيد بن الحارث اليامي	١٢٢هـ-٧٣٩م	٨٠
٥٨	زفر بن الهذيل العنبري	١٥٨هـ-٧٧٤م	٥٩
٥٩	أبو الزناد عبدالله بن ذكوان	١٣٠هـ-٧٤٧م	٥٤
٦٠	الزهري محمد بن مسلم بن شهاب	١٢٤هـ-٧٤١م	٥٤
٦١	زيد بن أسلم	١٣٠هـ-٧٤٧م	٤٦
٦٢	زيد بن علي بن الحسين	١٢٢هـ-٧٣٩م	١٠٣
٦٣	سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب	١٠٦هـ-٧٢٤م	٦١
٦٤	سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف	١٢٥هـ-٧٤٢م	٥٧
٦٥	سعيد بن المسيب	٩٤هـ-٧١٢م	٤٨
٦٦	سعيد بن جبير	٩٥هـ-٧١٣م	٩١
٦٧	سفيان الثوري	١٦١هـ-٧٧٧م	٤٩
٦٨	سفيان بن حبيب	١٨٣هـ-٧٩٩م	٣٠٦
٦٩	أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف	٩٤هـ-٧١٢م	٩٤
٧٠	سليمان بن المغيرة أبو سعيد القيسي	١٦٥هـ-٧٨١م	٢٣٥
٧١	سليمان بن طرخان التيمي	١٤٣هـ-٧٦٠م	٨٤
٧٢	سليمان بن يسار	١٠٧هـ-٧٢٥م	١٥١
٧٣	شريح بن الحارث (القاضي)	٨٠هـ-٦٩٩م	١٨٩
٧٤	شريك بن عبدالله (القاضي)	١٧٧هـ-٧٣٩م	١١١
٧٥	شعبة بن الحجاج بن الورد	١٦٠هـ-٧٦٦م	٧٧
٧٦	الشعبي عامر بن شراحيل	١٠٤هـ-٧٢٢م	٤٩
٧٧	شعيب بن أبي حمزة	١٦٢هـ-٧٧٨م	٢٢٤
٧٨	شقيق بن سلمة (أبو وائل)	٨٣هـ-٧٠١م	١٠٧
٧٩	أبو شهاب الحناط عبدربه بن نافع الكوفي	١٧٢هـ-٧٨٨م	٢٠٨
٨٠	أبو صالح السمان	١٠١هـ-٧١٩م	٢٠٧
٨١	صالح بن كيسان	١٤٠هـ-٧٥٧م	١١٢
٨٢	الضحاك بن مزاحم الهلالي	١٠٢هـ-٧٢٠م	١٣٥
٨٣	أبو الضحى مسلم بن صبيح القرشي	١٠٠هـ-٧١٨م	٢٠٧
٨٤	طاووس بن كيسان اليماني	١٠٥هـ-٧٢٣م	٤٧
٨٥	طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري	٩٩هـ-٧١٧م	٢٧٨
٨٦	عافية بن زيد (القاضي)	١٨٠هـ-٧٩٦م	٢١٧
٨٧	عبادة بن نسي	١١٨هـ-٧٣٦م	٢٢٠
٨٨	عبدالرحمن بن أبي ليلى	٨٢هـ-٧٠٠م	٢١٧

٨٩	عبدالرحمن بن حجيرة	٨٣هـ-٧٠١م	٢١٧
٩٠	عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة المسعودي	١٦٠هـ-٧٦٦م	١٣٥
٩١	عبدالرحمن بن غنم الأشعري	٧٨هـ-٦٩٧م	٥٢
٩٢	عبدالرحمن بن مهدي	١٩٨هـ-٨١٥م	٢٤٧
٩٣	عبدالرحمن بن يزيد بن جابر	١٥٣هـ-٧٦٩م	١١٧
٩٤	عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون	١٦٤هـ-٧٨٠م	١١٧
٩٥	عبدالله بن أبي نجيح	١٣١هـ-٧٤٨م	٩٠
٩٦	عبدالله بن المبارك	١٨١هـ-٧٩٧م	٥٨
٩٧	عبدالله بن حبيب بن ربيعة	١٠٥هـ-٧٢٣م	١٨١
٩٨	عبدالله بن شبرمة	١٤٤هـ-٧٦١م	٦٨
٩٩	عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك	١٦٩هـ-٧٨٥م	١٠٨
١٠٠	عبدالله بن عون بن أرطبان	١٥١هـ-٧٦٧م	٧٨
١٠١	عبدالله بن كثير	١٢٠هـ-٧٣٧م	١٤٦
١٠٢	عبدالواحد بن زيد	١٥٠هـ-٧١٨م	١٦٠
١٠٣	عَبْدَة بن أبي لبابة	١٢٧هـ-٧٤٤م	١٠٨
١٠٤	عبيدالله بن عبدالله بن عتبه بن مسعود	٩٩هـ-٧١٧م	١٠٧
١٠٥	عثمان البتي	١٤٧هـ-٧٦٤م	٢٠٠
١٠٦	عثمان بن الحكم الجذامي	١٦٣هـ-٧٧٩م	٢٤٢
١٠٧	عروة بن الزبير	٩٤هـ-٧١٢م	١٠٤
١٠٨	عطاء الخراساني	١٣٥هـ-٧٥٢م	٤٧
١٠٩	عطاء بن أبي رباح	١١٤هـ-٧٣٢م	٤٦
١١٠	عطاء بن يسار	١٠٣هـ-٧٢١م	٩٣
١١١	عكرمة مولى بن عباس	١٠٥هـ-٧٢٣م	٧٦
١١٢	علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	٩٤هـ-٧١٢م	٩٢
١١٣	علي بن عبدالله بن العباس	١١٨هـ-٧٣٦م	١٠٣
١١٤	علي بن هاشم البريد	١٨٠هـ-٧٦٩م	٢٠٦
١١٥	عمر بن عبدالعزيز	١٠١هـ-٧١٩م	٨١
١١٦	أبو عمرو بن العلاء (النحوي)	١٥٤هـ-٧٧٠م	١٠٧
١١٧	عمرو بن الحارث المصري	١٤٨هـ-٧٦٥م	٥٥
١١٨	عمرو بن دينار	١٢٦هـ-٧٤٣م	٧٦
١١٩	عمرو بن عبيد بن باب	١٤٤هـ-٧٦١م	٦٦
١٢٠	عمرو بن قيس الملائي الكوفي	١٤٦هـ-٧٦٣م	٦٠
١٢١	عمرو بن قيس بن ثور السكوني	١٤٠هـ-٧٥٧م	٢٢١
١٢٢	عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود	١١٧هـ-٧٣٥م	١٠٩
١٢٣	عيسى بن ميمون	١٧٢هـ-٧٨٨م	٢٠٦
١٢٤	غوث بن سليمان بن زياد	١٦٨هـ-٧٨٤م	٦٤
١٢٥	فضيل بن مرزوق	١٧٠هـ-٧٨٦م	٢٣٤
١٢٦	فطر بن خليفة	١٥٣هـ-٧٦٩م	٢٠٠
١٢٧	القاسم بن محمد بن أبي بكر	١٠١هـ-٧٩١م	٩١
١٢٨	القاسم بن مخيمرة الهمداني	١٥٠هـ-٧١٨م	٦٩
١٢٩	قتادة بن دعامة السدوسي	١١٨هـ-٧٣٦م	٢٣٣
١٣٠	أبو قلابة الجرمي عبدالله بن يزيد	١٠٤هـ-٧٢٢م	٨٢
١٣١	كرز بن وبرة الحارثي	١٣٥هـ تقريبا	٢٨٥
١٣٢	كهمس بن الحسن التميمي	١٤٩هـ-٧٦٦م	٢٠٨
١٣٣	الليث بن سعد	١٧٥هـ-٧٩١م	٦٣
١٣٤	الماجشون أبو يوسف يعقوب بن دينار	١٢٠هـ-٧٣٧م	١٩٥
١٣٥	مالك الإمام مالك بن أنس	١٧٩هـ-٧٩٥م	٥٤

١٣٦	مالك بن دينار	١٣١هـ-٧٤٨م	٨١
١٣٧	مالك بن مغول	١٥٨هـ-٧٧٤م	١٦٦
١٣٨	مجاهد بن جبر	١٠٤هـ-٧٢٢م	٧٥
١٣٩	محارب بن دثار	١١٦هـ-٧٣٤م	١٨١
١٤٠	محمد بن إسحاق بن يسار	١٢٥هـ-٧٨٦م	١٩٢
١٤١	محمد بن الحنفية	٨١هـ-٦٩٩م	١٠٣
١٤٢	محمد بن المنكدر	١٣٠هـ-٧٤٧م	١١٠
١٤٣	محمد بن سوقة الغنوي	١٤٦هـ-٧٦٣م	١١١
١٤٤	محمد بن سيرين	١١٠هـ-٧٢٨م	٦٨
١٤٥	محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى	١٤٨هـ-٧٦٥م	٢١٧
١٤٦	محمد بن عجلان	١٤٨هـ-٧٦٥م	٥٦
١٤٧	محمد بن واسع	١٢٠هـ-٧٣٧م	٨١
١٤٨	مرثد بن عبدالله اليزني	٩٠هـ-٧٠٨م	٦٤
١٤٩	مسعر بن كدام	١٥٥هـ-٧٧١م	١٦٠
١٥٠	المسيب بن رافع	١٠٥هـ-٧٢٣م	٢٣١
١٥١	مطر الوراق	١٢٥هـ-٧٤٢م	٢٠٠
١٥٢	مطرف بن عبدالله بن الشخير	٨٧هـ-٧٠٥م	٢٦٧
١٥٣	معاوية بن صالح	١٥٨هـ-٧٧٤م	٢١٦
١٥٤	معاوية بن عبدالله بن يسار	١٧٠هـ-٧٨٦م	٢٧٩
١٥٥	معمر بن راشد البصري (نزيل اليمن)	١٥٢هـ-٧٦٨م	٥٩
١٥٦	مفضل بن فضالة	١٨١هـ-٧٩٧م	٢٠٨
١٥٧	مقاتل بن حيان	١٥٠هـ-١٦٧م	٢٠٧
١٥٨	مكحول الدمشقي	١١٣هـ-٧٣١م	٤٧
١٥٩	ابن أبي مليكة	١١٧هـ-٧٣٥م	٢١٦
١٦٠	مندل بن علي أبو عبدالله العنزي	١٦٢هـ-٧٨٤م	٢٤٧
١٦١	منصور بن المعتمر	١٣٢هـ-٧٤٩م	٨٢
١٦٢	منصور بن زاذان	١٣١هـ-٧٤٨م	٦٣
١٦٣	مورق العجلي	١٠٨هـ-٧٢٦م	٢٠٦
١٦٤	موسى الكاظم	١٨٣هـ-٧٩٩م	٢٥٤
١٦٥	موسى بن عقبة	١٤١هـ-٧٥٨م	١٨٤
١٦٦	ميمون بن مهران	١١٧هـ-٧٣٥م	٩٣
١٦٧	نافع بن جبير بن مطعم	٩٩هـ-٧١٧م	٢٣٤
١٦٨	نافع مولى بن عمر (الإمام)	١٢٠هـ-٧٣٧م	١٧٩
١٦٩	هشام الدستوائي	١٥٢هـ-٧٦٨م	١٩١
١٧٠	هشام بن عروة بن الزبير	١٤٦هـ-٧٦٣م	٥٠
١٧١	واصل بن عطاء الغزال	١٣١هـ-٧٤٨م	٢٨٠
١٧٢	وهب بن منبه	١١٠هـ-٧٢٨م	١٢١
١٧٣	يحيى بن أبي كثير	١٢٩هـ-٧٤٦م	٤٧
١٧٤	يحيى بن سعيد بن قيس	١٤٣هـ-٧٦٠م	٢١٦
١٧٥	يحيى بن يعمر	٩٠هـ-٧٠٨م	١٦٨
١٧٦	يزيد بن أبي حبيب	١٢٨هـ-٧٤٥م	٨٥
١٧٧	يعلي بن حكيم	ت قبل أيوب السختياني	٢٣٧
١٧٨	أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (القاضي)	١٨٢هـ-٧٩٨م	٢٤٥
١٧٩	يوسف بن يعقوب بن دينار بن أبي سلمة	١٨٥هـ-٨٠١م	١٩٥
١٨٠	يونس بن حبيب	١٨٣هـ-٧٩٩م	٩٠

المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

الآبي : أبو سعد منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

١- نثر الدر . تحقيق/ محمد علي قرانه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م (بدون طبعة) .

الآجرّي : أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م) .

٢- تحريم النرد والشطرنج والملاهي . دراسة وتحقيق واستدراك/محمد سعيد عمر إدريس ، ط أولى ١٩٨٤م ، درا إحياء السنة ، الرياض .

ابن الأمير : محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ/١٨٦٥م) .

٣- سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام. تحقيق/محمد عبدالقادر عطا ط أولى ١٩٨٨م ، دار الفكر ، بيروت لبنان .

البخاري : الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٦٠م)

٤- الأدب المفرد. نشرة/قصي محب الدين الخطيب،ط الثانية ١٣٧٩هـ، القاهرة.

٥- صحيح البخاري . ضبطه ورقَّمه وشرح ألفاظه د/مصطفى ديب البغا ، ط الثالثة ١٩٨٧م ، دار ابن كثير ، دمشق ،بيروت .

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

٦- أنساب الأشراف . تحقيق/إحسان عباس ، ط أولى ، دار فرانتس شتاينر (بدون تاريخ ومكان الطبع) .

الترمذي : الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .
٧- السنن . تحقيق/أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

ابن تغري بردي : يوسف بن تغري بردي الأتباكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .
٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . دار الكتب ، مصر (بدون طبعة وتاريخ) .

ابن الجوزي : عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .
٩- أخبار الظراف والمتماجنين . تحقيق/محمد أنيس مهرات ، ط أولى ١٩٨٧م ، دار الحكمة ، بيروت لبنان .
١٠- تلبيس إبليس . قام بنشره وتصحيحه/إدارة الطبعة المنيرية ١٣٦٨هـ (بدون تاريخ ومكان الطبع) .
١١- صفة الصفوة . ط أولى ١٤١١هـ ، دار الصفا القاهرة .
١٢- صيد الخاطر.مكتبة العلم بجدة ، مكتبة ابن تيميه القاهرة(بدون طبعة وتلويخ)
١٣- مشيخة ابن الجوزي . تحقيق/محمد محفوظ ، الشركة التونسية للتوزيع (بدون طبعة وتاريخ) .
١٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك . دراسة وتحقيق/محمد عبدالقادر عطا ، مصطفى عبدالقادر عطا ، مراجعة وتصحيح/نعيم زرزور ، ط أولى ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

ابن أبي حاتم : عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) .
١٥- مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل.ط أولى ١٩٥٢م،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) .
١٦- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار . حققه ووثقه وعلّق عليه/ مرزوق علي إبراهيم، ط أولى ١٩٨٧م، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت لبنان

ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .
١٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . دار الجيل ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .
١٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري .ط الرابعة ١٩٨٨م،دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

الحسيني : أبو المحاسن محمد بن علي (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م) .
١٩- ذيل تذكرة الحافظ .دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ).

ابن حنبل : الإمام أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ/٨٥٥) .
٢٠- المسند

الحنبلي : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٨٧٠هـ/١٤٦٥م) .
٢١-محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي . حققه/إبراهيم مهدي ، ط أولى ١٩٩١، مؤسسة الموارد الثقافية ، بيروت لبنان .

أبو حيان التوحيدي : علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) .
٢٢-البصائر والذخائر . تحقيق الدكتورة/وداد القاضي ،ط أولى ١٩٨٨م ، دار صادر ، بيروت لبنان .

الخطيب البغدادي : الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣/١٠٧٠م) .

٢٣-تاريخ بغداد . دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

٢٤- الرحلة في طلب الحديث .حققه وعلق عليه/نورالدين عتر، ط أولى ١٩٧٥م، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان .

٢٥- شرف أصحاب الحديث . تحقيق/محمد سعيد خطيب ، نشرته دار إحياء السنة (بدون طبعة وتاريخ).

ابن خلكان : أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

٢٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق/إحسان عباس ، دار صادر ١٩٦٨، بيروت لبنان (بدون طبعة) .

خليفة بن خياط : أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠ هـ/٨٥٤م) .

٢٧- تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق د/أكرم ضياء العمري ، ط الثانية ١٩٨٥م ، دار طيبة الرياض .

٢٨- الطبقات . حققه وقدم له د/أكرم ضياء العمري ، ط أولى ١٩٦٧م ، مطبعة العاني ، بغداد .

أبو داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) .

٢٩- سنن أبي داود . دراسة وفهرسة/كمال يوسف الحوت، ط أولى ١٩٨٨م ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت لبنان .

الذهبي : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)

٣٠- الإعلام بوفيات الأعلام . حققه وعلق عليه/رياض عبدالحميد ، عبدالجبار زكار ، ط أولى ١٩٩١م ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان .

٣١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام . تحقيق/عمر عبدالسلام تدمري ، ط أولى ١٩٨٩م ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .
٣٢- سير أعلام النبلاء . أشرف على تحقيق الكتاب/شعيب الأرنؤوط ، ط أولى ١٩٨١م ، ط الثانية ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان .
٣٣- معجم الشيوخ (المعجم الكبير) . تحقيق د/محمد الحبيب الهيلة ، ط أولى ١٩٨٨م ، مكتبة الصديق ، الطائف ، المملكة العربية السعودية .

ابن رسته : أحمد بن عمر (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) .
٣٤- الأعلاق النفيسة . ط أولى ١٩٨٨م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

الزبيدي : محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م) .
٣٥- طبقات النحويين واللغويين . تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الثانية ، دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) .

الزبيدي : السيد مرتضى الحسين الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .
٣٦- تاج العروس من شرح جواهر القاموس . تحقيق/مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٣م (بدون طبعة) .

الزبيري : مصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ/٨٥٢م) .
٣٧- نسب قريش . تحقيق/ليفي بروفنسال ، ط الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة (بدون تاريخ) .
السخاوي : الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) .
٣٨- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . حققه وعلق عليه بالإنجليزية/فرانز روزنثال،ترجم التعليقات والمقدمة وأشرف على نشر النص د/صالح أحمد العلي

، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ).

ابن سعد : محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) .
٣٩- الطبقات الكبرى . تقديم/إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

ابن سيدة : على بن إسماعيل النحوي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) .
٤٠- المخصص . المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، (بدون طبعة وتاريخ) .

السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) .
٤١- تاريخ الخلفاء . دراسة وتحقيق/مصطفى عبدالقادر عطا ، ط الثالثة ١٩٩٨م، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت لبنان .
٤٢- طبقات الحفاظ . تحقيق/علي محمد عمر،ط أولى ١٩٧٣م،مكتبة وهبه، مصر

ابن شاكر الكتبي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .
٤٣- فوات الوفيات والذيل عليها . تحقيق/إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت لبنان ، (بدون طبعة وتاريخ) .

الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) .
٤٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . دار المعرفة ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .
الشيرازي : جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م).
٤٥- طبقات الفقهاء . تصحيح ومراجعة/فضيلة الشيخ خليل الميس ، دار القلم ، بيروت لبنان ، (بدون طبعة وتاريخ).

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م) .
٤٦- الوافي بالوفيات . ط الثانية ، دار نشر ، فرانتس شتاينر ١٩٨١م (بدون مكان الطبع) .

الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .
٤٧- تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري . تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة (بدون تاريخ) .

أبو الطيب اللغوي : عبدالواحد بن علي الحلبي (ت ٣٥١هـ/٩٦٢م) .
٤٨- مراتب النحويين . تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الثانية .

ابن عبدالبر : أبو عمر يوسف بن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ/١٠٦٩م) .
٤٩- الاستدراك الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار . تحقيق/عبدالمعطي أمين قلعجي ، ط أولى ١٩٩٣م ، دار الوعي ، حلب سوريا .
٥٠- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله . وَقَف على طبعه وتصحيحه / إدارة الطباعة المنيرية ، ط ١٩٧٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون طبعة) و ط أولى ١٩٩٤م ، تحقيق/أبي الأشبال الزبيري ،دار ابن الجوزي ، المملكة العربية والسعودية .

أبو عبيد : القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م) .
٥١- الأموال . ط أولى ١٩٨١م ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت لبنان .
ابن عبدالهادي الدمشقي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي (ت ٧٤٤هـ/١٣٤٣م) .
٥٢- طبقات علماء الحديث . تحقيق/أكرم البوشي ، ط أولى ١٩٨٩م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان .

ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) .
٥٣- تهذيب تاريخ دمشق الكبير . هذبه ورتبه/الشيخ عبدالقادر بدران ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

ابن العماد : أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .
٥٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب . المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت لبنان .

عمارة : نجم الدين بن عمارة بن علي اليمني الشاعر المشهور بـ (عمارة) (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م) .
٥٥- تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد . حققه وعلق عليه/محمد بن علي الأكوع ،ط أولى ١٩٦٧م ،مطبعة لجنة البيان العربي(بدون مكان الطبع) .

الفارسي : علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) .
٥٦- الأحسان في تقريب صحيح بن حبان . ط أولى ١٩٩١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان .
ابن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) .
٥٧- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

الفسوي : يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي (ت٢٧٧ هـ/٨٩٠م).
٥٨- المعرفة والتاريخ. تحقيق د/أكرم ضياء العمري، ط الثانية ١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان .

الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) .
٥٩- القاموس المحيط . المؤسسة العربية للطباعة والنشر (بدون طبعة وتاريخ ومكان الطبع) .

ابن القاضي : أبو العباس أحمد بن محمد المكناس (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م) .
٦٠- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال .تحقيق/محمد الأحمدي أبو النور ، ط أولى ١٩٧١م ، دار التراث ، القاهرة .

ابن قاضي شهبه : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) .
٦١- طبقات الشافعية . اعتنى بتصحيحه وعلق عليه/الحافظ عبدالعليم خان ، دار الندوة الجديدة ١٩٨٨م ، بيروت لبنان .

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م).
٦٢- عيون الأخبار . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (بدون طبعة وتاريخ) .
٦٣- المعارف . صححه وعلق عليه/محمد إسماعيل عبدالله الصاوي ، ط الثانية ١٩٧٠م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

ابن قدامه : أحمد بن عبدالرحمن بن قدامه المقدسي (ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م) .
٦٤- مختصر منهاج القاصدين . علق عليه/شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط مكتبة دار التراث ، القاهرة (بدون طبعة وتاريخ).

ابن قدامه : موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م) .
٦٥- المغنى . مكتبة الجمهورية العربية ، مصر (بدون طبعة وتاريخ).

ابن كثير : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمران الدمشقي(ت٧٧٤هـ/١٣٧١م)
٦٦- البداية والنهاية . ط السادسة ١٩٨٥م ، مكتبة المعارف ، بيروت لبنان .
٦٧- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث . تأليف/أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

ابن ماجه : الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٣م)
٦٨- السنن . حقق نصوصه ورَقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه/محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

مالك: الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥م).
٦٩- الموطأ . برواية محمد بن الحسن الشيباني ، دار اليرموك ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .
المحاسبي : الحارث بن أسد (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) .
٧٠- المكاسب . دراسة وتحقيق/عبدالقادر أحمد عطا ، ط أولى ١٩٨٧م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت لبنان .

المزّي : جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) .
٧١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال . تحقيق/بشار عواد معروف ، ط أولى ١٩٨٣م ، مؤسسة ، الرسالة بيروت لبنان .

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .
٧٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق/محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

مسلم : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشـــيري (ت ٢٦١هـــ/٨٧٤م) .

٧٣- صحيح مسلم . شرح النووي، تقديم الشيخ/خليـــل مـــأمون ســـيخا ، دار المعرفة ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـــ/١٣١١م)

٧٤- لسان العرب المحيط . إعداد وتصنيف/يوسف خياط ، دار لسان العـــرب ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

النجفي : محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـــ/١٨٥٠م) .

٧٥- جواهر الكلام في شرح شرائع الإســـلام . ط أولى ١٩٩٢/ ، دار المـــؤرخ العربي ، بيروت لبنان .

أبو نعيم : أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـــ/١٠٣٨م) .

٧٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . مكتبة الخانجي مصر (بدون طبعة وتاريخ).

النووي : محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـــ/١٢٧٧م) .

٧٧- صحيح مسلم بشرح النووي . المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة (بـــدون طبعة وتاريخ).

ابن هشام : أبو محمد عبدالملك بن هشام (ت ٢١٨هـــ/٨٣٣م) .

٧٨- سيرة بن هشام . علق عليها وخرج أحاديثها/ عمر عبدالسلام تدمري ، ط أولى ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .

ياقوت : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) .

٧٩- معجم البلدان . دار صادر ، بيروت لبنان (بدون طبعة وتاريخ) .

ثانياً : المراجع

أمين : أحمد أمين .

١-فجر الإسلام . ط الثانية عشر ١٩٧٨م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

الحكيم :حسن عيسى علي (الدكتور) .

٢-كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته (دراسة وتحقيق) ط أولى ١٩٨٥م ، عالم الكتب بيروت لبنان .

دوزي : رينهارت دوزي .

٣- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة د/أكرم فاضل ، مشر وزارة الإعلام في البلاد المنخفضة (بدون طبعة وتاريخ) .

زيدان : جورجي زيدان .

٤- تاريخ التمدن الإسلامي . دار الهلال القاهرة (بدون طبعة وتاريخ)

الشافي : عبدالشافي محمد عبداللطيف (الدكتور) .

٥-العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية ، ط الثانية ١٩٩٣م .

العبيدي : صلاح حسين .

٦- الملابس العربية والإسلامية في العصر العباسي ، دار الرشيد ١٩٨٠م (بده طبعة ومكان الطبع) .

العُمري : أكرم ضياء العُمري (الدكتور) .

٧- قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي . ط أولى ١٤١٤هـ ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٨- المعجم الوسيط . أخرج الطبعة د / إبراهيم أنيس وآخرون ، أشرف على الطبع حسن علي عطية و محمد شوقي أمين ، ط الثانية ١٩٩٠م ، دار الأمواج بيروت

معروف : بشار عواد معروف (الدكتور) .

٩- الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ، ط أولى ١٩٧٩م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

١٠- تقديم كتاب سير أعلام النبلاء (في الجزء الأول من السير) تحقيق/حسين الآسد ، ط الثانية ١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان .

المقداد : محمود المقداد (الدكتور) .

١١- الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي .ط أولى ١٩٨٥م، دار الفكر دمشق سوريا .

فلوتن : فان فلوتن .

١٢- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية . ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه / حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، ط الثانية ١٩٦٥م ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

فهرسة الموضوعات